+
5 et 6

C. V. 1 (t-5-6)
Brulo - RES - 8 - 182

الجزء الخامس من سيرة الاميرحية
بطل الواد الهمام الضرغام
عنتر بن شداد ابي
الفوارس الصناديد
الشداد وهي
سيرة
الحجازيه

ECOLE des L. L. O. O. VIVANTES
1178

1

C. V. 1 (A-5-6)

Biulo - RES - 8 - 182

الجزء الخامس من سيرة الاميرحية
بطن الواد الهمام الضرغام
عنتر بن شداد أبي
الفوارس الصناديد
الشداد وهي
سيرة
الحجازيه

ECOLE DES L. O. V. VIVANTES
1178

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (قال الراوى) وهو الاصمعى رحمه الله تعالى ولم يزل مالك وولده عمرو آخذين فى الهزيمة مما نظرا من الشده حتى أشرفا على حى بنى كنده ونادا بالويل والثبور وعظائم الامور ثم صاحا عن صوت واحد يا للعرب وعمتكم الفرسان والاجل منكم قد اقترب فعندها تقدمت اليهم الشجعان وجميع الليوث والاقران وركب الملك عمرو القصور وهو مما سمع مدهوش ومقهور وسأل عن ذلك الخبر فاخبروه بما فعل عنتر وقالوا أدرك ابن أختك بن عندك من الفرسان قبل أن تفتناله

صروف الزمان وهلاك ودمره هذا القرنان وكان الذى أخبره
بذلك مالك القرنان بن الألف قرنان فقال الملك عمرو ويلك ياشيخ
لاتقول هذا المقال فانى لا أخشى على الامير مسهل من هذا المهان
لان هذا الغراب الابقع مادخل أرضنا وبقى منها رجع ولا يبصر
ولا يسمع وأنا أعلم وأتحقق أن مابقى له فى الحياة مطمع واليوم
الوحوش فى لحمه ترتع وانما أنت تقول هذا المقال لاجل ماحل
بك من الاوجال ثم انه بعد ذلك الكلام سار بجد بجواده وقد
تبعته فرسانه وأجناده وساروا حتى يكشفوا الخبر واندفقت
المواكب من خلفه مثل البحر اذا زخر فبينما هو قاصدا الى مسهل
يقتفى منه الآثار واذا بالخيل التى كانت معه قد التقت به وهى
مبددة فى القفار وهم ينادون وأسفاه عليك ياأمير مسهل يا ابن
طارق وقد أكثروا عليه الصياح والزعاق فعند ذلك وقف الملك
عمرو وسأل المنهزمين عن ذلك الامير فتقدم اليه بعض الفرسان
وأعلمه بما جرى على مسهل من القتل والهوان فكاد أن يغشى
عليه ولا بقى يعرف مابين يديه وتم على حاله وقد ضاقت عليه
المسالك وهو يقول ما كان أشأم وجهك علينا ياعبلة يا ابنة مالك
ثم انه صاح فى الفرسان وأعلم الشجعان بما جرى وكان فأطلقوا
الاعنه وقوموا الاسنه وقد علت منهم الضجه والرنه وطلبوا
رؤس الروابى والتلال وقد أكثروا من البكاء والاعوال
وساروا وهم مثل السحاب السيال (قال الراوى) وكان عنتر
لما فعل تلك الفعال التى صارت اليه وقف بعد هروب الابطال
من بين يديه على مصرع مسهل بن طارق بعد ما ضم الاسلاب
والخيول العتاق وسيرهم قدامهم وصار لهم محامى وكان عنتر عند

وقوفه على مصرع مسحل بن طراق فرأى فيه الروح وهي تتردد
لاسياق وهو ممدد على الحصى والجندل فلم يأخذه على خروج
روحه مهل بل ضربه بسيفه الصامي جعله قطعتين وصار على
الارض حاوين وكان هذا مسحل أول قتيل قتله عنتر قتلتين ثم
انه صار ينظر اليه وبقي يتعجب مما جرى عليه فقدح خاطره
بشيء من الشعر يقتضي هذه القضيه وهي أيضا من قصدته
الميميه وقد أشار يقول

وخليل غانية تركت مجندلا * تمكو فريصته كشبه الارقم
سبقت يداي له بعاجل طعنة * ورشاش نافذة كلون العندم
فشككت بالرمح الاصم ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم
فتركته جزر السباع ينشنه * يقضمن قلة رأسه والمعصم
كم سابغات قد قتلت رجالها * بالرمح عن حال الحقيقة مخدم
رجل تراه في القداح اذا انتشى * هتاك رايات التجار ومكرم
لما رآني قد نزلت بداره * أبدا نواجذه بغير تبسم
فطعنته بالرمح ثم علوته * بمهند صافي الحديد مخذم
عهدي به ذاك النهار كأنه * رأس البنات ورأسه بالمنظم

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من شعره والنظام نظر بعينه الى
ذلك البر والآكام واذا به قد ملي برجال مثل قصب الآجام
وغبار قد ثار كأنه قطع الغمام والجيوش من تحته قد تلاحقت
والابطال اليه تسابقت والصوارم في أيديهم قد برقت وأسنة
الرماح السمهرية على أكتافهم قد أشرقت والفرسان من أربع
جنبات الارض تبددت والكل ينادون وحق ذمة العرب
الكرام لا تركناك يا عبد السوء ترجع من هذا المقام

(قال الراوي) فلما أبصر عنتر الى بريق الصفاح ولمعان أسنة الرماح والجميع ينادون باسمه ويصيحون عليه وكل منهم يتسابق اليه فنهض عند ذلك من الغيظ والحرد حتى كاد أن يطير ما عليه من اللباس والزرد وبقي لا يدري لمن يخاطب ولا لمن يحارب ولا لمن يدافع ويجاوب فلما زاد به الامر والغرام تذكر الشعر والنظام وهو أيضا من القصيدة الميميه يقتضي ما أحاط به من تلك العساكر الكنديه يترنم وجعل يقول

لما رأيت الخيل أقبل جمعهم * يتبادرون نحوهم ومدمدم
يدعون عنتر والرماح كأنها * أشطان بئر في لبان الادهم
يدعون عنتر والسيوف كأنها * برق تلألأ في سحاب مظلم
يدعون عنتر والنبال كأنها * طير الجراد على كثيب أعظم
يدعون عنتر والدروع كأنها * حدق الضفادع في غدير مجم
فلبتهم جمابهمة بجري * وبصبره حتى تسربل بالدم
فازور من وقع القنا فذخرته * فشكى الى بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المخاطبة اشتكى * أوكان يعلم ما الكلام تكلم
والخيل عابسة الوجوه كأنها * تسقى فوارسها نقيع العلقم
اذ يتقون بي الاسنة لم أخل * عنها ولكني أضايق مقدم
في حومة الموت التي لا تشتكي * غمراته الابطال غير تغمغم

(قال الراوي) لهذا الكلام ثم ان عنتر لما فرغ من ذلك الشعر والنظام وقد رأى ما أقبل عليه من العساكر في ذلك البر والآكام فتلقى تلك الجيوش القابله بقلب لو قابل الصخر الاصم لكان أجرى وصار يبرى بسيفه الرماح الردينيات ويسوق الرجال بضربات مستوفيات وهو يسابق المنايا بسوابق الطعنات

النافذات وكلما تكاثرت عليه الفرسان وضاق بين يديه الميدان يصرخ فى وجوه القوم فيردها وترجع تتقهقر الى ورائها فيصدها وهو يطعن فى صدور الخيل طعنات متضاعفة لا يقدر على مثلها أرباب الصناعة حتى قل من ساعده الخيل وصار النهار فى وجهه مثل الليل وهو مع ذلك قد بلى بالحرب والويل ولما تكاثرت عليه الخيل صار أن ضرب رأس شقه وان طعن ضلعه دقه فعند ذلك زعق عمرو المقصور فى رجاله وصار يقوى شجعانه وأبطاله فصارت ترمى نفسها على عنتر وهو نازل فيهم كأنه حصاد الشجر وهو مع ذلك صابر صبر الكرام وقد جعل يلقح الرؤس عن العمام وقد اختار لنفسه الهلاك والعطب ولم يطلب الهزيمة والهرب وقد سد وجهه كل مذهب (قال الراوى) فبينما هو فى ضيق الخناق وقد أظلمت فى عينيه الآفاق واذا بعروة بن الورد قد أتى بمن معه من الرفاق وهم يكثرون الصياح والزعاق والكل قد كشفوا رؤسهم وأكبوها فى قرابيص سروجهم وقد طاب الموت على نفوسهم وقد صاحوا الجميع بأعلا أصواتهم يا لعبس يا لعدنان وحملوا المعونة عنتر مثل العقبان وقد طعنوا فى صدور الفرسان قال وكان السبب فى قدومهم الى ذلك المكان أن شيبوبا لما وصل اليهم ومعه عبلة لما خلصها عنتر من العبيد فأخذ عشرة من رجال عروة برسمها وحفظها وقال شيبوب لعروة هيا الحق الى أخى عنتر لانه قد تكاثرت عليه العسكر وقد كنا ذكرنا ان عنترا لما قال لعروة ورجاله لا فيكم من يحمل معى حتى تروا الاعداء وقد أحاطت بى وتر وا منهم الضرر لى هناك احملوا عليهم حملة الحنق ولا فيكم من يتأخر ولم يفترق قال ولما جرى لعنتر ما جرى من الامر والشان وأحاطت به جميع

الفرسان وقد حل به ذلك الامر المنكر فبقى فى انتظار ما دبر
واذا بعروة قد أقبل وغباره قد تقسطل فرأوا فرسان بنى كنده
قد دارت بعنتر وطمعت فيه لوحدته فى ذلك البر الاقفر هذا وقد
قال عروة لرجاله احملوا الآن يا بنى عمى حملة ناصحة بقلب واهتمام
ولا فيكم من يحدث نفسه بالانهزام ولو شرب كأس الحمام لان
هذه أول نوبة قاتلنا فيها مع عنتر البطل الهمام وما صاحبناه
الا حتى انا ننال النصر والظفر ما دمنا فى قيد الحياة وكان
قصد عروة بذلك الايراد أن يريهم وقعات عنتر بن شداد
ويعلمهم الثبات فى الحرب والجلاد وكان الامر كما ذكر لانهم
لما رأوا حملاته على الابطال وثباته فى المجال فصارت قلوبهم مثل
الجبال وكل واحد منهم يلقى ألفا من الرجال وكان فى ذلك الوقت
لحملتهم طنة ورنة وشدة وقد استظهروا على بنى كنده فلحقهم
الوهم العظيم لانهم ظنوا أنهم جيش جسيم فلما ان رأوا الى ذلك
الحال تأخروا عن عنتر وقد اتسع له المجال وتمكن تلك الساعة
من الحرب والطعان ومال عليهم تارة بالسيف اليمان وتارة
بالرمح المران وطلع الغبار الى العنان واعتكر ولعبت الخيل
بجماجم الرجال هذا وقد تقلقلت الاحشا وعادت الخيل الدهم
برشا وسكر الشجاع من عظم الحرب وانتشا وولى الجبان حائرا
مندهشا وسمع عنتر تلك الساعة صياح عمه مالك فى بنى كنده
وهو يقول لهم من غير مهله اقتلوا هذا العبد الولد الزنا وافرغوا
منه الاجل كما قتل سيدكم مسحل لانه فى الحرب قد
اشتغل ولا تهابوا هؤلاء الفرسان الذين قد أتوا الى نصرته فكلهم
مائة فارس اقتلوهم لان آجالهم قد ساقتهم الى هذه الديار لاجل

فناهم وفراغ الاعمار (قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه قصده حتى وصل اليه وقتل من كان من الرجال حواليه وهم أن يضربه بالسيف يعجل منيته فخشى عند ذلك عاقبته فتقرب اليه ومسكه من خناقه حتى كاد أن يطير أحداقه وارماه الى الارض كاد أن يعجل له التلاف فانقض عليه شيبوب وشده بالكتاف وقوى منه السواعد والاطراف فحمل ولده عمرو على عنتر فضرب شيبوب جواده بنبلة فأرماه وأدركه قبل أن يقوم وأجاد منه الكتاف وقد قوى منه الاطراف وأقرن كتافه بكتاف أبيه واشمت بهم الاعادى وطلب بالاثنين بطن الوادى هذا وقد شاع الخبر فى بنى كنده بما حصل له من تلك الشدة فتتابعت فرسانها فى الفدفد وقد كثر على بنى عبس العدد وزاد المدد وصبرت رجال عروة وأظهرت الجلد وحماها عنتر كما يحمى الاشبال الاسد وما أمسا المساء حتى عدم من جمعهم أبطال وجرح منهم أقيال فالتجؤا الى جبل هناك على رأس الشعاب وقد ملوا من الطعان والضراب وزادت بهم المواكب وسدوا عليهم الطرقات والمذاهب ونزل الملك عمرو على فم المضيق وفى قلبه من عنتر نيران الحريق وحوله من الفرسان سبعة آلاف وما فيهم الا من حل به التلاف وكلامنهم يصف عنترا وقتاله ويذكر ما لاقا من أعماله والملك عمرو يقول والله ان الجن تفزع من قتاله ولا يقدرون أن يدنوا منه خوفا من أعماله ونحن كنا نلوم عمه اذا سمعنا أقواله وما علمنا ان أهله أخبر بأحواله وانه والله ان خرج من أرضنا سالما عايرتنا به العرب من جميع الجهات ونصير معيرة على ألسنة النساء والرجال والبنات فقالت سادات بنى كندة وحق البيت الحرام لابد

من تقطيع جسده بحد الحسام ولو هلك منا ألف فارس همام ثم انهم باتوا وفى قلوبهم من الحقد شىء عظيم وكذلك ملكهم على فقد مسحل الحزن المقيم وأما رجال عروه فانهم لما جرى لهم ما جرى ورأوا غالبهم مجرحين على الثرى فلاموا بعضهم بعضا وقالوا ما أحد عمل بنفسه مثل ما عملنا نحن بأنفسنا من قلة عقولنا أتينا فى مائة فارس همام نلقى بنى كندة وهم فى سبعة آلاف من فرسان اليمن وما حسبنا حساب ما يأتى من المصايب والمحن وأما عنتر فانه رجل عاشق وفى بحر الهوى غارق ولو كان فى روسنا عقل ما كنا تبعناه ولكن مقدمنا عروة وهو الذى أطمعنا فى الحال وأوعدنا بنهب الاموال حتى ألقانا فى الهلاك والوبال قال وكان القوم يتحدثون سرا بينهم وعنتر بالله معهم وما خفى عليه حالهم فقال لعروة يا أبا الابيض اعلم ان رجالك قد وقعهم الندم وأيسوا من السلامة وأيقنوا بالعدم والرأى عندى ان تأخذهم وتعود بهم فى هدو الليل وأنا أرد عنكم من يتبعكم من الخيل حتى تبعدوا فى تلك السباسب وأنا أعود الى تلك المواكب والكتائب التى احدقت بنا من كل جانب حتى أكسرها وأنهب أموالها أو تخطفنى على روس رماحها ونصالها فقال عروة لا والله يا أبا الفوارس ما فينا من يفارقك الا اذا لعبت الخيل بروسنا وصرنا مثلا وعبر ومن ندم من رجالى هو وشأنه اخبر واذا وقع الحرب ان شاء يتقدم وان شاء يتأخر ثم انهم أكلوا من الزاد ما سدوا به رمق الفؤاد وأمر عنتر لعروة أن يتعاهد عمه بشىء من الطعام هو وولده ويطيب قلوبهم بالكلام وقد قام هو الى عند عبلة يبل شوقه منها بالنظر ويسألها عن حالها وما جرى لها من الغربة والسفر

فقالت والله يا ابا الفوارس ما أظن لاقت جوبرية مثل ما لاقيت
ولا قاست مثل ما قاسيت ثم انها حدثته عما كانت تقاسى
من كثرة الاشجان فقال لها وقد تألم قلبه لاجلها وحياة عينيك يا ابنة
العم لو علمت ان قلبك يسلم من الهم والغم ما كنت تركت أباك يشم
نسيم الهوى وانما انا أنظر فى عواقب الامور ولو أنى قتلت أباك
أو عمرا أخاك كنتى لبستى عليهم ثياب الاحزان والسواد وتواظبين
على البكاء والتعداد وشمتت بك الاعداء والحساد ويقولون
عبلة على شان شهوة نفسها الاجل عبدا اسود كان يهواها قتلت
اباها وأخاها فقالت يا ابن العم قد بلغت هذه الرتبة العليه ولم يرفع
عنك اسم العبوديه فقال لها والله انى لا انكر ذلك فى حبك لانى
عبد هواك واسير عيناك ثم انه ضمها الى صدره وقبلها بين عينيها
وفى ثغرها فقبلته الاخرى فى فمه ونحره وضمته الى صدرها وقد
زال عنها ضرها وصارت تحلف له أنها تحبه أكثر مما يحبها وأنها
تريد قربه أكثر مما يريد قربها ومازالت تلاطفه بالكلام حتى
زال عنه التعب والسقام وقد حدثته نفسه أنه يلاقى كل من
فى الدنيا ثم انه قام وركب جواده بعد ما اعتد بعدة جلاده
وخرج من المضيق وشيبوب فى ركابه لانه له أخ وشفيق وركب
عروة ورجاله وطلعوا وراءه الى خارج الطريق ولم يزالوا كذلك
الى أن أشرفوا على بنى كنده وقلب عنتر على رجال عروة
وما قاسوا من الشده وهو يقول والله يا أبا الابيض قلبى يحدثنى
بقتل هؤلاء القوم وانجاز أمرهم قبل ان يصبح الصباح لانهم
اذا سمعوا فى الليل الصياح ضرب بعضهم بعضا بالصفاح وهج
أكثرهم فى البر والبطاح فقال عروة يا أبا الفوارس ما هذا صواب

لاننا قاتلناهم فى النهار وأخذنا معهم فى الضرب والطعان وعلموا ان عددنا هذا المقدار واذا خالطناهم ليلا ينتبوا التاوى يكون هذا الامر علينا وبيل وربما سارت فرقة منهم وراءنا ووضعت السيف فى المجروحين الذين خلفنا وربما أخذت عبلة ولا ندرى الى أى المواضع أخذت ونرجع نتعب فى خلاصها وتكون هذه الفعلة من أبد ما فعلناها قال ثم انهم أقاموا على ذلك الحال الى أن مضى من الليل الاكثر وبقى القليل لوقت السحر واذ ببنى كندة وقد خمدت نارها وركبت جموعها وعادت طالبة ديارها وكان مالهم أثر وقد تزلزلت الارض من شدة الركض فعلم عنتر بهذا الحال فظن أنهم قاموا يطلبون الحرب والقتال فقام وقامت معه رجال عروة الاخيار وتأهبوا جميعا للحرب والقتال فعند ذلك رأوا الخيل طالبة بلادها فقال عنتر لاخيه شيبوب مالى أرى هؤلاء القوم عادوا على أعقابهم فلا شك ان خبرهم ميشوم قد أتاهم من ناحية بلادهم ويلك قل لمن معنا من الرجال يدركوهم لاجل نهب الاموال فقال له شيبوب لا تهجم على أمر لا تعرف له سبب والصواب أنك تصبر حتى أسير وأكشف لك الخبر وأقتفى منهم الاثر لانى خائف أن تكون حيلة عملوها علينا حتى نتقدم اليهم فيرجعوا علينا ويتملكوا من حربنا وطعاننا ثم انه أطلق رجليه للريح وطلب فى البر الفسيح وجعل يقتفى آثار القوم لينظر ما كان من أمرهم وبقى أخوه منتظره حتى طلعت الشمس وأقبل النهار وهو على مقالى النار لاجل معرفة الاخبار واذا به قد طلع من بين الروابى والآكام كأنه ذكر النعام حتى أقبل عليه وقال له والله لقد كان

الرأى معك فى اتباع آثارهم ولكن خفت عليك ان تكون حيلة
أوحال من الاحوال وقد تعلق قلبى بالجمال قال وكان السبب
فى رحيلهم ذلك أنه قد أتاهم خبر أن بسطاما قد طرق ديارهم وقلع
آثارهم ونهب أموالهم وسبى حريمهم فلما سمع الملك عمرو بهذا
الخبر رجع على عقبه هو ومن معه من الرجال على الاثر هذا
وشيبوب قد تبع آثارهم الى أن لحقهم وسأل عن أحوالهم حتى
عرف أخبارهم ورجع على الآثار وأعلم أخاه عنترا بتلك
الاخبار قال فبينما هو يكلم أخاه بهذا الكلام وأراد عنتر أن يتبعه
الى الديار واذا هو بغبار قد ملأ الاقطار وبعد ساعة انكشف
الابصار وظهر من تحته فرسان كأنهم العقبان على خيول
كأنها الغزلان والكل ينادون بالعبس بالعدنان قال وكان هذا
الجيش القادم من بنى عبس وعدنان والمقدم عليهم أربعة
من أولاد الملك زهير الاعيان وهم شاس ومالك والحارث وورقة
وصحبتهم شداد وأخوه زخمة الجواد وهم فى ألف فارس من كل
ليث مداعس كأنه الاسد العابس وهم مثل عياض بن ناشب
وغالب بن واثب وسهل بن ناهب وعامر بن الجلاح والاكحل
ابن الصياح ومهلهل بن الوشاح وهلال بن فلاح ومن يجرى
مجراهم من الفرسان الاوقاح الذين كان الملك زهير يسطو بهم
فى الحرب والكفاح وكان يتقوى بهم على قبائل العربان لان
ما فى هؤلاء من يلتقى الالف فارس فى الميدان قال وكان السبب
فى مجيئهم الى هذا المكان سلما أخت عروة بن الورد الفارس
الهمان وذلك لما رحل برجاله خلف عنتر واقتفى منه الاثر
وخلاها فى أبيات بنى قراد وأوصاها أنها تكتم ذلك الابراد

عن النساء والرجال والاولاد كما أمره عنتر بن شداد ففعلت تلك
الفعال الى أن رأت احراق النساء والرجال لفقد عنتر فخافت
على أخيها من شرب كاس الوبال فأعلمت الامير شداد بهذا الخبر
وان أخيها صار من رجال ولده عنتر وقد سار معه برجاله الى بني
كندة لاجل خلاص عبلة وأبيها وعمرو أخيها وقد أعلمته
ان أخاها صار له صديق عند كل شدة وضيق وأعلمته كيف
خاصها من الهوان وكيف انها رجعت بعد ذلك الى الاوطان
وكيف التقاهم النجاب في البر والآكام وأخبر عنتر أنه من عند
الامير بسطام وأن عمه قد ظهر خبره في بني كندة فتوجه
الى تلك الديار وتبعه أخو عروة في البر والقفار فلما سمع شداد
من سلما هذا الكلام فقام من وقته وساعته ودخل على الملك
زهير الهمام وأخبره بذلك الخبر فتنهد وتحسر وما هان عليه فقد
الامير عنتر فالتفت الى أولاده الاربعة المقدم ذكرهم وقال لهم
أناخاتف على حامية القبيلة من بني كندة ومن الملك عمرو المقصور
لان له ابن أخت يقال له مسحل بن طراق شرس الاخلاق
وفارس مر المذاق والمشاع عنه انه فارس الآفاق فأسرعوا
الى مساعدته ونجدته واذا اجتمعتم به سلموا عليه وأخبروه أني
مريض والا كنت سرت اليه فعند ذلك فرحت أولاده بمسيرهم
خلف عنتر ثم انهم اختاروا من بني عبس الفرسان الذين ذكرناهم
وركبوا من وقتهم وساعتهم وجدوا المسير في تلك القفار وشاس
في أوائل اخوته وهو سائر ينشد الاشعار

سيروا واسرعوا وارقلوا ارقالا ✽ ان الكريم الى الوغا عجالا
حثوا الصوافن يا بني عبس فقد ✽ حزتوا كمالا فوق كل كمالا

هزوا الصوارم والذوابل شرعوا * من كل رمح أسمر جهار الالا
أو كل ذا متن صقيل مرهف * قد زانه بعد الضياء صقالا
يا لعبس بادروا أعداكم وا * حتى ترون دابلا ونصالا
وترون عنتر سالما في صحة * قد حاز عبلة واحتوى الاموالا
من مبلغ أسد الحروب فانه * من خير خل صادق الاقوالا
فيه المحبة والوداد وخير من * أعطا فخارا دائما وفعالا

(قال الراوى) فلما فرغ شاس من أشعاره ساروا يقطعون الارض في طولها والعرض حتى أشرفوا على بني كندة والتقوا بعنتر كما ذكرنا وقد خلص مما كان فيه من تلك الشدة فسعى الى أولاد الملك زهير ورفع صوته بالدعاء لهم كما وصفنا فقال له شاس يا أبا الفوارس نحن عاتبون عليك في أفعالك لانك تسافر في قضاء أشغالك ولا تطلعنا على أحوالك فلو قضى عليك في بعض السكرات انفجعت فيك النساء والبنات وحرمت علينا المسرات فقال له عنتر يا مولاى انى ما أفعل هذه الفعال الا حتى لا أشمت بكم الاعداء الانذال ويقولون على كلاما الارذال ان سادات بني عبس تسير مع عبدها حتى تعينه على سلطان الهوى والعشق والجوى فقال له أبوه ويلك ياولدى وأنت من شان هواك ترمى نفسك للبلاء حتى بقيت العرب كلها أعداك فقال عنتر نعم يا مولاى لان الانسان اذا بلى بظالم لا يحفظ العهود والمواثيق فيبذل نفسه دون بلوغ المقصود ويقتل روحه ويموت مكمود فقال شداد وحق ذمة العرب ياولدى لو تركت أنت عمك حتى يذوق طعم الغربه ويعرف مرارة فقد الاحبه لكان يرجع اليك ذليلا مهان وكنت تبلغ منه ما تريد من غير ضرب ولا طعان فقال عنتر

يا مولاى كيف أخليه يخرج من يدى ويقتلنى بحسرتى وكمدى ثم انه حدثهم بما فعل فى بنى كندة من النفاق وكيف انه زوج ابنته لمسحل بن طراق وما عمل فى عرب تلك الآفاق وما لاقا من تحت رأس فاعل هذه الفعلة من الشقاق وكيف فعل فعلا يسطر فى الاوراق فتعجب القوم جميعهم من فعاله وما عمل من أعماله قال ثم انهم بعد ذلك سألوه عن عمه مالك وما كان من أعماله وأحواله وأيضا عن جموع بنى كندة الانذال فقال لهم أما عمى وولده فانهم عندى فى الاعتقال وأما بنو كندة فانهم رحلوا من قدامى الى ديارهم يطلبون خلاص حريمهم والعيال من قبضة بسطام وبنى شيبان لانه لما سمع بمجيئهم الينا هجم عليهم وأسر من أسر وقتل من قتل وانا كنت سائرا اليه فلولا قدومكم الى فى هذه الساعة هو الذى أعاقنى عن نجدته قال فلما سمعوا مقاله زاد تعجبهم من عظم سعادته ثم انهم ساروا الى محل الوقعه فرأوا مالكا أبا عبله وولده عمرا وهم قد أشرفوا على التلاف مما هم فيه من شدة الكتاف فقال لهم شاس وقد أشفا غليله من مالك وقال له يا لئيم عشيرته ما أخبث ساعة نزلت فيها الى دار الدنيا ويلك أما تستحى على نفسك وقد صرت مثلا فى سائر الاحيا وأحدوثة لكل من سمع ووعا ولكن هذا المقام الذى أنت فيه أحق به وأولا لكن الجاهل الذى مثلك هكذا لا يفرق بين النعيم والعذاب ولا يعرف الخطأ من الصواب فما له غير المقت جواب فوحق ذمة العرب لقد فرحت لكم بهذا الشد والكتاف حتى تعرفوا قدر الامير عنتر بلا خلاف فقال مالك أبو عبلة وقد اشتد عليه هذا الخطاب وقد علم ان أولاد الملك زهير ومن معهم من الاصحاب ما أتوا الا عصبية لعنتر

ابن شداد فقال لهم يا وجوه العرب ومن هم متوجين بأنواع الفضل
والادب أناما أسلم ابنتى لهذا العبد ولى لسان ينطق وجارحة
تخفق الا آن تقتلونى وتسقونى شراب المنيه وتأخذوها من يدى
غصبا مسبيه حتى يكون عذرى عند الناس واضح وعرضى سالما
من الفضائح فقال له شداد وذمة العرب ما أدعك تأخذ مال ولدى
وتنكر خيره وتزوج ابنتك بغيره لان حكمنا نحن أشد وأقوى
من حكمك وانما هذه الجارية نردها الى أهلها وأرضها ولا تزال
فى أبياتها مع جوارها حتى تطلب هى الزواج لنفسها فنزوجها
ان تريد ونعمل نحن عرسها كما نحب ونختار فقال لهم عنتر اشهدوا
على يا ساداتى الحاضرين أن عمى اذا رجع الى دياره ونزل فيها
وقر قراره وستر ابنته من الفضائح وأراحها من التشتت بين كل
غادى ورائح فانى ما أطالبه بها أبدا ولا أقيم فى الحى على طول
المدا بل أجعل مقامى عند أختى فى بنى غطفان وأهجر لاجله الاهل
والاوطان وانتظر الفرج من الرحيم الرحمن ولكن ما أدعه
يزوجها الغيرى وأنا فى دار الدنيا وأنا أقابله على فعاله وأعجل
من الدنيا ارتحاله فقال له شاس لما سمع ذلك الكلام هو ومالك
ابن الملك زهير يا مالك لا تكون قليل الخير أتريد أكثر من هذا القول
من ابن أخيك فها قد استجارك على نفسه وبروحه يفديك فقال
مالك يا مولاى الشرط والحكم الذى اليه تريد فانه لا يكون الا قدام
أبيك السعيد فقال عنتر وحق من أمر البرق فانبسط وأمر الغيث
فنزل وهبط انى موافقك على هذا الشرط الذى تقول عليه
واتفق الامر على ذلك وشهدوا به وأولاد الملك زهير وهما شاس
والحارث وورقة ومالك ونزل شداد وحل كتاف أخيه وولده

واتفقوا على هذا الشان هذا وقد زادت بعنتر الاشجان فانشد يقول

صبراوان كان صبرى فى الهوى عدما
وأردف الدمع حتى قيل ما ردما
ياراحلين وفى قلبى لهم سكن * لكن عندى اليهم عزة وظما
كم جهد احتمل من سوء فعلكمو
جودوا اليصبح روض الحسن مبتسما
ياما لحمى كل يوم نكبة عجزت * عن حمل اثقالها فرساننا القدما
وأصبح الم يجفونى و يبغضنى * وفى بحار الفنا قصدهم لى العدما
أما تخشى أنى أعلوك فى غضب * بأبيض مرهف الحدين محترما
ان جئت خيرا فلا اشكر أفوز به * وما بنيت من المعروف ينهدما
لا حلت عنكم ملالا فى محبتكم * لاتكم فى الهوى أبقيتم السقما
انى صبور على ذل تعاهدنى * أذلا أذل وعزى فى السماء سما

قال ولما أنشد عنتر هذا الشعر والنظام عزم على المسير الى مساعدة الامير بسطام وقال لاولاد الملك زهير وانتم ياسادا تى أن أردتم أن تريحوا أنفسكم من القتال فأقيموا الى أن نعود وأنا عبدكم على طول المدا فقال له شاس لا وحق الملك المتعال الذى خلق الجبال و يعلم وزنها كم مثقال ماتسير الامعك ولاجئنا الامعونتك وأينما سرت نتبعك ثم انهم ساروا بالالف فارس الذين وصلت معهم وعنتر سائر بين أولاد الملك زهير وهم مالك وشاس قد صار عندهم أعز من جميع الناس فجال الشعر فى خاطره فأنشد يقول

هموا تنال العلا يا جيرة الهمم * ولاتميلوا الى عجز ولا سئم

وخالطوا العز فى الدنيا ولا تردوا * موارد الذل من خوف من العدم
ليس التقى لهوان المرء يورثه * زهد ابى لذة المأكول بالسقم
يا طالب المجد قم واسهر لتدركه * فطالب المجد لم يرقد ولم ينم
وانهض وشمر ولا تركن الى كسل
وجود العزم مثل الصارم الخذم
يا شاس يا سيد الشجعان كلهم * أنت الرجال لنا من سائر الامم
يا سيد الم يزل يعلو بهمته * حتى بدا للعيون الناس كالعلم
ابخل بعرضك من شيء يدنسه * فالبخل بالعرض معدود من الكرم
والبس من الصبر درعا لا تزال به * من النوائب فى حصن وفى حرم
وسرح الخيل فى الهيجاء منتقما * يوم الهياج وافنى كل منتقم
واعقد سماء عجاج من حوافرها * وامطر الارض من تلك السما بدم
وأبذل الناس بالباس الشديد الى
أن يصبحوا فى امتثال الامر كالعدم
وأسمع الصم وقع المرهفات كما * تبدى مرارتها فى الرج كالعدم
يا شاس كن كابيك الآن فى همم * حث المطايا وبادر فى دجا الظلم
القائد الخيل لا تبطل عزيمته * عن الرجال ولا يدعى سوى العلم
سرى بها منه وضاح الجبين اذا * طلب هواه بنور القلب والقمم
اذا التفات اليه عند نائبة * كأنه منك أقرب من يد لفم
كم موقف لك فى يوم الحروب جرت
نار أضاءت بقدح البيض فى اللمم
صيرتهم أخير ما صار وابه مثلا * كما يحدث عن عاد وعن ارم
ولو مددت الى زهر النجوم يدا * تساقطت رؤس أعدانا عن القمم
وسالمتك المنايا مع تسلطها * فأمنتك لعظم الناس لم تخم

ورافقتك

ورافقتك سيوف الهند ناصحة * اذا ألمت سيوف الهند باللمم
وأنت فقت لكل الخلق قاطبة
وحزت فخرا على الاعراب والعجم

(قال الراوى) فلما سمع شاس من عنتر ذلك الشعر والنظام قال والله يا أبا الفوارس ماخليت لشاعر كلام ولا أبقيت له نظام فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من بسطام فانه لما رجع اليه الاعرابى وأخبره بما قال عنتر من الكلام وأخبره كيف انه عزم أن يسير الى بنى كنده وينزل بهم البلاء والشده ولا يأخذ معه أحدا من العرب فقال بسطام والله لا قعدت على ذلك السبب ثم انه انتخب من بنى شيبان ألف فارس وكانوا من الفرسان العوابس والجميع أنجاد شداد معودين ليوم الطراد وسار يقطع الجبال والوهاد الى أن وصل الى أرض بنى كنده وكان وصوله اليها وقت زفاف عبله وكان بقى لهم يوم واحد ويسيروا بها الى بعلها فأرسل بسطام عبدا من عبيده يكشف له الخبر فسار العبد وعاد اليه وأخبره أن عبلة سارت الى ناحية بعلها فكاد قلبه أن ينفطر وذلك لاجل انقطاع خبر عنتر فعندها قال لرجاله تأهبوا للحرب والقتال حتى أريكم الليله ما أفعل ببنى كنده وأجعلها عليهم أوشم الاعراس ومازال سائرا الى أن أشرف على المضارب وقاربها فسمع فى البيوت البكاء والعويل فقال لمن معه من بنى شيبان لقد رابنى هؤلاء العربان وأنا أقول ان صدق حذرى أن عنتر اخرج عليهم فى الطريق وأعدمهم التوفيق وأخذ العروس ورجاله يكون قتل منصلا وان فرسان بنى كنده قد صاروا خلفه وتركوا الاموال والعيال وماخطرنا لهم على بال ثم انه كبس الحى

كماذكرناوقتل من كان تخلف من الرجال وساق جميع الاموال وعادوهو يقول الساعه تتفرق الرجال عن عنتر اذا سمعوا بهذا الخبر وذلك يكون ان كان حسابى قد صدق وأمر عنتر قد اتفق قال وكان الحساب الذى حسبه بسطام هو الصحيح وقد وصل الى بنى كندة ما فعله بسطام فى حيهم وقت السحر فرجعوا عائدين على الاثر وقد تفرقوا عن عنتر وجعلوا يقتفون من بسطام الاثر فلحقوا به وداروا حواليه من كل جانب فعندها التقاهم بسطام ومن معه من فرسان بنى شيبان وفعل بسطام فعل أولاد الحلال وردعن قومه المواكب والرجال وكانت بنو كندة قد فاقت بكثرتها على بنى شيبان وعادر بحهم الى خسران قال وفى ذلك الوقت أشرف عنتر بمن معه من الفرسان وقد رأى ما حل ببنى شيبان فقال والله من هذا كنت خائفا على أبى اليقظان ثم انه حمل فى بنى عبس الشجعان الذين ما فيهم مقصر ولا جبان وكان قد وقع لعنتر فى قلوب بنى كندة هيبة عظيمه وشان وعند حملته اقشعرت منهم الابدان ونظرت الى عدد فرسانه قد زاد عما كان وهو بين أيديهم كأنه الأسد الغضبان وهو ينشد ويقول

لله درك ياأبا اليـــــقظانى * من ضيغم شرس على الاقران
صبرا أتاك معمد الاسياف فى * قمم الملوك وقاتل الشجعان
ياآل كندة قد أتاكم فارس * قهر الكماة بصارم وسنان
ماسل سيفا مرهفا فى معرك * الا عطاه الدهر منه أمان
ان الملوك تخاف شدة سطوتى * أوما ترى كل الورى تخشان
أنا ذائق الهمات فى طلب العلا * أنا هازم الابطال والاقران
الفخر فخرى والزمان أ.ـدنى * والوقت وقتى والعلاء مكان

(قال الراوى) ولما نفرت بنو كندة لى صورة عنتر وهى كالنار التى لا تبقى ولا تذر فعند ذلك اجتمعوا العقلاء منهم وأتوا الى الملك عمرو القصور وقالوا والله الذى نعرفه من هذا الشيطان أنه ما دخل وراءنا الى هذا المكان الا وقد أتت معه جميع بنو عبس وعدنان فقال لهم الملك عمرو الرأى عندي انكم تقاتلون وأنتم متأخرين ولا تجعلوها كسرة حقيقة فيبيدكم وبهتك الطريقة ويقلع منكم الاثر وفى دون ساعة شاع فى بنى كندة هذا الخبر وصارت تقاتل وتتأخر فعلم عنتر منهم ذلك الحال فأوصل الطعن الى صدور الرجال وصارت الهزيمة حقا وتبددت بنو كندة شرقا وغربا قال والتقى عنتر بسطام وقال له والله لقد تفضلت علينا فى الاوائل والاواخر وما بقينا نقدر على مكافأتك أبدا لانك أنت جدت بروحك وحملتها الاخطار واحتافدا فقال بسطام والله يا أبا الفوارس ما خدمتك الا نادرا على ممر الشهور والايام فعند ذلك شكره عنتر وأثنى عليه وحدثه أن عمه عليه غضبان ثم انه قال وقد عولت ان أجعل مقامى فى بنى غطفان فقال بسطام لا وحق مكون الأكوان لا خليتك من يدى ولا تركت مقامك الا عندى لاجل مالك على من الاحسان لانى أولى بخدمتك دون الأنام فلعن الله عمك ما أعمى بصيرته من دون العربان فقال مالك بن زهير نحن ما نخلى ابن عمنا يخرج من أيدينا لان فراقه يشق علينا حتى يرضى عمه مالك وتنحل عقدته ويدخل على عبلة زوجته فقال شداد اعلم يا مولاى مالك أن أقامة ولدى عند الامير بسطام أصوب وأصلح على مدا الايام لان أرضه من أرضنا قريبه ولا هى عنا بعيده حتى يريد الملك العلام الذى خلق الضياء والظلام وأنا آخذ

عبلة بنت أخى عندى حتى يتصلح حال ولدى ويزول همه وغمه فرضى الجميع بذلك المقال وقد انفصل الامر على ذلك الحال وما زالوا على ذلك الايضاح الى أن أصبح الله بالصباح وعزم الامير بسطام على الرواح واراد أن يقسم الغنيمة على بنى عبس الشجعان ويساوى بين جميع الرجال فحلفوا أنهم ما يأخذوا منها ولا عقال بل قالوا هذه الغنيمة لابن عمنا عنتر يأكلها مدة اقامته عندك يا أمير بسطام ثم انهم تودعوا بعضهم بعض وعولوا أن يفترقوا من تلك الارض فعند ذلك بكى الامير شداد على فراق ولده عنتر وفاض دمعه وانحدر وأنشد يقول

أحسنت ظنك للايام اذ حسنت * ولم تخف سوء ما يأتى به القدر
وسالمتك الليالى فاغتررت بها * وعند صفو التهانى يحدث الكدر
وكم على الارض من خضراو يابسة * وليس يرجم الامن له ثمر
وفى السماء نجوم لاعداد لها * فليس يكشف غير الشمس والقمر

(قال الراوى) ثم انه سار كل منهم الى فريق وجعلوا يجدون المسير فى الوديان وقد سار عنتر مع الامير بسطام وبسطام يحدث عنترا ويشاغله عن ذكر عبلة ويذكر له أخبار المتقدمين وأحوال العشاق وما لقوا من الهجر والفراق فقال عنتر والله يا أخى يا بسطام ما أظن أحدا لاقى مثل ما لاقيت ولا قاسا مثل ما قاسيت ولم يزالوا سائرين الى أن تنصف النهار فعندها وقف عنتر عن المسير ونكس رأسه الى الارض وبهت ساعة من النهار وتنهد وتحسر وجرت دموعه غزار وأنشد يقول

الا ان وجدى ظاعن ومقيم * وهوى عبيلة فى الفؤاد جسيم
وورد خديها ومهجة قدها * بدر منير مشرق وبهيم

وقوامها

وقوامها ألف وعطفة صدغها * نون ومبسمها المشهد ميم
والمسك نكهتها ومبسم ثغرها * الند والكافور والمشموم
عجباً للقلب كيف يتعبه الهوى * فكأنه حذر الحمام خصيم
صبراً اذا عطفت رياح صدودها * فعسى يهب من الحبيب نسيم
أستغفر الله العظيم من الخطا * ربا كريما راحما ورحيم
ثم الصلاة على النبي خير الورى * من جاء بالخير والكريم

(قال الراوى) فعند ذلك قال له بسطام ما بالك يا أبا الفوارس ويا زين المجالس فكأنك لما جال في قلبك حب عبلة تغيرت أحوالك فقال عنتر والله يا أخى أما ما ذكرت من عبلة فصحيح أن هواها في قلبي مقيم وانا أنا حسبت حساب خائف منه فقال بسطام ما الذى خطر ببالك حتى تغيرت أحوالك فقال عنتر اعلم أنني خائف من بنى كندة انهم يعلمون بحالنا وان كل فرقة منا سارت في طريق فيسير لهم الملك عمر والمقصور وهو ومن معه من قومه وربما أهلك أحدا من بنى عبس المشاهير وانى خائف على أولاد الملك زهير أن يهلك أحد منهم وتقع بنا الخسارة ويشمت بنا الربيع وأخوه عمارة فقال بسطام والله لقد نظرت موضع النظر ولكن كيف يكون الحال في هذا الامور والاحوال فقال عنتر الصواب انك تأمر فرسانك يسيروا بهذه الاموال الى دياركم والاطلال وتتبعهم أنا وأنت وعشرة من الرجال ولا نزال نقتفى من بنى عمنا الآثار حتى نبعد عن هذه الديار ونعود في عرض البرارى والقفار الى أرضكم كما تحب وتختار فعند ذلك أمر بسطام قومه بالمسير الى الديار مع الغنيمة والاموال بعد ما انتخب منهم عشرة ابطال وعاد عنتر وبسطام وشيبوب بين أيديهم يعدوا كأنه

ذكر النعام حتى أبعدتهم فى القفار فما أصبحوا الا وقد قطعوا الوادى الذى كانوا مقيمين فيه أولا وتأملوا الطرقات فما بان لهم غير حوافر الخيل راجعة فقال بسطام اعلم يا أبا الفوارس ان ما عند بنى كندة شغل شاغل من اتباع أعدائهم فقال له عنتر ما بالاحتراس من باس ولا يذمه أحد من الناس ولعلنا نقيم اليوم ههنا ونرحل وقت السحر فهذا ما كان من هؤلاء الفتيان وأما ما كان من بنى عبس وعدنان فانهم لما بعدوا عن عنتر ضاقت صدور أولاد الملك زهير لفراقه وكان شاس عول أن يقتل مالكا أباعبله من شدة ما جرى على قلبه من الهم والذبله فرجع عاوده عقله ثم انه سبق الجيش فى البر الاقفر وقد تبعه نصف العسكر ووافقه على ذلك شداد أبو عنتر وبنى مالك بن زهير فى خمسمائة فارس لاغير فجعل يترفق بعبلة ويداديها لانه كان أطول روحا من أخيه شاس وأكثر مداراة للناس فأشرف على أرض يقال لها بنى الريان مليحة الجنبات كثيرة الغدران روائحها عابقه وغدرانها دافقه وغزلانها رامقه آمنة من الطوارق السارحه فى المشارق والمغارب فجعل الملك الخالق وكان قد قل من القوم الزاد لبعد المسالك فشكوا من الجوع الى الامير مالك فقال لهم دونكم وصيد الغزلان من هذه الدحال التى هى قريبة من تلك الغدران ولا ترجعوا الا بما يكفيكم أنتم ومن معكم من الاخوان فأجابوه على ذلك الامر والشان وركبوا خيولهم وتفرقوا فى جميع الوديان وكذلك الامير مالك على هذا الامر اتفق وركب فرسا من خيل أبيه العوال وطلب مهب الشمال وسار يطعن الوحش ويمددها على الرمال فبينما هو على تلك الاحوال واذا قد ظهر بين

١٣

يديه ذكر من النعام وقد غدا من فزعه يهيم بين الروابي والآكام هذا والامير مالك قد أخذه عليه الحنق وتبعه وهو مثل السهم اذا مرق وقد طاب له ان تهلك فرسه ولا تفوته فريسته ومازال يهيم في تلك الآكام حتى فاته ذكر النعام فوقع مالك على صيده نار الاضرام فبينما هو كذلك اذ لاح له بدوى قائم وناقته باركه وخلفه جاريه تخجل البدر اذا قابل طلعتها من لين قامتها وفي يدها مقود فرس ذلك البدوى وهي قائمة وراءه والدمع يسيل من أجفانها وتتاهف من عظم زفراتها وحرقتها قال فلما نظرت الى مالك ابن الملك زهير وهو يلتفت يمينا وشمال أشارت اليه بيدها شبه المستجيره وصارت تطلب منه نصرة لما هي فيه من الحيره فعلم مالك مرادها ولكنه ما أجابها بل قال ربما انها زوجته أو أخته أو قريبته وقد ضربها وسخط عليها فأطلقت الجارية مقود الفرس من يدها ولوحت به في وجهه فشرد في البر فصرخت الجارية في البدوى ياوجه العرب ألحق الفرس فانه شرد فعندها ترك البدوى الناقة وتبع الفرس بعدما لطم الجارية على وجهها كاد ان يطير مقل عينيها قال ولما بعد البدوى في البر وثبت الجارية الى مالك وقبلت يده وقالت له أنجدني ياصاحب الوجه الضاحك والطلعة البهيه وخلصني من هذه القضيه فقال لها مالك أنت ماتكوني منه ياحرة العرب هل أنت زوجته أو اخته أو هو من بعض أقاربك وأهلك وحبائبك فقالت له لا والله يامولاي ماهو من أهلي ولا من أقاربي بل هو غريب أجنبي وقد قتل بعلي وابن عمي ومن كان أعز الناس عندي والسبب في ذلك أننا كنا راجعين من وليمة وطالبين قومنا وأوطاننا فالتقانا هذا الشيطان

وان كنت ماتعرفني فأنا أعرفك بنفسي فأنا الملقب بالرعد القاصف في البريه وأخذني من ابن عمي مسيبه بعد ماقتله وأنزل به الرزيه وأنا مستجيرة بك يامولاي تخلصني من هذه البليه ثم انها زادبها الامر فبكت وأنت واشتكت وأشارت تقول

من حرة غدرت بها الايام * يافارسا خضعت له الاقوام
ياذا المكارم والايادي والعلا * فعليك من دون الانام سلام
ياذا البها والجود يارحب اللقا * يافارج الهموم ياضرغام
أحسن الي وكن مجيري يافتى * ياأنجدي يامنقذي وهمام
اني رجوت الخير فيك فراسة * ان الجميل اذا البك يقام
يامن يراعي للحريم بحمية * أنت الذي لايعتريك سقام

(قال الراوي) فعند ذلك أخذت مالك الحميه والنخوة الجاهليه لاجل ماعاين من جمالها وماسمع من شعرها لانه على كل حال ملك وابن ملك همام من بني عبس الكرام الذين تسميهم العربان فرسان المنايا والموت للانام لاجل ثباتهم على ضرب الحسام فقال لها مالك أبشري ياحرة العرب بالسلامه من بعد الندامه وسوف أخلصك من هذا الاعرابي واتركه مجندلا في الروابي (قال الراوي) فبينما هو معها في الكلام واذا بالبدوي قدعاد وهو راكب على الجواد فرأى مالكا وهو قائم والجارية تشكو اليه فقامت في رأسه مقل عينيه فعند ذلك اخذ الرمح وعاد الى مالك وهو يقول ويلك ياندل العرب من أين لك حتى تخاطب جوار الفرسان وأي شيء الذي أتابك الى هذا المكان ياندل ياخوان هيا اخلع ماعليك من السلب قبل ان أسقيك شراب العطب وسلم الى نفسك قبل ماأسكن رمحك

٨١م

وان كنت ما تعرفني فأنا اعرفك بنفسي ثم انه أنشد وجعل يقول

يا جاهــلا بمكانة الشجعان * مهــلا ستبقى رمة القيعان
يا ابن الزنا أما سمعت بحملتي * وبصولتي وبشدتي ومكان
من أي قوم أنت لا سقيوا الندا * اشرب كؤس الموت في الميدان
اليوم آخر حــد عمرك ان في * كفي كعوبا مثقفا بسنان
أوما علمت بأنني أسد الفلا * أوما ترى كل الورى تخشاني
أوما علمت بأن دهري صارم * في راحتي لاقفا نظير لشان
أوما علمت بأن مجـدي باذخ * حتى علا شرفا على كيوان
والاسد تخشاني وتعرف همتي * وأنا الصبور اذا الزمان غشان

(قال الراوي) فلما فرغ فياض من شعره ونظامه وسمع مالك كلامه وأبصر حملته وأقدامه علم انه شجاع وقرن مناع فأجابه يقول

اسمع كلامي يا أرذل العربان * يا من سعى في حتفه عجلان
ثكلتك أمك سوف تلقى ضيغما * متعودا صبرا على الفرسان
كم من شجاع قد تركت مجندلا * قد كان مثلك قاتل المرزبان
يا ابن اللئام أما خشيت عقوبة الا * صنام أو رب السما الديان
أوما تخاف الموت يا كلب الوزى * يا أنذل الفرسان والشجعان
حتى غدوت معارضا الحرائر الا * عراب والانجاد والفرسان
لا كنت من رجل ردىء أصله * والقيت بغيك وسط ذا القيعان
اليوم أسقيك المنون حقيقة * أبشر فان الموت حولك دان
لم تركب الخطب الذي أركبته * كلا ولا يبلغ له انسان
فأنا الذي سجدت له جن الفلا * خوفا ومجدي في العلا أعلان

من ذا الذى يخيلك منى فى الورى ❋ وأنا كريم الاصل من عدنان

(قال الراوى) ثم انه حمل عليه وصاح فيه واستبعاده بطمنة فراغ عنها ذلك البدوى فراحت خائبه من بعدما كانت صائبه وكان هذا البدوى أشد من مالك فى المعاركه والسباك فصاح فى وجهه وهجم عليه ولاصقه وضايقه وسد عليه طريقه وأرمى الرمح من كفه وقبض خناقه وهزه وهو فى هرجه ومرجه فاقتلعه من بحر سرجه ثم انه أخذه أسير وقاده ذليلا حقير وقد أعجبه جمال صورته وحسن لباسه وعدته فعلم انه ابن ملك جليل القدر عالى الذكر فقال له ياغلام من أنت ومن أى العرب تكون أصدقنى قبل ما أسقيك كأس المنون فقال له مالك اعلم ياوجه العرب اننى أنا ما أنا من أراذل الرجال ولا أنا قليل المال أنا مالك بن الملك زهير صاحب الكرم والخير فقال البدوى بخ بخ أنت والله طلبتى وبك تقضى حاجتى وأبلغ بك أمنيتى ثم انه شد كتافه وعارضه فوق جواده وقال له ياوجه العرب ما بقيت تبرح من يدى حتى تسلم الى أسود كم عنتر حتى اننى آخذ ناصيته وانحره نحر البقر والا فعلت بك أوشم الفعال وأقتلك فى تلك الرمال فقال له مالك وما السبب الموجب لذلك وأى شىء لك على عنتر من الدين حتى تطلب فناه فهل أنت من أعداه فقال البدوى اعلم ياوجه العرب انى خطبت جارية من ديارنا والاطلال وبذلت لابيها ما تملك يدى من المال وكلما طلب من النوق والجمال فقال لى أبوها يافتى اننى ما أزوج ابنتى الالمن يأتينى برأس عنتر ويأخذ ثارى ويكشف عنى عارى لانه هو الذى قتل ولدى وفتت عليه كبدى وأرهى أمنى جلدى فقلت له ياعماه عند

من يكون ثارك فقال لى أما قلت لك عند أسود من بنى عبس عنتر
لانه غار على أطلالنا وقتل ولدى ونهب مالى وما تملكه يدى
وتركنى الى الآن بأسوء حال وحلفت أنى ما أزوج ابنتى الالمن
يأتينى برأس عنتر ويأخذ لاخيها منه بالثار ويكشف عنا العار
فلما سمعت منه ذلك الكلام والمقال ضمنت له قتل اسود كم من
الانذال وأعود برأسه اليه وأبلغه منه الآمال وما برحت من
المنازل والاطلال حتى انه أعطانى يده على هذا الحال وسرت
أطلب دياركم والاطلال فوقعت بهذه الجاريه وهى سائره مع
ابن عمها فقتلته بسرعة وملكتها وبعد ذلك وقعت أنت فى يدى
وبك أبلغ غاية قصدى فلما سمع مالك منه هذا الكلام تعلق
بأصناف الحيل وبأذيال الطمع وطلب الخلاص منه بالخداع فقال
للبدوى ياوجه العرب اشكر اللات والعزى التى قربت عليك
الطريق والسفر واراحتك من ركوب البر الاقفر لان عنترا
ماهنا فى أرض الرباب وما معه أكثر من خمس فوارس من الاهل
والاصحاب وأنا من جملتهم وقد فارقتهم من أجل الصيد لانه قد
لاح لى ظليم عظيم فطردته الى هذا المكان وما وقعت بى أنت
الا وأنا تعبان وجوادى قصر عن الجولان ونصرت على وبلغت
المراد وقد بلغت الفرصه وهانت عليك القصه فسر الى
غريمك ان كنت كما زعمت عن نفسك أنك فارس نجيب وتظفر
بحاجتك من قريب فعندها صاح البدوى وقال ياللعرب وأخذه
الفرح والطرب وقال لمالك وحق ذمة العرب ان كنت صادقا
فى الكلام سوف أطلقك وأحسن جزاك لاننى متى تقع عينى على
عبد كم عنتر آخذه أسير ولو كان فى ألف فارس تركتهم بين

جديل وعفير وهذا الامر يكون من أعمال غدا لان هذا اليوم
فات وانقضى والصواب أننى آخذ الراحة وأصبح أسود كم صباح
لانه مادام فقدك مايبرح من هذه الارض ور بما صار فى طلبك
ويأتى هذه الديار بسببك واذا سلك هذه الطريق أعدمته
السعادة والترفيق ثم ان البدوى نزل عن الجواد وأمر الجارية
أن تسيره وقدم بين أيديهم شيأ من الزاد وصار يأكل ويطعم
مالكا ويسأله عن سبب مجيئه الى هذه الديار ومالك يحدثه بزخاريف
الكلام والمحال ويخبره بخبر مالك أبى عبلة كيف هرب بابنته الى بنى
كندة وان عنترا أتى وراءه فى خمس فوارس من بنى قراد وقد سرق
عبلة وعاد وكنت أنا معه على سبيل المعونة والاسعاد فقل ما معنا
من الزاد فنزلنا نتصيد فى هذه المهاد لعلنا نقع بشىء نسد به رمق
الفؤاد قال ومازال مالك يحدثه بالاقل ويخفى عنه الاكثر حتى
دخل الليل واعتكر ومالت الى الغرب كواكبه وازدحمت
فى الجو مواكبه وانضجع البدوى ونام وتعبت الجارية من المشى
والقيام وكانت قد زادت بأسر مالك همومها لانها كانت السبب
فيه فأنساها حزن نفسها قال ولما علمت أن البدوى قد نام فأتت
الى مالك وحلت كتافه وقبلت رأسه وأطرافه وقالت له يا فتى
اطلب أنت لنفسك النجاة ودعنى أنا وهذا الشيطان المريد
يفعل بى ما يشاء ويريد فقال لها مالك لا وحق ذمة العرب
لا فعلت ذلك السبب ولا تركت هذا الجبار يتحكم فيك لانه
اذا فقدنى يعلم انه من فعالك ثم انه وثب وأخذ سيفه وأراد أن يهجم
على البدوى وهو نائم واذا بجواده صهل فانتبه البدوى وأبصر
خيال مالك فقام كأنه من بعض العمار وسل حسامه وطلبه وكان

مالك قد ملك الحسام فتقاتلا تحت غسق الظلام وصاح كل منهما على صاحبه وأخذ يطاعنه ويضاربه ودام بينهما الضرب بالصفاح حتى طلع الصباح وتعب مالك وأثخن بالجراح ورأى نفسه أنه هالك فسلم نفسه للبدوي فلما ملكه أعاده الى الشدو الكتاف وربطه على جرته بالخلاف وصار يقول له يا ابن الانذال كلما حدثتني به زور ومحال ولا بد ما أضرب رقبتك ما دام انك خداع محتال ثم انه عاد الى الجارية وعلم انها أمرت عليه فجلدها بالسوط وشدها على الناقة وركب جواده وسار وظن انه حاز المجد والفخار فأنشد وقال

سلوا عن فعالي والدماء تسيل * بأعلا القنا والصافنات تجول
وتشهد لي البيض الرقاق لدى الوغا
بأني على الهامات سوف أصول
اذا قيل هذا اليوم يوم كريهة * أخوض لظا نيرانه فيزول
ويركض مهري فوق أجساد فتية * له من دماهم عزة وحجول
فلا تطلبوا غيري اذا النار أضرمت * فمثلي اذا اشتد الهياج قايل

قال ثم انه طلع من الاستوى والشمس قد أشرقت على الاطلال والربا وتعالى نورها وأضاء فرأى عند ذلك رجلا يسعى في الفضا وقد أطلق قدميه خلف غزالة يريد أن يصيدها وهي قدامه تجري كأنها الريح تطلب اتساع البر الفسيح وهو وراءها كأنه الشهاب اذا انقض من السما في دجا الظلمات حتى لحقها بسرعة جريه ومسكها من قرنيها والبدوي ناظر اليه وقد تعجب من جريه وشدة عصبه فبينما هو ينظر اليه واذا قد طلع من وراءه عشر فوارس غائصون في الحديد والزرد النضيد وتحتهم خيول تقطع

بهم البر والبيد وبين أيديهم فارس كأنه برج مشيد وبجانبه
فارس آخر يقاربه في الهيبة والشجاعة والجميع الى الرجل طالبين
والى نحوه قاصدين قال فلما نظر الاعرابي الى حسن لباسهم
وهيبتهم فوقف ينظر اليهم وهم قد مالوا الى الهودج فرأوا مالكا
وهو مشدود على جواده فأعنوا الخيل ووقفوا وتقدم الفارس
المقدم ذكره وأراد يسأل الاعرابي عن حاله فصاح فيه
البدوي صيحة منكر وقد احتقره وقال له ويلك من أنت من فرسان
العرب فانتسب ان كان بحيث النسب قبل ان يحل بك
الويل والعطب فعند ذلك زاد بالفارس الغضب وتولاه عليه
الصخب وصرخ فيه صرخة كاد عقله ان ينسى وقال له ويلك
ما أعمى قلبك عن أصحاب الرتب ويلك أنا الفارس المنتخب
والهمام المهذب ودافع النوب أنا فارس الجلاد وحية
بطن الواد الضارب بالسيوف الحداد مفرج الكروب الشداد
الكريم الآباء والاجداد عنتر بن شداد وأنت من تكون
من العرب الاوغاد ومن هو هذا الاسير الذي معك مشدود على
ظهر الجواد ومن هذه النائحة الاخرى التي تنادي وهي تطلب
الخلاص من الكريم الفتاح وقد أقلقت البر بالصياح فقال
فياض وقد اهتز على جواده طربا وصاح به أهلا وسهلا بحامية عبس
ومرحبا باسود الشمائل وأبيض الخصائل وفارس القبائل
الملك وحياتك أتيت قاصدا الى نحوك وارجع ثم انه أخبره بقصته
وأن مهر زوجته الالاف نجيبة وجز ناصيته فقال عنتر هذه
قصتك قد عرفتها وما يكون هذا الفارس الذي معك مشدود
في الوثاق فقال له هذا مولاك وابن مولاك الذي قد ألحقك بالنسب

وأدخلك

وأدخلك معه في الحسب مالك بن زهير فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام فبينما هو كذلك واذا قد لحق به بسطام وسأله عن تطويل الكلام فأخبره بما سمع من البدوي من المقال وجميع ما جرى من القيل والقال فقال بسطام لله درك يا أبا الفوارس ما أخبرك بعواقب الايام والدهور والله لقد حسبت هذا الحساب وطلع كلما ذكرته من الامور صواب قال وكان عنتر لما رجع من خوفه على بني عبس أن يلحقهم لاحق فأبصر القوم مشتغلين بمصابهم عن غيرهم فأقام باقي نهاره ويومه وليلته مختفيا الى الصباح وقال لاخيه شيبوب جد بنا في عرض البر والبطاح حتى لا نبرح نقابل قومنا حتى انهم يخرجوا من أرض بني الريان وبعد ذلك نعرج على مغرق السودان ونطلب بعد ذلك أرض بني شيبان ففعل شيبوب ما امره به أخاه وتبعه بسطام ورفقاه وعلم أن ذلك من كثرة عشقه لعبلة وحواه ففعل هذه الفعال حتى لا يزال قريبا منها ويتنسم الاخبار لان العشاق من العرب المتقدمين جرت لهم بذلك عادات وذكروها في ذكرهم والمقالات لانهم كانوا اذا هب النسيم من ناحية الحبيب فيداوي مرض قلوبهم بمنزلة الطبيب قال ولما زاد على عنتر الشوق ونيران الفراق وقاده الهوى بزمام الانعواق فانشد يقول

اذا ريح الصبا هبت قليلا * شفت بهبوبها قلبا عليلا
وجاءتني تخبر أن قومي * ومن أهواه قد جدّ الرحيلا
ولا حنو على من خلفوه * بأرض الغير مطرح وحاذ ليلا
يسير وراءهم ويهيم شوقا * اليهم كلما شدّوا الحمولا

ألا ياعبله ان خانوا عهودى ❀ وكان أبوك لا يرعى الجميلا
حملت الضيم والهجران وحدى ❀ على ضعفى وخافت العذولا
ألفت السقم حتى صار جسمى ❀ اذا فقد الضنا أمسا عليلا
وعادانى غراب البين حتى ❀ كأنى قد قتلت له قتيلا
وفى الوادى على الاغصان طير ❀ ينوح ونوحه يشفى العليلا
بكا فأعانه هتان عينى ❀ وناح فزاد اعوالى عويلا
وبات مهموم الفؤاد لمن ❀ يئن لفقده الليل الطويلا
فقلت له جرحت صميم قلبى ❀ وأبدانوحك الداء الدخيلا
وما ابقيت فى جفنى دموعا ❀ لتبكى فى المنازل والطلولا
ولا أبقى لى الهجران صبرا ❀ ولا جسما أعيش به نحيلا
فلو أنى كشفت الدرع عنى ❀ لبان وراءه رسم عليلا
وفى الرسم العليل حسام نفس ❀ يعالى حره السيف الصقيلا
ألفت نوائب الايام حتى ❀ رأيت كثيرها عندى قليلا

(قال الراوى) فطرب بسطام وأطرق برأسه عند سماع هذا الكلام وقال له يا أبا الفوارس وحق الباقى على الدوام انك فصيح اللسان فى النثر والنظام وفارس الحرب والصدام ثم انهم ساروا يقطعون الاودية والقفار حتى انهم جازوا أرض بنى الريان وتلك الآكام والتقوا بالفارس فياض المقدم ذكره وجرى من القصة ماجرى وسمع جميع حديثه وعلم أنه جاء يطلبه ورأى مالك بن زهير مشدودا على حجرته وهو يتشرق بعبرته فاسودت الدنيا فى عينيه وتجهز للحملة عليه فقال له بسطام دعنى يا أبا الفوارس لهذا القرنان فقال له عنتر اعلم يا أخى أن ما بنا فى فؤادى غير ذلك الحسام ولا فيكم من يحمل عليه ولا يشغل خاطره لديه لئلا يقال انهم ما وصلوا

اليه

اليه الا بالمكاثرة ثم انه عاد الى قتال فياض وأخذ معه فى الانبساط والانقباض والمجال والاعتراض ولمعت سيوفهم فى الغبار مثل البرق فى الايماض وكان لهم عند ضرب السيف استيقاظ وما أحد منهم بدا ألفاظ هذا وشيبوب أتعب الغزال واطرادها وقد رأى أخاه فى القتال فعاد الى نحو الناقة والهودج والهم عرج وتأمل المأسور عندما قرب منه واذا هو مالك بن زهير وهو يتأوه من ألم الجراح والحيرة والافتضاح وصرخ شيبوب واحرباه يامولاى من فعل بك تلك الفعال من أوباش الرجال الانذال ثم انه دنى منه وحل شداده وأعاده الى جواده وجعل يقبل يديه ويسأله عما جرى عليه وهو يحدثه بما وقع له مع فياض من الانقباض والانبساط فقال له شيبوب اطلب أنت مقام القتال حتى أشتفى بمصرع هذا اللئيم بن الانذال ومازال حتى أشرف على المعمعة والميدان وأبصر فياضا وعنترا وهما يتقاتلان وقد جرى بينهما حرب تعجز عنه الفرسان المتقدمون الآن عنتر احمل على فياض وأخذ معه الجد والاعتراض ثم انه قام فى ركابه وضربه بسيفه البتار واذا برأسه قد طار وخرج عنتر من تحت الغبار وهو يهمهم مثل الاسد الهدار وهو ينشد ويقول

قتلنا الخصمى وهو يعث بالبدى ✻ وقد مال كالبرج الرفيع المشيد
فهناك بالكأس الذى قد شربته ✻ ومت عفيرا الخد غير مهمد
بسيف اذا جردته طال حده ✻ وأدمى وأفصل حده كل سيد
أنا عنتر الكشاف كل كريهة ✻ مبيد الاعادى بالحسام المهند
وبى تفخر الابطال فى كل معرك ✻ وتخضع لى الشجعان فى كل مشهد
فان نظروا فعلى يخرون معشرا ✻ تراهم لى من راكعين وسجد

سموت على كل الانام بمفاري * ورمحي وسيفي في الوغا وتجلد
(قال الراوي) وبعد هادني من مالك واعتنقه وبجله وقبله وهو
يقول والله يا مولاي يعز على ماجرى عليك وما وصل من الشر اليك
فلا كان يوماً يصل اليك فيه الزمان بالغدر والنقصان وأنا
راكب على ظهر الحصان فشكره مالك على ذلك الامر والشان
وقال له والله انك لنعم الرفيق واجل صديق وشفيق فلعن الله
من أبعد عنا طلعتك وتجلى في ابعادك واحرمنا النظر الى رؤيتك
ثم انه حدثه بما جرى بينه وبين شاس لاجلك وكيف حرد شاس
على عمك وكيف سار في أول الجيش ومعه أبوك شداد وعمك زخمة
الجواد وكيف قل عليهم الزاد وطلب أرض الرباب وماجرى له
مع الجارية وفياض من الامور والاسباب هذا وبسطام وجماعته
تقدموا الى مالك وسلموا عليه وهنوه بالسلامة من الذي جرى
عليه هذا وقد قال عنتر لمالك الرأي عندي يامولاي أنك تعود لبني
عبس من وقتك وساعتك ولا تذكر لهم ماجرى عليك ولا رأيتني
ولا رأيتك بل تقول لهم اني كنت في الصيد والقنص واشتغلت
باللهو والغرض فأمسى على المساء واقبل الظلام ووقعت بأبيات
من العرب الكرام فأضافوني وأكرموني غاية الاكرام حتى
لا تنحط منزلتك عند قومك وعشيرتك ولا يلومنك أحد على
تلك الفعال والا يقول عمي مالك اني ما قدرت أصبر على فراق ابنته
عبلة ولا زلت أسير في عرض البر من شدة الاشتياق ومن نيران
الفراق وكثرة الاحتراق لانني أنا وحق منى وزمزم والمقام
والبيت الحرام ما فعلت هذه الفعال الا خوفاً عليكم من مثل
هذا الحال ثم انه أطلق الجارية التي استجارت بمالك ففرح مالك

بياض

ببياض عرضه وأعطاها جواد فياض وسلبه وأعطاها أيضا الناقة وقال لهاسيرى بلا عاقة فانه فى ذمامى من كل أنس وجانى فوحق من خلق فاته فى حرزه وأمانه لو عارضك الملك كسرى لهدمت على رأسه ايوانه وأهلكت أجناده وفرسانه فعند ذلك قبلت الجارية رجليه فى الركاب وأشارت تمدحه بهذه الابيات

وقيت كل فجائع الاعوام * و بقيت محروسا مدا الايام
وغدوت ذا رأى مصاب سيدى * وعلوت مبتهجا على الاقوام
يا عدتى من كل خطب فادح * أصبحت من حمى أريد الحام
لازلت فى درج المعالى راقيا * ومسلما من صرف كل حمام
وبقيت فرد لا يكن لك ثانيا * بين الانام ومسدة الاحكام

قال هذا وبسطام قد صار متفكرا فى كلام عنتر وعلم أنه قادر على ماقاله من الخبر وأما الامير مالك فانه عاد على الاثر يطلب أرض بنى الريان وعنتر خلفه خوفا عليه أن يصاب من بعض العربان ولم يزالوا سائرين حتى أشرفوا على تلك المعالم والرسوم وهم الامير عنتر أن يعود فرأى الى الطير يحوم والوحوش تعوى فى أقطار الفلا وهى ترعى فى جثث القتلا فقال عنتر لمالك والله يا مولاى ان هذا البئس الفعال وأمر يدل على الهلاك والوبال وما أخاف الاعلى سادات بنى عبس أن يكونوا أصيبوا بعدك بأعظم المصايب والمحاق ويكون اتفق لهم مثل هذا الاتفاق فقال مالك والله لقد صدقت يا أبا الفوارس فيما قلت من هذا المقال لانى أعرف ان لجاج عملك ما يؤدى الى خير ولابد أن يحل بهم الهم والضير لانه رجل نحس ولولا ذلك ما كان ارتضى ببعدك وركن الى الغير وهو ما يصغى الى قول الناصح ولا زال فعله خاسرا غير رابح وأنا كنت

أشهدى من رب السماء وخالق النور والظلماء أن يكون مالك قد لاقى بغيه وضيره ولا يعلم كيده وشره على غيره ثم تقدم الى وسط المرج فوجد القتلاء مطروحين فى سائر الجنبات والدماء قد صبغ النهر والنبات والرماح محطمه والاجساد مكومه فصاح عنتر واحرباه قد صح الخبر ووقع على أصحابنا حكم القضاء والقدر وما أظن انى أعود أجتمع بعبلة ولا أقع لهما على خبر ولا جلية أثر ثم انهم باتوا فى ذلك المكان وصاروا يقلبون القتلا ويقولون هذا فلان وهذا فلان الى أن سمعوا صوت رجل قد أشرف على التلاف والفوت واذا به أبو عبلة مالك وهو يئن من شدة الجراح هالك وهو على الارض مطروح وقد صار جسدا بلا روح واختلط دمه بالتراب وحام عليه الطير والغراب والوحوش والذياب فعند ذلك نادى شيبوب وقال ويلك يا أخى أن تمضى وتخلى عمك مالك مخضبا بدماه وقد لاقا بغيه ومكره ودهاه قال فلما سمع عنتر ذلك المقال تقدم هو ومن معه من الرجال وقد أبصر أبو عبلة على ذلك الحال فشدوا جراحه ورشوا على وجهه الماء ففتح عيناه من شدة ماجرى عليه ودهاه من ذلك الذى حل به من الضير فأبصر عنتر ومالك بن زهير فدبت فيه الروح ومارت فى جسمه وعاد اليه عقله وفهمه فقال له عنتر يا عماه من هذا كنت أخشى عليك وكنت أتقرب بك فى كل شىء والجأ اليك وأنت تركب معى طريق اللجاج فما أوقعك فى هذا العذاب والهجاج فقال له عمه بصوت خفى بالله عليك يا ابن أخى قد مضى ما مضى وما بقيت وذمة العرب لا أفارقك أبدا ولا أشمت بك أحدا من الاعدا وقد ... مالك قلبى وخلاص لك ودى وعرفت أننى كنت عليك ظالما

ومعتدى

ومعتدى وعلمت أنى اخطأت معك فى طول الزمان فارحمنى واحملنى
الى بنى عبس وعدنان حتى أكون لك عبدا فى كل وقت وأوان
ومابقيت أعود أسمع فيك كلام انسان فقال عنتر حبا وكرامه
أبشر يا عماه بالخير والسلامه ولكن أريد تخبرنى بحقيقة الحال
وتصدقنى فى المقال من فعل بكم هذه الفعال وابن ولدك عمرو
وابنته عبلة وبقية الرجال فقال له يا ابن أخى الكل فى قبضة أنس
ابن مدركه الخثعمى وكنا نحن فى اشد ما يكون من التعب الشديد
من كثرة المسير وقد أشرفنا على الهلاك والتدمير لان مالكا
ابن زهير قد أخذ معه أكثر الفرسان وأرباب الخيول وقد تفرقوا
فى البر عرضا وطول وطلبوا الصيد والقنص فى البرارى والرحاب
واذا قد خرج علينا أنس ابن مدركه من بين التلال والهضاب
تفرق حولنا الخيل من كل جانب ودارت بنا المواكب والكتائب
وفتكوا فينا بالسيوف القواضب فقتل من رجالنا عشرين فى الصحرا
وساق الباقين معه أسرى ومازالت القتلا تتلقح اثنين اثنين وقد
حل بنا الويل والبين وقد عملت الرماح فى الاجساد حتى وقعت
على الارض والمهاد ولولا نظرى اليكم فى هذه الاوقات ما كنت
الا من جملة الاموات وكنت لحقت بمن مضى وفات قال وكان
هذا الفارس الذى أنزل ببنى عبس الوسواس رجلا لا يقاس
برجال وبطلا لا كالابطال وهو لا يفر من الغارات ولا يمل من
الغزوات ولا يفعل الا فعل العصاة البغاة وكان اذا عول على
المسير من مكان الى مكان تتبعه الفرسان وتسير معه الشجعان
لاجل ما يعرفون منه من الشجاعة والبراعه وثبات الجنان لانه
ما سار قط الى مكان الا وعاد مؤيدا منصورا والاموال تساق

الى بين يديه فرحا مسرورا وكان فى هذه النوبة قد خرج من الاطلال ومعه ألف فارس من صناديد الرجال كلهم غارقين فى الحديد والزرد النضيد كأنهم سباع الاجم ما فيهم من يبالى بالموت اذا هجم وقد أبعد بهم فى سيرته وأهلك العربان فى غارته ونا أهلها منه وقوته وقد وصل الى أرض يقال لها البلقا وامياه النقا وعادو بين يديه الاموال والعبيد والجمال وهوشى لا يعد ولا يحصى ولم يزل يجد المسير وسرعة الجد والتشمير حتى وصل الى أرض بنى الريان وأبصر الى بنى عبس وعدنان وهى متفرقة على المروج والغدران وبعضهم يصيد الوحوش من الوديان وكان أنس هو المقدم على قومه وقد انفرد فى البر والقيعان لانه كان قد طرح نوائب الزمان واحتقر بسائر الفرسان وصار يحب الانفراد عن الاهل والاخوان آناء الليل وأطراف النهار ويرمى نفسه فى الاخطار الكبار قال ولما رأى بنى عبس عرفهم بعددهم ولباسهم والرايات لان العرب كان يعرف بعضها بعضا بالخيول والقامات فلما تبين لمعرفتهم وحقق نسبتهم صبر حتى تلاحقت به الشجعان ودارت ببنى عبس من كل جانب ومكان هذا وقد قال لهم أنس اعلموا يا بنى عمى أن هذه النوبة يبقى ذكرها طول الزمان وتذكرها الرجال بالعز والافتخار وكل من اقتسب شيأ فهو له حلال ان كان من الاسرى أو من النوق والجمال لانكم قد ظفرتم بهذه الطائفة العبسية التى اسمها بين العرب كبير وكل من ملك منها أسير أخذ منه مالا كثير فدونكم أنتم واياهم واغتنموا منهم الفرصة واسقوهم أو شم غصه فها هم بين أيديكم فى الصيد والقنص فاسقوهم الغصص

21

ثم انه فرق الالف فارس الذين معه ثلاثة فرق وقد صاح فيهم وزعق فحملت خلفه تلك المواكب ودارت ببنى عبس من كل جانب وركبت فرسان بنى عبس عند ما دهمتهم وقد أيقنت بالضر والويل وجالت بجملتها وقد أظهرت همتها ومروتها وفروسيتها واختلطت فرسان بنى عبس بفرسان بنى خثعم وأدركها أنس بن مدركة بسطوته وثبت رجاله بشجاعته فأخذ من بنى عبس ثلثمائة أسير من بعد ما أهلك منهم خلقا كثيرين وكان من جملة الاسرى عروة بن الورد لانه قد وقع به فى المعمعة فقاتله ساعة واحدة فوجده فى طبقة عالية من القوة والشجاعه فسلم اليه نفسه فى تلك الساعه من شدة الخوف والفزع وقد خاف من القتل والملع لان الفرسان المنتخبه من أهل العقل لا تقوم موضع الغلبه لشرف منزلتها والمرتبه (قال الراوى) ولم يزل الحرب يعمل الى أن مالت الشمس من قبة الفلك وقد ظفر من ظفر وهلك من هلك ولما انقضى القتال أخذ كما ذكرنا ثلثمائة أسير وقتل الباقين ودمرهم تدميرا واما الذين كانوا فى الصيد والقنص فان أكثرهم هربوا وطلبوا الخلاص من الموت المعجل لان أحدهم كان يرى الغبار وينظر أصحابه وقد وقعوا فى بحر ماله قرار فيولى ويطلب الاهل والديار قال ولما نظر أنس بن مدركة ما قد حصل بين يديه وما وصل من الاموال اليه زاد سروره وحمد عواقب أموره فأقام فى تلك الارض الى أن انقطع أثر القوم وما بقى عتب ولا لوم وارتحل يطلب الاهل والديار وهو يقطع البرارى والقفار وقد شد فرسان بنى عبس على خيولهم عرضا والعبيد ساقهم قدامه مع جملة الجمال وهم يجدون المسير فى البرارى والقفار

واما عبلة فانها لما نظرت الى ذلك الحال فصارت تكثر من الويل والبلبال وقد زادها الحزن وصارت تندب الاهل والوطن وهم سائرون تحت ظلام الدجا وقد علمت أن ما بقى لها من ذلك ملجأ ولا ملتجا فصارت تشفى قلبها بالنوح والتعداد وأقلقت تلك الربا والمهاد وكانت قد شاهدت ما جرى على قومها من الاهوال فصارت بناقتها فى أول الحال لانها قد ألفت السبى والاسر مرار فى البرارى والقفار وقد صار لها بذلك عاده وقد بقى لها على ذلك جلاده وكانت قد رأت أباها لما أثخن بالجراح وكيف شكته عوامل الرماح فسارت قدام العبيد وهى فى بكاء وعديد وصارت تندب الاطلال والربوع وتبكى بقلب موجوع وهى تنشد وتقول

يارب زمزم ومنـــا قد مل قلبى الحزنا وبعد من أهواهم
أنحــل منى البدنا وما بقى لى جسـد يحمل أثواب الضنا
وقــد فقدت والدا كان شفوقا محسنا مازال فى لجاجه
حتى سقى كأس الفنا وحكمت فيه العدا حد السيوف والقنا
وها أنا من بعــده فى الاسر أشكو المحنا والدهر قد عاندنى
وتركنى ديــدنا ما كان فى الدهر من يذمــه الا أنا
ياحامية عبس ترى علمت ما حــل بنا من حين ما فارقتنا
زال الامانى والمنـا وأصبحت فرسانا نهبا بأطراف القنا
ونحن فى أسر العدا دوما نقاسى الحزنا فقر بنا منك راحة
وبعــد ناعنك عنا ياحامية عبس فان تسأل عنا لدمنا
وتقتــفى آثارنا عاجل كما عودتنا وان سمعت فى الدجا
نوح الحمام المقتـــنا فاعــلم يقينا أنه يبكى علينا أولنا

(قال الراوى) ومازالت عبلة فى بكاء وصياح الى أن بدت غرة الصباح ونزل أنس بن مدركة يطلب الراحة والمقام وقد أمر من معه بترويح الطعام فصرت العبيد النوق والاغنام ونصبوا الخيام والخيام ورزقوا بعد ذلك المدام لانه ما كان يفارقه مدا الايام ان كان فى رحيل أو فى مقام فأكل وشرب مع سادات بنى خثعم وهو فرحان بما قد حوى من الاموال والانعام وقد أمرهم أن يطعموا جميع الاسارى من الرجال والنساء فأكلوا الجميع جملة الا الاميرة عبلة فانها لم تأكل طعام ولا ترد على أحد كلام ومازال أنس على ذلك المرام حتى مضى من النهار أكثره وبقى أيسره قال وكان بنو عمه الجميع قد ذكروا له ما سمعوا من فصاحة عنتر وما قال فى حق عبلة وما نظم وما نثر ولما ذكروا له تلك الاخبار وأنبوا له فى حسنها وجمالها وقد وصفوا له قدها واعتدالها فقال لهم يا بنى عمى أنا أوصيكم ألف مرة بأنكم لا تصغوا الى أمة لا حرة ولا تحدثونى الا بحديث الطعان والضرب بشفار الصفاح أحب الى من وصف الخود الملاح ثم انه شرب مع أصحابه الى آخر النهار وهجع ساعة من الليل ورحل يطلب الديار ومازالوا يجدون المسير ويقطعون الفيافى والقفار على ظهر الخيل والجمال حتى طلعت الشمس على الروابى والتلال فعند ذلك أمرهم بالنزول على مياه بنى هلال قال وكانت عبلة ماهدأت فى هذا الليل الطويل ولا فترت من البكا والعويل والندب والويل والتنكيل لانها كانت أيست من أبيها وابن عمها وأخيها (قال الراوى) ولما ان سمع أنس بن مدركة بكاها واعوالها سأل من بعض بنى عمه عن أمرها وأحوالها وقال لهم يا بنى عمى ما بال هذه الجارية التى كانت

البارحه تنادى فى الليل وجنح الظلام الهادى وتندب كأنها
حمامة الوادى فقالوا له هذه الجارية العبسية التى وصفنا لك جمالها
وحسنها ودلالها الا اننا ما رأينا أقرح قلب منها ولا أكثر من
حسرتها ولها يومين وليلتين ما أكلت زاد ولا هدأت من النوح
والبكاء والتعداد ولا شك انه قد قتل لها من يعز عليها من أهلها
وقرائبها أو بعض والديها فقال لهم يا بنى عمى أحضروها الى حتى
انى أكشف عن حالها وأطيب قلبها وأسكن اعوالها فعندها
مضوا اليها وأحضروها بين يديه وأوصلوها اليه وكشفوا البرقع
عن وجهها فنظر الى طلعتها ورأى دموعها تسيل من طرف
كحيل وقد لعقول الرجال يميل فخفق فؤاده من شدة البلبال
وخيل له انها رشقت فؤاده من جفونها بنبال (قال الراوى)
وكان أنس متكئا فجلس على حيله وقد تغيرت أحواله وزاد
عشقه وبلباله وقال لها ويلك يا جارية ما تقولى من ذلك البكاء
والاعوال وأخبرينى من قتلك من الرجال فقالت له بعد ما سترت
وجهها بكفها ونظرت الى الارض بطرفها اعلم يا مولاى
ان أبى قد قتل فى هذه الوقعه فكانت بسببه هذه الفجعه
وتجرعت من الغصص ألف جرعه وذبت من التشتت والتعثير
وما قاسيت من الهم والزفير ثم انها ألقت نفسها الى الارض وقد
اختبطت فى بعضها وعلا نداها وزفيرها وعويلها فقلق أنس
من شكواها وقد تعلق قلبه بهواها وقد أسقمه تباريح
الهوى وما بقى يجد لدائه دوى وقد انهد حيله والقوى ثم انه
فى عاجل الحال قال لمن حوله من الرجال ويلكم والله انى قد تاه
منى الخاطر هيا أحضروا الى أولاد عمها العبسيين فى هذا الوقت

والحين

23

والحين حتى أخطبها منهم وأتزوج بها الان مثلها وشكلها الا يؤخذ سفاحا وأجل مهرها الطلاق بنى عمها من الوثاق واذلم يفعلوا ذلك قتلتهم وأورثتهم المهالك وأهرقت دماءهم على الصعيد والدكادك لان هذه الجارية حبها قد أشغفنى وتملك منى قلبى وكنت قبل ذلك اذا رأيت عاشقا أعذله وألومه واستقل عقله وأستجهله حتى ذقت العشق فى هذه الساعة وبان لى فى هذه الجارية الطماعه وعلمت انى كنت فى نوع من الجهل والتكبر الزائد وقلة العقل فاستروا ايا وي الحكم من الرجال وجهها واحضروا بين يدى بنى عمها ففى عاجل الحال أحضروهم الى بين يديه فأعاد عليهم الكلام الذى تقدم فقالوا له ان هذه الجاريه مات أبوها وأمرها الآن مسلم الى أخيها ونحن له بمنزلة التبع ولا نخالفه فى جميع مايصنع وهو هاهنا مكتوف بين الرجال فى الشد والاعتقال فقال عروة وكان بجانب عمرو انى أشير عليك برأى وهو فيه الصواب وجيد لنا ولجميع العرب والاحباب والاصحاب ونبلغ به غاية الارب فقال عمرو وما هو الرأى يا ابن الابيض فقال عروة ان أردت أن تضرب رقبة أنس بن مدركه وتورثه الدمار والمهلكه فزوجه بأختك عبلة فلعل الله أن يرسل له عنترا يصرم عمره ويخمد حسه ويكفينا شره لانى يا عمرو قد اختبرت اعراسها وعرفت بأس ناصيتها وما يأتى من قياسها فرأيت كل من تعرض لها غير عنتر أصبح مطمورا فى الحفر وأنت زوجته بها فلعل الله أن يأتيه بعنتر يصرم عمره ويكفينا شره فقال عمرو ويلك يا عروة عنتر اليوم فى بنى شيبان والتقصير فى حقه منا كان لاننا ما زلنا نبغى عليه ونوصل الاذية اليه حتى عاد بغينا علينا

واتقلعنا الى آخر الزمان وأحاط بنا البلاء والهوان وأنا وحق ذمة
العرب من هذا الامر حيران ان انعمت بزواجها الى هذا القرنان
أخاف من عنتران يأتي الينا ويلحقني بأبي ولو كنت في حجر كسرى
صاحب الايوان وان لم أنعم له بذلك أسقاني كأس المهالك
فقال له عروة اقبل مني أنت ما أشير به عليك وزوجه بها ودع
عنك الهوان ولكن اشرط عليه أنه لابد تدخل عليها في ذلك
المكان حتى يصل الى أرضه والاوطان واعلمه أنها متزوجة
بابن عمها وأطلعه على هذه الاسباب كلها وأنا أعلم ان وجه عبلة
عليه عبوس وشروبؤس ولايمسي عليه المساء الا وهو مطموس
ولا تغنم معه ومع قومه الا بقطع الرؤس هذا وأنس قد أبطأ
عليه من عمرو الجواب واشتعلت في قلبه نار الالتهاب وكل
الحاضرين يشيرون الى عمرو وهو باهت فقال له أنس يا وجه بني
عبس مالي أراك ساكتا أما ترضاني ان أكون لاختك بعلا
وهي لي أهلا فقال له عمرو يا مولاي وحق ذمة العرب أنت الرضا
وفوق الرضا ولكن أيها السيد هذه الجارية كان أبوها قد زوجها
لابن عمها فيما مضى وقبض منه مهرها الا الجزيل الا وكان قد أتى به
اليه من عند كسرى أنوشروان وانما غره بذلك الفعل الذميم
وزين له الشيطان بجحود الاحسان والجميل وصار يهرب بها من مكان
الى مكان الى أن قرب أجله ومات وأنا يا مولاي من ذلك الامر
حيران وفزعان ان أنا زوجتك بها ورجعت الى الاوطان فيأتي
ابن عمها ويقتلني ويجرعني كأس الهوان ولو أجاني كل من في بني
عبس وعدنان لانه آفة الزمان وطارقة الحدثان فقال أنس
وقد صعب عليه هذا الكلام وقد اغتاظ من وصف عنتر له بين

يديه

يديه وقال له ويلك من يقال لهذا الفارس الذى وصفته فى حضرتى بهذه الصفات وحدثت عنه بذلك الخبر وهذه المقالات لانك قليل الخبرة بالفرسان والسادات فقال له عمرو أيها السيد الواثب الفارس الذى قتل خالد بن محارب وأنزل على قومه البلاء والمصايب وخضع لسيفه كل ماش وراكب فقال له أنس لمن تعنى بهذا المقال أوجز يا وجه العرب فى السؤال وبين لى اسمه من الرجال فقال عمرو هو الاسد الضيغم وصاحب المهر الادهم والسيف المخذم الذى أذل بشجاعته فرسان العرب والعجم فقال أنس لقد حيرتنى فى وصف هذا الفارس والقرم المداعس وما بينت لى اسمه ولا كشفت لى عن رسمه فقال يا مولاى هو البطل الجواد وفارس الحرب والجلاد المسمى بعنتر بن شداد فعند ها شال أنس رأسه للقوم الحضار وقال هل فيكم أحد سمع بهذا الرجل الجبار الذى قد روعنى بذكره هذا الغلام وأوقد فى قلبى نار الاضرام (قال الراوى) لهذه الامور والاحكام فلما سمع الحاضرون هذا الكلام قال له شيخ منهم وكان قد مر عليه سنون وأعوام أنا سمعت به وبحديثه من مدة أيام وما حدثنى بفعاله الا رجل صادق فى الكلام وأخبرنى انه فارس جيد الشيم قهر بحسامه العرب والعجم والفرس والديلم وخضعت له ملوك العرب وأصحاب المنازل والرتب وما زوجه عمه بابنته الا خوفا منه ورهب وانه أرماه فى ألف داهية ومصيبة وعاد منها ببلوغ الامال والارب ولما اعتراه الحياء صار يهرب بها من مكان الى مكان وقد زوجها عشرين مرة للفرسان ولا ظهر لها أمر ولا بيان واقربها هذه المرة زوجها لمسحل بن طراق فاتى اليه بمائة فارس

ممن له من الرفاق وقتله وتركه ملقى على الارض كأنه الفنيق وقد
تخلا عنه الصاحب والرفيق وكان من طلب أن يتزوجها كانت
سببا لمنيته بلا تعويق ولو كان معه عدة آلاف محقهم بسيفه
تمحيق والذى يهرب منه يكون بحر وحاجر حاويق والذى يلحقه
يمزق كبده تمزيق وأنا يا أمير وحق ذمة العرب خائف عليك من
تقربك لهذه الجارية وشؤم طلعتها فبالله عليك لا تتعرض لها لانى
تأملت الى كعبها فرأيت فيه تدوير فعلمت بسبب تعرضك
لها ما يبقى منا كبير ولا صغير قال فلما سمع أنس هذا الكلام
وما أعاده ذلك الشيخ من الملام زاد به العشق والغرام وتعلق
قلبه لذكر عنتر وهام وقال يا بنى عمى وحق زمزم والمقام والبيت
الحرام انى من حين نشأت ما ذقت طعم العشق والغرام ولا
دخل فى قلبى محبة ولا هيام على طول المدا والازمان الا لهذه
الجارية لأجل ما عاينت من حسنها وجمالها لانه قد أنسانى هذا
الشيخ عشقها وغرامها بما وصف لى من فروسية ابن عمها
لانى كما تعرفونى أحب ملاقات الفرسان ومحاولة الاقران
والصواب عندى أن تبقى هؤلاء الاسرى على هذه الحالة فى الاسر
تحت يدى وهذه الجارية الاخرى الى أن يأتى ابن عمها ويسعى
فى خلاصها هو ومن معه من رفقاه وأنا أريكم كيف أفعل به
عند ملتقاه ثم أمر باكرام عبلة والقيام بواجب حقها وقد أشغل
قلبه محبتها وعشقها وقال فى نفسه اذا كانت هذه الحالة حالتها
وهى بذلك الشقاء والحزن وقد ألبسها الله ثياب الجمال والحسن
فكيف انها اذا شبعت من الزاد صباحا ومساء وأبصرت حكمها
نافذا فى الرجال والنساء ثم انهم رحلوا وساروا من هذا المكان

وهم

وهم يقطعون المهامه والوديان الى نصف النهار واذا قد طلع من خلفهم غبار وقد علا وثار وبعد ساعة تقطع ومار وانكشف عن فرسان مسرعه وغبار مرتفعه فقال أنس لقومه يا بنى عمى ائتونى بخبر هذه الغبرة الطالعه والفرسان المتتابعه وابصروا ان كان تحتها مال ننهبه أو شىء نكسبه ونأخذ سلبه قال فعندها خرج من بنى خثعم مائة فارس وهم على خيولهم كأنهم الابالس (قال الراوى) وكانت هذه الغبرة التى ظهرت من البر والاكام أبا الفوارس عنتر والامير بسطام ومن خلفهم العشرة فوارس الذين من بنى شيبان وكان السبب فى قدومهم الى هذا المكان ان عنتر لما أشرف على المعمعة ورأى عمه مالك وهو من الجراح هالك فسأله عن حاله وشد جراحه وجعل عنده الامير مالك بن الملك زهير وأخيه شيبوب يحفظهم من كل هم وضير وقال بسطام هيا بسرنا نقصد قومنا والا تفتنا الفرص والمنا وان كنت تعزم على المسير الى أبيك فسر من ههنا لاننا والله لقد اتعبناك معنا فقال بسطام يا أبا الفوارس أى شىء هذا الكلام فوحق الله المتعال الباقى على الدوام الذى ركب الارواح فى الاجسام وحلل الحلال وحرم الحرام ان خدمتك على واجبة وقد أوجبتها على نفسى مثل الحج الى بيت الله الحرام فأنا والله لا أفارقك حتى تنقضى قصتك وتزول عنك غصتك وتدخل على زوجتك وبعدها أرجع أنا وأهلى الى الحلل فقال له عنتر لا عدمتك من بطل همام وليث عند الشدائد مقدام وأنا يا أخى اقول ان قصتى قد هانت وانتهى منها العسير وما بقى الا اليسير ثم انهم ركبوا وساروا على الخيل وأشرفوا على القوم كما ذكرناهم

معولون على الرحيل فهذا الآن ذاهبوا للحرب والجلاد فرأى بسطام
الى الخيل قد تفرقت وعليها الفرسان قد ظهرت فقال لعنتر بحق
ذمة العرب أتركني للقاء هذه المائة فارس القادمة علينا فتبسم
عنتر من كلامه وقال له افعل ما تريد أيها البطل الهمام والاسد
الضرغام لانك قد اقسمت على بأجل الاقسام فعندها أطلق
بسطام عنان فرسه ذات النسور وأشغل المائة فارس وكان المقدم
عليهم ابن عم أنس بن مدركة وهو أمير يقال له مبادر بن غيلم وهو
لعجله قد استقبل واستغنم قال فعندها استقبله بسطام فى الاول
وسمعه وهو يقول يا ويلكم اخبرونا من أى العرب أنتم ومن أين
أقبلتم من هذه السباسب من قبل ما أختلس نفوسكم وأطير بهذا
الحسام رؤسكم وكان قد رأى بسطام قد انفرد وهو طالبه فظن
انه قد أتى يسأله عن خبره فوقف يسمع ما يرد عليه من الجواب
واذا به قد تم على حاله وانقض عليه مثل العقاب وطعنه فى صدره
أخرج السنان يلمع من ظهره فلما أبصر واشواعه الى هذه الطعنه
بادروا اليه كأنهم الاسود وهم ينادون واحرباه عليك يا أمير
مبادر واذل بنى خثعم بعدك والعشائر ثم انطبقوا على بسطام
وقد كثر منهم الكلام وصاح بعضهم فى بعض ويلكم دونكم
وهذا الشيطان خذوه أسيرا واحملوه بين يدى أميركم وابن
عمكم حتى يأخذ منه بالثار وخلوا باقى رفقاه حتى نسوقهم وراه
ثم انقسموا قسمين لما سمعوا هذا الخطاب وعلموا أنه رأى صواب
وطلب عنتر منهم سبعين وبقى قدام بسطام ثلاثون هذا وعنتر
قد استقبل السبعين بعدما قال لبنى شيبان اثبتوا أنتم مكانكم
حتى أشفى فؤادى من هؤلاء القادمين ثم انه التقاهم بصدر جواده

الابحر كما تلتقى الارض العطشانة أوائل المطر وصار ان ضرب أهلك وان طعن دمر وان قاربته الابطال نثرها مثل أوراق الشجر واذا زعق فى الخيل رجفت قوائمها واذا ازدحمت عليه الرجال طير جماجمها قال وكان أنس قد علم بقتل عمه مبادر فتقدم الى الغبار ينظر الى بنى خثعم وهو لسيفه شاهر وجعل ينظر لاصحابه وأمل انهم يأتوا بهم حتى يشفى منهم فؤاده ويأخذ لابن عمه منهم بالثار واذا بالسبعين الذين كانوا قدام عنتر وقد خرج منهم خمسة وهم يضربون أكفال الخيل وينادون بالعناء والويل فقال لهم أنس بن مدركة ويلكم ما حالكم لعن الله من الحاكم واذلكم فقالوا له والله يا أنس ما أصاب أحد مثل ما أصابنا هلكت والله أصحابنا ولو انا وقعنا انضربت رقابنا فقال لهم وقد اندهش واعتراه الخوف والرعش وهذا كله جرى عليكم من عشر فوارس فقالوا والله لا تنكر علينا ما أصابنا وما جرى لنا فان الذى فعل بنا هذه الفعال فارس واحد لانه اذا ضرب قتل وان جال حصانه نقول الغيث قد هطل وما يوجد مثله فى هذا الزمان ما كأنه الا مارد من مردة الجان لانه بقى يخطف الفارس منا من بحر سرجه ويضرب به الآخر فيقتل الاثنان فبينما هو معهم فى الكلام واذا بثلاثة من الذين كانوا قدام بسطام منهم اثنان مجروحان والآخر سالم وهم ينادون بالويل والثبور وعظائم الامور فقال لهم أنس بن مدركه وقد انقطع قلبه وزاد رعبه يا ويلكم أى شىء هذه المصايب التى قد تمت على المشايخ منكم والشباب فقالوا له يا مولانا لا تزيد علينا فى الخطاب ولا تكثر علينا الكلام والعتاب فقد رأينا فارسا مثل العقاب ما رأينا

مثله فى سائر الاعراب ولو كان معنا رأى وتدبير كنا تركناه
ورجعنا مع الخيل التى سارت لاصحابه ورفقاه فقال واحد من
الذين كانوا قدام عنتر والله لو كنتم رحلتم لرفيقه لكنتم رأيتم خيرا
كثيرا والله وحق ذمة العرب يا امير ما كان يرجع منكم
لا قليل ولا كثير وكان يصيبكم مثل ما أصابنا من البلاء والتعثير
فعند ذلك ضحك أنس بن مدركة من كيد الغيظ وقال هذا شىء
لا يصدقه عقلى فى أحد ومالى الا قول هذا الشيخ الذى قد حل به
الحوف وزاد اندهاله الذى قد وصف لى أفعال عنتر وأحواله
وذكر لى انه لقى بنى كندة فى مائة فارس وقتل معهم لابن
طراق وهيج حربه فى سائر الآفاق ففى هذه الساعة لا صار
أحد منكم يذكر له حسبا ولا نسبا فقالوا له أصحابه أيها السيد
لا تصرد علينا ولا تغضب فان هذا الفارس الذى وقع اقدامه
فى البلاء وأحل بنا العطب ما هو مثل من لاقينا من فرسان العرب
وما هو الا جمل من الجمال أو عامود من الاعمدة الثقال وقد سمعناه
وهو ينادى ويقول يا ويلكم يا أوغاد غير الجياد أنا عنتر بن شداد
ورأيناه يا أمير يخطف الفارس من على ظهر الجواد ويرفعه من
سرجه ويضرب به الارض يخلط طوله فى العرض قال فلما سمع
أنس بن مدركة من قومه هذا الكلام قال لهم انكم كثير اتصفوه
فهو هذا الفارس الذى كنا فى حديثه بالامس وقد وصف لنا هذا
الشيخ صفته وقد آليت على نفسى اذا لم أقتله ما دخلت على زوجته
وما هو الا قد اتى فى طلبها ولو كنت علمت بذلك ما كنت أنفذتكم
اليه وكان الامر قد انفصل ولكن ما علمت بحقيقة الحال
وانفذتكم بغير علم فأحل بكم الوبال ونزل عليكم الخبال

بجيوش

بجيوش الظلام وفى غداة غد ما يكون الا ما يريده الملك العلام ثم ان أنسا عاد الى المكان الذى كان فيه ونزل وقلبه يغلى على عنتر كغليان المرجل وكان قد عزم ان يبذل سيفه فى الاسرى ويشفى قلبه منهم مما قد حل عليه وجرى فقال له العقلاء من قومه الصواب ان تصبر الى غداة غد حتى ننظر أمرنا مع هذا الفارس كيف يكون فاستصوب رأيهم وقد زادت به الغبون قال وكانت الاسارى قد علموا بقدوم عنتر فقال عروة ابن الورد لعمرو أخى عبلة كيف رأيت مشورتى عليك يا عمرو فانظر ما جرى على قوم هذا القرنان من الجرى وغدا باكر النهار يصبحه عنتر أوشم صباح ويعفر خده ويلعن أباه وجده وهذا ما جرى له وأنت ما عقدت عقدة النكاح فلو كان جرى ذلك ما كان يصبح عليه الصباح

قال فهذا ما كان منهم وما جرى لهم من الخبر وأما ما كان من أحوال أبى الفوارس عنتر وبسطام وأصحابه الكرام فانه لما عاد من الحرب والصدام فنظر بسطام القتلا بين يدى عنتر على الارض مفروشه ودماؤهم على الثرى مطروحه فتعجب من ذلك وضحك والتجاه يا أبا الفوارس كلما أردنا نحمل عنك الاثقال وتخفف عنك الاحوال كنت أنت الى المكرمات اسبق فلا زلت أبدا الدهر مسعودا موفق فشكره عنتر وأثنى عليه وبشره بالنصر والظفر وعا تقربه عينيه فقال له بسطام اى شىء قولك يا أخى فى كبستهم تحت الظلام ونمكن منهم الحسام فقال عنتر ليس هذا صوابا لانهم قد أبصرونا فى النهار وعلموا أننا فى قلة وهذا الامر الذى تقول عليه ما يتفق الا من يشارف العداليلا ويهجم عليهم بالجملة ويصيحون عليهم ولا يختلطون

بل يلزمون جوانبهم ويتركوهم يقتل بعضهم بعضا قال ثم انهم مازالوا على ذلك الايضاح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وأنا وأنتم نصلى على صفوة الكريم الفتاح وانكشف ذيل الدجا وتنفس الصبح مبتلجا وصاح أنس بن مدركة فى بنى خثعم وغاص فى الحديد وتسربل بالزرد النضيد وركب جواده وبقى عليه كانه البرج المشيد وقصد الى الميدان يطلب ثار ابن عمه مبادر من عنتر وبنى شيبان فعند ذلك قال الامير بسطام بالله عليك يا أبا الفوارس دعنى أبرز للقاء هذا ابن اللئام المعجب بنفسه المتكبر على أبناء جنسه فقال عنتر لا يا أخى بل أنا له حتى يشتفى منه قلبى لانى أرى الشجاعة لائحة من بين عينيه والفروسية تشهد على عطفيه والصواب اننى أنجز أمره وأصرم عمره واذا رأته بنو خثعم وهو من سيفى قتيل فتنقطع قلوبها ويحل بها كربها ثم انه نزل الى الميدان وقصد أنس وعيناه تشعل فى رأسه مثل القبس هذا وأنس يلتفت الى أعطافه ويميز أطرافه ويجر رمحه خلف ظهره وهو سائر ينشد ويقول

رموحى ضرب جمجمة وصدرى * وكاسى صارمى لا كاس خمر
وشربى من دم الابطال صرفا * على النعمات من بيض وسمر
وقد اضحت نشوانا بصرف * أحس على حشاى لهيب جمر
أنا أنس بن مدركة المسمى * مبيد الدارعين بغير نكر
ولى قلب قوى فى طلابى * لقا الابطال اعلم ثم أدر
ولبسى فى المعامع من حديد * وسيفى حده للعظام يفر
وهذا اليوم أترك عبد عبس * جديلا فى الثرى ينهشه نسر
واحظى بالفخار على البرايا * بقتله ويعلو الآن ذكرى

(قال

28

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلامه وشعره ونظامه تعجب من عظم حيله وكثرة عجبه وقلة عقله فصاح فيه و يلك يا ابن الالاف قرنان أما سمعت ما قد جرى على غيرك من الفرسان عند ذكر عبلة سيدة النسوان وأنت تطلبها حتى تحرق بنارها فقال له أنس يا عبد السوء وابن اللئام أنا قد سمعت بحديثك قبل هذه الايام وعلمت انك عبد راعى الجمال والاغنام وقتلك جماعة من أوباش الرجال ولا وقع لك فارس يقهرك يا ابن الانذال ولكن اليوم ساقك القضاء والحين حتى أعجل فناك واغمد سيفى فى أعلاك ثم انه حمل عليه وأشار برمحه اليه هذا وعنتر قد زاد عجبه من مقاله وأوسع معه فى محاله وأجابه على شعره يقول

اذا لعب الغرام بكل حرى * جحدت تجلدى وشكرت صبرى
وفضلت العباد على التدانى * وأخفيت الهوى وكتمت سرى
ولا أبقى لعـــذالى مقالا * ولا أشفى العدو بهتك سترى
عركت نوائب الايام حتى * عرفت خيالها من قبل شرى
وذلا لدهر لى لما رآنى * ألاقى كل نائبة بصدرى
وما عاب الزمان سواد لونى * ولاحط الزمان رفيع قدرى
ولولا لون حادى ماخضع لى * بياض الصبح عند سماع ذكرى
اذا ذكر الفخار بأرض قوم * فضرب السيف فى الهيجاء فخرى
وقوم آخرون سعوا وعادوا * حيارى ما اقتفوا أثر الاثرى
علوت الى العلا وسميت حتى * رأيت الشمس تحتى وهى تجرى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من ذلك الشعر والنظام حمل الاثنان على بعضهما حتى ارتجت من ركض خيولهم الارض وأخذا فى الطعان والضراب بالبدان والمقاومة فى الميدان واختلف

بينهما الضرب بالسيف اليمان وصار الغبار فوقهما مثل الدخان فكانا تارة يفترقان وتارة يقتربان حتى تعلقت بهما الآمال وامتدت اليهما أعناق الرجال وحامت عليهما طيور الآجال واختلفت فيهما الاقوال وتغير لسان الصدق بلسان المحال ومالت فرسان بنى خثعم من فزعها على صاحبها لانه كان حاميها ودافع مصايبها وتأهب بسطام وبنو شيبان الى لقاء الابطال ومعوية يقول لهم يا بنى عمى انصحوا اليوم فى القتال لانه ان تم اليوم على عنتر أمر من الامور فما فينا من يرجع الى أهله بل يكون هنا مقبور (قال الراوى) وأما عبلة فصارت تنادى من وسط الاسارى بأعلا صوتها المعهود يا ابن العم لا أعدمنى الله شخصك ولا جرت دمعة لفقدك فاجتهد فى اهلاك خصمك وأظهر فيه قوتك وعزمك وخلص جارية قد ساءت أحوالها وقتلت رجالها وعاندها زمانها وجفتها أوطانها (قال الراوى) فلما سمع عنتر حسيسها على بعد فصاح فى خصمه وعاركه وصادمه وأتعبه وأكربه وتعلق باذيال درعه وجذبه وأخلع رجله من الركاب ونخس جواده الذى تحته كاد أن يمسك جنبه فخرج الجواد من تحته مثل البرق اذا برق وبقى أنس فى يد عنتر معلق مثل الثوب الخلق فلما رأت بنو خثعم ما حل بصاحبها حملت على عنتر وهانت عليها نفوسها وطلبوا اخلاص فارسهم من يد عنتر فعند ذلك حمل بسطام فى العشر فوارس الذين معه من بنى شيبان وزعق فيهم زعقة الاسد الغضبان وطعن فى صدور الفرسان وبدد الاقران والشجعان وجعل ينادى يا أبا الفوارس احفظ أنت أسيرك أو اقتله وأنزل به العدم وأنا أكفيك مؤنة بنى خثعم وأسقى أبطالهم كؤس النقم (قال الراوى) وكان عنتر

قد تمكن من خصمه وأراد أن يكتفه فعافره أنس بطاقة جهده وأراد الخلاص من يده فضربه عنتر بالحسام على كتفه جرحه جرحاً بالغاً واشغله بروحه ولما صار مجروح وتركه على الثرى مطروح وحمل على الخيل التي مع بسطام وقد طلع الغبار والقتام وصارت الجماجم تحت الاقدام وبطل العتب والملام وقل الخطاب والكلام وبايت بنو خثعم بالبلاء الذي لا يرام لانها لاقت فوارس في الحرب ما لها احكام وارادت الفرار من طعن أحر من النار (قال الراوي) وكان في فرسان ذلك الزمان من يلتقي الالف والالفين من أقوى الشجعان ويكون عليهم رابحا غير خسران فكان الامير بسطام من الابطال المعروفة في ذلك الزمان الا أن عنترا كان فاق على أهل زمانه وكان فريد عصره وأوانه لانه رزق وقت ولادته طالعا سعيد وعطايا من الملك المجيد وقد ذكرت رواة الاخبار أنه كان خلقه الله الملك الجبار وجعله نقمة على جبابرة العرب حتى مهد الارض قدام النبي المنتخب سيد العجم والعرب لانه كان في زمان الفترة وأوان المشيئة والمقدرة فدمر الاقيال وأهلك الابطال من فرسان الجاهليه حتى طلعت في أثره الشمس المضيئه سيدنا محمد خير البريه وتمهدت الاقطار القصيه والدنيه وخمدت لهيبته النار الحميه لما بدت أنواره البهيه قال وبمعجزاته تنكست الاصنام العليه ببيان دعوته الحقيقيه بسيف الامام الكرار والاسد الفرار أبو السادة الابرار الضارب بذي الفقار القاتل رؤس الكفار وسبيع بن الحارث الملقب بذو الخمار وعمرو بن ود العامري رأس الجبابرة الكبار وما يخفى عليكم أيها السادات

الحضار والاخيار ما قتل من الباقين وكانوا بين يديه مثل الذئاب
قدام الاسد المقدار وعدنا الى ترتيب الكلام ولما نظرت بنو خثعم
الى ضرب فارق أمر من الصواعق وطعن يسبق مصايب الايام
الطوارق فانحلت منهم العزائم ونزلت عليهم البوائق
وهانت عليهم الاموال التي صحبتهم والغنائم فتفرقوا في جنبات
الارض مثل البهائم وتبع بعضهم البعض وتفرقوا في جنبات
تلك الارض ومازال عنتر وراءهم في اتبع حتى انهم أبعدوا
في تلك الارض والبقع وقد قتل منهم ثلثمائة فارس وقتل من
بني شيبان ثلاث رجال وعادوا من خلفهم طالبين الاموال
وعبلة وأمها قد أطلقنا عروة وجميع الرجال وخلصوهم
من الاسر والاعتقال وساروا كلهم الى لقاء عنتر ولهم
جلبة وصياح من شدة ما نالهم من السرور والافراح هذا وعنتر
ماله همة الا عبلة والسؤال عنها ولم يزل حتى تقرب منها فلما تقرب
منها ضمها الى صدره وقبلها بين عينيها فقبلته الاخرى في فمه ونحره
وبلا من بعضهما الاشواق وتشاكيا ألم الفراق وقال لها
يا ابنة العم أتفنين أني ما أرى أخبارك وأينما سرتي أقتفي آثارك
وأخلصك من العدا ولو كان ابوك من أهل الظلم والاعتدا فلما
سمعت عبلة بذكر أبيها بكت عليه وقالت له يا ابن العم ان أبي قد قتل
وقد لقي بغيه بين يديه واشتفى منه حاسديه وتركني من بعده
حزينه وافقده يتيمه فوالله لاخلعت عني ثياب السواد ولا
لباس الحداد ولا فرحت في مواسم ولا في اعياد فلما سمع عنتر
من عبلة ذلك الكلام فقال هذا الحساب الذي كنت أحسبه
واحتسبه وأخشى عواقبه هذا وقد قال لها يا منية القلب وحبيبة

الصب

الصب قلى من بكاك واسكتى من شكواك فما أبوك الاطيب وهو فى عافية وخير وهو فى ألف سلام من الهم والضير وقد تركته عند مولاى مالك بن زهير ثم انه حدثه بجميع حديثه وكيف لقاه وهو مطروح وهو مخضب بالدماء مجروح وما فعل فى حقه حتى زالت عنه الكروب وأعلمها انه قد ترك عنده أخاه شيبوب فزال همها وغمها واستبشرت بذلك هى وأمها ثم ان عنتر أنفذ من وقته وساعته من يأتى بأنس بن مدركة الى حضرته فسار عمرو أخو عبلة وعروة ابن الورد وجماعة من بنى عمه الى مكان الوقعة الاولى وطلبوه فما وجدوه ولا رأوا له خبر ولا أثر بل انهم رأوا آثار دمه على وجه الارض مع الثرى (قال الراوى) وكان عنتر لما أرماه على الرمال واشتغل بالحرب والقتال اغتنم هو الفرصه وركب جوادا من الخيل الشارده وطلب وسيع البيدا وهو لا يصدق بالنجا وأما عمرو وعروة فانهم دوروا عليه فما وجدوه فرجعوا الى عنتر وأخبروه أنهم ما رأوا له أثرا فقال عنتر أنا الذى فرطت فى أمره والا عوض ما جرحته كنت قتلته وكنت آمنت من غائلته فقال عروة لا تندم يا ابن العم على ما فات واحسب انك أخذت هذه الاموال فداه لانه أفقر حلل العرب وقاسى عليها كل ملمة وتعب وها قد ساقها الله اليك بلا نصب وهذا كله لانه عمك الدرة اللائحه لانك ما تدخل عليها وتخلى لبدوى فى البر سارحة ولا رائحه فتبسم عنتر من كلامه وقال لهم سوقوا هذه الاموال والغنائم والاسلاب وعودوا بنا الى أرض الرباب الى عند عمى مالك وابن الملك زهير لانى قلبى فى قهر وأنا خائف عليها كثير من سبب من الاسباب فعندها ساقت بنو عبس الاموال

وعنتر بين يديها كأنه الاسد الرئبال وبسطام بجانبه على جواده ذات النسور وعنتر قدامهم ينشد ويقول

صحى من بعد سكرته فؤادى * وعاد لمقلتى طيب الرقادى
وأصبح من يعاندنى ذليلا * أسير الهم لا يهديه هادى
يرى فى نومه فتكات سيفى * فيشكى ما يحن الى الوسادى
ألا يا عبل لو عاينتى فعلى * لبان لك الضلال من الرشادى
فان أبصرت فعلى فاشكرينى * ولا يلحقك عار من سوادى
والا فاذكرى طعنى وضربى * اذا ما لج قومك فى بعادى
طرقت ديار كندة وهى تدوى * دوى الرعد من ركض الجيادى
ففرقت الفوارس فى رباها * بطعن مثل أفواه المزادى
وخثعم قد صبحناها بكورا * صباحا قبل ما نادى المنادى
وخلصت السبايا من شجاع * شديد ثابت يوم الجلادى
غدوا المارقا من حد سيفى * دبيب الموت فى الارواح بادى
أنا ابن زبيبة وعلو مجدى * يفوق على الحواضر والبوادى
ولى مجد علا فوق الثريا * وسعدى يخرق السبع الشدادى

(قال الراوى) فلما سمع بسطام هذا الكلام والشعر والنظام من عنتر البطل الهمام قال له يا حامية عبس لقد كملت المعانى والفصاحة والشجاعه والبراعة والفروسية والرجاحه ثم انهم جدوا فى المسير حتى أمسى المساء وأخذوا الراحة للصباح فرحلوا بعدما ولى الظلام وجدوا فى المسير حتى أشرفوا على أرض الرباب وتلك الروابى والهضاب وأبصر شيبوب غبارهم فانحدر اليهم مثل العقاب الى أن التقى بهم ففرح بسلامتهم نهناهم بالسلامه من الهلاك والندامه وقد رأى معهم الاموال والخيرات

والدوال

والنوال فسألهم عن أحوالهم وماتم لهم وماجرى عليهم فاعلموه بقصتهم وماتم لهم فى غيبتهم هذا وقد سأله عنتر عن عمه مالك لانه قد تركه هالك فقال يا ابن الام ماهو الا قد انصلح وطاب وصار يقوم ويقعد ويأكل الطعام ويشرب الشراب وكذلك صديقك مالك فان جرحه ما أعاقه عن الركوب فى البيدا ففرح عنتر بسلامتهم من الاذى والردى ثم انهم ساروا الى وسط المرج وقد التقى بعضهم بعضا ودارت فرسان بنى عبس بمالك بن زهير وهنوه بسلامته مما كان فيه من الهم والضير وأما مالك أبو عبلة فانه التفت الى ولده عمرو وقال له والله يا ولدى ما بقى لى لسان يصف احسان عنتر معاله على من الجميل والاحسان والفضل والامتنان وان أضمرت له شرا بعد هذا اليوم ما اكون الا خوانا ذليلا مهان ثم انه تقدم الى عنتر وقبل يديه وشكره وأثنى عليه وجعل يمدحه بهذه الابيات

انظر الى قدمى قد غدى دامى * وجود حملك على المرتقى سامى

وأنت عنترة الفرسان فى رهج * يوم الحروب فكم أهلكت خصامى

لله درك اذا اسود القتام ضحى

وأصبح السيف أحمر من دما الهامى

أبو الفوارس يا ابن الاخ قد ظفرت

منك العفاف بطلق الوجه بسامى

أوجدتنى بعدما قد كنت فى عدم

وجدت وأبدلت بالنعماء انعامى

أحييتنى بعد موت كنت ذائقه * من الجراح ومن ضر وآلامى

لاشكرنك فى سرى وفى علنى * بين الانام وفى أهلى وأقوامى

لا زلت فى كرم بالخير فى نعم * والخصم فى ندم من ضربة الصامى

(قال الراوى) فلما فرغ مالك من ذلك المقال أثنا عليه جميع الرجال وقد قال له الامير بسطام اعلم يا امير أن من عادى ذلك الاسد العادى ماله عقل ولا رشاد فقال عنتر يا بسطام وحق من خلق النهار وخصه بالضياء والنور ويعلم ما توسوس به الصدور لو ملكت جميع ما فى اقطار الدنيا من الاموال ما كنت الا عبدا لهذا الامير المفضال ان طردنى أكرمته وان أبعدنى قربته وبالغت فى خدمته وان هذا المدح الذى مدحنى به فهو أولا به منى ومازال على مثل ذلك المقال حتى شكروه جميع الرجال وقد تعجبوا جميعهم من مروته وأثنوا على مقالته وقد باتوا فى ذلك المكان وأصبحوا راحلين يطلبون الديار والاوطان هذا وعنتر اقتطع من الغنيمة قطعة جيدة وأوهبها للامير بسطام وقال له اعلم يا أخى أنك غمرتنا بجودك والاحسان فخذ هذه قسمك واطلب ديارك ورسمك فقال بسطام كيف أسير الى ديارى وأنت ما انقضى شغلك ولا دخلت على بنت عمك فقال عنتر يا أخى وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب وحق الملك الديان لا دخلت بها حتى تحضر أنت وسائر بنى شيبان ان مكننى بذلك الزمان ودام عمى على ذلك الحال ما أقر أفاضحة فى ذلك القيل والقال حتى انه يعود الى الصحة والسلامه وتذهب عنه هذه الكرب والندامه واذا انقبز الامر وذهبت العوائق أنفذت خلفك حتى تحضر أنت وجميع الاصدقاء من الخلائق ثم انهم ودع بعضهم بعضا وسار كل منهما فى ناحية من الارض وجد عنتر فى المسير فى تلك الوديان حتى وصل الى ديار

بنى

بنى عبس وعدنان فعند ذلك قال له مالك بن زهير يا أبا الفوارس الرأى اننا ننفذ أخاك شيبوبا يعلم قومنا بقدومنا حتى يخرج أبى وسائر بنى عبس الى لقائنا لانى أعلم ان أخى شاس قد وصل وأعلم أبى بما جرى لنا مع الاعداء الارجاس وأخبره ان عمك لزم معك اللجاج بشؤمه ومكايدته وأعلمه أنك مضيت مع بسطام الى حلته وأنا أعلم أن عمارة واخوته يفرحون بهذا الكلام ويطمعون فى أخذ عبلة والسلام واذا وصل شيبوب وأخبره بقدومنا تتبدل أفراحهم أتراح ويحصل لهم الضيق بعد الانشراح فعلم عنتر ان قوله صواب وانه أتى برأى لا يعاب فأعلم أخاه شيبوب بذلك فطار كأنه عقاب (قال الراوى) وكان الحساب الذى حسبه مالك صحيح ولا فيه زور ولا تواليج لان اخاه شاسا لما فارقه وهو فى نصف الجيش وقد جد بطلب الحلة غيظا من مالك أبى عبلة فصار حتى وصل الى الديار ودخل على أبيه المفضال وأعلمه بما جرى من هذه الشدة وما فعل عنتر فى بنى كنده وكيف قتل مسحل بن طراق وشتت شمل قومه فى الآفاق وكيف أخذ عمه مالك وولده عمرا فى الوثاق وكيف قال مالك انه ما يسلم ابنته اليه الا أن يقتل وتؤخذ مسبية بعد حيات عينيه وكيف شرط عنتر على نفسه أنه لا يطلبها منه ولا يزوجها بغيره ولا يقيم فى بنى عبس الا بأمره وقص شاس على أبيه ما جرى لاخيه مالك فى أرض الرباب من الامور والاسباب (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير من ولده ذلك الكلام زاد همه وكثر غمه وقال وحق باسط المهاد ورافع السبع الشداد لا زال مالك بن قراد ملازم اللجاج والعناد حتى يفرق شمل العشيرة ويشمت بنا الاعداء والحساد

ولابد ما تصل أذيته الى سائر العباد ثم أقام الملك زهير ينتظر مالك ولده ثلاثة أيام فما بان له خبر ولا جلية أثر فساء ظنه فيه وحرم على نفسه لذيذ المنام وقال لشاس ولده لا يكون قد جرى لاخيك أمر من الامور وأنت كاتم عنى خبره فقال شاس أبشر يا أبتاه بالخير والسلامه فوالله ما فارقته الا وهو على غاية من الكرامه وما أقول تأخره الا له سبب وربما أن يكون مالك أبو عبلة أخذ ابنته وهرب فقال الملك زهير والله انك قد أسأت التدبير وفرطت فى أمر أخيك كثير فبينما هم فى مثل هذا القيل واذا بالمنهزمين قد وصلوا اليه وتمثلوا بين يديه وأعلموه بما جرى عليهم من أنس بن مدركة فى أرض الرباب وأعلموه بما جرى عليهم من الامور والاسباب وأخبروه ان ولده مالك فارقهم فى طلب الصيد والقنص ولم يدر ما تم عليهم من الغصص فزاد بالملك زهير الوسواس وحرد على ولده شاس وقال له نادى فى الفرسان وأنذر جميع الشجعان حتى نسير الى أرض الرباب وننظر آخر هذا المصاب لئلا يتم عليه سبب من الاسباب (قال الراوى) وكان عمارة بن زياد حاضرا عند ذلك ففرح بهذا الخبر لانه سمع بغضب عنتر فقال لاخيه الربيع الآن تمكنت من عبلة ونلت ما كنت أريده من زمان لان هذا الاسود ما بقى يعود من بين شيبان فقال الربيع يا عمارة ما أنت الا رجل كثير الاطماع ولا تزال فى هذا اللجاج حتى ترمينا فى كثرة المصايب والنزاع هذا وبنو عبس قد أمرهم شاس ان يتأهبوا للمسير كما أمره أبوه كبيرهم والصغير والعبد منهم والامير فعند ذلك تتابعت منهم الفرسان وغاصت فى الحديد والزرد

33

جميع الشجعان وركبت وعلى المسير عولت فهم كذلك واذا قد أقبل شيبوب وهو مثل الريح الهبوب فنظر الحى وهو فى انزعاج وهوج وارتجاج فقال ما الخبر وأى شيء الذى جرى وتدبر ثم سار الى نحو راية الملك زهير وقد نظرته الرجال وطلبته الخيل وقالوا له ويلك يا ابن السوداء أى شيء معك من الخبر فقال وصل مولاى مالك وأخى عنتر فلما سمعوا ذلك منه فرحوا واستبشروا وساروا حتى أشرفوا على بعضهم فى أواخر النهار فالتقت الجميع عند الصباح وقد زالت عن الوجوه الاتراح واعتنق الملك زهير ولده وقد هدأت نيران كبده لانه كان يحبه أكثر من اخوته وعاد الى عنتر فرآه قد ترجل لخدمته وقد تقدم اليه وباس رجله فى الركاب فشكره الملك زهير وقال له يا أبا الفوارس قد هجرت الخلان والاصحاب وقطعت الزمان فى الشقاء والحرمان وهانت عليك الامور وبعدك عن الاوطان فحدثه مالك بما جرى له من العبر وكيف ان عنتر أفنى بنى خثعم بسيفه الضامى الابتر وأخذ غنائمهم والبدر وكيف خلص الاسارى من الضرر والقصة التى جرت لهم فى وادى الرباب وما جرى من الامور والاسباب وبعدها نزل الجميع فى هذا المكان وفرحت الاخوان بالاخوان (قال الراوى) ولما أقبل النهار رحلوا طالبين الديار وحصل لهم الفرح والاستبشار الا انه ما نزل عنتر حتى فرق من الغنيمة الاكثر واغنى عروة ورجاله وقسم الباقى على أبيه وأعمامه وسارت عبلة الى بيتها وفرحت بها أهلها وصحبتها وكان لها جارية اسمها رابعه كانها الشمس الطالعه وتلك الجارية سمرة حبشيه وكانت تحبها عبلة محبة زائدة من دون امائها

لانها كانت أخذتها عبلة من قسمها لما فرق الغنائم ابن عمها وكانت اجتمعت بها عند أنس ابن مدركة مسبية فوجدتها فصيحة اللسان كاملة المعانى والعرفان فتسلت بها عبلة مما قاست فى بلاد الغربه وصارت عندها أعز من أهلها والاحبه وقدحبها الامير عنتر لاجل محبة عبله (قال الراوى) ولما اجتمع الجميع بأرض الشربه والتقت الاحباب بمن لهامن الاحبه وقد فرحت الاخوان بلقاء الاصحاب وطاب لهم الطعام والشراب وصار عنتر كل يوم يتردد بالدخول والخروج والنظر الى وجه عبلة والنزهة على الغدران والمروج (قال الراوى) وأما عمارة بن زياد فانه وقع على فراش الاسا وزاد عليه الهم والعنا ولما طال عليه الحال جاءته أمه وقالت له ياولدى أخبرنى عن حالك وأى شىء الذى غير أحوالك عسى أجد لى سبيلا على دفع أعلالك فقال لها ياأماه مرضى وسقمى وذلى ومابى من العبر سلامة هذا العبد الولد الزنا عنتر لانه قد عاد سالما ومعه هذه الاموال والغنائم وعمه قد ذل له ذل العبيد وحبه بعد العناد الشديد وقد عول عند خروج سقمه مما هو فيه يزف عبلة عليه وأنا أموت بحسرتها وان هذا الامر عظيم يترك المعافى سقيم كيف أكون أنا عمارة بن زياد واخوتى ستة أجلاد ولا نقدر كلنا على عنتر عبد شداد قال فلما سمعت أمه مقاله بكت على أحواله وقالت له من أين لى وصول بعبلة كنت أوصلها اليك ولو كانت روحى التى بين جنبى لخلعتها عليك وان عنترا ياولدى ما بقى يعادى لكثرة أحبابه وعظم شأنه وغالب فرسان العشيرة صارت أعوانه فقال عمارة ياأماه ائتنى بأخى الربيع لعل ان يكون لى على يديه فرج سريع فعند

34

ذلك سارت وماغابت الاشيأيسيرا وجاءت ومعها الربيع وهو
معهايسير فشكى اليه عمارة مايجده وشرح له قصته وماجرى
من بليته فعندها بكا الربيع ونتف لحيته وقال له ياويلك اى
شيء أفعل فى عنتر ياويلك اترك عنك هذا اللجاج فمابقيت أقدر
لك على انفراج ولا أزيل عنك هذه الكربه ولا أقدر أعاند رب
السماء الذى بلغه هذه المنزلة والرتبه لان كل القبائل اليوم معه
وتسمع قوله وتتبعه وانا فى قلبى منه أشد مما فى قلبك له ولكن أنا
أحمل منك واجلد واصبر على هذه الامور المقضيات وها أنا صابر
حتى أقتطوله الفرصيات ونقدر على هلاكه بأى الحالات فقال
عمارة كيف أصبر ياأخى على هذه الامور وأعانيها وعنتر كل يوم
يصابح عبلة ويماسيها ويتلذذ منها بالكلام والاجتماع ليلا
ونهار ولوكانت قتلت هذه اللعنا فى بعض المهمات التى وقعت فيها
كنت استرحت من هذه الامور ولا اعانيها وصرت أنا وعنتر
بالسوى والآن ياأخى بقلبى من أجلها علة مالها دوى فقال له
الربيع ان كان قصدك قتل عبلة أنا أعمل لك على هلاكها وفناتها
وأنا أعلم أنها اذا هلكت هلك عنتر وراءها ثم انه قام من وقته
وساعته ودخل مضربه وبات يتفكر فى خداعه ومصابه حتى
انجلى الليل وغابت كواكبه (قال الراوى) ولما أصبح الله بالصباح
وأضاء الكريم بنوره ولاح جمع عبيده واماءه واجتمع بهم
سرا بينهم وقال لهم هل فيكم من له خلطة بعبيد بنى قراد وامائهم
حتى كنت أبلغه منهم المراد فقال له بعض العبيد أنا يامولاى تحبنى
فائقة أمة عبلة محبة صادقة وتموت فى هواى وتطلب رضاى وأنا
ما التفت اليها الاجل ما بينك وبين بنى قراد من البغضاء والعناد

وخوفا على نفسى من عنتر بن شداد فقال له الربيع لاتخاف
من أحد من العباد مادام مولاك يحفظك من الاعداء والحساد
ومن اليوم أظهر لهذه الجارية المودة والمحبة وان أطاعتك هاتها
الى أبياتنا وادخل بها فى حيناحتى أقول لك ماتفعل ويظهر لك بعد
العمل فأجابه العبد بالسمع والطاعه وسار من هذه الساعه بعد
ما أعلمه أنها تحبه محبة عظيمة وقد قالت لى ألف مرة خذنى واهرب
بى الى بعض أحياء العرب حتى آتيك بشىء كثير من الفضة
والذهب وآخذ جميع مال مولاتى عبلة وأعيش به أنا وإياك
عيشة الهنا فما رضيت أنا بذلك خوفا منك ومن عنتر ان يسقينى
كأس المهالك قال فلما سمع الربيع ذلك الخبر فرح واستبشر
منها وعلم ان الامر قد تيسر فقال له سر وهاتها الى أبياتنا وأنا أبلغك
المنا وان أردت أشتريها لك بالكليه وأعتقك من رق العبوديه
فعند ذلك سار العبد الى أبيات بنى قراد واجتمع بالجارية وأشار
عليها بالمسير الى ابيات بنى زياد فأجابته الى ذلك كى تبلغ منه
المراد ومازالا سائرين الجميع الى أن أقبلا الى بين يدى الربيع
فلما رآها الربيع فى أبياته انطفت نيران زفراته قال وكان
الربيع نصب لها خيمة لطيفة الابريسم وحط عندهم الطعام
وأكثر لهم من الشراب والمدام وأمر العبدان يخلو بها فكان الامر
كما ذكرنا واجتمع العبد بمعشوقه وكان لهم ساعة من الكدر رائقه
فأكلوا وشربوا ولذوا وطربوا والتصق زيد بعمر وتم الحال وقضى
الامر وكان عندهم هذا اليوم من غاية الافراح ومازالوا كذلك
من المساء الى الصباح وأحضرهم الربيع بين يديه وقد
قرت بذلك التعريض عينيه وأشار بالخطاب الى الجارية وقال

لقد

لقد قصرنا اليوم في اكرامك بالفايقه ولكن الايام بيننا متتابعه
ولا بد ما أشتريك من مولاك وأقر بذلك عيناك وأزوجك بهذا
عبدي وانه عندي أعز من ولدي لماله علي من الخدمة فقالت له
الجارية يا مولاي أنا أمتك وامة عبدك واني مطيعة له ولك في جميع
امرك ولو قال لي أقتلي نفسك لفعلت ذلك بغير انكار وأطيعه في كل
ما يحب ويختار ففرح الربيع بقولها وقد أعجبه مقالها وعلم
في نفسه أن حيلته تمت ولا بقي كلام وقد بلغ من عنتر وعبلة المرام
(قال الراوي) وكان لربيع المحتال الخوان صديق من بني شيبان
يقال له مفرج بن هلال ولما ان دبر الربيع ما دبر من القنص والابرام
أرسل الى صديقه هذا مفرج يقول له ارسل لي من عندك عشر
فوارس يكونوا اشداد اعيان حتى أرسل لك معهم وديعة تعز
علينا وانها لا تقاوم بأموال وكان رسوله عبدا من عبيده الانجاد
فسار وسلك البر والمهاد الى أن وصل الى مفرج بن هلال
وأعلمه بذلك المقال فأجابه الى ذلك الشان وأرسل معه عشر
فرسان مع ابن عم له يقال له سنان وقال لهم سيروا أنتم الجميع
مع هذا العبد الى صاحبي الربيع ومهما أمركم به افعلوه ولا تخالفوه
فأجابوا بالسمع والطاعه وساروا مع ذلك العبد في تلك الساعه
وما زالوا يجدوا المسير في ذلك البر والهجير الى أن وصلوا الى منازل
بني عبس وكان ذلك عند غروب الشمس فأنزلهم العبد في مكان
خالي من الرجال وسار الى مولاه يعلمه بذلك الحال فأدخلهم
الربيع الى أبياته ليلا وأكرمهم غاية الاكرام وقدم لهم الطعام
والشراب والمدام وأكرمهم هكذا ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع
قال سنان للربيع أين الحاجة التي دعوتنا اليها فقال سوف

أطلعكم عليها ثم انه خرج من عندهم وأحضر عبده الاصلي وأمره بحضور الجارية فائقه فسار العبد وأحضرها وقد كانت له موافقه ولما بقيت بين يدي الربيع صنع معها من الاكرام في ذلك اليوم أحسن صنيع وقال لها بعد ذلك اني أريد منك يا فائقة ان تقضي لي حاجة ولا أريد منك سواها وأنا أضمن لك عتق رقبتك وأبلغ نفسك مناها ثم تقدم اليها وقبل رأسها وبكى بين يديها وأقسم عليها بحياة معشوقها أن تقضي له حاجته التي دعاها ولا تخالفني فيها فقالت له يا مولاي قل عليها وأعلمني بحاجتك التي أقضيها حتى أبلغك اياها ولو كان فيها اتلاف مهجتي وهلاكي وموتي فقال لها اعلمي ان أخي عمارة قد أشرف على الهلاك وسوء الارتباك ولا بقي له من الموت فكاك وكل يوم أدخل عليه وأقول له ماذا تريد فيقول لي ما أريد الا نظرة من وجه عبلة ابنة مالك حتى أتمتع بها قبل خروج روحي من بدني ووقوعي في المهالك فقالت له الجارية يا مولاي هذا هين على أمثالك غير عسير ولا بد ما أخلي أخيك يتمتع بها قليلا وكثير فقال لها وكيف عولتي ان تفعلين من التدبير فقالت له اعلم أن مولاي عنتر يقيم كل ليلة في أبيات مالك بن زهير ولا يأتي من عنده الا في ثلث الليل الاخير وأنا أقول لمولاتي عبلة ان ابن عمك عنتر يقول لكن الليلة أطلعي للغدير حتى نتكلم معك بما تجدد من الكلام اليسير فاذا اطلعنا من الابيات وسرنا الى الغدير فيكون أخوك عمارة تزيا بزي العبيد ويأتي الينا وقد بلغ ما يريد (قال الراوي) فلما سمع الربيع كلامها تبسم وقال ان الامر قد احتجت لكم ثم أظهر الفرح والطرب وأخرج لها من عنده دملج ذهب وقال لها

36

خذى هذا حلا وتلك فامتنعت الجارية من ذلك وقالت له يا مولاى ماهنا امر يوجب لهذا الشان وان كان هذا من بعض المعاملة والاحسان فاتركه لى عندك على سبيل الوديعة لانى أخاف أن يسالنى مولاى عنه وما أدرى ما أقول ثم انها انصرفت من عنده وعاد الربيع الى فرسان بنى شيبان وأعلمهم أن الجارية قد انعزشغلها وقال لعبده خذهم وأكمن بهم فى جانب من الغدير واذا رأيت عبلة قد وصلت أريهم اياها فقال سنان وماذنب هذه الجارية يا ربيع فقال انها زانيه وفى فعلها خائنه وأريد أن تاخذوها معكم الى الديار حتى أجىء اليكم وتخفى منها الآثار لانى أردت قتلها فى بلاد بعيدة لينكتم حالها عن أهلها وما يحتاج أن أصف لكم ما فيها من الحسن والجمال والقد والاعتدال والملابس الغوال فعندها سار سنان وأصحابه للغدير وما أكمنوا فيه الا شيأ يسير واذا بعبلة قد أقبلت هى ومن معها وكان السبب لمجيئها الامة خائنه لانها لما عادت من عند الربيع دخلت على مولاتها وقالت لها اعلمى أن مولاى عنتر قال لى اطلعى ببنت عمى الليلة الى الغدير حتى أتكلم معها قدر شىء يسير فلما سمعت عبلة هذا الكلام صدقت وسارت معها رابعة المقدم ذكرها وهى كانت لا تفارقها فى سيرها ومقامها فلما وصلت الى الغدير وأرادت الراحة من ألم المسير واذا بالعشر فوارس قد طلعوا عليها وصاح فيها سنان أرعبها وجذبها من يدها وشالها وأردفها وراءه فى شىء يسير ونزل بعض الفرسان وكتف رابعة وفائقة وطرحهم على جانب الغدير وسار سنان ومن معه بعبلة حتى وصلوا الى ديارهم فهذا ما كان من عبلة وما جرى من ذلك الامر النكير

وأما ما كان من عنتر الاسد الشرير فانه ما زال عند مالك بن زهير كما جرت له بذلك العادة الى ثلث الليل الاخير وسار واخوه شيبوب فى ركابه الى أن وصل الى أبياته وأراد أن يخرج ما به من الزفير بالنظر الى عبلة ووجهها المنير فلقى لها فى أبياتها خبر ولا وقع لها على أثر وفى عاجل الحال شاع الخبر بفقد عبلة من الحلة وسمع بذلك الصغير والكبير وان عنترا كان فى تلك الليلة مخمور فانتبه وقد غاب عنه الفرح والسرور وهو يقول ويلكم ما الذى جرى عليها وأين غدت من أبياتها ومضاربها وفارقت أهلها وحبائبها فقال أبوها ما أدرى ما الذى جرى عليها وما فعل الزمان بها وما كأنها الا طارت من خدرها وانهتك بين الرجال سترها وما أدرى ما أصابها ومن أخذها من خلف حجابها ثم انهم تحركوا على ظهور الخيل وطلبوا الغدير وعادت الخيل من كل جانب تسير ولما وصلوا الى جهة الغدير والبنات فرأوا رابعة وفائقة مكتفات فحلوا صياحهم ونزلوا حلوهم من كتافهم وسألوهم عن أحوالهم وما الامر الذى أوجب اتلافهم ومن أخرجهم الى هذا الغدير وأين مولاتكم عبلة وأى شىء هذا الفعل النكير فقالت لهم رابعة أما مولاتى عبلة فقد أخذها ركاب الخيل وساروا بها من أول الليل وطلبوا بها البر والهجير وأما نحن فقد كتفونا كما ترون وأرمونا على جانب الغدير فقالوا لهم ومن هو الذى أزعجكم وأتى بكم الى هاهنا حتى قل عنكم الهنا وقاسيتم ذلك العنا فقالت رابعة يا مولاى ما أزعجنا وأتى بنا الى هذا المكان وأخرجنا من أبياتنا بغير مرادنا حتى ذقنا ذلك الهوان الا هذه الجارية فائقة بنت الشيطان لانها قالت لمولاتى عبلة اطلعى الليلة على الغدير بوعد من بن عمك عنتر

حتى يتحدث معك على ما في قلبه من القهر فلما سمع شداد هذا
المقال صاح في فاتقة وقال لها ويلك يا بنت الانذال ومن قال
لك على هذا المقال فقالت له يا مولاي خذلي من مولاي عنتر
الذمام وأنا أعلمه بما صدر من الاحكام فأخذها شداد الى
قدام عنتر وأعطاها الذمام فقالت له اعلم يا مولاي ان جميع
ما جرى لمولاتي عبلة ولنا من الآلام كان سببه الربيع بن
الاثام ثم انها أعلمته بما دبر الربيع من الكلام وكيف أمر عبده
يأتي بها الى ابياته والخيام وكيف أعطاها الدملج الذهب وأبت
ان تأخذه وكيف أمرها ان تطلع مولاتها عبلة الى الغدير حتى
يراها أخيه عمارة الطضير ليعاين بنظرها ما بقلبه من الزفير ثم انها
أخبرته بما تقدم من الاحكام والاعادة ما فيها افادة والسلام
فقال عنتر يا الخنا وانت على شأن هواك وغرضك تطلعي بمولاتك
وتوقعيها في المهلاك وسوء الارتباك ولكن وحق ذمة العرب
الكرام لولا ما صدر لك مني الذمام لحلقت رأسك بهذا الحسام
ولكن قتلك ما يشفي لي غليل وأنا أعلم ان هذا آخر العهد بيني
وبين ابنة عمي عبلة ولولا هيبة الملك زهير نسل الاجواد لبذلت
سيفي هذا في بني زياد وأجعلهم احدوثة بين العباد فبينما هم
في هذا الكلام واذا برسول الملك زهير قد وصل اليهم وأعلن
بالسلام عليهم وكان الخبر قد وصل اليه بما جرى لعبلة من السبي
والانهتاك وسوء الارتباك ولما وصل العبد اليهم قال لهم يا موالي
أجيبوا ملك العرب زهير بن جذيمه صاحب الافعال الحميدة
العديمه فتواثبت فرسان بني قراد وسارت الى عند الملك زهير
وجلسوا على قدر مراتبهم بعدما أعلنوا بالسلام عليه وقبلوا الارض

بين يديه فقال لهم يا بنى العم ما الخبر وأى شىء الذى تم لابنتكم من الهم والضرر فقال مالك أبو عبلة يا ملك أى شىء الذى نقوله من الهم والانكاد فالنا خصم فى ابنتنا الا الربيع ابن زياد فهو الذى فعل معنا هذا الفعل والكياد (قال الراوى) وكان تلك الساعة الربيع حاضرا بمجلس الملك زهير فلما سمع فى حقه هذا المقال أظهر الحديبة والمحال وقال يا بنى الاعمام من قال لكم على هذا الكلام وفعل فى ابنتكم تلك الفعال والهم والانكال فقال مالك قالت لنا جاريتنا التى أعطيتها الدملج الذهب من يدك وبلغت من ابنتنا مرادك وقصدك فقال الربيع يا بنى الاعمام لا تسمعوا فيا كلام أمة ذميمه لانها تعلم ما فى قلوبكم من الاحقاد القديمه فوحق اللات والعزى ما عندى علم بهذه الاحوال ولا ينبغى لى ان أسبى ابنة عمى التى هى من لحمى ودمى وعارها يلزمنى ولكن أنتم معذورون وان شاء الرب القديم ما أعانتكم بهذه الاقوال حتى تظهر ابنتكم ويبان الحق من المحال فقال الملك زهير يا بنى عمى الصواب أن يرحل الربيع الى بنى فزارة ويترك هذه الديار حتى يجمع عنتر بابنة عمه ويبلغ ما يختار هذا وعنتر قد سكر من غير مدام وقد أرسل جماعة من العبيد تكشف له الاخبار وبقى منكس الرأس بادى الحواس ودموعه تجرى على خديه كأنها الانهار وهو فى أسوء حال ولم يرد على أحد مقال ولا كلام وترك الاكل والشراب ثلاثة أيام ولا عاد يخرج من الخيام وصارت أولاد الملك زهير حيارة من شانه وسائر أخوانه وأعوانه ولا طاب لهم عيش هنى لاجل همه وغمه وهم يشاغلوه بالكلام ويقولون له والله يا أبا الفوارس ما جرى على أبو عبلة وأخيها وأمها مثل ما جرى على

ذلك قال صدقتم يا موالي لانهم ما يريدون حياتها من أجلي (قال الراوي) ولما ازاد به الامر دعا بأخيه شيبوب فحضر بين يديه وهو من أجله مكروب ولما نظر اليه ودمعه مسكوب كاد قلبه أن يذوب فقال له عنتر أدركني يا أخي قبل أن أذوق الحمام وأنهض واقطع البر والا آكام لعلك ما ترجع الا بخبرها عسى انك تطفي ما بقلبي من لهيب فراقها ثم انه أنشد وقال

شيبوب ويحك ما ترق لحالي * فقدي لعبلة زادني بلبال
أصبحت مسلوب فؤادي موله * ابكي بدمع زائد هطال
فلاهجرن النوم بعد فراقها * ولاكثرن الوجد والبلبال
حتى يرق لي الحمام اذا بدا * حزني ويسعدني على أعوال
ولاجلها ماعدت اركب بحرا * أبد الاجل مسرة الاقوال
أترى بعود الشمل يجمع بيننا * حتى نسر بغاية الآمال
ياعبل هل بعد الفراق تلاقيا * أم في الكرى أحظى بطيف خيال
ياعبل هل من مسعف أو مخبر * عنك ويسمع قصتي وسؤال
أما يبشرني بحسن سلامة * أوان يعذبني لعظم نكال
هذى فعال بني زياد لانهم * أهل النفاق بقية الانذال
فلسوف أبلغ منهموا كل المنا
بالسيف واقطع منهموا الاوصال
شيبوب أخي انهض سريع ولا تقف
واكشف خبر عبلة مع الاحوال
مالي سواك تسير تكشف كربتي
في مهمة الاوعار والاجبال

واقصد الى حلل القبائل واقتفى

أخبار عبلة واكشف الاحوال

واقصد الى أرض العراق عساك ان

تلقى بها الا الوحدى غير حال

لا طاب لى عيش هنى ء بعدها * حتى تبشرنى بحسن مقال

(قال الراوى) فلما سمع شيبوب كلام أخيه عنتر ونثره ونظمه سار من وقته وساعته يكشف أخبار عبلة يقع له كلام واما ما كان من الربيع بن زياد فانه امتثل قول الملك زهير ورحل من أرض بنى عبس عند طلوع الشمس ورحل معه أربع مائة بيت ممن يغرض له ويرافقه على عداوة عنتر بن شداد وخاف الربيع بن بنى قراد لانه رأى قلوبهم عليه ملآنة أحقاد ومازال سائرا يقطع البر والمهاد حتى وصل الى بنى فزاره الطائفة الغداره فالتقى به حذيفة بن بدر واخوته حمل ويزيد وحنظلة وقد كانوا بالقوه لما يعلموا منه انه معادى عنتر بن شداد (قال الراوى) وكانت بنو فزارة تنكره عنتر العلو مجده وما ظهر منه من تشييد المناقب وكيف جعل فرسان بنى عبس فى أعلا المراتب وكانت عرب هذا الزمان يحسد بعضهم بعضا على علو المنزلة قال ولما وصل الربيع الى حيهم استقبلوه وأكرموه اكراما زائد الوصف وبقى عندهم أحسن من القبض والصرف وبعدها سألوه عن بنى عبس وعدنان وذى شى ء رحل من الاوطان فأخبرهم بما جرى لعبلة من الضيعان وكيف تهدوه بها بنو قراد وكاد السيف أن يقع بينهم والعناد وكيف أمره الملك زهير برحيله الى هاهنا وترك العناد فترحبوا به وأكرموه غاية الاكرام وأقام الربيع عندهم مدة عشر من الايام وقال

39

فى نفسه رب اسعد هذا الولد الزنا يغلب سعدى ويسير أخوه شيبوب
فى طلب عبلة بنت مالك ويلتقيها فى بنى شيبان ويعود الى أخيه
يخبره بها ويسير فى طلبها ويخلصها مما هى فيه من الهوان وتقول له
عما صدر منى من الامر والشان وأبقى عنده فى غاية النقصان
والرأى اننى أسير اليها وآمره فرجا بقتلها واقسم بينى وبينه أموالها
وما كان عليها من الجواهر والمرجان (قال الراوى) ولما خطر
بباله هذا الخاطر أخذ الآن من حذيفة واخوته ثم اعلمهم انه
سائر الى الملك النعمان يهنيه بالملك الذى صار فيه ويأخذ منه
الاحسان لانه أخبرنا كم انه تولى الملك بعد أبيه (قال الراوى)
ولما استأذنهم فى السفر فأجابوه الى ما طلب فسار ولم يأخذ معه غير
عبده سالم ولم يزل سائرا يقطع الفيافى والوديان حتى وصل الى
حلة بنى شيبان ودخل على مفرج بن هلال فاستقبله أحسن
استقبال وأكرمه غاية الاكرام ولما قر به القرار وأنست به
الديار سأل مفرج عن عبلة وما كان منها فقال هى عنده مقيمة
فأمره بحضورها فحضرت ولكن بغير ملابسها وكان الربيع
متنكرا حتى لا تعرفه عبلة فقال الربيع لمفرج وأين الاموال
والحلى والحلل الغوال فقال مفرج وحق الملك المتعال ما رأيت
بما ذكرت لى عليها شيأ من النوال وان هذا ما يقدر عليه ملك
من ملوك الزمان ولا يقدر على ما تقول من هذا المقال فحل يا ربيع
عنك هذا الحال فهذه امرأة ضعيفة من أين لها هذه الاموال
والجواهر واللآل فقال الربيع أيها الامير يكون على علمك
ان هذه الجارية ما هى من بنات العرب الجهال هذه عبلة ابنة مالك
ابن قراد وابن عمها عنتر بن شداد الذى عند ذكره تشيب

الاطفال في المهاد وسائر الملوك تتقي شره وتعطي له الغفارة والاموال وان هذه الاموال التي تلك عليها والحلي والجواهر الحسان قد أخذها عنتر من عند كسرى أنوشروان والملك قيصر ملك عبدة الصلبان ومن عند الملك المنذر لما مضى في طلب مهرها فيما تقدم من زمان ثم انه قص عليه الخبر واطلعه على باطن الامر قال فلما سمع مفرج هذا الكلام اندعر وكثر خوفه والفكر وقال يا ربيع أنت صديقي من سنين وأعوام وبيني وبينك صداقة لا تنقضها الليالي والايام فكيف طاب على قلبك ان تخصني بذلك العنقود الحامض والبلاء اللاذب من دون الانام فرحق مائة دهر من الحرارة والانوار لو علمت أن هذه الجارية على هذا الحال ما كنت أنفذت اليك أحدا من الرجال ولا كنت أدخلتها الى أبياتي لوان في يدها موتي وحياتي وانما لما قدم بها ابن عمي سنان الى ها هنا فسألته عنها فقال لي ان هذه الجارية زعم أهلها أنها افسدت مع بعض العبيد ويريد مولاها أن يقتلها بهذا السبب في مكان بعيد بعد ما يعذبها العذاب الشديد حتى لا يأتي من أجلها تنكيد فاحفظها له حتى يأتي اليها يفعل بها ما يريد فظننت أن هذا الحديث حقا وصدقا فتركتها عندي بين النسوان وهي في ثياب الذل والهوان واني الى الآن ما رأيتها ولا وقعت عيني عليها ولا شاهدتها فبالله عليك يا ربيع خذها واكفني شرها وخلصني من أمرها ولا تجاب لي هما وغما بأمرها وسببها فما أنا من رجال عنتر بن عمها ولا أنا أقوى من كسرى ولا من قيصر لاني ما أنا قليل العقل حتى أعادي عنتر لاني قد سمعت بافعاله وسائر اقواله وكيف ذل من أجلها بني زبيد وشتتهم

في القفر والبيد وقتل خالد بن محارب وأقام في حيهم البكاء والنوادب وشتت بني كندة في سائر الآفاق فاق بعد ما قتل مسحل بن طراق وذل بني خثعم في سائر الآفاق فتبسم الربيع من مقاله وقال له أيها السيد العظيم أتخاف من ذلك العبد الزنيم وهو في الاصل لئيم ولا له أب كريم وأنت ملك من ملوك الاقاليم وخادمك مثل الملك النعمان وهو ملك سائر العربان وان جرى عليك أمر من الامور فهو يعينك على هذا الشيطان ولكن أحضر لي ابن عمك سنان حتى أسأله عن الاموال والجواهر الغوال فأرسل مفرج خلفه في الحال فلما حضر سلم وأعلى بالسلام على من حضر فترحب به الربيع وأجلسه الى جانبه ولما ان استقر به القرار سأله الربيع عن الاموال التي كانت على عبلة والملابس الغوال فأجاب ولم يقدر على انكار وقال الجميع عندي وقام وأحضر الاموال الجميع قدام مفرج والربيع وما عدم منهم الا عقد جوهر مثل قص الاظفار يساوي ألف دينار فعلم الربيع انه برطل به الرجال الذين كانوا معه وأوصاهم بكتمان الحال قال هذا ومفرج لما نظر الى هذه الاموال أخذته الحيرة والاندهال وقال والله لقد صدقت يا ربيع لان هذا المال شيء كثير لا يقدر عليه الا ملك كبير ولكن أعلمني كيف يكون التدبير في هذا الامر النكير فقال له الربيع هذا نقسمه قسمين تأخذ أنت نصفه وأنا نصفه ونقتل هذه الجارية ونواريها التراب وقد تمت هذه الامور والاسباب فقال مفرج لقد قلت الصواب ونطقت بالامر الذي لا يعاب ثم ان مفرجا شال رأسه من وقته وساعته الى عبد من عبيده وكان رباه من الصغر وأطلعه على

تخرّ من أمواله والدرر وكان يدخره للشدائد ويطلعه على سائر الاوابد وكان يقال له بشارة بن منيع وكان له فى سائر الامور مطيع وقال له اعلم يا بشارة انى اريد منك الليلة اذا جن الظلام تأخذ هذه الجارية العبسية وتخرج بها من الخيام وتقتلها وتخفيها تحت الرمال واحذر أن يشعر بها أحد من الانام فأجابه العبد بالسمع والطاعه وسار الى ما أمره به مولاه من تلك الساعه واما مفرج والربيع فاخذوا فى شرب الراح والطرب والانشراح هذا والربيع يقول أنا ما بقيت أعود الى الاوطان حتى اننى أسير الى الملك النعمان وأسلم عليه ويبقى لى بذلك حجة أحتج بها اذا عدت الى الاوطان ولا يقال عنى انى غبت هذه الغيبة لمثل هذا الامر والشان فقال مفرج ان كان قصدك ذلك فسر بصحبتى لاننى سائر اليه واتركه يبدل لك الاحسان وما زالوا على ذلك الكلام حتى انسدل الظلام فأتى اليهم بشارة بن منيع واستأذن مولاه والربيع فى قتل عبلة فقال له سر الى ما أمرتك به هذا والربيع صاح عليه وأتاه بسكين ماضية وقال له ذبحها بها واجعلها معك تذكرنى بها طول الدهر والسنين فأخذ بشارة السكين وخرج من عندهم وركب جواده وسار حتى وصل الى مضرب الجورى فأخذ عبلة وأردفها خلفه وسار بها وهى لا تدرى ما يفعل بها ولا ما يجرى عليها وهى تبكى وتسيل العبرات وتلتفت الى البر يمينا وشمال ترتجى مجيرا وناصرا ومعينا يخلصها من تلك الاهوال (قال الراوى) ولما أبعدها بشارة عن المضارب والخيام وسار فى وسط السباسب والآكام فقالت له ويلك يا عبد الاجواد والسادة الاكابر الى أين أنت غادى وسائر فى جنح هذا الظلام

العاكر فقال لها اعلمي يا ابنة الاجواد أني ماضي بك الى الهلاك والنفاد لان مولاي قد أمرني بقتلك واخفائك من الزمان وردمك في الرماد وأنا ما أقدر اخالفه فيما أمرني به من الفعال لانه مالك رقي وسيدي على كل حال وهو سيد بني شيبان واميرها ومشيرها وحاكم على صغيرها وكبيرها وغنيها وفقيرها (قال الراوي) فلما سمعت عبلة من بشارة هذا المقال اشتد بها الخوف والبكاء والنكال وصارت تدق بيدها على صدرها وهي تنادي في الليل الهادي وتقول يا لعبس يا لعدنان وتنادي باسم عنتر في تلك الوديان فلما رأى العبد فعلها وذلك الصياح والزعيق عدل بها عن ذلك الطريق وتجنب المهاد وأنزل لها من على ظهر الجواد وارماها على وجهها وبرك على ظهرها وسل سكين الربيع وهو ان يذبحها سريع (قال الراوي) ومن الطاف الله الشفوق يخرج الفرج من قلب الضيق فبينما بشارة معول على ما قد عزم عليه من ذبح عبلة واذا هي صاحت يا العامين انجدوني من شر هذه الفعلة واذا بشخص عليها قد اقبل مثل ذكر النعام وفي يده قوس وسهام وضرب بشارة بنبله واذا هي حكمت في كتفه جرحته جرحا بالغا فاهرق دمه واشغله بنفسه واشرف على عدمه وأما ذلك الشخص فانه عدل الى عبلة وهناها بالسلامه والخلاص من العدم والندامه وقال لها لا تفزعي فقد زالت الكروب وقد نلت القصد والمطلوب فانا عبدك وخادمك شيبوب (قال الراوي) لهذا الخبر بعد الصلاة والسلام على سيد البشر فخر ربيعة ومضر الذي انشق له القمر فلما عرفته زال عنها الفزع والكدر وقالت له

ويلك ياشيبوب واين أخوك عنتر فقال لها ياستاه تركته في بني عبس يقاسي من فقدك الالام وقد أرسلني في طلبك من كثرة ماوجده من الغرام فمررت أجد خلفك السباسب والا كام ولي خمسون يوما وانا أدور عليك في الحلل وأسأل عنك من أراه في السهل والجبل حتى وقعت بك في هذا المكان اتفاق وقد سيرني اليك الملك الخلاق الكريم الرزاق مقدر الآجال والارزاق وكنت قد أيست منك وعولت على الرجوع فسمعت أن الربيع بن زياد في هذه الاطلال والربوع وانه قد أتى الى مفرج ابن هلال وكنت أعلم أنه صديق له من قديم الزمان فقلت لابد ما أكشف خبره واعلم ماسببه وأي شيء الذي أتى به الى هذه الارض واقتفي أثره فاختفيت واتيت الى هنا بلا حتى لا يراني لاهو ولاغيره فوقعت بك هاهنا وخلصتك من هذا البلاء والعنا فقالت له عبلة وكيف يكون العمل فقال أقوم وأتم موت هذا العبد الغدار وأسير بك الى أرضنا والديار في طرقات لاتهتدي اليها الجن من تحت القرار فقالت عبلة والله ان هذا الامل بعيد لان البر بين أيدينا صعب شديد وأقول انني مابقيت أرى الديار والاطلال الا ان كان معنا عنترة الرجال واشوقاه اليه والى محبوبتي رابعه وأقلة ناصراه من هذه المصايب الشائعه فقال شيبوب أما رابعة فقد أشرفت على الهلاك مماكانت تبكي في النهار وفي ظلام الاحلاك فقالت له عبلة لعن الله الربيع بن زياد ولاتهنا بطول عمره بزاد ولاملئت أجفانه برقاد كما كثر سهادي وشتتني عن بلادي فقال شيبوب أبشري بقرب الاجتماع والعودة الى الاحباب والاجتماع ثم انه بعد ذلك سار الى بشارة ليتمم موته

فرآه قد أفاق على نفسه وهو قاعد يسمع ما جرى بين شيبوب وعبلة من الكلام الا أن الجرح منعه عن القيام فلما أبصر بشارة الى شيبوب وقد أقبل اليه خاف أنه يقضى عليه فقال له يا فتى بحق الرب القديم وما أنزل فى صحف سيدنا ابراهيم ألا ما أجرتنى وتمسك يدك عنى حتى أقول لك ما خطر ببالى وأشير عليك برأى لك فيه الصلاح وهو أنك لا تركب بهذه الجارية مركب الخطر ولا يخلو بالك من حالتين أما ان يلقاك من يعيقك فى الطريق ويكون عليك غير شفيق والثانى ان هذه الجارية ما تقدر أن تمضى معك ولا لها قدرة على سلوك البر والطريق بل تبلى نفسك بما لا تطيق ولا تكون أكمت عدو ولا أفرحت صديق فقال شيبوب وما الذى خطر ببالك أعلمنى فان كان فيه الصلاح فعلته وان كان غيره فلك أهملته حتى أدبر نفسى بما يكون فيه الصلاح وأسير من ههنا قبل ان يصبح الصباح فقال الله اعلم يا ابن الخالة أنى كنت أهوى أمة سمراء اسمها رابعه وهى كأنها الشمس الطالعه وكنت ربيت معها فى هذه الحمى ونحن رومان حلنا ببدن واحد ولما تحكم فى قلبى هواها ولم أطق ان أسلاها أغتالنى فيها الزمان ورمانى بالويل والحرمان وعدمت من عندنا فى هذا العام وتركتنى بعدها كثير الهيام لا ألتذ بطعام ولا أملأ جفونى بمنام بل أتنسم أخبارها من سائر الاقطار وأسأل عنها الخطار والسفار فما سمعت لها خبر ولا وقعت لها على أثر الا فى هذه الساعة منك ومن مولاتك عبلة وهى تسألك عنها وكنت قد أشرفت على الموت من ألم الجراح حتى سمعت بذكرها فنسيت ما أنا فيه وبدا عندى الصلاح وعادت الى الروح فى جسدى عند ذكرها بالسماع وقلت

عسى الايام تجمعنى بها بعد بعدها وأريد منك ياوجه العرب أن تخبرنى بحقيقة الحال وتصدقنى فى المقال ان كانت هذه الجارية نشئت عندكم وربيت فى أرضكم أومن العدو وصلت اليكم حتى انى لاأموت بحسرتها وأخرج من دار الدنيا بسببها ومارأيتها فقال له شيبوب هذه ماربيت فى حينا ولابين امائنا وانما أخذها أخى من جملة السبى والاموال التى أخذها من أنس بن مدركة بعدما كاده فى الجبال وأفنى رجاله والابطال ثم انه حدثه بالحديث من أوله الى آخره وأطلعه على ظاهره وباطنه وكيف خلص عبلة من بنى كنده وماوقع لهم من سيف أخيه من البلاء والشده وكيف احبتها عبلة لمارات فيها من اللعب والمزاح والحسن والجمال والسماح ثم انه اعطاه فيها علائم كثيرة وقال له ياابن الخالة أماهى فكحلات العيون بحاجب مقرون كانه خط بنون على خدها شامه وفى وجهها علامه بخد أسيل وطرف كحيل وخصر نحيل وردف ثقيل ومن جملة أوصافها لها أربع ذوائب على أكتافها فقال له بشارة بسلك بسلك هذه صفة محبوبتى التى طيرت النوم من مقلتى وأشعلت النار فى مهجتى وأناأحمد الرب القديم رب زمزم والحطيم الذى هى وقعت عندكم وأناصرت من هذه اليوم عبدكم وخادمكم وقد صح عندى أنها محبوبتى بعينها والدليل على ذلك انه كان هنا عبد يحبها مثل محبتى فأخذها من حيها وهرب وسلك بها البر والسبسب فسمعت ان أنس بن مدركة التقاها فأخذها منه وقتله وقد صح عندى هذا الخبر وبان الامر واشتهر وعلى الحقيقة يافتى قد طاب قلبى لما سمعت منك هذا الكلام وقد

اشتهيت تبديل موتي أن رجع التقي بها وأكون عندكم في المقام وأنا قادر أسير معكم في هذه الساعة لكن نخاف أن تلحقنا الخيل في الطريق وتعدمنا السعادة والتوفيق وتردنا الى صاحبكم الربيع فنهلك نحن الجميع والرأي عندي أن تعود أنت الى صاحبكم عنتر وتخبره بهذا الخبر وتعودوا الى هاهنا ويكون معكم خيل تعيننا على شغلنا وتحفظنا من أعدائنا اذا نفروا وراءنا وأنا أعود من وقتي هذا واحفظ عبلة واتركها عند والدتي وأوصيها بحفظها وكتمان أمرها وأدخل على مولاي مفرج والربيع وأقول لهم قد قضيت الشغل الذي أمرتوني به وأخفيت هذه الجارية بين أحاقيف الرمال وهذا دمها على أثوابي شاهد اصدق مقالي وقد تركت لحمها الوحش البر والهوام وأقعد لكم في الانتظار حتى تأتي أنت وأخوك الى هذه الديار وتخلصوها من الشدائد والاهوال (قال الراوي) فلما سمع شيبوب من بشارة هذا الكلام قال له يا ابن الخالة وكيف أصدقك في هذا المرام وأنا تركت دمك يسيح على أثوابك فقال بشارة لا تفعل يا ابن الخالة ولا تقول هذا المقال فوحق من رفع السماء اني ماحدثتك الا حديثا صادقا لان قلبي عندكم وجسمي منكوي من أجل رابعة محبوبتي وأنت معذور فيما فعلت معي وليتنا ما كنا تعارفنا بأمر من الامور (قال الراوي) فلما سمع كلامه زال عنه الخبال وبان له الصدق من الحال وعلم أنه ما يقدر يسلك بعبلة في هذا البر الاقفر اذا لم يكن معه أخوه عنتر فعند ما تقدم شيبوب وشد جراح العبد وودعه بعدما أوصاه على عبلة وعاد على الاثر وسلك البر الاقفر وبشارة يقول يا ابن الخالة لا تطيل الغيبة فربما يفسد رأسا ونهلك وأخذ

عبلة وسار الى منزله والديار وقد نزلت محبتها فى قلبه لاجل محبوبته
رابعة وقد بغض المقام من اجلها بين أهله وأخفى سره وكتم
وجده وأوصى على عبلة أمه وعاد الى مفرج والربيع وكانا
فى أعظام سره وقد لعبت بهم نشأة الخمره وكانوا له فى الانتظار
(قال الراوى) ولما دخل عليهم بشارة قالوا له ما فعلت بعبلة من
الاكدار فقال يا موالى فعلت ما أمرتونى به فى الحال وما عدت
اليكم حتى تركت عليها كثبانا من الرمال وهذا دمها شاهد لى
بصدق المقال قال فلما سمع الربيع ذلك المقال فرح وقام وخلع
على العبد جميع اثوابه وأعطاه سكينة الجنب والمنديل وقال
والله انك تستاهل الاموال والبدر فلله درك ودر من رباك فلقد
قرت بفعالك العيون فقال مفرج هذا عندى أعز من ولدى ولولا
ذلك لما فضلته على أهلى وجندى وملكته خزائن أموالى وأمنته
على حريمى وعيالى فقال الربيع هذا أمر قد انقضى ومضى وما
بقيت أقيم عندك الا هذا اليوم فى الاوطان ومن الغد أسير الى
الملك النعمان حتى لا يبقى على عتب ولا ملام فقال له مفرج وأنا
أسير معك اليه لاجل السلام عليه (قال الراوى) فلما كان
من الغد ركب الربيع ومفرج وسار والى الملك النعمان بعد
ما أوصى عبده بشارة على حريمه وعياله وخزائن أمواله فهذا
ما كان منهم وما جرى لهم من الايراد وأما ما كان من شيبوب
البطل الجواد فانه جد فى المسير ليلا ونهار الى أن وصل وشارف
الديار (قال الراوى) وكان أخوه عنتر دائم الاحزان والبكا والهم
والاشتكا الى أن عادت العبيد الذين كان أنفذهم الملك زهير
خلف عبلة وقد عادوا خائبين مما كانوا له طالبين وقد زادت بعنتر

الفكر وقد آلمه الهوى وأضر به السهر وقلة النوم والهجوع وشدة الكروب وبقى معلق القلب بوصول أخيه شيبوب وكانت الناس قد ضجرت من بكائه والتردد اليه وتكدرت أوقات الملك زهير عليه وكذلك أولاده وقد كان عنتر ضرب له مضربا على العلم السعدى وانفرد بعيدا عن الناس لا يعيد ولا يبدى وصار لا يقبل عذل عذال وخاف من شماتة الانذال وفى تلك الايام قدم عليه أخوه شيبوب فوجده فى حزن يعقوب وضر أيوب فقال له ويلك يا ابن الام قتلتنى بطول هذه الغيبة هل وقعت لعبلة على خبر واقتفيت منها الاثر أم رجعت بالخيبه بعد طول هذه الغيبه وبعدها صار يحث أخاه شيبوبا بالكلام ويستخبر منه بالشعر والنظام وهو ينشد ويقول

ويلك يا شيبوب خبرنى عجل ٭ فلعل الهم عن قلبى يزل
ويلك خبرنى سريعا عاجلا ٭ ليزول الهم عنى والوجل
ان أنل من عبلة يوما أمل ٭ قبل موتى ان أتانى لم أنل
ويلك يا ابن الام كم من غربة ٭ وغرام وصدود ووجل
يا ابنة العم الى كم ذا الجفى ٭ خيم الوجد بقلبى ونزل
زعموا انى عنها لم أسال ٭ لا ولا من خاطبه فوق الجبل
أنكرت عيناى بعد كم الكرا ٭ وعصيت اللوم فيك والعذل
فلأبكينك بدمع ودم ٭ ولأرثينك بسهم وجبل
فيك قد أصبحت مضنا ناحلا ٭ فيك قد صرت حديثا ومثل
لاجوزن الفيافى واقتفى ٭ أثر الاحباب أو يأتى الاجل
واركب العيس واقفو خلفها ٭ فى جميع الارض وأبلغ الامل
وأنيرن عجاجا ناقعا ٭ بظباء المندمع سمر الاسل

ثم أخلى الارض من سكانها * وكذا جن البرارى والجبل
لاعلت بعدك رجلى أبحرى * لاولا أملت فى الدنيا أمل
لاولا جردت سيفى لاولا * قبضت يمناى اطراف الاسل
قد هجرت الكاس والطاس معا * ولذيذ العيش عنى قد رحل
قد تركت اللهو واللذات أو * يأتينى شيبوب بالبشر عجل
يا ابن أمى بين الشرح وقل * ففؤاد فيه نار تشتعل
قد فنى جسمى وقلت حيلتى * بعدما كنت شديدا محتمل
عبل لو عاينتى ما قد حل بى * من هموم وغموم ووجل
وغرام دائما لا ينقضى * وبكاء ونحيب وعول
قلت للقلب ترا تجمعنا * بعد ذلك البعد ربع وطلل
قل صبرى من هموم أقبلت * بفراق وبعاد وملل
علتى آل زياد وهموا * خيرونى وأنا فيهم مثل
آمنوا صرف الليالى والعدا * عتبوا الايام والدنيا دول
أو لا يدرون انى بطل * صلت فى الهيجا على كل بطل
وأنا يا عبلة فعلى أبيض * ومحلى قدر فى فوق زحل
ان توانيت عن أخذ الثار من * أرذل الخلق لما بى قد عمل
فالعنوا عنترة بكل مأتم * ولا تدعوه الا كالمثل
يا ترى فى أى أرض نزلت * عبلة أم أى ربع وطلل
ويلك يا شيبوب صبرى فنى * ورقادى ملنى كيف العمل
ليس لى غيرك أخا مسعفا * يكشف الاخبار من غير مهل
فاشرح الامر الذى لاقيته * وأبده لا تخفه يا أبا الحيل

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره وما أبداه من نظمه وفكره أجابه شيبوب يقول هذه الابيات

ابو

أبو الفوارس زال الهم والفكر * وأقبل السعد يا ابن الام والظفر
أبشر بعبلة حقا فهى سالمة * لم تلق بؤسا ولا هـــما ولا ضرر
واسمـــع حديثى وما لاقيت فى سفرى
واعجب ففيـــه عجائب تعجب البشر
قد طفت كل قبيلة عرفت * والوعر والسهل اقفو خلفها الاثر
فكم قطعت فلاة وهى مقفرة * لم ألق فيها أنيسا سوى سبسب وعر
أفنى الصحاصح مثل الذئب مندعرا
أغـــدو بلا تعب ما مســـنى ضرر
وخضت فى فلوات الارض مختلسا * والصخر يقدح والرمضاء تستعر
حتى بلغت الى ظعان لى غـدت * الى زبيد ولم أسمع لها خبر
وقد سريت الى أرض العراق وقد * شاهدت فى برها كم مهلك وعر
سعيت كالنمر فى داج أسير وقد
أخفيت مشيى عن الاشـــباح والصور
والليـــل أسحم لا شىء يلوح سوى
علو الجبال وعينى تقـــدح الشرر
جعلت امشى قليـــلا بان لى شبح
يدل عـلى انهـــما اثنان قد ظهر
وواحد منهما كالطود منفردا * يروم قتل الذى فى الارض منصدر
زعقت فيه وقد بادرته عجلا * بضربة قلت لا تبـــقى ولا تذر
لما رآنى الذى قد رام يقتله * نادى الى أجنى أنت أم بشر
بالله من أنت يا هذا فأخبرنى * انى أراك كثير الخوف والحذر
قلت من آل عبس طاب عنصرهـــم
قوم عـــلى عرب الآفاق يفتخر

قالت عبلة ياشيبوب ياأملى
قلت أبشرى زال عنك الهم والحذر
فأخبرني بهذا العبد قال أنا * بشارة وحديثى سوف يشتهر
لى بنت عم وهى تدعى برابعة * محبوبتى سبيت من حينا مضر
فقلت رابعة عندى لما خبر * فى بيت عنتر مامسها ضرر
وقد أخذها أخى من سبى مدركة * وعندنا فى هنا عيش من الكدر
لما سمعنى ابشره برابعة * فكاد دمعه على الخدين ينحدر
فقام عمدا الى نحوى وصالحنى * وقال قل لى أى شئ الآن تنتظر
دع بنت عمك عندى سوف أحفظها
من أجل رابعة مامسها ضرر
أحطها فى سواد العين ياأملى * وأطبق عليها جبين العين والبصر
فانهض وسر عاجلا من قبل يدركنا
مفرج انه فى الصبح منتظر
وقد أتيتك بالاخبار عن ثقة * مما رأيت ومع القول والخبر
(قال الراوى) ثم انه أخبره بما تم له مع عبلة والعبد بشارة فلما سمع عنتر هذا الكلام فرح بانكشاف خبر عبلة ثم انه استعاد الحديث ثانيا من أخيه من حلاوته وفى الوقت والساعة أنفذ خلف رابعة واخبرها بهذا الحديث فطاب قلبها وفرحت وقالت يامولاى مادامت مولاتى عبلة عند محبوبى بشارة فقد أمنت عليها من كل أحد لانى أنا أعلم أنى عنده مثل روحه التى بين جنبيه فقاتل الله الربيع ابن زياد ولا هناه بطيب الرقاد (قال الراوى) ومازالوا فى حديث وكلام حتى أتى ذيل الصباح وانكشف الظلام باذن العزيز الفتاح فانفذ عنتر لعروة بن الورد فلما حضر أخبره بخبر

عبلة وانها ظهرت فى بنى شيبان فقال له عروة يا أبا الفوارس وما فى نيتك أن تفعل بعد سماع هذه الاخبار فقال له أريد ان أثر فى بنى زياد أثر وأفنى بنى شيبان الاخر ولا أخلى لهم ذكر انذكر فقال عروة يا أبا الفوارس افعل ما بدا لك وما يعود نفعه عليك والصواب انك الآن تكتم خبر عبلة وتخفى أخاك شيبوبا خوفا ان يمضى أحد الى بنى شيبان ويعلم مفرج والربيع بالامر الذى كان ويأخذوا عبلة من العبد الذى هى عنده ويلعنوا أباه وجده فلما سمع عنتر من عروة كلامه علم انه صواب ثم انه أقبل عليه وقال له واعلم يا ابن العم انى أرى من الرأى أنى أركب أنا وأنت فى عشر فوارس ونحضر الى عند الملك زهير ونسلم عليه ونؤانسهم بدل اليوم عشرة واجعل ذلك على سبيل المهله وبعدها أسير فى طلب عبله واذا سألونى عن حالى أقول لهم قد طالت على الايام والليالى وقد علمت ان ابنة عمى قد عدمت لاجل ما عليها من الاموال واللآلى وأنا أعلم ان الحزن الطويل ما يرد من صار تحت الثرى جديل وأنى شيبوب قد ابطأ على خبره واننى أريد اقتفى أثر بنفسى وأطوف البلدان والحلل والغدران والسهل والجبل واكسب شيأ من الاموال واهو دلان الطارق علينا كثير واهمنا قد صار كبير (قال الراوى) فلما سمع عروة من عنتر ذلك الخطاب قال هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب ثم ان عروة أنفذ فى عاجل الحال الى من له من الرجال وأعلمهم انه عازم مع عنتر على السفر بعد شىء يسير وبعد ذلك ركب عنتر وعروة ورجاله وأتى الى الملك زهير ليعرض عليه أقواله وحادثه وأعاد عليه التدبير من ذلك القول الحال ففرح الملك زهير بهذا المقال

وقال لاولاده اركبوا مع ابن عمكم الى الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص فركبوا وساروا به صحبته ولما كان آخر النهار عادوا ومعهم من الصيد شيء كثير وبات عنتر تلك الليلة وقد أظهر لاعمامه السلو من عبلة وأقام مدة ثلاثة أيام فلما علم أن قلوب أهل الحي اطمأنت عليه فودع الملك زهير وأصحابه وأظهر انه يريد الغزو الى بلاد اليمن ثم انه ركب هو وجاله وعروة فلما اتسع عليهم البر والآفاق ردوا رؤس الخيل الى بلاد العراق هذا وشيبوب مختفي عند أمه زبيبة الى أن أقبل الليل خرج عليهم كأنه البلاء المصبوب وسار وابعدما ركبوا وتبطنوا فى تلك البرارى والقفار هذا ما كان من أمر هؤلاء الاجواد وما حصل لهم من الابراد وأما ما كان من أمر مفرج بن هلال والربيع بن زياد لما أمروا العبد بشارة بقتل عبلة وأخفاها تحت الرمال وتقاسموا ما كان عليها من الاموال فكان تدبير الملك المتعال أحسن وأجمل من تدبير الربيع بن الاندال ورحلوا بعدها طالبين الملك النعمان وما ترك مفرج فى الحلة غير فرسان قلائل مع ابن عمه مالك بن حسان وأوصى بشارة بنسائه وعياله وسلم اليه مفاتيح خزائن أمواله وجدوا فى المسير حتى أشرفوا على أرض الحيرة والنجف وهموا أن يدخلوا اليها واذا بالنعمان خارج فى موكب عظيم مع الغلمان الذين كلهم مردان (قال الراوى) وكان الملك النعمان قد استسن له سنة فى ذلك الزمان مافعلها قبله أحد من ملوك العربان وذلك أنه جعل له فى كل سنة يومين يوم نعيم ومسره ويوم بؤس ومضره وقد شاع ذلك فى سائر الاقاليم والبلدان فأما يوم البؤس فكان يلبس كل شيء عليه أحمر وسيفه فى يمينه مشهر وتحته جواد أدهم

مهلوب الذنب وحوله ألف عبد أشد من جبابرة العرب والجميع بصدور الزرد ومعهم السيوف والرماح والعمد وكل من وقعوا به في ذلك اليوم قتلوه وعلى الثرى جندلوه وبهر قوادمه على الصعيد قريبا كان أو بعيد ولا يدخلون البلد إلا وقد أمسى المسا والجميع مخضبون بالدما وأما يوم النعيم فانه كان يظهر وهو راكب على جواد أشقر وملبوسه كله أخضر وعلى رأسه تاج بفصوص الجوهر وبين يديه ألف غلام كلهم مردان وعلى رؤسهم شباك اللؤلؤ والمرجان وفي أيديهم أطباق من الفضة ملآنة من الدنانير الكسرويه ومعهم الخلع الروميه وكل من وقعوا به في الطريق عدوا كان أو صديق يرمون من تلك الخلع عليه ويصبون عليه من تلك الدنانير غنيا أو فقير صعلوكا أو أمير واذا عبر نصف النهار عاد الملك الى مجلس العقار ويقضي نهاره بالفرح والاستبشار قال الاصمعي واني قد سألت عن السبب الموجب لذلك الامر فقيل لي يا أصمعي كان الاصل في ذلك أن النعمان كان له مغنية ونديمان قد اتخذهن لنفسه دون كل انسان وقد كشفهم على أسراره دون أهله وأنصاره وما كان له صبر عنهما ولا قدر ساعة فاتفق في بعض الايام وهو في مجلس شرابه أنه مازال يشرب مع أصحابه الى أن جاء وقت المساء وانصرفت الخلائق من مجلسه ولم يبق عنده غير المغنيه والنديمين ومازال يشرب حتى أخذت الخمرة مأخذها وعملت معه في الراس وأقبل عليه الليل وأتى له النعاس فعند ذلك نام وحده واعظامة من لا يغفل ولا ينام مقدار ساعة زمانيه فقام له من السكران النديمين يلعبان مع المغنية فقام من المنام وقد جذب في يده الحسام وقتل النديمين والمغنية الجميع وعاد الى مرقده

سريع ومازال على ذلك الايضاح الى أن طلع الصباح وانتبه من المدام وقد أفاق من نشأة المدام فوجد الارض مخضبة بالدما والنديمين والمغنية بين يديه مقتولين وقد نفذ فيهم أمر رب العالمين فانزعج من ذلك الحال وقال لارباب دولته من فعل بهؤلاء هذه الفعال فقالوا له أنت يا ملك الزمان وأخبروه بما جرى منه من الامر والشان وكيف قتلهم وهو سكران فحصل له من ذلك غم عظيم وأصابه خطر جسيم وبعد ذلك أمر بدفنهم بعد تجهيزهم ثم انه مما أصابه من الهم والضرر لبس جميع ما عليه أحمر وأخذ في يمينه سيفا مشهور وركب جواد أدهم مهلوب الذنب وحوله ألف من العبيد السودان وكلهم بتلك الالوان والجميع بعدد الزرد والسيوف والرماح والغمد وخرجوا الى البر والفدفد وأمرهم ان كل من وقعوا به يقتلوه وعلى الثرى يجندلوه ويجعل هذا اليوم يوم البؤس والندم والعكوس وقد أمر المنادي ينادي في البلدان يأخذون الحذر من ذلك اليوم المكدر (قال الراوي) وقد صارت هذه عادة مستمرة على الدوام وقد علم بها الخاص والعام وأما يوم النعيم فكان له سبب عظيم وهو أن الملك النعمان ركب في يوم من ذات الايام وقد أوسع في البر والآكام يريد الصيد والقنص وانتهاب اللهو والفرص في تلك البراري والوديان ومعه جماعة من الفرسان فحصلت من الملك النعمان التفاتة فرأى فحلا من الغزلان فاخذ خلفه في ذلك المكان ولم يتبعه من جماعته انسان فلما رأى الفحل النعام أن النعمان شارع له في الطلب أخذه في الهرب والملك النعمان وراه في البر والسبسب وقد أراد أن تهلك بحرته

ولا تفوت فروسيته وما زال كذلك الى ان أقبل عليه الظلام
وقد ناه منه الذكر التعام فأراد الملك النعمان الرجوع فضل عن
الطريق وقد عدم السعادة والتوفيق وما زال يسير في البر
يميناً وشمال في الوداد الاخيبة وضلال فبينما هو سائر بلا رفيق
وقد حصل له في صدره الضيق واذا هو قد رأى بين يديه بيتاً من
شعر منصوب وهو على راية عالية مضروب فتقرب اليه حتى
صار ذلك البيت بين يديه واذا هو برجل بدوي جالس على بابه
وقدامه قدر فيه من لحم الفصلان وهو قاعد يصلح له طعام
فابتدأه الملك النعمان بالسلام فرد عليه البدوي بالتحية والاكرام
وقام تلقاه وضحك في وجهه لاقاه وقد أنزله عن الجواد وزاد
في اكرامه ووداده وقدم له ما راج من الطعام وأكرمه غاية
الاكرام تمام ثلاثة أيام وبعد ذلك سأل البدوي من الملك النعمان
وقال له ما سبب انفرادك في تلك الوديان فأخبره الملك النعمان بما
جرى له من الامر والشان وأعلمه انه ملك جميع العربان ففرح
البدوي وقال له أبشر يا ملك الزمان بعودتك الى الاوطان ثم
انهم ركبوا وساروا يجدون المسير في الوديان وهم على تلك الوتيره
حتى انهم أشرفوا على مدينة الحيره فوجد أهل دولته قد لبسوا
ثياب الاحزان وهم يظنون انه هلك في الوديان وقد قطعوا منه
الاياس فلما رأوه فرح برؤيته العام والخاص وكان هذا اليوم عندهم
فرحاً وأمان برجوعه سالماً الى الاوطان هذا والملك النعمان
قد أنعم على ذلك البدوي وأعطاه عطاء كثير حتى انه صار غنيا
بعدما كان فقير وجعل الملك النعمان هذا يوم النعيم والمسره
وصارت عندهم عادة مستمره (قال الراوي) ومما وقع من الاتفاق

الذي يكتب ويسطر الاوراق أنه اتفق دخول مفرج والربيع في ذلك اليوم البديع فصارت اليهم هؤلاء الغلمان وخلعوا عليهم من تلك الخلع الحسان ونثروا عليهم من الدنانير التي في الاكياس حتى انهم نزلوا عن خيولهم وترجلوا على الارض والقيعان وقبلوا الارض قدام النعمان وتقدم اليه الربيع وأنشد وقال

أدام الله أيام التهاني * بطول بقائك يا ملك الزمان
ولازالت سيوفك مشهراة * على أعداك في الحرب العوان
وقطر يديك يحيى كل أرض * ويروى الارض من قاص ودان
ولولا نور وجهك ما اهتدينا * الى آثارها تيك المعاني

(قال الراوى) فلما فرغ الربيع بن زياد من شعره أعجب الملك النعمان وأطرب لنظمه ونثره وسأل مفرجا عنه وقال له من أى العرب هذا الانسان قال له من بنى عبس وعدنان يقال له الربيع بن زياد صاحب رأيهما والسداد فقال الملك النعمان ان هذا الامر عجيب كيف زارنا من بنى عبس انسان لان أبى كان تعصب لهم وعنهم عنتر وطرح عنهم الخراج وما قصر فما عادوا ذكرونا ولا تعنوا الينا ولا سألونا ومن تكبر ملكهم زهير ما التفت الينا (قال الراوى) وكان في قلب النعمان من هذا أمر نكير لانه كان بلغه طرف من حديث المتجردة ابنة زهير وذكروا له ما هى عليه من الحسن والجمال والقد والاعتدال فاشتغل بها خاطره وهامت بها سرائره ولكن من عزة نفسه صار يقول قوم ما ذكرونى وهم من بعض رعيتى فكيف أبدؤهم بالاحسان من أجل شهوة من شهوات الزمان والله لا فعلت ذلك أبدا ولو شربت كأس الردا وما زال على هذا المرام الى أن قدم

الربيع

الربيع عليه فى تلك الايام وجرى ماجرى من ذلك الامر والشان
وسمع من مفرج أنه شيخ من مشايخ بنى عبس وعدنان وانه من
الامراء المشاهير فقال فى نفسه هذا يكون الواسطة بينى وبين الملك
زهير ثم انهم دخلوا القصر من شأن الضيافه وأمر غلمانه أن يزيدوا
لهم فى الاكرام وجعل يباسطهم فى الكلام حتى راج الطعام
وأتت به الخدام فأكلوا حتى اكتفوا من هذه الانعام وبعدها
قدموا لهم آنية المدام ومازال فى اكرامهم مدة ثلاثة أيام فلما كان
فى رابع الايام دخل بهم الى قصر المملكة وكان صحبته وزراؤه
ورأساء مملكته وخواص دولته وجميع الامراء الاجواد
وبالجملة مفرج بن هلال والربيع بن زياد فنظروا الى منازل
ضاحكة بأصحابها قد أمطرت عليها من وابل الاقبال سحائبها
وفتحت كواكب السعادة أبوابها فتعجب الربيع من هذا الملك
العظيم ونظر الى ترسيع وترخيم وأسرة متقابلة بعضها لبعض
وهى من الفضة والذهب وامياهها تتدفق هذا وطيورها تزعق
والسماطات قد وضعت فى أوانى من الذهب باصناف من معادن
رصعت وقدامه تدت آنية المدام من الخمر العتيق من كاسات
وطاسات وأباريق وقد رصعت بالذهب الاحمر وأنوارها من
اللمعان تزهر ونظر الربيع قدام هذا القصر بستان فيه من كل
فاكهة زوجان كأنه صيغ من الجواهر الحسان بباب مقنطر
كأنه ايوان وحين تدخل هذا البستان ترى الفواكه
مختلفة الالوان الرمان حامض وحلو والمشمس لوزى وحموى
وموز خراسان وتفاح سكرى وفاطمى ودامان والتين
قد فرق بين أبيضه واسوده بسياج من البان والنارنج كمشاعل

النيران والاترج باعلا مكان والليمون كبنادق فضة طليت بالذهب المنصان هذا والاطيار تغرد على سائر الاغصان فالهزار يصيح بعجائب الالحان والقمري ينادي بصوته يارحيم يارحمن والبلبل قد بلبل الاشجان والشحرور بفصاحته كأنه راهب فصيح اللسان والمطوق يغرد فتجاوبه أم حسان والزهر في الروض قد تفنن منه الالوان فالاحمر من الورد كأنه مداهن يقوت أو بهرمان والياسمين كأنه لجين قد صنع منه صلبان والزنبق يتمايل في الخضرة كأنه سكران والنرجس كقباب بيض يحملها من الزمرد قضبان والبنفسج كأكر علقت فيه النيران ومقابل الآس الخزام والمنثور وشقائق النعمان والنمام قد نم برائحته واستغفر بماجناه الريحان وبكى الغمام أن ثغر الاقحوان والنسرين قد فتح على أشجاره ونواظر الخدود وعيون السوسان والنهر قد صار في خرير والطير في صفير والريح في هدير لاعتدال الزمان كما قال فيه بعض واصفيه هذه الابيات الحسان

الدوح زاهي والرياض زواهرا * والطير غنا والنسيم زوامرا
وقد أتى وقت الربيع زائرا * فانهض اليه يانديمي زائرا
أما ترا الطل عليه هاطلا * كأنه اللؤلؤ والدوائرا
والغيم باكي والغدير ضاحكا * والطير ساجي راقصا ودائرا
والغصن فيه راكعا وساجدا * وباسطا أوراقه وناشرا
وغرد الشحرور في غصونه * تخاطب قد ارتقى منابرا
وأبدت الارض لنا زخارفا * من كل لون فائحا وعاطرا
واسود لونا العيون حالكا * لله في صنعته سرائرا
وازرق في الازهار لون بنفسج * فسر من رؤيته النواظرا

50

وأحمر لونا الشقيق صباغها * باهى من الحمرة زاه زاهرا
وابيض لون للجبين نابرا * وريحه من النسيم سائرا
والفل فى أكمامها كمامها * كأنها عرائس ضرائرا
ونور النارنج فى غصونه * كأنه فى غصنه جواهرا
والتين أضحى ذابلا وناعسا * عليه عصفور القلوب طائرا
فاغتنم ذا الاجتماع نزهة * فالعمر ولى والممات حاضرا

(قال الراوى) فلما رأى الربيع الى ذلك المكان تعجب ولحقه الهيمان والطرب هذا وقد جلس النعمان على سرير ملكه وأجلس الربيع ومفرجا الى جانبه وشرعوا فى أكل الطعام وشرب المدام وبعدها شرع النعمان يحدث الربيع بما يجده من أمر المتجردة من المحبة والهيمان فقال الربيع وقد انفتح له باب الهلاك عنتر اسمع يا ملك الزمان فوالله ما هى الا من الحور الحسان وان الذى وصفها لك ما أنصفها وهى أحسن بنات العربان الا أن أباها عرق لا يلين ويقول فى نفسه ان ماله فى هذا الزمان قرين وانه من تجبره من مدة أعوام أراد أن يبنى فى أرضه بيتا مثل البيت الحرام وهو اليوم قد زاد عما كان لانه ألحق هذا العبد عنترا بالنسب وقد أدب به سائر العرب وأنا لما رأيت الذل بعد العز رحلت من جواره ونزلت على بنى فزارة ولو كنت أنت أرسلت اليه رسولا أو خاطبا فما كان عاد اليه الا خائب (قال الراوى) فلما سمع الملك النعمان هذا الكلام صعب عليه وصار الضياء فى وجهه ظلام وقال له ما هذا الكلام الهزيان فوحق بيت النيران لو كنت بعثت من عندى حاجب وعاد الى كما ذكرت خائب ما كنت تركت من بنى عبس لا ماشيا ولا راكب

والآن ذكرتني بشيء كنت مشتغلا عنه ومن حين صار الامر كذلك لابد لي منه عندها قال الربيع وقد امتلأ قلبه فرح والقسع صدره وانشرح اعلم أيها الملك أن قلبي قد انطوى لك على صحة الوداد وقد صرت من حزبك والاجناد ثم انه شرع يحدث النعمان بجميع مافعله والسكر قد غيب عقله وأخبره بما دبر في حق عبلة وكيف أنفذها الى مفرج وكيف أمر بهلاكها وأخبره انهم قتلوها وتقاسموا أموالها وقال في آخر كلامه أيها الملك اني مافعلت هذه الفعال رغبة مني في مال الا لأجل هلاك عنتر ابن الانذال لانه اذا فقدها مات حسرة واغتيال وأما المال الذي حصل لي فما يصلح لمثلي واذا قبلته مني كان أصلح لامرك وارجح ثم انه صاح في غلامه سالم وأمره باحضار تلك الجواهر التي أخذها من عبلة فخرج الغلام وغاب قليلا وعاد ومعه المال الجميع فقال الربيع بعد كره ودهاه ودخوله اني أريد أيها الملك من احسانك ان تمن علي بقبوله قال فلما نظر الملك النعمان الى تاج الملك كسرى والعصابة والبدنة والاكليل فانذهل وتعجب من ذلك المال الجزيل وزاد تعجبه من تدبير الربيع واحضر أيضا مفرجا ماكان قد أخذه فصار بين يديه الجميع فعند ذلك قال النعمان للربيع ان هذا الفعل عندي لي ما يضيع واني أريد منك ان تكون سببا باتصالي الى المتجردة وان كنت تعجز عن ذلك فأنا آخذها غصبا واترك أباها يسحب بين يدي سحبا فقال الربيع يامولاي الامر يأتي بدون هذا والصواب ان تمهل علي حتى أعود الى الديار واتحدث مع الملك زهير واصف له مارأيت من مالك وما أنت فيه من الخير فان هو أجاب بالسمع والطاعه كان المسعود في هذه

البضاعه وان هو قال لاكان الهوان به أولى ومازالوا على ذلك الايضاح الى أن طلع الفجر ولاح فخلع النعمان على مفرج بن هلال وسيره الى كسرى لقضاء بعض الاشغال وأقام الربيع بعده ثلاثة أيام وفي اليوم الرابع أمر له الملك النعمان بخمسمائة ناقة من النوق العصافير الحسان وأعطاه بصحبتها عشرة بغال تحمل صناديق الاموال وفيها ثياب خز كوفيه وأهدا اليه خمسين جنيبا من الخيول العربيه وأكثر له من العبيد والاما وسيره سير الملوك العظما ثم انه توجه للمسير والجد والتشمير وهو لا تسعه البرارى الخوال من كثرة مامعه من تلك الاموال (قال الراوى) ومازال كذلك حتى نزل على ركب من بنى مالك وبقى بينه وبين أرض بنى فزارة يوم كامل فأنزل عن البغال والجمال تلك الاحمال ثم انه أرسل عبده سالما يعلم اخوته بماجاء معه من الاموال حتى يخرجوا الى لقائه فى جماعة من الرجال فهذا ما كان من الربيع وماجرى له وأما ما كان من عنتر وأحواله فانه لم يزل سائرا بما معه من الفرسان الفوارس حتى أشرفوا على ركاب بنى مالك فرأوا الربيع ومن معه نازلين هنالك فأرسل عنتر فارسا من رجال عروة بن الورد وقال له يا ابن العم سر أنت واكشف لنا خبر هذا الركب الذى قدامنا فى البر الاقفر وعد الينا على عجل فصار الفارس يركض بجواده الى أن قارب الربيع وعبيده فلما رأوه قاموا اليه وعن حاله سألوه فأخبرهم بزخاريف محاله وقال لهم انى ضل لى خمس نياق وبعير فطلعت وراءهم أسير أردهم الى مرعاهم فسرت حتى التقيت بكم فى هذ البر والهجير وأنتم من تكونون من العرب حياكم الله يا أجواد فقالوا له نحن من عبيد الربيع بن زياد وهذه الاموال

أمواله والرجال رجاله ثم سار اليه يا هذا وهو يعوض لك ما ذهب منك من خيره ونواله فقال لابد من عبوري عليه ودخولي بين يديه ثم انه سارقهم في الحديث حتى اشتغلوا عنه وعاد على أثره يخبر بما رأى عنتر بن شداد وما وصل اليه أعلمه عن الذي هو نازل في تلك الارض والمهاد وهو الربيع بن زياد قال فلما سمع عنتر هذا الكلام فرح واتسع صدره وانشرح والتفت الى عروة وقال له يا ابن الابيض الرأي اننا نكبسهم ونهجم عليهم في غفلتهم في ذلك الليل ونذيقهم العذاب الشديد والويل فقال عروة افعل ما بدا لك فكلنا تابعين فعالك فقام عنتر ولم يأخذه عن ذلك توانى بعد أن أوصى أصحابه أن لا أحد يصيح لا عبسي ولا عدنان ولا يحكى نفسه الا تميمي وقحطان ثم انهم بعد ذلك المقال صاحوا حتى زلزلوا الارض بالزلزال فقام القاعد واستيقظ الراقد هذا وقد بذلوا في العبيد السيوف وأسقوهم كؤس الحتوف وجعلوهم كالقطن المندوف وهم يصيحون يا لتميم يا لقحطان حتى ارتج منهم هذا المكان فتنبه الربيع ونادى وهو كثير الافتكار وهم أن يجود بحسامه النصال ويحركه في الرجال فدارت به عشرة منهم في عاجل الحال وصاحوا عليه صيحات عاليات وضربوه ضربات خفيات غير قاتلات وذلك كان بمشورة أبي الفوارس عنتر قبل هذه الغارات ومازالوا معه الى أن صرع فارتخت قوته وعلى الارض وقع فأجادوه كتافا وشدوا يديه مع رجليه وعصبوا بعمامته عينيه وفي دون ساعة أفنوا باقي العبيد وتركوهم ممددين على وجه الصعيد وبعدها استشاروا فيما يفعلون وأي شيء يدبرون فقال عنتر أنا أعلم أن الخبر اذا وصل الى الحيرة وشاعت عنا هذه

الاخبار

52

الاخبار فأخاف أن أكون مظلوما فأمسى ظالما فقال شيبوب أنا أدبر بمعرفتى ما أحب وأختار فأما هذه النوق والجمال نرسلها الى أرضنا مع عشرة من الرجال ونوصيهم أنهم لا يدخلون الحلة بالنهار بل انهم يأخذون بها فى عرض البر والوديان ويفرقونها على الرعيان كل مائة جمله ولا يخبر أحد بهذه العمله وأما هذه الصناديق التى فيها الاموال فأدفنوها فى أحاقيف الجبال فاذا سرنا الى عبلة وخلصناها ونلنا من خلاصها منانا عدنا الى هذه الاموال وأخذناها وفى مضاربنا أدخلناها قال ثم انهم لما داربينهم هذا المقال أنفذوا النوق والجمال مع عشرة من الرجال وأما صناديق القماش والاموال فدفنوها فى أحاقيف الرمال هذا وعنتر قال قبح الله النعمان أى شىء رأى فى الربيع من حلاوة اللسان حتى يعطيه هذه الاموال والخيل والجمال فقال له عروة لا تذم الرجل يا أبا الفوارس على فعل الاحسان واعلم أنه رزق ساقه اليك الرب القديم الرحمن ثم انهم حملوا أثقالهم على بعض الجمال وساروا طالبين أرض العراق وقد زاد بعنتر الى عبلة الاشتياق فجعل يتسلى بهذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

يا شوق صبرى ضعيف يكفى لا تزدى
ولا تزدنى على مابى من الكمدى
ويا سقامى لا تلحقنا * أبقيت غير رسوم الصبر والجلدى
كم ليلة بت أشكو طولها ولها
والبين يضرم نار الشوق فى كبدى
وكل ما طار طير فى الدجا حزنا * مسكت من أسفى على الحشى بيدى

يا طائر البان غني كيف شئت فقد
أمنت من نائبات الدهر والنكد
وقد وجدت حبيبا كنت تألفه
وأنا فقدت حبيبا غاب عن بلدي
فاذكر ليالي مضت بالوصل مشرقة
وأنت تهتف فوق الغصن بالنشد
ياصاحبي لاتخف في يوم معركة * اذا رأيت بريق البيض والزرد
ألق الأسنة والابطال جائلة * ومت كريما ولا تخضع الى احد
وخلني أشتفي ممن يعاندني
مادمت أملك بعض الروح في جسدي
اذلم أخل طيو رالجو حائمة * فلا شفيت ولا أروى الثرى كبدي
قال وبعدها سار وا يقطعون الارض والمنازل ويتجنبون الاحياء والمناهل الى أن بقي بينهم وبين بني شيبان ليلة واحدة فعندها أنزلهم شيبوب في برية مقفرة لكي يختفوا عن السالك والعابر ولا يكون أحد لامرهم خابر ثم ان شيبوبا خلع ثيابه التي يلبسها في اقامته ولبس ثياب حيلته وهو ثوب خام قصير الاكمام وتزيا بزي أهل الشام وسارحتى أشرف على الديار ووصل في مكان الرعيان وكان قد أظلم الظلام وجعل يدير عينيه بين الخيام وأراد أن يسأل عن بشارة بن منيع لانه ماكان يعرف صفته ولا أبياته لاننا ذكرنا انه ما اجتمع به سابقا الا ليلا فبينما هو في حيرة وضيق واذا هو بفارس قد اعترضه في الطريق وهو يلتفت في اقطار البر يمينا وشمالا يشبه الوالد الحيران وهو يبكي بكاء الاحزان وينشد ويقول

53

ريح الحجاز تنفسى عن حاجرى * واقرى سلامى للعضب الماجرى
فلعل رابعة ترد سلامها * وتجود عطفا بالخيال الساهرى
يا عبل ان كان ابن عمك قد غدا * ورماك خوفا من رجال عشائرى
وسلاك عنترة وملّ فاننى * أخفيك من خوف العدا فى ناظرى
أو كان شيبوب أصيب بنكبة * وحواه بطن مقابر وحفائرى
فالامر لرب العظيم فانه * فى خلقه يقضى قضاء القادرى

(قال الراوى) فلما سمع شيبوب ذلك الانشاد والمقال أخذه الانذهال وعلم انه بشارة بن شبيع ففرح بتسهيل الامر سريع فأجابه على شعره يقول

والله ماطرق الزمان لعنترى * أيضا ولا شيبوب ذاك الماهرى
ولقد أتاك بهمة عبسية * والخيل تتبعه بكل مبادرى
من كل أغلب فى الكريهة ماجد
صعب العزيمة كالهزبر الجاسرى
يغشى وجوه الخيل فى يوم الوغا * ويهز فى هام العدا بالباترى
بطل اذا عاينته فى سرجه * فتراه كالاسد الجسور الكاسرى
من نسل سادات غدت أفعالهم * بين الورى مثل الربيع الزاهرى

(قال الراوى) فلما فرغ شيبوب من هذا النظام تقدم الى بشارة وبدأه بالسلام وقال له والله ماطرقت شيبوب نوائب الزمان بل انه أتاك بعنترة الفرسان ومعه مائة فارس أعيان تلقاهن سلمان ثم انه تقدم اليه وعرفه بنفسه (قال الراوى) فلما نظره بشارة فرح برؤياه وأعلمه بغيبة مولاه وقد عولت أن آخذ أمواله وماتملكه يداه وأسير مع صحبة الجماعة الى عند محبوبتى رابعة ولكن قبل كل حساب أن تمكث هاهنا من غير قيل ولا قال حتى

تأخذ عبلة زين الدلال وتوصلها الى أخيك فى عاجل الحال فلما اتصل بها اليه تسلم عليه وتقبل يديه وخذهم وسر بهم الى جبال الردم وأنزلهم فى تلك الآكام وأنا آتى اليكم سريعا لانى قد خطر لى خاطر وبه تكمل البشائر وذلك أننى أسير وأجمع ما لمولاى من الاموال وأحمله على ظهور الجمال وآتيكم فى عاجل الحال فى نفر قليل من الرجال فعندما تعاينونى وقد أشرفت عليكم فشدوا على الغارة واقطعوا جميع ما هى من العبيد وأهرقوا دماءهم على الصعيد ولا تدعوا منهم قريبا ولا بعيدا وسيروا بنا فى أمان من غير الزمان فأجابه شيبوب على ما قال بالسمع والطاعه ورجع بشارة من تلك الساعه الى أن وصل الى الديار فوجد عبلة له فى الانتظار قال وكانت عبلة قد ملت من طول مدتها وبشارة يوعدها بتفريج كربتها وكان كل ليلة يأتيها عند الظلام ويسليها بالحديث والكلام الى ان كانت تلك الليلة التى اشتغل فيها بشارة مع شيبوب وقد غير الميعاد وعبلة قاعدة فى نواح وتعداد فبينما هى على ذلك الايراد واذا قد دخل عليها بشارة فى تلك الساعة فوجدها تذرف الدموع وتذكر الاطلال والربوع وهى تنشد وتقول صلوا على طه الرسول

فنى الدمع والاشواق تقوى ولا تفنا
وأضنانى شوقى الى الاهـــل والمغنا
أنوح ومالى من يفرج كربتى * ولا من يقاسمنى الهموم ولا الحزنا
بحياتكم يا راحلين ترفقوا * ولا تشمتوا بالبعد حسادنا منا
وان جزتم وافى سيركم رمل عالج
فردوا فؤادى وارحموا جسدى المضنا

وقولوا لسكان الحجاز عبيلة * تقاسى نزاع الموت شوقا الى المعنا
علمتم بحبـــلاى وانقطاعى وغربتى
ولا فيكموا من سار نحوى ولا حنا
بنى العم ماعوقتمونى مـــلالة * ولا كان ظنى فيكم واتخلفوا الظنا
عهودى نقضـتم لها ومودتى * وخلفتمونى فى بلاد العـدا رهنا
أموت اشتياقا كل يوم وليـلة * ويقتلـــنى نوح الحمام اذا غنا
واهلكنى نوحى وهى وغـربتى * مرارا وأبكى عندذ كركم حزنا
فياليت شعرى هل يجيئنى بشارة * يبشرنى كى مايزول العنا عنا
وانظر وجه الفارس البطل الذى * يزول به حزنى ويمضى الامنا
(قال الراوى) فلما سمع بشارة من عبلة هذه الابيات دخل عليها وهو يقول لها نعم يامولاتى قد أتاك بيشارة يستاهل عليها كل ماملكت يداك لانها من أحكم البشارات ثم انه أعلمها بوصول شيبوب وعنتر وقص عليها القصة والخبر فقالت له أحسن الله بشارتك ثم جمع شملك على محبوبك هذا وقد قال لها بشارة قومى فى هـذه الساعة بنفسك حتى أجمع بينك وبين ابن عمك حتى أدبر شيأ أخلص به نفسى ثم ان بشارة قام الى صندوق حوائجه وأتى لها بثياب ملابسه وألبسها زى الرجال وعممها ولفها واركبها على جواد حتى بقيت مثل الفارس الهمام وخرج بها من الخيام وأوصلها الى شيبوب فى تلك الآكام وقال له سربها على الفور وأوصلها الى أخيك الفارس المذكور ومابقى الا وصولنا اليكم وقدومنا عليكم فقام شيبوب الى عبلة وهنأها بالسلامة وبعدها سار بها طالبا أخاه عنتر وهو يجد فى ذلك البر الاقفر ومازال الى أن وصل اليه وكان عنتر قد أخذه القلق

عليه وأراد ان يسير خلفه خوفا عليه واذا به أقبل وعبلة خلفه كأنها غزال عطشان فلما ابصرها قام لها كأنه كالوله السكران واعتنقها وقبلها في فيها وبالسلامة هناها وأشار اليها يقول صلوا على طه الرسول

لولم يكن قلبي بحبك مبتلى * ما بات طرفي في الظلام مبتلا
وقد أطعت الى الغرام تولها * وعصيت من وجدي عليك العزلا
انظر ترى ربع الاحبة ماخلا * يا ماجرى والعيش بعدك ماحلا
أنت الذى أورثت أسباب الهوى * وتركتني بعد المحبة مهملا
وجعلت ما بين التواصل قطرة * وجعلت دمع العين غيثا مرسلا
ماضر لو حييتني بتحيـة * أو جئتني بالوصل منك تعللا
ياسائلى عن حالتي في حبها * ونحول جسمي والضنا يكفي البلا

(قال الراوى) وانهما لما التقيا بعد هذا الشعر والنظام فقعدا يتحادثان ويتمايدان ماحل بهما من الغرام فهذا ما كان منهما وما جرى من أمرهما وأما ما كان من بشارة بن منيع فانه أقام ليلته وهو يدبر في قصته الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح فقام وسار الى مالك بن حسان وهو الذي تركه مفرج بن هلال يحفظ الحلة والمال والحريم والعيال ولما دخل عليه قبل يديه وقال له يا مولاى قد وصل الى من عند مولاى كتاب يذكر فيه أنه قد جرى له عند الملك كسرى أمور وأسباب لانه سيره الى أرض خراسان هو ومن معه من بني شيبان وولى عليهم مرزبان ومن له بالديالم والاعجام وسار الجميع ليفتحوا بلدا اعصيت عليه من أقاليم اصفهان وقد أخبر مولاى أنهم لما وصلوا اجتمع عليهم خلق كثير منها ومن غيرها وانهم لما اشرفوا على العطاب عوّل مولاى

مفرج على الهرب وانه أمرنى فى هذا الكتاب اننى أحمل جميع
ما كان فى خزائنه من ذخائر وأموال على مائتى جمل من الجمال
واحصن الجميع فى جبال الردم وتلك الوديان حتى يتصلح حاله مع
الملك كسرى أنوشروان ثم انه أعرض عليه كتابا وفيه شرح
جميع الاسباب ولما أن قرأه وعرف مضمونه ومعناه قال وكان
بشارة صنع هذه الامور والاحكام من ذكاوة عقله فى الظلام
لانه كتب هذا الكتاب ودبر هذه الامور والاسباب وقال له
مالك يا بشارة ان مولاك ما ذكر فى الكتاب أحدا من النساء
والعيال والبنات والاطفال فقال يا مولاى لانه يعلم ان الملك
كسرى اذا أغار الى الحريم والعيال والبنات والاطفال يخلصوا
اذا توسط لهم الملك النعمان وأما الاموال والصناديق والجواهر
الغوال اذا أخذهم ما يرجع منهم حقال قال صدقت فى هذا المقال
احترص على أموال مولاك قبل أن تدهلنا طناجير الاعجام فعندها
خرج بشارة من عنده وجمع عبيد مولاه واختار منهم خمسين عبدا
وأنفذوا الى المراعى فأتوه بمائتى جمل من الجمال القواه ودخل
الى المخازن بالعبيد وأخرج منها ما يريد وأخذ ما كان فيها من
الصناديق والاموال والثياب الغوال وما ترك فيها الا ما لا ينفع
مثل عامود خيمة مكسور وأوبيت متقطع قال وعند المساء تجهزت
الاشغال وشالوا الاحمال على ظهور الجمال وركب وأخذ أمه
معه وسار من أول الليل وأمر العبيد بسوق الجمال والخيل وما
زالوا سائرين وفى السير مجدين الى ضحى النهار وعولوا على
النزول واذا بخيل بنى عبس قد خرجت اليهم عند طلوع الشمس
وهى تنادى الغنيمة الغنيمة (قال الراوى) فلما سمع بشارة هذا

الكلام ورأى فرسان بني عبس وعنتر فرح بذلك واستبشر وأخذ بجواده اليهم وسلم على عنتر وقد عرفه بطلول قامته وذلك خوفا على نفسه أن يجرح غلط ويفرط فيه الفرط هذا ولما بقى قدام عنتر سلم عليه وقبل يديه وقال له يا مولاي انزل السيف في هؤلاء العبيد أولاد الانذال وتسلم مني تلك الاموال واجمع بيني و بين محبوبتي رابعه التي تقارب الشمس وأنوارها الطالعه ثم انه أشار يمدحه بهذه الابيات

سمى بك المجد واستعلت بك الرتب
وقصرت عن علاك العجم والعرب
حزت الشجاعة لما نلت غايتها * فما يفوتك من ألقى بها القب
رغب الرجال لجمع المال واجتهدوا * ولم يكن لك في غير العلا رغب
فلا تخف رعبا في المأثورات فقد
أعطيت كل المتاع فوق ما يجب
سماحة لا ينال الريح غايتها * جودا و يعطى عطايا دونها السحب
فاسلم ودم لبني عبس وابق لها * تفتخر بذكرك في الاعصار والحطب
عززت دار بني عبس وجانبها * فلم تلم بها الاحداث والنوب
يا من اذا أخفاه نور هيبته * أيقنت أن سناه ليس يحتجب
فامنن على وهب لي الست رابعة
وعدها سيدي من بعض ما تهب
أني لها عاشق والله يا أملي * وان عشقي لها من أعجب الحب

(قال الراوي) ثم ان بشارة بعد هذا الكلام تقدم اليه وسلم عليه وهنأه بلقاء المحبوب وكذلك بلقاه أخيه شيبوب قال فلما سمع عنتر ذلك الكلام تبسم وقال له أبشر أيها البطل المكرم بطيب

الجود

الجود والاحسان وعظم المروءة والامكان ثم أمر الفرسان في عاجل الحال أن تصنع السيف في العبيد وأن يمدوهم على الصعيد فدأروا بهم من كل جانب ومكان ونهبوهم بالسيف والسنان وأخذوا الجمال والاحمال بما عليها من صناديق الاموال وعادوا طالبين ديار بني عبس وعدنان وما زالوا سائرين ويقطعون الهضاب والتلال هذا وبشارة فرحان باجتماعه بمحبوبته رابعه وقد زالت عنه همومه وحسرته الشائعه وعنتر وعده بخيام ومضارب وقباب ومناصب وخيل وجنائب وهو فرحان باجتماعه بعبلة زينة الاعيان وهو سائر ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

بين العقيق وذات الجزع والعلم * على قلة من أهواه ليس بمكتتم
وفي أوانس ذاك الحي من شجن
سقيمة الطرف أفضت بي الى العدم
فتانة اللحظ ما أحلى لواحظها * في موقف البيت قد أراق دم
مالت الى بورد الخدود ابتسمت * عن واضح بارق الثغر مبتسم
في ليلة لم يدع ليل العفاف بها * قلبا ولم أعتذر منها الى كرم
خلعت في حبها عذر الغرام بها * الى الوشاة وقد ماتوا بغيظهم

(قال الراوي) هذا ولم يزالوا سائرين الى أن قاربوا المنازل والاطلال ففرح شيبوب بالبغال والجمال الى التلال والرمال التي دفنوا فيها صناديق الاموال فأخرجها وأعادها الى ظهور الجمال وقد ذكرنا أن هذه الاموال التي أخذوها من ربيع كما تقدم وكيف عاد وجواده عدم ثم انهم أخلطوا المال بالمال وساروا حتى أشرفوا على الاطلال وعلمت بقدوم عنتر جميع الابطال فان

قلب الحي الى قدومه وهم يتعجبون مما أتى معه من المال والغنائم وكان خرج أكثر الناس الى لقائه وفي أوائلهم أولاد الملك زهير فنظروا الى تلك الاحمال والاموال فتعجبوا منها وقالوا والله لقد أفقر عنتر الملوك من أهل اليمن وأهل تلك الارض وأحل بهم البلاء والمحن هذا وعنتر لما نظر الى فرسان بني عبس قد أقبلوا ترجل اليهم لاجل السلام عليهم وقال لعبلة بنت مالك اطلبي أنت عرض البر واقصدي أبياتك والمضارب وسيري الى بيت أبيك وأهلك وزوجك فسارت عبلة الى أهلها وأما عنتر فترجل لاولاد الملك زهير كما تقدم وسعى حتى وصل اليهم وسلم عليهم وعلى فرسانهم واجنادهم فسلموا عليه وهنؤه بالسلامة وسألوه عن سفرته وما جرى له في غيبته فقال لهم حديثي عجيب وأمري غريب وما هذا وقت شرحه وما يصلح الا بين يدي أبيكم الملك زهير قال وكان مالك أبو عبلة قد تعافى من جراحه وبدا اصلاحه وطلع ذلك اليوم في جملة الفرسان الى لقاء عنتر وقد نظر الى تلك الاموال والغنائم التي مع عنتر وهو بها قادم فزاغ منه البصر وتأسف وتحسر والتفت الى ولده عمرو وقال له يا ولدي لو كانت اختك باقية كانت هذه الاموال الى مضاربنا وأملنا وبعد ما تقدم الى عنتر وسلم عليه وقال له يا أبا الفوارس هل وقعت يا بنة عمك على خبر أو اقتفيت لها أثر بعد طول هذه الغيبة فقال عنتر يا مولاي زوجتي عند أمها بين أهلها وقومها فتبسم مالك وظن أن كلامه مزاح هذا وهم سائرون حتى عبروا على أذيال الخيل فتلقتهم الاماء بالدفوف والمزاهر وخرجت اليهم المولدات والحرائر وجميع النساء والبنات يطلبون من عنتر الوهبات كما جرت لهم به العادات اذا قدم عليهم

من الغزوات وما كان فى الكل أشد فرحا من بشارة بن منيع لانه رأى محبوبته رابعه وهى فى جملة اللدات والحرائر طالعه فترجل اليها وضمها الى صدره وكان يبكى ويشكو اليها ما قاساه من فراقها والابعاد ومازال كذلك حتى استقر بأهل الحى القرار وخلع عنتر على العبيد والاحرار وفى عاجل الحال أمر بنصب الخيام والسرادقات فرفعت القباب وامتدت الاطناب وقال عنتر لبشارة هذه الخيام خيامك وأنا فيها نزيلك وجارك وخادمك وكلما وصل معك من أموال مولاك فهولك وأموالى وما تملك يدى فهو بين يديك قال فلما سمع بشارة هذه الاقوال من عنتر شكره وقد أثنى عليه ونزل هو ومحبوبته رابعة فى الخيام وأما مالك أبو عبلة فانه سار الى منازله والابيات فرأى ابنته عبلة هناك وفى خدمتها الاماء والمولدات وحولها نساء أعمامها السادات وهى تحدثهم بقصتها فجارعة لما أبصرها وغاب عن الدنيا لما نظرها وقال لها ويلك يا امق وأنت فى عداد الاحياء فوالله لقد ذكر لى ابن عمك هذا الكلام فظننت انه مزاح ثم انه دنا منها وقبلها ما بين عينيها وجلس يسمع حديثها والذى جرى عليها قال وأما عنتر فانه لما استقر به النزول وحط عن الجمال الحمول أنفذ الملك زهير خلفه رسول وهو يقول له أجب الملك زهير صاحب السلف المشهور لانه قد أصبح اليوم مخمور وما عقل على نفسه الا تلك الساعة وقد حدثوه أولاده بقصتك وما جرى لك فى سفرتك وما جرى لك من أوله الى آخره وقد اشتاق الى طلعتك فأجابه بالسمع والطاعه وسار اليه من تلك الساعه حتى دخل على الملك زهير فقام الملك زهير وتلقاه وأجلسه وحياه وقال له أهلا وسهلا

ومرحبا بحامية عبس وقادح زنادها فوالله لقد بعدت وكنت أنت الراجح فى انقادها فقال عنتر لا والله يا مولاى ما أبعدت عنى بل لاجلها كانت سفرتى خلصتها من بلاها ثم انه أشار يقول صلوا على طه الرسول

يا أيها الملك المحمود شيمته * يا ابن الافاضل فى الاخلاق والشيم
انظـــر بعينيك واسمع قول معتذر
واخل مسامعك فى لفظى وفى كلم
لا يرهب العزم ان ضاقت مذاهبه * ولا يعد واذا استولى على النعم
ان آخر الدهر حظى عن يدى أملى * أمشى اذا دعانى المجد عن امم
فما مددت الى نحو اللئام يدا * ولا سعت بى الى أبياتهم قدم
خوفا على السيد الممنوع جانبه * من أن يضام واشفاقا على الحرم
لى همة بك ألتق الحاد ثات بها * وما عرفتك الا حافظ الذمم
فخذ بحقى وانصرنى على رجل * نذل لئيم خبيث غـــير محتشم
فأنت أفضل كرام الناس كلهم * وأنت أقدر من عرب ومن عجم

(قال الراوى) ثم ان عنتر أعلم الملك زهير بعماد بن الربيع بن زياد على عبلة بنت مالك بن قراد وكيف أرسل الى مفرج بن هلال وطلب منه عشرة رجال وكيف عمل الحيلة على عبلة حتى أخرجها الى العزيز وكيف سباها وكان ذلك بحكم الملك القدير وكيف انه تقاسم مع مفرج اموالها وكيف أراد قتلها واتلاف حالها وبعدها قص عليه قصة العبد بشارة والاموال التى وصلت معه من أرض بنى شيبان وان خلاص عبلة على يديه من القتل كان فتعجب الملك زهير هو وأولاده من ذلك الكلام وما منهم من أحد خفق فؤاده من هذه الاحكام وقالوا والله لو كتب هذا الحديث

58

على بعض الصخور لذابت ولو سمعت به الاطفال التى فى المهود لشابت والساعة يا أبا الفوارس عبلة فى أبياتها عند أهلها وامامتها فقال يا ملك الزمان ولكن المال الذى عليها راح والجواهر واللآلى وأنا عازم على خلاصه من الربيع بن زياد ومفرج بن هلال ولو مالت علينا الجبال فى مروة الرجال فلابد من تخليص حقى من بنى شيبان الانذال فقال الملك زهير والله ما تزال أنت والربيع بن زياد فى اللجاج والنكال حتى تقتح علينا بابا لا ينسد وترمى العشيرة بسهم لا يرتد وكان من الرأى الصواب أنك لما علمت بخبر عبلة أنها فى بنى شيبان كنت أعلمتنى بهذه الامور والاسباب حتى كنت أنفذت لهم نجاب وأخلص لك مالها منهم بكل الاسباب ولا كنت سرت أنت وأخذت مال فرج بن هلال وهو فى سفر الملك العادل كسرى أنوشروان والملك النعمان وتركت أنامع العالم فتنة لا تنقضى طول الزمان فقال له عنتر يا مولاى لو أعلمتك أن عبلة فى قيد الحياة وشاع خبرها على الأفواه كان الربيع بن زياد المقطوع النخاع يسبقنا الى قتلها قبل خلاصها بالمكر والخداع طمعا فى أخذ مالها وما كان عليها من المتاع وكان يكتم عنى حالها ولم أعلم بما جرى لها والآن قد ثبتت عليه حجة بظهورها ولا بقى يقدر على انكارها بعد اشتهار أمرها وأما ما فات عن بنى شيبان سوف أريك ما أفعل بهم من الذل والهوان ولا أزال كذلك حتى أخلص أموالها بالحرب والطعان فقال الملك زهير قاتل الله الربيع ما أخبثه وأبذله من دون الرجال لانه أخذ بنت عمه التى يلزمه عارها وغربها عن ديارها وساقها الى قوم غير أبناء جنسه لا جرم أن الله

الكريم قابله على فعاله في ماله ونفسه فقال عنتر وكيف ذلك يا مولاى فحدثه الملك زهير بحديث الربيع لما كبس على ركاب بن مالك ووقعه في الاهوال والمهالك وكيف جرح وأخذت أمواله وساءت بين الرجال أحواله وسار مرمى في الفلاة هلاك لولا اخوته ساروا اليه وحملوه والا كانت الوحوش أكلوه وهو الى الآن مريض من ألم الجراح ويتجرع بالماء القراح فعندها دق عنتر بيد على يد وأظهر التعجب والاسف وقال يا ملك هذا عاقبة العنا والتلاف قال وكان الربيع بن زياد لما جرحه عنتر وأخذ أمواله وقتل عبيده وأقياله وتركه مكتفا في الفلاه بعد ما عصب جناه فكان كما ذكرنا ارسل عبده سالم الى اخوته يعلمهم بقدومه من سفرته حتى انهم يخرجون الى لقاه ويستبشرون بالاموال التي جاءت معاه وأقام هو باقي النهار ولا حسب حساب طوارق الاسحار الا ان عبده ما وصل الى بني فزاره وتلك البطاح حتى أصبح الصباح ودخل على اخوة الربيع وأعلمهم بقدوم أخيهم الجميع ففرحت الرجال منهم والصبيان وخرجوا للقاء الغياب وركبوا في جماعة من الرجال وساروا والعبد قدامهم على تلك الحال حتى مضى النهار الى أن مضوا الى الوادى المذكور وتلك القفار فما رأوا للربيع آثار فقالوا للعبد أين فارقت مولاك فقال في هذه القفار والدكادك على غدران ركب بن مالك وقد قال انه عند الفجر يقدم علينا وهذا وقت ملتقاه بنا الآن يكون تعبان وأقام في ذلك المكان لاجل الانس والامان فقال عمارة هذا هو الصحيح وحق مالك الممالك ان هذه الارض صعبة المسالك ثم انهم هموا في سيرهم المتدارك

حتى

59

حتى أشرفوا على ركاب بنى مالك واذاهم يرون القتلى مطروحين هنالك والوحوش اليهم تتبادره والطيور عليهم حائمة وطائره والدماء من أجسادهم فائره فقال عمارة واخيبتاه هذه والله بئس الفعال مات أخينا وقبر وقد حلت به العبر ثم انهم تقدموا وهم تابعون وطء الجمال وأثر حوافر الخيل العوال حتى التقوا بالربيع وهو على ذلك الحال فلما نظروه عرفوه وقالوا والله هذا أخونا فيا ترى من به أفجعنا ثم انهم نزلوا اليه وحلوا الكتاف من يديه وفكوا العصابة التى كانت على عينيه وشدوا جراحه وكلموه فأفاق من غشوته لما رأى حوله اخوته وأيقن بالسلامة عندها فسألوه عن حالته فحكى لهم جميع ما جرى له فى سفرته من عهد ما كان عند الملك النعمان الى أن أقبل الى هذا المكان وأخبرهم بالخبر الذى جرى عليه وأخذت أمواله وما كان بين يديه وقال عمارة واأسفاه يا أخى ليتنى كنت حاضرا عندك ولكن ما سمعت من أحد ولا أدرى به فقال والله ان كانوا تابعين أثرى من أرض العراق أو انهم التقونى فى هذا المكان اتفاق فقال له عمارة يا أخى ما علينا من ذلك وأما ما كان من أمر عبلة بنت مالك فقال الربيع قتلت وسقيت كأس المهالك فقال عمارة واحسرتاه عليك يا ابنة مالك وما كنت الا أتمنى ساعة من ساعات وصالك فقال الربيع اتركنا من هزيانك وشقشقة لسانك ثم انهم ساروا الى أن وصلوا الى الخيام وطرح الربيع على الوسائد ونام من كثرة الجراح والآلام وفى ثانى الايام قبل عليه يزيد عمرو فى أكابر بنى فزاره واخوته وأولاده وسلموا عليه واستخبروه عن حالته فأعاد عليهم ما تقدم من قصته فقال حذيفة بن بدر يا ربيع

وحق الكعبة الحرام وزمزم والمقام لو كنت أعرف هذا العدو الذى فعل بك تلك الفعال لاقلعن آثارهم وأخربن ديارهم ولو يكونوا بعدد المطر أو ورق الشجر ولكن يا ابن العم سلامة الانسان من العدم أوفى من ألف غنيمة وأعظم قال وأما الملك زهير لما بلغه الخبر عن الربيع انه أتى من سفرته مجروحا اتى له فى سائر اخوته ورؤساء عشيرته وسلم عليه وسأله عما جرى له فأخبره بقصته وأعلمه أيضا بخبر المتجردة وكيف ان النعمان طلب أن تكون له أهلا ويكون لها بعلا ونحن يا ملك الزمان ما نجد لها كفأ غير الملك النعمان وبمصاهرته تتباهى سائر العربان (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير من الربيع هذا الكلام عبس وغضب وقال أنا ما عندى بنت تصلح للازواج وان كانت عندى ما غربتها عن وطنها وأهلها وتعيش وحيدة فريدة ما لها من يودها وأنا راكب على ظهر الحصان وخلفى أربعة ألف عنان وابنتى بعد ذلك تضام وتهان ثم انه قام وركب الجواد وهو متألم القلب والفؤاد من هذا الكلام الذى سمعه من الربيع ابن زياد (قال الراوى) وفى هذه الايام وصل عنتر بن شداد بهذه الاموال الذى وصفنا وشاع خبرها فى الاحيا وسمع بها كل من فى الحلة حتى وصل الى بنى فزارة وسمع به الربيع واخوته فعند ذلك تعجبوا من اظهار عبلة بعد العدم وقال عمارة لاخيه الربيع انت أعلمتنا يا أخى انك قتلت عبلة وها هى قد ظهرت وسرت قلوب أهلها الجميع فقال الربيع والله ما أدرى من هذا السبب وفى الغيب عجب وأنا قد تحيرت وقد أخذنى العجب وسعد هذا الشيطان قد غلب وأنا أقسم بحق البيت والاركان أنى ما سرت

من بني شيبان الى خدمة الملك النعمان الا وعبلة تحت الرمل والكثبان وبعيني رأيت الدم على أثواب العبد الذي قتلها لا ان يكون قد كذب وخان لما أمرناه بقتلها والهوان ثم انه سار بعض العبيد الذي جاء يخبر عن خلاص عبلة كيف كان ومن أي أرض ظهر وبان ومن كان السبب في خلاصها من ذلك الهوان فقالت العبيد والله يا مولانا ما استوعبنا الحديث على صحته ولكن رأينا عنتر لما عاد من أرض العراق ومعه أموال وغنائم قد سدت الآفاق ومن كثرتها ما يسوقونها وهي لا تنساق وهم خيل وبغال وجمال ونياق ورأينا بجانبه عبدا أسود طويل مليح الزي والمنظر وهو مدور الوجه مليح نظيف اللباس كامل الآداب مسفر اللثام مليح القوام واتناس الناس اسمه لما اعجبنا حسنه البديع فقيل لنا اسمه بشارة بن منيع وذكرنا الذي سأل الناس عن اسمه فقال لنا هذا السبب في خلاص عبلة من المهالك والوبال وقد أخذ أموال مولاه مفرج بن هلال وأتى يريد المقام في هذه الاطلال وذلك لاجل مولدة اسمها رابعه قد ظهرت عند عنتر بن شداد وهي تخجل الشمس الطالعه ومن أجل فعل هذه الفعله نجى من الملاك بنت مالك عبله قال فلما سمع الربيع هذه القصه زادت في قلبه النيران والغصه فجمع سائر اخوته وقال لهم اعلموا انه قد جرى من الاسباب مالم يكن في حساب ولا بقي غير معاداة ذلك العبد الشرير واذا لم نحسن في هلاكه التدبير هلكنا ولا بقي منا الا صغير ولا كبير وقلبي يحدثني بأنه هو الذي التقاني في ركاب بني مالك وأخذ اموالي وأورثني المهالك وعاد هذا الولد الزنا بعد الخسارة رابح وقطعت المقادير والاسباب وجهه

السكائح ولابد مايخرج الملك زهير الى معاداتنا ويعا كان على عبلة
من الملابس والجواهر يتهمنا وينتهى الامر الى القتال وان جدنا
هذه الاعمال وأنكرنا هذه الفعال وحلفنا انما عندنا من عبلة
علم ولا خبر شهد علينا هذا العبد الولد الزنا الآخر الذى هو بشارة
الذى قد خان مولاه وتبع غرضه وهواه وكان من الصواب قتل
فائقة ورابعة على الغدير قبل ماندبر على عبلة ذلك التدبير
ولكن ماعلمنا ان الامر مدبر لاجل سعادة هذا العبد اللئيم الاغبر
قال هذا والربيع لما زاد عليه الحال فاض من عينيه دمع سيال
وقال والله ان ضيع الملك زهير حقى ولا راعى جانبى وهتك حرمتى
لاقلعن أثره من أرض الشربة والعلم السعدى وأجعل لى وله حديثا
يذكر من بعدى وأول ما أوقع بينه وبين الملك النعمان الذى هو
ملك العربان وأحوجه أن يركب عليه بملوك العرب ويقوده هو
وأولاده فى حبال الذل والهوان لانه لما أتى يفتقدنى مما حصل لى
من الهوان والعطب أشرت عليه بزواج ابنته الى ملك العرب
وقلت له ان صاهرته يرتفع قدرك عند أهل الرتب وتبقى من أفخر
الملوك أهل الحسب والنسب لان الملك النعمان قد بلغه ما فى ابنتك
من الحسن والجمال فاراد أن يكن بينه وبينك حبل الاتصال
وأنا الذى وصفت له جلالة قدرها وما يكون من أمرها وهو عازم
على ارسال النجاب وبه تبلغ كلما تروم من الاسباب فلما سمع
منى هذا الخطاب غضب ولا ردّ على جواب بل قال لى حتى أشاور
اخوتى الانجاب وأنا قد صح عندى أن عنترا هو الذى جرحنى
وقتل عبيدى وأخذ اموالى وفضحنى واذا رأيت الامر قد اشكل
على وأرسل لى زهير يطالبنى بهذا العمل ويتهمنى بما كان على عبلة

من

من الجواهر والحلل ويرميها في رأس عنتر ويتقوى على عداوتي من دون سائر البشر لاجهدن نفسي في قلع آثاره وخراب دياره ولا أترك منهم رفيعا ولا وضيعا واصنع بهم أقبح صنيع ثم انه أقام ينتظر ما يكون واخوته اليه يتوجعون والى قلبه يطيبون فهذا ما كان من الربيع وأخيه عماره وما جرى لهم من تلك العباره التي تؤذى لهم الذل والخساره هم ومن يلوذ بهم من بني فزاره وأما ما كان من عنتر والملك زهير فانه لما فرغ من كلامه لعنتر عن الربيع وما فعل من الفعل الشنيع نكتم عنتر ما عنده وقد أظهر التأسف والعجب وقال أيها الملك الذي عم جوده وافضاله لا جرم أن الله جازاه على قبيح فعاله واني أريد منك ان ترسل اليه في عاجل الحال وتطالبه بما كان على عبلة من المال فاذا أقر واعترف بخطاه وقال خدعني واعتذر الينا قبلنا عذره وسامحناه وان جحد ذلك وأنكر أقمنا عليه البينة وعلى قبيح فعله جازيناه فقال الملك زهير أما هذا الامر لابد منه على كل حال ولابد نرسل اليه ونسمع منه كلامه وبيان الصدق من المحال وبعدها قام عنتر الى أبياته وفرح الملك زهير بخلاص عبلة وكذلك سائر أولاده وجماعة الاولاد قيس فانه اغتم باطنا بما سمع على صهره الربيع وصار يفكر في ذلك الامر المريع وقد باتت القبيلة تضج في مثل هذا الكلام وأما بشارة بن منيع فكانت عنده هذه الايام أعياد باجتماعه بمحبوبته غاية المراد وقد اشتغل بها عن الجميع وشكر الزمان الذي جمعه بها بعد الاياس سريع (قال الراوي) وكان عنتر بن شداد قد شرع في وليمة تامة عظيمة لما بين الرجال قدر وقيمه وأكرم فيها سائر الناس وجميع الاصحاب وصارت الافراح في فريق بني قراد ومرت عليهم

أيام كأنها أعياد وهم في لعب وأكل وشرب ولهو وطرب وفرح وبسط وأكل طعام وشرب مدام وقد زفوا ابنه على بشارة بعد ما ألبسوها من الحلي والحلل هذا وجميع الناس اليها تتشوف وسارت الاماء تضرب قدامها بالزفوف والمولدات بالمزاهر حولها صفوف والعبيد يلعبون ويتقلبون تحت السيوف وما أقبل الليل الا والجارية عند بشارة في الدلال وتملى بحسنها والجمال وتمتع منها بالوصال وكان الامير عنتر قد فرش له خيام ومضارب وسرادقات وأعلام واماء وخدام وجمال وانعام وجنائب وسبي ومتاع وأموال ومواهب وكان شيء كثير يكل عن وصفه اللسان وصار بشارة عند عنتر في أعلا مكان وقد خفت عنه الكروب باتصاله بعد الاياس بالمحبوب قال ولما أصبح الله بالصباح وضاء الكريم بنوره ولاح فقال عنتر لعمه مالك قم الآن يا عماه أنت وولدك عمرو ثم أدخلا على الملك زهير وحدثاه على ما أنتم عليه من الامر ولا تزالا به حتى ينفذ الى الربيع ابن زياد ويخاطبه وبما كان على عبلة من الاموال يطالبه لاني أنا قصدي أثير حربا عوان وأشفي ما بقلبي من الاضغان فقال مالك السمع والطاعه سيكون ذلك في هذه الساعه ثم انه قام وأخذ معه ولده عمرا واخوته شداد وزخمة الجواد وبعض أولاد عمه من بني قراد وساروا الى الملك زهير بقوة قلب واجتهاد (قال الراوي) ولما وصلوا اليه سلموا وبعد السلام تكلموا وقالوا يا ملك الزمان أيسبي الربيع ابنتنا ويهتك سترها في بني شيبان ويأخذ ما كان عليها من الجواهر الحسان الغالية الاثمان فانفذ اليه حتى ينفذ لنا حقنا والا تركناه ينفصل من عنترة الفرسان

(قال

(قال الراوى) فلما سمع الملك زهير هذا الكلام خاف من وقوع الفتنة وارتكاب الآثام فأدعا بولده قيس وقال له يا ولدى اعلم ان الربيع صهرك قد صير فى قلوب هذه الرجال دبله وقد سبى ابنتهم عبله وقد تهموه سادات بنى قراد هذه التهمه وبعض البينة ثبتت عليه وأريدك ان تمضى هذه الساعة وتأمره ان يدفع لهذا الرجل أمواله قبل ان اتركهم يقابلوه على فعاله فعندها ركب قيس فى خمس فوارس من بنى عبس الاشاوس وسار وجد المسير وفى قلبه من هذا الامر حراره حتى أشرف على حى بنى فزاره فارسل عبدا من عبيده يعلم الربيع بقدومه عليه فسار العبد حتى بقى بين يديه وأعلمه بقدوم مولاه عليه فقام الربيع فى عاجل الحال وركب فى سائر اخوته ومن يلوذ به من عشيرته وركب حذيفة بن بدر لركوبه وأقربوا خيلهم وركضوا بها مسرعين فى جنبات الارض وجدوا حتى التقوا بقيس بن الملك زهير وسلموا عليه ورحبوا به غاية الترحيب وقال له حذيفة فى ماذا أتيت يا ابن العم ازال الله عنك الهم والغم أنت قاصد الصيد والقنص أم أتيتنا زائرا حتى نقتنم بعلك أوقات الفرص فقال قيس لا والله يا ابن العم وحق الرب الكريم المتعال ما أتيت فى وجه من هذه الاوجه ولا أتيت الا ألوم هذا الرجل الذى ترك أهله وعشيرته وشفا برحيله من حيه جميع أعدائه وحسدته وترك الضير فى أوطانه وعترته ثم انهم ساروا الى أن وصلوا الى الابيات وهم يتحدثون مع بعضهم جميع السادات قال ولما استقر بقيس المقام أخذ يقص على الربيع ما جرى من هذه الاحوال وأخبره انه ما أتى الا ليطالبه بما كان على عبلة من الاموال فأظهر الربيع العجب من هذا

المقال وعاد الى مكره وخبثه والمحال والتفت الى حذيفة بن بدر مسرعا فى المقال وقال له يا أمير هل رأيت فى المصايب مثل مصيبتى أو أحدا جرى عليه من أعدائه مثل ما جرى لى من أهلى وعشيرتى فانه ذهب منى أموال ما يقدر على مثلها الا الملك النعمان ولا توجد الا فى خزائن كسرى أنوشروان وصرت مرمى مطروحا عادم الروح فى الوديان ومتى تدركنى اخوتى وبنو عمى الاعيان والا كان الوحش أكلنى وشرب دمى وفى الآخرة أطالب بالظلم والعدوان وأسير من أهل النميمة والنقصان ويصدقون فى كلام عبد لا قدر له ولا شان وأنا وحق من خلق من كل نطفة انسان واغدق على عباده الرزق بالجود والاحسان ما رأيت لعبلة وجها ولا صورة ولا أخذت من عليها جواهرا وسائر الناس تعلم انى مظلوم وكنت أعذل أخى عمارة والومه وأكثر له من النهى والتذكار من أجل تعرضه لعبلة ليلا ونهار ويعلم الله انى ما فرحت بغيبتها عن الاوطان بل أصابنى من أجلها هم عظيم وأحزان أكثر مما أصاب بنى عمها وأصابها هى وأهلها وربما ان يكون قد اتفق لها مع بنى شيبان جائز طريق وسباها من اطراف الحلة ومن سعدها وطول عمرها أنقذها ربها من أعاديها بالجملة لاننى سمعت انها عادت الى بنى عبس وعدنان واجتمع شملها بأهلها والجيران لكن يا ولدى خل أحدا من أهلها يسألها ان كانت ليلة سبيت رأتنى أو لما كانت فى بنى شيبان نظرتنى فيكون قد حق القول على أطالب بأموالها وان كانت هى ما أخبرتكم عما كان من أمرها والحال ولا صدقت فى المقال فاطلبوا مالها من بنى شيبان ومن سيدهم مفرج بن هلال التى كانت

عندهم

63

عندهم فى الاسر والاعتقال واعلم ياولدى اذا كان الامر كما ذكر فان القوم مايتركون أموالهم لعنتر ولايقعدن عن عبدهم بشارة ولا عن أمتهم رابعة ولابد لهم مايشنوا عليكم الغارة ولابد ما تأتى اليكم فرسانهم مسرعة متتابعة وغبائرها طالعة وربما أعانهم الملك النعمان بأبطال بنى لخم وجذام وما عنده من الفرسان ولابد ما يندم أبوك غاية الندم اذا رأى بعينه الهلاك والعدم (قال الراوى) فلما سمع قيس بن الملك زهير هذا المقال اشكل عليه معرفة الحق من المحال وقال أنا والله قد بان لى باطن هذا القول من صدقه وأنا أعلم أن عنترا معتد وطالب ما لا يستحقه وقد فتح علينا بابا لم نقدر على غلقه فقال حذيفة بتحيره وافترائه يا قيس فاذا كنتم بهذا تعلمون فلم لا تقتلون هذا العبد الملعون أو تنفوه هو ومن يلوذ به من بنى قراد أجمع وتدعون قبائل العرب يفعلون به أقبح صنيع فقال قيس والله يا ابن العم اننا لا يمنعنا عن هذه الفعال الاخافتنا على العشيرة أن تتفرق شملها ويحل بها العدم ويطالبنا كل من له علينا دم لانه كما تعلم ان المرء بين أهله يعز ويكرم وأنا خائف من هذا الامر على هذا الحال ينتهى ويبلغ العدو منا ما يريد ويشتهى قال فلما فرغ من هذا المقال ركب قيس وسار طالب الاطلال الى أن وصل الى أرضه وأوطانه وكان قد وصل ذلك النهار عند طلوع الشمس فوجد أباه وأعمامه وسائر اخوته وبنى عبس الكل مجتمعين عند غدير ذات الارصاد والكاسات عليهم تدور وهم فى غاية الفرح والسرور والقينات تضرب لهم على العيدان وسائر المولدات يضربن بالكفوف والمزاهر والدفوف والعبيد الكل يتقلبون تحت السيوف فلما رآه قيس ميل اليهم وأعلن

بالسلام عليهم قال وكان السبب في ذلك الفرح والمهرجان انه بعد
رواح قيس بن الملك زهير الى بني فزارة اقبل على الملك زهير ضيوف
من أكابر بني غطفان على سبيل الزيارة ومعهم هدية سنيه ومن
ضمنها خيول عربيه فأكرمهم الملك زهير غاية الاكرام ونحرلهم
النوق والاغنام فبينما هم على ماهم فيه من العز المنيع والجناب
الرفيع اذ أقبل الملك قيس من عند صهره الربيع قال وكانت
الخمرة قد لعبت بعقول الجميع ولما أقبل عليهم قيس قاموا اليه
وبجلوه وسلموا عليه ثم انه جلس بين يدي أبيه وابتدأ وقص عليه
القصة وما قال له الربيع بن زياد من المقال وكيف حكم على
نفسه قدام بني فزارة الاقيال وكان ذلك الوقت عنتر جالس بجانب
الملك زهير وبجانبه فرسان بني قراد المشاهير فلما سمعوا ذلك
الكلام صار الضياء في أعينهم ظلام فعندها زاد الغيظ بالامير
شاس وقال ان هذا الكلام ما يعبر عقل ناس لان شيبوب رأى
الربيع في بني شيبان عند مفرج بن هلال الكشحان وهذا
بشارة نابت عليه المقال كيف انه أمره بقتل عبلة ودفنها
في الرمال وكيف تقاسم هو ومفرج ما كان عليها من الاموال
وبعدها يجحد هذا الكلام ويأتي بزخاريف المحال وتكلم مالك بن
زهير بمثل ذلك وصار يحبوعنتر تقدح أفكارها بمثل هذا الخبر
وبدأ الشر يعمل في أجسادهم والصور فقال الملك زهير اقصروا
عن هذا الكلام ولا تجعلوه بينكم يطول واسألوا عبلة حتى اننا
نفهم ما تقول فقال مالك أنا أمضي وأسأل ابنتي عن هذا الحال
وآتيكم بصدق المقال ثم انه قام وسار الى أبياته ودخل على عبلة
ابنته وسألها عن هذه الاحوال فقالت له يا أبتي لعن الله الكذاب

انني

انى مارأيت الربيع ليلة سبونى الفرسان ولا رأيته فى أرض بنى
شيبان لا هو ولا مر يلوذ به من الاقران (قال الراوى) فلما سمع
أبوها منها ذلك الكلام والمقال عاد الى الملك زهير وأعلمه بالحال
وبما قالت عبلة من المقال والكلام فقال الملك زهير الآن ما بقى
على الربيع ملام ما وقع منه هذا الحكم وصدقت عليه عبلة
فى الكلام فعندها قام العبد بشارة وقد كان واقفا بحضرة الملك
زهير يسمع الخطاب فقام الى أبياته وأحضر الجبة والعمامة
والسكين بين يدى الملك زهير وقال يا مولاى اجمع بينى وبين هذا
الرجل الكذاب حتى أخجله قدام هذه السادات الانجاب وأقيم
الحجة عليه لانه أعطانى هذه الاشياء ليلة ما أمرنى بذبح عبلة وهو
عند مولاى مفرج بن هلال وتقاسمنا ما كان عليها من الاموال
(قال الراوى) فلما سمع قيس تلك المسبة فى صهره الربيع من ذلك
العبد بشارة بن منيع زاد غضبه وحصل له أغمام فوثب عند
ذلك قائما على الاقدام وركب جواده وأخذ معه بعض الخدام
وقال وحق الكعبة الحرام لا أكلت طعام ولا شربت مدام حتى
أفصل هذه الاحكام ثم انه سار حتى وصل الى حى بنى فزاره وهو
يقول ما بقيت أرجع حتى أبين هذه العباره وكان ركب
لما تعالى النهار فما وصل اليهم حتى أقبل الليل بالاعتكار قال
فلما رأى الربيع عودته على الآثار فاندهش عند ذلك وحار
وقام وتلقاه وساله عن حالته وما سبب سرعة عودته فأخبره
قيس بما كان من قصته وما جرى من العبد بشارة بن منيع
وكيف أحضر الجبة والعمامة والسكين والمنديل سريع قدام
أبيه وأكابر بنى عبس الجميع فعندها أظهر الربيع الفرح وصفق

على يديه وقال والله ان هذا الامر الذى جرى لى ماجرى لاحد مثله من سائر الامم لانه وحق ذمة العرب والرب القديم اذا طلب غلب ان هذه الاموال بعض أموالى التى أخذت بنى على ركاب بنى مالك والآن قد صح عندى ان عنتر هو الذى أخذ مالى وكتفنى وأساء حالى وقتل عبيدى وأقيالى ولقد أخبرنى بعض الرجال بما أتى مع عنتر من صناديق الاموال والنياق والجمال والخيل والبغال وكنت أردت ان أسير الى أبيك الملك زهير وأطالبه بأموالى ولكن الذى منعنى من ذلك عقلى ومالى وخفت من وقوع الفتن والاهوال والآن قد هتك الله ستر هذا العبد الولد الزنا وتربية الامة اللخنا لانه هو الذى علم بشارة أن يقول هذا المقال ويفعل هذه الفعال والآن مابقيت أقصر عن طلب حقى واظهار هذه الاحوال ولا على ما أخذ لى عنتر من الاموال وان كان أبوك ما ينصفنى ولا يحفظ حق القرابة ويعنفنى عدت الى الملك النعمان وأشكو اليه ما حل بى من الذل والهوان هذا أفعله ان كان أبوك يترك الانصاف ولا يراعينى ولا يخشى من الاسراف وان كان يستعز بسيف عنتر ويترك سادات قومه هدر ركبت معه مركب الخطر وأجعلها عداوة أصلية على طول الزمان (قال الراوى) فلما سمع قيس هذا الكلام خف عن قلبه ما كان يجده من الالام وقال وحق البيت الحرام وما عليه من الآلهة والاصنام ما صار يجتمع شمل بنى عبس مادام فيها هذا العبد الاسود ابن الاثام (قال الراوى) وما قال الربيع هذا المقال الا خداع وخبثا منه واستدفاع ثم انهم لم يزالوا فى حديث عنتر الى أن مضى الليل بظلماه وأقبل النهار بضياه وركب قيس جواده وسار طالبا أرض بنى عبس

وذلك الهمام والربيع سائر في ركابه وهو يوصيه ويقول له يا ولدي اعلم
رأيت الامر اشتد وتعسر اوصل شملي حتى احضروا قصاً كيم اماي وماه
قدام ابيك الملك زهير وأضرب العبد بشارة الضرب الوجيع حتى
يقر ويحكي لنا بالصحيح على ما اتفقوا عليه الجميع وانظر كيف
وصلت اليه الجبة والعمامة والسكين وتعرف السادات من بني
عبس عن يقين أنني مظلوم معهم ومسكين فسار قيس وهو
متفكر في هذا الامر الذي لا يؤول الى خير ولا صلاح وكان قد سار
عند الغلس فوصل الى بني عبس عند الصباح قال ولما أشرف
على غدير ذات الارصاد رأى اباه قد باكر الى شرب الراح هو
ومن معه في ذلك المكان الفياح فنزل قيس اليهم وسلم عليهم وتقدم
الى أبيه وجلس بين يديه وقص جميع ما سمعه من الربيع عليه
فاندهل الملك زهير من ذلك الخطاب وقال وحق مسبب الاسباب
وخالق آدم من تراب ان هذه القصة تحير منها عقول ذوي الالباب
وأنا قد غاب عني الصواب بين هؤلاء القوم الذين لا يعلم الصادق
منهم ولا الكذاب ولكن من الرأي يا ولدي أن نكتم هذا الامر
لان عندنا هؤلاء الضيوف حتى انهم ينصرفوا من غير تشنيع
واجمع بين بشارة والربيع وانظر بينهم بما أراه واستوثق بينهم
بالايمان الجميع واستوهب للمظلوم حقه من الظالم ثم انهم تمموا
أفراحهم في ذلك المكان وخدموا القوم الى أن أمسى المساء
وأقبلت جيوش الظلام وتفرقت هؤلاء الاقوام الى كل مكان
ولما كان عند الصباح خلع الملك زهير على ضيوفه وقاد بين أيديهم
الجنائب وأعطاهم شيأ كثيراً من المواهب وانصرفوا وهم
شاكرين ولانعامه ذاكرين قال ولما خلا باله أنفذ خلف

عنتر وأعمامه وكانت قلوبهم على مقالى النار لاجل سماع ما يأتى من الاخبار وأمرهم أن يحضروا بشارة بن منيع فلما أتاهم الرسول حضر والى بين يديه الابشارة فانه لم يحضر وتقدم عنتر وخدم وسلم فى ذلك المحضر فقال لهم الملك زهير أين العبد بشارة أحضروه حتى يسير معنا الى بنى فزارة وأتولى أنا والشيخ بدر انفصال هذه النوبة ولا تتفرق شمل القبيلة و يشمتوا بنا الاعداء والحساد فقال عنتر يا ملك أى شىء عندك من أخبار الربيع وما جاء به مولاى قيس فقال له الملك زهير ذكر لى أنك أنت الذى أخذت ماله وكان من جملتهم هذه الجبة والعمامه والسكين والمنديل وأنك علمت بشارة يقول هذا المقال ويناظره ويشهد عليه الحال وقد عول أن يسير الى النعمان ويشكوك اليه أنت ومن كان معك من الفرسان ويقول أيضا الى بنى شيبان ويعلمهم أن أموالهم وعددهم عندك فى هذا المكان وأن هذه القصة اذا لم تتلافاها والا انفتح علينا منها باب لا ينسد وطلبتنا الاعداء من كل مكان (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك زهير ذلك ازداد حنقه على الربيع وأرسل خلف بشارة بن منيع فما وجده فأرسل اليه ثانيا وسأل رابعة فقالت والله ما عندى منه خبر من مدة يومين وأنا أقول انه عندك وظننت أنه غلب عليه السكر بمحلة من عندكم فقال عنتر وحق من خلق الانام بل بالامس كان جالسا معى على سفرة المدام و رأيته عند المساء زاد عليه السكر فقام قائما على الاقدام فظننت أنه سائر الى المنام وهذا آخر عهدى منه والسلام قال فلما أن طلبوا بشارة فما وجدوه فقال الملك زهير بان والله الصدق من الحال وقد تبين لى أن هذا العبد كذاب وقد خاف من المناظرة

والعذاب

والعذاب وهذا دليل أن لكم فى هذا الامر نشب وظلمتم الربيع
وهو أمير من امراء العرب ثم ان الملك زهير عاد الى سرادقه وقد
كاد الغيظ أن يخنقه وعاد بنو قراد الى منازلهم وقد وقع بهم الخجل
وزاد بعنتر الغيظ والوجل وتوقدت فى قلبه النار وقال وحق من
أوسع القفار وفجر الانهار وأظهر من الارض فاكهة وأزهار
لا خاصمت حتى الابا بسيف البتار وان أحيانى الزمان رحلت
من تلك الديار والاوطان وأنتدل لمفرج بن هلال ولبنى شيبان
وللملك النعمان وجميع العربان ولو احتمى لهم كسرى
انوشروان أو قيصر ملك عبدة الصلبان وكل من وقع فى يدى من
بنى زياد الحلقه بمن مضى من قوم ثمود وعاد وكذلك قال أبوه
شداد وعمه زخمة الجواد ومالك بن قراد وقالوا والله ما ترحل الا
ونرحل كلنا معك وأينما سرت تبعناك ولا نقيم فى مكان نذل فيه
ونهان ولكن يا ولدى ما تحرك ساكن حتى ينكشف خبر بشارة
ابن منيع وننظر آخر قصتنا مع الربيع فقال عنتر أنا أقول ان
فاتنى حذرى بغيبة بشاره فى أرض بنى فزاره وأن الربيع عمل
عليه وسرقه فى الليل حتى لا يجادله ويشهد عليه وربما يكون
عجل باتلافه وأنا لا أبذل ما أسعى فى كشف خبره واظهار أمره
وبعد ذلك اجازيهم على فعالهم هذا وقد انقلب الحى بهذا الخبر ولم
يقعوا لهذا العبد على أثر وقد ركب عروة بن الورد فى جماعة
من رجاله الابطال وقصدوا المكان الذى كانوا فيه هم والملك زهير
وما كان معهم من الاقيال وهم يفتشون على بشاره وتعوا على هذا
الامر حتى انهم قاربوا بنى فزارة فعادوا ولم يقعوا له على خبر ولا جلية
أثر قال وأما أمه فانها مما حل بها انهتكت عليه وكادت أن تهلك

لغيبته عنها وكذلك أصحاب محبوبته رابعة فكانوا يجتمعون ويبكون ويعملون من التعديد شيأ منكروها فتنغص من ذلك الامر الامير عنتر وزادت الفكر والحير وجلس مقدار ثلاثة أيام لا يأكل طعام ولا يشرب مدام وقد حلت به المشقة والعنا وكان في ليله يقول لعروة ابن الورد يا أبا الابيض أريد أن أسير الى أرض بنى فزاره وأكبس على منازل ابن زياد وأخيه عماره وأخلص هذا الرجل الغريب من الوثاق الذى أحسن الينا واختار جوارنا وترك أرض العراق فقال له عروة يا أبا الفوارس يكون الربيع قد قتله وأخفى أثره فيضيع تعبنا ولم يظهر لنا خبره وتفعل هذا الامر ولم تحظى بطائل ويصير العار علينا بهذه الفعائل ويبقى يصدق فينا الملك زهير قول كل قائل (قال الراوى) ولما كان فى الليلة الرابعة هجم على عنتر عبد اسود أغبر وكان المكان خالى بالمقدر ولا فيه أحد من البشر ثم انه قبل يد الامير عنتر وقال له يا أبا الفوارس ألحق جارك ونزيلك بشاره وخلصه من قبضة الربيع فى أرض بنى فزاره وأقيم له البينة على الربيع قبل ان يذهب حقك ويضيع وبلغنى أنا الآخر مرادى وأجمع بينى وبين من يهواه فؤادى فلما سمع عنتر من العبد هذا الكلام فرح واستبشر وقال ويلك يا عبد الخير كيف وصل جارنا الى أرض بنى فزاره ومن هو الذى أوقع بشاره فى قبضة الربيع وأخيه عماره فقال له العبد يا مولاى الحديث عجيب والتدبير الذى دبره غريب (قال الراوى) وكان السبب فى ذلك أن الربيع بن زياد وأخاه عمارة القواد ولما جرى لهم مع قيس ابن زهير ما جرى فى أرض بنى فزارة وسمع منه حديث جبته وعمامته وما فعل مع العبد بشارة وكيف قال انه يوافقه على تلك الاسباب

ودفع

67

ودفع قيس بذلك الجواب واحتج بما ذكرناه من ذلك الخطاب
وبعد مضي قيس من عنده من بني فزارة قال لاخوته كيف رأيتم
كلامي لقيس بعد هذه البينة التي أتى بها من عند العبد بشارة
فقالوا وحق اللات والعزى ما يقدر أحد غيرك على هذه الفعال
ولا يقول شيء مما قلته أنت من ذلك المقال لانك غطيت بياض
الحق بسواد المحال وقد اتضحت لك الحجة في طلب ما أخذ لك
من الاموال وما بقي من الامر الا أننا نسير الى عند الملك النعمان
ونسأله ان يأخذ لك ثارك ويرسل خلفه ويطالبه بمالك الذي عدم
لك وذكرت أنه انما أنفذه الا ذلك العبد الكشحان وتوقع بينه وبين
عنتر فتنة عظيمة حتى تبقى تتحدث بها العربان في كل ناحية ومكان
ونوجه أن يأخذ مالك منه ويذله ويرميه بالخذلان وينفيه من هذه
الارض والاوطان الى آخر قبائل العربان قال فعند ذلك قال
الربيع ان هذا الامر ما يتم لنا بامكان الا ان كان يعدم هذا العبد
بشارة الذي أخذ برطيلنا في بني شيبان وأتى الينا يواقعنا ويعادينا
في هذا المكان لاننا اذا أهلكناه وصار من الهالكين
وصار الناس كلهم لنا مساعدين ويقولون بأجمعهم لولا ما كان
كذاب بما كان تباعد هذا الامر وولى هربا وغاب ويخرج
الملك زهير عن عصبته لعنتر ويبقى يترك الاقل ويتبع الاكثر قال
ثم انه في تلك الساعة السريعه دعا بعبد من عبيده يقال له مسروق
ابن ربيعه وكان ماهرا في دخله الحلل وسل الخيل والهجوم على
المصايب في النهار والليل فقال له الربيع بعد ما حضر قدامه
وصار يسمع ما يقول له من كلامه ويلك يا مسروق أنت دائما تدعي
الشطاره والآن ما قضيت لنا حاجة تحسن بها العباره وأريد

في هذه النوبة أجرب فعالك وأبصر أعمالك فان قضيت لي
هذا الحاجة وعدت سالم فابشر بما سالك مني من الغنائم وذلك
اني أعتقك من رق العبودية وأزوجك بجارية عربية وأتركك
صاحب خيام ومضارب وخيل وجنائب وتكون عندي بمنزلة
الاهل والقرائب قال فعند ذلك قال العبد وما هي الحاجة يا مولاي
اطلب مني الآن ما يعجز عنه كل شيطان حتى ترى مني ما لا ترى
من انسان فلما سمع الربيع من العبد ذلك القول انشرح صدره
واستراح أمره وقال له أريد ان تأخذ معك من شئت من العبيد
وتقصد أرض بني عبس وتكمن فيما حولهم من تلك الارض والبيد
ولا تزال أنت ومن معك الجميع مختفين حتى تقعوا ببشارة بن منيع
فتقتله أو تأسره وتحمل به البوار وتأتي به اما في الليل واما في النهار وقد
بلغنا كما اختار ياسادات فقال العبد مسروق يا مولاي وحق
نعمتك العميمة ان هذه أهون الاشياء على عبدك وليس لهذا الامر
قيمة لاني رأيت الى هذا العبد ونظرت الى مضاربه والاطلال
وأبصرت الى ما معه من الاموال التي ما يستحق منها عقال واني
يا مولاي في هذه الايام كنت معولا على قتله لاجل الحسد الذي وقع
في قلبي من أجله وطلبت أنا ذلك فتوافق المراد وانما الحسد بعد
ذلك زاد (قال الراوي) ثم انه في عاجل الحال دعا بأربع عبيد
أقويا أبطال يعرفهم بالمكر والخديعة من أيام وليال وكانوا قد مشوا
معه مرارا في الاصوصية وأكل غير الحلال فحدثهم بالامر الذي ندبه
مولاه اليه وعرفهم واستعان بهم عليه فانتدبوا لمعونته واستعدوا
بالخناجر وتأهبوا في ذلك الامر تأهب المخاطر وفي دون ساعة
ساروا الى ديار بني عبس طالبين والى ما اعتدوا اليه متأهبين

68

(قال الراوى) وكان العبد مسروق قد سمع بحديث الوليمه وما اجتمع فيهـا من الابطال الذين لهـم قدر وقيمه اتى صنعها الهم زهير على غـدير ذات الارصاد فصار فى ذلك اليوم يطلب فرصة يسر بها قلوب بنى زياد ويشوش بها قلوب بنى قراد وعنتر بن شداد (قال الراوى) وانه لما قارب الديار أخفى العبيد الذين معه فى وادى النوق وقعدوا له فى الانتظار مستخفيين بين ما فى الوادى من كبار الاحجار وتم العبد على حالته حتى وصل الى الوليمة وكان فى آخر النهـار وقـد أتت الشمس الى الاستقرار فرأى القوم على غير الاستوى من السكر وشرب العقار ولهـم ضجة وجلبية قد أزعجت الاقطار وما فيهـم من يعلم أهو فى الليل أو فى النهار فقال مسروق فى نفسه هذا وقت انتهاز الفرص وبلوغ المنا واغتنام المدح والثنا ثم انه وقف مع جملة العبيد الذين لبنى عبس وعدنان فرأى العبد بشارة الى جانب عنتر فى جملة الفرسان وهو يود لوجهه داخل مقلتيه ويغمض عليه الاجفان وسمعه وهو يقول له وحق من يعلم ما فى القلوب وهو الله الذى لا اله الا هو عالم الغيوب الك اليوم عندى عديل أخى شيبوب وانى ما أقـدر على مكافأتك لا بمال ولا بنوال وكذلك عمه لك وولده عمرو يقولون له هذا المقال وما فيهم الا من شكره ويخدمه وكل شرب ما بين يديه يناولوه ويكرموه حتى امتلا وطفح من شدة السكر والفرح ولا بقى يعقل على روحه ولا على من مدح (قال الراوى) فلما رآه العبد مسروق عرفه وأقام يرصده الى أن قرب الصباح فوثب بشارة على قدميه وهو يميل من الراح ومشى وأوسع فى البطاح الى أن أبعد فى البر جلس لقضاء الحاجة فغلب عليه السكر فنعه عن القيام وكأن الليل ناشر أجنحة الظلام

فانقض عليه العبد مسروق كانقضاض البازي على أضعف الحمام وفي عاجل الحال لفه في كساه ودخل تحته وحمله على قفاه وسار به الى وادي الشوق وصاح في رفقاه فعرفوه وسألوه عن حاله فأخبرهم بما جرى له وعما دبر من أعماله وقال لهم عاونوني على هذا الولد الزنا والا اقتلوه ودعونا من حمله والعنا ونقطع رأسه ونكون قد بلغنا غاية المنا وقد نالوا موالينا ونزداد كل منهم ما تمنا فقالوا والله ما فينا من يطيق الا بالحياة ولو هلك أكثرنا قال ولما دار بينهم ما تفقوا عليه من المرام وخافوا الا يذهب الليل وينكشف النهار فعند ذلك تعاونوا على حمل بشاره وصاروا يحملوه تارة ويستريحوا تاره حتى انهم وصلوا به الى حي بني فزاره وكان قد انفجر الصباح ودخلوا به على الربيع وهم في انشراح فلما رآه الربيع حصل له الفرح واتسع صدره وانشرح وقال والله ما قصرت يا مسروق الذي أتيت به في الحياه حتى انني أشتفي بعذابه قبل أن يصل الى مولاه وأنفذه بعد ذلك اليه واستريح من عتبه وعناه قال ثم ان الربيع المرتاب أمر هؤلاء العبيد الانجاب أن يصنعوا له تحت الارض سرداب ففي عاجل الحال حضروا قطعة من الارض وساووها عليه طولا وعرض وأمر العبيد بكتافه وان يقيدوا رجليه ففعلوا به كذلك وغلوا الى عنقه يديه وأنزلوه في ذلك السرداب بعد ما سقفوا عليه بالاخشاب وكوموا فوقها بالتراب وجعلوا لها موضعا على قدر الباب وجعلوا من فوقها اجلال الخيل ورحلات الجمال والاقتاب وأوصى به مولدة من بعض المولدات يقال لها تمامه تتعهدي هذا العبد الولد الزنا كل يوم بشربة من الماء وقليل من الزاد حتى يتفرغ بالنا ونوصله الى مولاه فقالت الجارية السمع

والطاعه

والطاعه يامولاى قال ثم انها تولت أمره من تلك الساعه وهى لجميع أمر مولاها مطاوعه ثم انها صارت فى كل يوم تفتقده كما أمرها مولاها وتفعل معه الامور التى بها اولاها وصارت تحرسه فى النهار وفى الظلام الى أن كان يوم من بعض الايام فنزلت اليه عند الصباح وكانت قد انتشرت الشمس على الروابى والبطاح وكان قد خرج الربيع هو واخوته الى المراح قال ولما غاب فيمن معه من الاصحاب نزلت تماضر فى ذلك الوقت الى السرداب فنظرت الى العبد بشارة وهو مكتوف اليدين وكان لابسا خلعة من ثياب عنتر وكان أكحل أسمر فتمكن حبه من قلبها وقد سلب بحسنه لبها فقالت له ياغلام ما الذى أوقعك فى هذا المقام فقال لها بشارة وقد خلا منه السكر والمدام وفى أى موضع أنا يابنت الكرام قالت له وكأنك كنت غائبا عن الوجود لما وقعت فى الاغلال والقيود فقال أى والله كنت سكران لا اعرف طريقا ولا مكان فأين أنا يامولدة العرب ومن هو الذى اوقعنى فى المذلة والعطب فقالت له ياويلك أنت فى أبيات بنى زياد الذين طبعهم الغدر والكياد فنادى بشارة واويلاه والله لقد وقعت فى البلاء والانكاد واحرباه يامولدة العرب من عظم هذه النكبه وادبار هذه النازلة الصعبه لقد هلكت وأحاطت بى الرزية وحق الكعبه قال ثم انه بعد ذلك أفاق من نفسه وعرف ما قد جرى عليه فتناثرت الدموع من أماق عينيه وعرف أنه قد تغير بأمسه وأيقن بحلول رمسه وأبصرت الجارية ما قد نزل عليه فصارت تسليه همومه وتخضع له وتتذلل بين يديه وانه من عظم ما أصابه غشى عليه ثم انه أفاق من غشوته والنار تلتهب فى مهجته

فزادني البكا واظهر الانين والاشتكا وأنشد يقول

الآن روحي قد أصيب حميمها * فترى عيوني تستهل دموعها
اذا قلت حسبي من تحمل بلوة * تفرد عني بالامور عليمها
رعى الله عهدا من خليل الفته * تولت بنا الدنيا وزال نعيمها
زرنا وفي الاحيا هناك حبائب * اليهن في الاعراض بدر يسومها
وليس مقامي بعدما صرت ههنا * مقاما و روحي قد تناه حميمها
سأسلو لذى الدنيا ولو راق حسنها * وطابت معانيها وراق نسيمها
وأبكي على روحي بكاء حمامة * وان عزماء العين كنت عزيمها

(قال الراوي) فلما سمعت الجارية ذلك الشعر والنظام ضاق صدرها وعز صبرها وزادها الهيام وقالت له من أين أنت ياغلام وأي شيء بينك وبين هؤلاء اللئام فقال لها يامولدة العرب وتربية خيار الفرسان أنا بشارة بن مشيع عبد مفرج بن هلال سيد بني شيبان وأنا الذي خلصت عبلة من يد الربيع بن زياد ورددتها على ابن عمها عنتر بن شداد بعدما أمرت بقتلها وأنزل بها العنا وألقيها في البؤس وفي العنا (قال الراوي) ثم انه حدثها بفعاله وماقد تم له من أعماله فقالت له تمامة والله انك كثير المروءة زائد الكرم صاحب عزيمة ونخوة بادي الشيم غيور على العيال والحرم وأقول ان الضيعة ماتضيع في أمثالك مادام هذا المقال مقالك فأي شيء قولك فيمن يخلصك مما انت فيه من هذه المهالك ويصطنع لك مثل ما اصطنعت أنت عبلة ابنة مالك فقال بشارة والله ياجارية الخير كنت أكون لك مما عشت بطول الدهر غلام وأقبل أياديك والاقدام مادام الضياء والظلام فقالت له ياغلام وانا حلف لي بالملك العلام وبحق البيت الحرام

70

والمشاعر العظام أنك تكون لي محبوبا بطول الدوام ما دامت الليالي والايام وتبقى تزيل عني جميع همي وتكون تقاسمني في فرحي وغمي ثم انها أنت وبكت وأرخت الدموع وشكت وتنهدت من فؤاد موجوع وأنشدت وجعلت تقول

أقول للقلب والاشـــــواق تنهبه
هذا الحساب الذي قد كنت أحسبه

يا أنت أول مغلوب على جلد * ما يعرف الحب الا من يجربه
يا أنت بين أمور وهي مشكلة * تضيع الحزم فيها ثم تغلبه
قلبي هوى الغلام شــــبهه قمر * يسير في فلك والشمس تحجبه
يا مرحبا بحقوق العائذين به * فأطيب الماء في الافواه أعذبه
أرفق بقلب كئيب فيك مكتئبا * وارحم توجعه واخش تقلبه

(قال الراوى) فلما سمع بشارة منها ذلك الشعر والنظام قال لها افعلي ما تريدين من المرام فاني مطيع لك في كل ما تامرين به يا ابنة الكرام فعند ذلك خلفته الجاريه وقد صابت الامور بينهم جاريه ثم انها نهضت من وقتها وساعتها ومدت يدها اليه وحلت يديه ورجليه ونفست كربه من تلك القيود والاغلال وتم بينها وبينه ما كان من الاحوال وطلعت بعد ذلك من عنده وقد سلبت بحسنها عقله ورشده (قال الراوى) ثم انهم داموا على ذلك المرام ثلاثة أيام وهم مواظبون على أكل الطعام وشراب المدام هذا والربيع كل يوم يأتي ويوصى الجارية على بشارة بن منيع وهي تقول له يا مولاى طب نفسا وقر عينا ولا يلحقك هم ولا شينا فاني لم أغفل عنه لحظة واحده ولا تسأل عما أفعل في حقه من الامور الزائده (قال الراوى) ولما كان في اليوم الرابع طلب بشارة

لنفسه الخلاص مما هو فيه من ضيق الاقفاص وذلك العذاب الشديد ويعود الى بنى عبس وتقر عينيه من ذلك التنكيد فقالت له امهل على حتى ادبر كما اشتهى وأريد ثم انها أدعت بأخ لها يقال له جمعه وكان هذا العبد يعشق جارية فى بنى عبس وكانت مليحة الطلعه وهى يقال لها ورده بنت لمعه ولكن ما كان يقدر يراها بالنظر خوفا من حامية عبس الامير عنتر وكان يأتى كل قليل الى أخته ويبكى على حاله ويظهر تأسفه وبلباله وهى تقول له يا أخى كيف لى براحة أوصلها اليك فوالله انى باكية من ذلك عليك فلما كان فى ذلك اليوم وأدعت به كما وصفنا وقالت له يا ابن أمى وأبى اخبرك بما قد حصل لى أى شىء قولك فيمن يجمع شملك بمحبوبتك ورده وتكون تحظى بها على طول الزمان والمدا فقال لها العبد كيف لى بذلك يا أختاه أبديه الى بحق مالك المالك حتى أقضيه ولو وقعت فى جميع المهالك فقالت أبشر فقد نلت المنا وأتتك المسرة والهنا ان أنت فعلت ما أقول لك من الامور أتتك السعادة ونالك بذلك الحظ الموفور قال لها العبد قولى لى وحدثينى به فانى الى قولك مطيع لان من عمل خيرا وزرعه مع أهله ما يضيع فقالت له أريدك تمضى الى حلة بنى عبس وتقصد أبيات بنى قراد وتجعل عزمك الى مضرب عنتر بن شداد الذى هو حاميتهم وفارس بنى قراد ولا تدخل اليه الا فى الليل ويكون المضرب خالى من العبيد وفرسان الخيل فاذا فعلت ذلك تكون قد سلمت من الهلاك والويل وقل له بعد ما تسلم عليه وتقبل يديه قد أتيتك ببشارة يسر بها قلبك ويخف بسماعها همك وكربك ولكن ما أقولها لك حتى تضمن لى عتق

71

رقبتي وتجمع شملي بمحبوبتي فاذا ضمنت لك ذلك وأمنت على نفسك من المهالك فقول له الحق جارك ونزيلك بشارة بن منيع فانه قد وقع في قبضة مولاي الربيع وقد تركه في سرداب بين الخيام والاطناب ووضع على بابه رحالات الجمال والاقتاب وقد وكل به أختي تماضر التي مؤتمنها على جميع ماله ولولاها ما كان بشارة هلك وتلفت أحواله وهي تقول لك الحقه وخلصه مما حل به قبل أن يهلكه الربيع وبكاس المنية يسقيه لانه ان علم بحاله الربيع أهلكنا واياه من الجميع وتقول له وأريد منك يا أبا الفوارس ان تعطيني محبوبتي وتعتق من رق العبودية رقبتي (قال الراوي) فلما سمع أخوها منها ذلك الكلام خفق فؤاده من شدة الجوى والغرام وقال لها يا أختاه وبشارة الساعة تحت قبضتك وأنت حاكمة عليه وهو في حوزتك فقالت له نعم قد وقعت رحمته في قلبي وقد أزال همي وكربي وذلك لاجل اصطناعه لعبلة وما فعل فيها من الجميل ومن أجلها رمى نفسه في الويل والتنكيل بعدما أمر الربيع وهو فرج بقتلها وكيف عفى عنها ومن القتل فكها وأعلمته بما جرى من الامر والشان وكيف أخذوه العبيد وهو سكران وكيف حملوه على أكتافهم حتى أوقعوه في ذلك المكان وأعلمته بالقصة من أولها الى آخرها وأعلمته بباطنها وظاهرها وأمرته بعد ذلك بالمسير فسار كأنه الطير وخرج من مضارب بني فزاره وقد أوعدته أخته ان يحسن في مضيه العباره ثم انه طلب حلل بني عبس وهو ينقب الطريق وجعل يسير في عرض البر بلا رفيق الى أن وصل الى أبيات بني قراد وقصد أبيات الامير عنتر بن شداد وكانت قد جنحت الشمس للغروب

فانقض من بين المضارب كأنه الريح الهبوب والماء اذا اندفق من ضيق الانبوب وفى عاجل الحال قصد مضرب عنتر وهو يتقمقم بين الاطناب لا يعثر ولا ينقمر فوجده فى المضرب وحده ولا عنده أحد من العبيد ولا من جنده وهو يتفكر فى أمر بشاره وكيف فقده من بنى عبس وتمت عليه تلك العباره فعند ذلك هجم العبد عليه وحياه وسلم وقبل الارض بين يديه وتكلم وقال له يا حامية عبس ألحق تريك ببشاره وخلاصه من قبضة الربيع وعماره وأعلمه بما ذكرنا من تلك العباره ثم قال له وأنا أطلب منك حق بشارتى وأن تجمع بينى وبين محبوبتى وأطلقنى من رق العبوديه واجعلنى من بعض غلمانك المسميه

أتيتك أمشى والسقام عظيم * لتجبر قلبا بالغرام سقيم
رجوتك عونا والجوى متدابعه * وأنت لكل النائبات رحيم

(قال الراوى) فلما سمع عنتر من العبد هذه الابيات طرب لها غاية الطرب فقال له أبشر يا ابن الحلال ببلوغ الارب (قال الراوى) ومما وقع من العباره أن هذه الجاريه كانت لرجل كامل العقل والشطاره وهو من رجال عروة بن الورد يقال له زراره وكان هذا الرجل من دون أصحابه فقيرا عديم ولكنه كان رجلا كريم ماقصده أحد الا واعاده بالخير العظيم ففى عاجل الحال أرسل عنتر اليه فحضر الى بين يديه وطلب منه الامة فى تلك الساعه فأجاب الرجل بالسمع والطاعه فلم يكن الاشى يسير وأحضرها اليه ومعها هدية زائدة وهى قطعة من النوق والجمال وقد ساقها له وقدمها بين يديه وسأله القبول فأبا عنتر ذلك وكان من عادته انه ما يخيب من الرجال مؤملها ولكن رد على ذلك الرجل الجمال والنوق

72

لكونه فقيرا صعلوك واخذ تلك الامة فى الحال واخلف عليه
جملة من المال ووهبها الى العبد جميعه وبلغه منها الآمال ثم انه
أمر العبيد أن يضربوا له مضربا بين خيامه ومضاربه وصار عنده
مثل أهله وقرائبه ونقل له كلما يحتاجه من أكله ومشاربه ثم
ان عنترا بعد ذلك استعلم منه بخبر بشارة وأخذ صفة السرداب
واين هو من أبيات الربيع المرتاب فقال له العبد يامولاى
أنا أخبرك بجلية الحال وذلك أنه حضر له سرداب على قدره
وأنزله فيه بحالة الاذلال وطرح عليه الاقتاب ورحالات الجمال
ولولا خوف أختى تمامه من الربيع ان يقول لها أنت خارقتى على
وأطلقتى من قبضتى بشارة بن منيع لكانت أطلقته لحال سبيله
وبردت مابه من نار غليله (قال الراوى) فلما سمع عنتر منه ذلك
الكلام قال له يا عبد الخير وصل جميلك ووجب لك علينا الاكرام
ونحن نريد ان نقيم الحجة عليه ونخرج ذلك العبد من بين يديه لان
الملك زهير شهد لهم بهذا الحال وقال لنا أنتم أخفيتم بشارة وقلتم
هذا المقال وقال لولا أنه فى قوله كذاب ما كان فزع من موافقة
الربيع ولا غاب ثم ان عنترا أرسل فى تلك الساعه خلف أبيه
وأعمامه وخواص بنى قراد وأعلمهم أن بشارة قد ظهر عند
الربيع بن زياد ثم انه حدثهم بما جرى وكان وقال وحق الملك
الديان الرحيم الرحمن الذى لا يشغله شان عن شان ان لم
ينصفنى الملك زهير من الربيع بن زياد لاعرفنه أينا أقدر على الشر
والعناد وآخذ حقى بالسيوف الحداد والرماح المداد فقال له
أعمامه وهم بين يديه مجتمعين والله يا أبا الفوارس نحن نرحل معك
وأينما سرت نتبعك ولم يزالوا على ذلك الرواح الى أن أصبح الله

بالصباح فركبوا وساروا الى مضارب الملك زهير فلما أن بقوا بين يديه سلموا جميعهم عليه وترجلت بنو قراد وفي أوائلهم عنتر ابن شداد واما أنهم سلموا وهم بذلك الزي والملبوس أمرهم الملك زهير بالجلوس وصار يضحك بعد أن كان عبوس فعندها قال له مالك أبو عبلة أيها الملك الكريم والسيد العظيم انني طلبت منك في ذلك اليوم المعونة على خلاص مال ابنتي فتغافلت عني وعن قضاء حاجتي وبعد بشارة كذبتنا وصدقت الربيع علينا والآن بشارة قد ظهر خبره وقد جرى عليه من الذل والاسا ما لا يجري على بشر ونريد منك ان تعاونني على من أنزل به العذاب والضرر وتسعى له معنا على الخلاص وتأخذ له ممن ظلمه القصاص وتطلقه من القيود والاغلال قبل ان يحل به الذل والنكال فقال الملك زهير وأين كان العبد بشاره ومن الذي قد أوقعه في تلك الخساره ومن كان سببا لهذه الاشاره حتى ننتقم منه ونفصل هذه العباره لاني أراها نوبة مشكلة عظيمة الامر والشان ولا بد ما تقع الفتنة بسببها بين العربان فعند ذلك قام عنتر من بين الجميع وقال يا مولاي بشارة قد ظهر عند من يريد يوافقه على فعله وهو الربيع وهو الذي احتال عليه وصنع به هذا الامر الوضيع وان لم نبادر اليه وندركه والا عجل عليه وهلكه فقال الملك زهير لعنتر عساك أن تسير الى بني فزاره وتلقي بيننا وبينهم الشر والخساره لاجل هذا العبد بشاره فقال له عنتر لا وحياتك يا مولاي لا حركت ساكنا بين العبيد والموالي حتى يأتي منهم من يريد قتالي ولكن يا ملك الزمان اذا كنت تريد الانصاف وتتبع سنة من مضى من السادات الاشراف فأنفذ معنا من تثق به

وتعتمد فى كلام الصدق عليه حتى يشهد لنا أو علينا بالذى يقع بينهم وبيننا ويشاهد ما يجرى بعينه ويبصر ما يفعل صهركم الربيع فى خلاص بشارة بن منيع فعند ذلك قام شاس ومالك أولاد الملك زهير وكانوا كما قدمنا يحبون عنتر ويريدون له الخير وقالوا لابيهم يا أبتاه نحن نسير مع هؤلاء القوم الى بنى فزاره ونبصر ما يكون من خلاص هذا العبد بشاره ولا نعود من عندهم حتى اننا نفصل هذه العباره ونعمل أن يزول من بينهم هذا الشر ويكون ذلك بحضور الشيخ بدر بن عمرو فقال لهم الملك زهير افعلوا ما بدا لكم بارك الله فيكم وعليكم وأحسن لكم الوداد وأشهدوا على المعتدى حتى أقابله على ما بدا منه من الشر والعناد فعند ذلك قام أولاد الملك زهير قيام الآساد وركبا الاثنان فى خمس فوارس أجلاد وركب عروة بن الورد وأخذ معه عشرة رجال وكانوا من خيار الابطال وعزموا على المسير لقضاء ذلك الاشغال ولما أنهم بقوا فى أطراف البيوت والاطلال فقال عنتر لعروة بن الورد يا ابن العم هيا وأنفذ الينا بقية رجالك المسمية وقل لهم يركبون المهاره ويلحقون على أرض بنى فزاره ويكمنون لنا فى وادى اليعمورية ربما أن نحتاج اليهم فى مسألة ضروريه لانى أعرف حذيفة بن بدر وحماقته وما فيه من البغى والغدر الذى هو طبعه مدا الدهر ولا سيما وعنده الربيع بن زياد وأنت تعلم ما هو من الشر والعناد ففعل عروة ما أمره به عنتر وقد استصوب رأيه شاس ومالك نفر وخاف لا يحدث من ذلك ضرر (قال الراوى) ثم انهم ثموا سائرين والى بنى فزارة مسرعين ولخلاص بشارة قاصدين ولما أشرفوا على الخيام والاطلال ركبت الى لقائهم

جماعة من بني فزارة الاقيال وفي أوائلهم الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد وبين أيديهم حذيفة بن بدر الموصوف بالمكر والغدر فلما وقعت العين على العين سلموا على بعضهم الطائفتين وقال الربيع لعنتر أهلا وسهلا بك وبمن معك حضر لعلك أتيت الى حينا مستحي نادم والا أنت مقيم على لجاجك الدائم فقال عنتر يا ابن الاوغاد يستحي من يفعل مع بني عمه غير الواجب وينسى حوادث الدهر وما يتولد من المصايب ويستحسن سبي بنات العرب ويرميهم بالنوائب هذا الذي يدعي بين الفرسان بالاثيم الخائب فقال له الربيع صدقت وحق ذمة العرب الاشراف ولو كان عندك يا عنتر شيء من الانصاف كنت رددت على مالي الذي أخذته في وظهر وقد طلع له من عندك صحة الخبر والا فاحضر لنا العبد بشارة حتى يبين لنا هذا الامر المنكر الذي قاله في اني برطلته بالجبة والعمامة والسكين حتى انني أهدده قدام هؤلاء السادات الحاضرين حتى انه يحدثهم بالصحيح من غير كذب ولا تلويح (قال الراوي) وما كان الربيع يقول هذا الكلام الا استدفاع لانه ما كان عنده خبر أن عنتر هو الذي جرحه وأخذ ماله لما كان نازل في تلك البقاع (قال الراوي) ولما طلب من عنتر احضار بشاره وقد جعل هذا الكلام نصب عينه بين هؤلاء الاماره فقال عنتر لاولاد الملك زهير ولحذيفة بن بدر يا موالي اشهدوا على وعليه وابصروا من أين يظهر هذا الرجل الذي طلبه مني وأخفاه وهربه واتهمني في دعواه ثم انه خب بالجواد بين مضارب بني زياد وما في الجميع الا من بقي واقفا باهتا ومرتاب حتى وقف عنتر وأخوه شيبوب على جانب باب السرداب

وفي عاجل الحال قال عنتر لاخيه شيبوب يا ويلك ارفع هذه الرمالات والاقتاب وانزل الى هذا السرداب واصعد بهذا الرجل الغريب وأزل عنه ما هو فيه من ذلك العذاب الذى تم وه به بالزور وقد أشاعوا عنه انه كذاب حتى انه يحدث أولاد الملك زهير بما جرى عليه من الهم والمصاب ففعل شيبوب ما أمره به أخوه وتقدم الى ذلك المكان ووقف عليه وزعق على بشارة ونشله بجهر وأطلعه وأزال عنه ذلك الضرر هذا والربيع قد انذهل وخاف من مرارة الموافقة والخجل فالتفت عند ذلك الى حذيفة بن بدر وقال له يا أمير اعلم ان هؤلاء ما أتوا ان يوافقونا وما أتوا الا بقاتلونا ويتعدوا علينا ويظلمونا ونحن يا ملك نازلون فى جواركم ومقيمون فى حيكم وديارکم وعارنا من عاركم وهذا يا ملك وقت نصرة الجار وطلب منازل العلو والافتخار (قال الراوى) وكان الربيع من منذ ما نزل على بنى فزاره وهو عاجل بين عينيه هذه الاشاره وحسب هذا الحساب وعلم أن هذا الامر لا ينتهى الا بالحراب والضراب فصار كلما حضر مع حذيفة على الطعام والشراب يحط على بنى عبس بالردى ويحرضهم أن ينزل بهم المصاب ويذم الملك زهير كيف الحق عنتر بالنسب حتى صار يعد من سادات العرب (قال الراوى) وكان حذيفة اذا سمع من الربيع هذا المقال يغتاظ من ذكر عنتر ويلحقه الضجر ويقول من عجبه وتجبره وقلة عقله اذا أردت يا ربيع هلاك عنتر وهلاك من يتعصب له من عبس الاخر فالق أنت الفتنة بين الجميع حتى يثور الحرب بيننا وبينهم وأنا أهلك لك بنى عبس وقراد الرفيع منهم والوضيع لان بنى عبس ليس لى فيهم صديق ولا رفيق ولا خل ولا شفيق (قال

الراوى) وكان الربيع يفرح بمقاله ويشكره على فعاله ويصفه بالفروسيه ويقدمه على بنى عبس بالكليه وهكذا قالت أهل العقول ومن لهم من ترتيب الكلام معقول

ترى البازان شار الغـــراب بشورة
أمانتـــــه من شورة الغراب الفضائح

(قال الراوى) ولما جرى هذا الكلام وجرى لعنتر وللربيع ماجرى صار الربيع يحرض حذيفة ويقويه بالمقال ويقول له يافارس الزمان ونتيجة هذا العصر والاوان أين قولك ووعدك الذى أوعدت به عبدك وما زال الربيع يمثل هذا الكلام حتى غضب حذيفة وصار الضياء فى وجهه ظلام ولما أن تمكن منه الغضب عبس على عنتر وقطب وكان حذيفة مافى هذا الزمان أجهل منه فى جاهلية العرب فأراد أن يورد بنى عبس وعنتر موارد العطب فزعق فى رجاله وأبطاله وتأهب للحرب والضرب هذا بعد مالبس عدة حربه واحتفل وبالحديد تسربل وركب على متن فرسه وكانت من أصول الخيل الجياد وقد حسدوه عليها جميع عرب الوهاد وكان اسمها طيفوره وهى مثل الغزلة المذعوره ونادى حذيفة فى عبيده ورجاله وصاح فى أبطاله وقياله ففى ونساعة لمعت أسنة الرماح وأبرقت العدد فى سائر البطاح وركض حذيفة يطلب القتال وصاح وزعق الربيع فى رجاله الاوقاح وقال لهم دونكم وهذا العبد الاسود الذى قد تعدى طوره وتمرد فعند ذلك دارت بعنتر الرجال من الاحرار والعبيد والفرسان الصناديد واحتاطوا به من كل مكان وانصبت عليه الفرسان وأرموه العبيد بالحجار وشنوا عليه الغاره وأشرف عليهم الغبار حتى طبق الاقطار

(قال الراوى) وكان شيبوب فى تلك الساعة أخرج بشارة من السرداب وأطلقه من الوثاق والعذاب فقال له أخوه عنتر عند ما عاين ذلك وأبصر ياو يلك امض به ياشيبوب الى وادى المعموريه الى ان افصل أنا هذه القضيه وأنفذ الى رجال عروة المسميه حتى انهم يعينونى و ينجدونى على هذه الطائفة الفزاريه (قال الراوى) وكان عنتر قد حسب هذا الحساب وعلم ما يأتى من هذه الامور والاسباب ولولم يكن دبر هذا التدبير لحل به الو يل والتدمير وانه لما عاين هذا الامر المنكر وبان له الغدر وقد اشتهر فما عاد ولا تأخر ولا أحد من أعمامه تقهقر بل صاح وتصدر ووقف فى وجوه الاعداء وزمجر (قال الراوى) ولما عاينت أعمامه هذا الو يل الذى اعتراه حملوا من قدامه وورائه وتصايحوا على العبيد الانذال ومالوا عليهم يميناوشمال وماوصل عنتر الى أطراف البيوت والاطلال حتى قتل من بنى فزارة عشرة رجال وبعدها قال لاولاد الملك زهير انجوا أنتم ياموالى بأنفسكم حتى اننى ارد الخيل عنى وعنكم فقال له شاس لاوحق ذمة العرب لاحدثنا انفسنا بالهزيمة والهرب ولا تركناك وحدك فى مقام العطب بل نأخذ الى ناحية حلتنا بالمسير وكل من لحقنا من بنى فزاره وزياد أنزلنا به التدمير وتركناه على الارض قتيلا عفير الا انهم ما أبعدوا الاشياء يسير لحقتهم الفرسان ودنت منهم الشجعان وكثروا عليهم الصياح وقد جاءتهم الخيل من وسيع البطاح وفى أوائلهم الربيع ابن زياد واخوته كأنهم الآساد وبجانبه حذيفة بن بدر فى طائفة من بنى فزاره وجميع اخوته وبنو عمه الاماره وأقاموا على عنتر الغاره وجعلوها

عداوة أصليه ونووا على قتله هو وأصحابه بالكليه وصار الربيع يقول لحذيفة اعلم يا أبا جار انى دبرت هذا التدبير على عبد مفرج الغدار الذى ظهرت ثيابى عنده واتيت به الى هذه الديار ولما انى احتلت عليه وصار فى قبضتى هددته بالقتل فأقر من هيبتى وقال هو الذى كبسك وأنت فى بنى مالك وتلك الرمال وأخذ حوائجك وما كان معك من تلك الاموال وقد علمنى ان أقول هذا المقال فعند ذلك قال حذيفة وحق ذمة العرب الاخيار اليوم آخذ لك من هؤلاء القوم بالثار واكشف عنك العار ولا اترك من بنى قراد ديار ولا نافخ نار (قال الراوى) ولما ان جرت هذه الاحوال ركب الشيخ بدر بن عمر وسيد بنى فزارة والحاكم على فرسانها والرجال واتى فى مشايخ الحلة وكبار تلك الابطال لاجل هذه الفتنة التى نارت والقتال وصار يصيح على ولده حذيفة وهو لا يرتد ولا يسمع من أبيه مقال لا هو ولا من معه من الشباب الجهال بل زين لهم الحسد وجه المحال وكان اكثرهم يبغض عنتر لاجل ما ظهر منه من الفروسية فى القتال وكانوا قد نفروا فى الفين وستمائة فارس وطلبوا عنتر ومن معه مثل الابالس فتلقتهم بنو عبس مثل الاسود العوابس هذا وحذيفة ابن بدر فى أوائل الابطال وهو يهز رمحه العسال وينشد يقول

أنذل عبد بنى قراد جارى * وأنا على ظهر الجواد جارى
كلا وحق الواقفين على منى * والطائفين بكعبة الجبارى
يا آل بدر بادروا واعدا كموا * بالمرهفات وبالقنا الخطارى
حتى نبيد بنى قراد ويشتفى * قلب الربيع بعنتر الغدارى
يا بالقوم الحقوا ساداتهم * بعبيدهم وتسربلوا بالعارى

76

طلبوا حمايته لذل منهم * والذل يذري بالهزبر الضاري
وبنو فزارة للجمال عليهم * حلل تبطنها العلا بفخار
قوم اذا ركبوا الجياد تصرمت * في كل أرض تسطل من نادي
واذا هم لاقوا العدا فتراهموا * بعزيمة كالمرهف البتار

(قال الراوي) فلما سمع الربيع بن زياد من حذيفة ذلك الشعر والنظام من مدحه لنفسه ومذمته لبني عبس الكرام ازداد طغيانا ومكرا وخبثا وصار يركض بجواده والى جانبه حذيفة بن بدر ويحرض على المكر والغدر وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

لله درك يا ابي جاري * من ضيم يوم الكريهة ضاري
بادرتني لما رأيت مذلتي * ونصرتني لما نأوا انصاري
يا واحدا في عصره بفعاله * يا ذا العلا يا فارس الاقطار
يا من اذا سل الحسام بكفه * سل النفوس بحدة البتار
يا من يصيد الاسد في غاباتها * صيد العقاب لاضعف الاطيار
لو أن أهل الارض حولك جحفلا * لاقيتهم بعزيمة وفخار
من أين هذا العبد حتى انه * يغشى ديارك أو يلم بداري
فاطعن برمحك يا أميرفؤاده * حتى يقر من الزمان قراري

(قال الراوي) وبعد هذا الكلام أطلقت بنو فزارة روس الخيل السبق وتلاحقت بهم الجيوش وما منهم الا من صاح وزعق ولا أحد منهم عن رفيقه افترق وصاروا ينادون لبني عبس يا ويلكم اطلبوا لانفسكم النجا والا حل بكم الفنا ودعونا نحن نقتل هذا العبد الولد الزنا وأي شيء يكون قدر هذا العبد الا آخر بشارة بن منيع حتى تفعلوا من أجله هذا الفعل في حق الامير الربيع

(قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا المقال ورأى الخيل قد طلبته من اليمين والشمال زادت نيرانه اشتعال وقال لاولاد الملك زهير يا موالى أنتم ما معكم سلاح فلا تتعرضوا للقتال ولا للكفاح بل أقفوا تفرجوا على ما يجرى به بينى وبين هؤلاء القوم الكلاب وانظروا ما يقع فى رؤسهم من الضرب بالسيف القرضاب قال ثم ان أبا الفوارس عنتر عاد اليهم عودة الاسد القسور وهو يكر على الخيل بقلب أقوى من الحجر وهو يطعن برمحه الاسمر ويضرب بسيفه الضامى الابتر وهو ينشد ويقول هذه الابيات

أنتموا فى الحرب بهم رتع * وأنا الليث اذا الحرب وقع
أنتموا مثل سراب لامع * وأنا وبل سحاب قد هجع
أنتموا نبت هشيم فى الفلا * وأنا الريح اذا البر اتسع
جرعوا الماء عدلنا فيكموا * وكثير العدل فيكم ما نفع
لا تظنوا جمعكم ينفعكم * انما الجمع اذا قل نفع

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من شعره ونظامه حمل فى وجوه الخيل السبق وصاح على الفرسان وزعق وترك أدميتهم مثل العلق وطلع عليهم الغبار وتسردق وقد ضرب فيهم ضربا يقصر الاعمار من شدة الحنق وكان قد اشتد به الحرد وأخذه من فعل الربيع الكمد فصار ان طعن الفارس شك اضلاعه مع الزرد وان ضرب عنقا طيره عن الجسد هذا وحذيفة يطالبه تحت الغبار الذى انعقد وهو راكب على ظهر حجرته طيفوره حتى قرب منه فعرفه بعظم تلك الصوره ورأى ما هاله من طعناته المذكوره وضرباته المشهوره وصرخاته التى تترك النفوس مدعوره قال فلما عاينه حذيفة انقض عليه انقضاض النسوره وأراد أن يجعلها معه وقعة

المذكوره فدرج نحوه وجال ولعب برمحه العسال وكان حذيفة يدل برمحه على الابطال الجياد وكان اذا أراد أن يطعن به أحدا من الفرسان يحملونه له الى الميدان ثلاثة من الغلمان (قال الراوى) فلما انه بقى فى وسط بنى قراد طعن الامير زخمة الجواد بعقب ذلك الرمح أرماه عن ظهر الجواد وتركه ممددا فى الفلا على الارض والمهاد وقد أشرف على الفنا والنفاد فلما رأى عنتر منه ذلك الحال وعلم أنه قد صال على رجاله واستطال فزعق فيه وفاجاه وانقض عليه انقضاض العقاب وساواه وأخذا الاثنين فى الكفاح ونادى المنادى بينهم لابراح وكانوا كأنهم بحرين انطلق كل واحد منهما على الآخر وصاح هذا والربيع قد زعق فى بنى فزاره وصاح ونادى أنجدوا ملككم والاحلت به من هذا العبد السوء الامور القباح وحمل فى سائر اخوته وقد اشتدت حميته وهو يقول دونكم وهذا العبد الذى قد قربت منيته وان لم تقتلوه والا صال علينا وعليكم بصولته فعندها مال حذيفة على عنتر بسرعة حجرته وطعنه طعنة واصلته بحيلة وقوته ففى أسرع ما يكون بطل عنتر طعنته وسل سيفه الضامى وهم أن يضرب رقبته فاستتر حذيفة من ضربته فضرب عنتر رأس حجرته فوقع حذيفة من عليها على رأسه وقفته وكاد أن يهلك ويعدم مهجته وقد انوهن من ثقل الحديد الذى كان أجرزبه جثته وانه ما ثار من الوقعة حتى أشرف على البوار فصاح به عنتر صيحة الاسد الهدار وقال له قم يا أبا جار واطلب أهلك وناسك ولا تعود الى مثلها يا أنذل العربان أطير بهذا الحسام رأسك قال فدارت بحذيفة القرنان

جماعة من بنى فزارة الشجعان وقد أحاطوه وعادوا به الى ناحية الديار والاوطان وقد وقعت هيبة عنتر فى قلوب الفرسان ولولا الربيع القرنان وأخيه عمارة الكشحان كانت بنوا فزارة قد انهزموا وعلى الهروب من قدام عنتر عولوا وانما هو أحماهم بالكلام وخوفهم من العار والمذمة عند كل العربان فرجعوا فى عاجل الحال وقاتلوا أشد قتال وأعانتهم العبيد بالحجارة والعمد الثقال بأسادة واتصل الطعن واختلف وطلع الغبار وانعكف وكثرت الاحزان والاسف وطعن الربيع فارس من بنى عبس أطبسه قلبه وضرب آخر كركبه وطعن آخر كاد أن يحل عطبه هذا ومالك أبو عبلة وأبوه شداد ومالك بن زهير وأخوه شاس فانهم كذا كرنا كانوا مخففين من الدثار واللباس فما قدروا أن يباشروا حربا ولا كفاح لاجل خلو حسادهم من السلاح لانهم ما أتوا لاجل قتال ولا حرب ولا نزال وانما أتوا لاجل الشهادة على ما يجرى من الاحوال فلما رأوا الفتنة وقد تكاثرت والرجال على عنتر ومن معه قد تبادرت فخافوا ذلك الوقت على عنتر وعلموا أنه مظلوم من دون البشر فحركوا على خيولهم الى ناحية حلالهم وديارهم وجدوا فى البر الاقفر ليعلموا أباهم بالخبر فلما جازوا الى وادى العموريه أنفذوا رجال عروة المسميه بعا وتوا عنتر على تلك القضيه قال وكان شيبوب قد وصل الى هناك سريع ومعه بشارة بن منيع فتركه وعاد فى ذلك العبد سريع ثم انه انطلق قدام الابطال والفرسان وهو يهمز همزات الغزلان يا ساده فلما أشرفوا على مكان المعمعه وجدوا الضربات السيوف قعقعه وفطروا الى الحرب وقد قامت على ساق وشراب المنية قد صفى

78

وراق وقد علا من بنى فزارة الصياح والزعاق حتى أقلب الآفاق والغبار قد بنا على رؤس القوم وراق هذا وعنتر قد ضاق عليه الحال وصار يطعن الصدور ويقطع الاوصال فلما نظرت رجال عروة الذى أقبلت الى ذلك الحال حملت لمعونة عنتر من اليمين والشمال وكان الربيع واخوته قد ضايقوا عنترا غاية الضيق الى أن أبصر وا رجال عروة وقد أقبلوا مثل نيران الحريق فزادوا فى وقيد الحرب وقد أكثروا من الطعن والضرب فلم يروا لهم فى ذلك أرب مما حل بهم من البأس والحرب فعندها اختار الربيع ورفقاء الهرب والنجاة من العطب لما رأوا الموت منهم على يد عنتر قد اقترب وقد علموا أن عنترا بعد هذه الكائنة ما عاد يغلب ولا يقهر فعندها طلب عنتر الربيع فى عاجل الحال وصال عليه واستطال لما اقدم عليه الجال وأنشد وقال مطلوا على من سلمت عليه الغزال

أطمعت يا ابن زياد فيالوحدتى * وأتيت تشفى قلبك المكمودا
وأنا ورمحى والحسام وأبجرى * جيشا بعد اذا أتيت وحيدا
من يلقنى يوم النزال يلاقنى * من خوفه بحرا يسد البيدا
فوحق مكة والحطيم وزمزم * والله موسى الخالق المعبودا
لابد أن تبقى قتيلا مجندلا * من سيفى الضامى وأنت فقيدا

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من ذلك الانشاد انطبق على الربيع ابن زياد وزعق فيه بين الصفين وأدار سنان الرمح الى وراه وطعنه بعقبه دق له ضلعين فصاح والخرع ومن على ظهر جواده وقع وكاد من شدة الوقعة أن يشرب الموت جرع (قال الراوى) ففى عاجل الحال ترجل له عروة بن لورد عن جواده وأرفق كتافه

وقوى شداده فعند ذلك صاح عمارة فى ذلك البر والبحر وأرمى روحه فى عاجل الحال على عنتر وهو يقول له ويلك يا عبد السوء هكذا تفعل بموالبك فلعن الله بطناً أرماك وبيتاً آواك وهم أن يطعن عنتر واذا به من على جواده وقع وتقنطر من غير أن يعلم به بشر والسبب فى ذلك ان شيبوبا لما رأى ذلك الامر الذى تقرر ضرب جواده بنبلة فى صدره أقلبه وعن مركبه كركبه فما لحق أن يثور الا وهو على صدره وقد تملك من شداده ونحره وشده كتاف وقوى منه الاطراف وبعد ذلك وقع فى بنى فزارة الهلاك والتلاف ولما علموا أنه مابقى لهم اصطبار فصاح بعضهم لبعض ياويلكم الفرار الفرار قبل أن يحل بكم البوار من هذا العبد الجبار هذا وقد سالت دماهم شبه الانهار ولم يبق بقرلهم بين يديه قرار ووقع الفنا فى بنى فزاره وأظهر فيهم عنتر قوته واقتداره هذا وقد رأى عنتر الى حمل ابن بدر فأدركه وزعق فيه كاد أن يهلكه وهم أن يطعنه فولا هارب والى النجاة طالب وقد فر مثل البرق اذا برق مما حل به من الخوف والعلق وبعد ذلك هربت بعده الفرسان وذلت جميع الشجعان وعمل الطعن فى ظهورهم وقد حاروا فى أمورهم (قال الراوى) وكان الشيخ ابن بدر بن عمرو سيد بنى فزاره لما سمع بالمعمعة وما وقع من تحت رأس الربيع فى حق العبد بشاره فركب وطاهم فالتقى بولده حذيفة وهو عائد يئن من ألم الوقعه وقد حلت به المصيبة والفجعه فقال له ويلك يا عبد الشوم ماقلت لك لا تتعرض لهذا البطل الغشوم ولا تعادى بنى قراد ولا تسمع من كلام الربيع ابن زياد لانه يكره عنتر بن شداد وهو له من جملة الحساد وأنا أعلم وأتيقن

ان الربيع ظالم ومعتدى فى المقال قائل الزور والمحال فى سائر
الفعال ولقد والله ألبستنا العار الى أبد الابد ماقام قائم وقعد
بقتالك لهذا العبد الاسود والبطل الازبد ولقد والله راعانى وانه
حفظ عنك الضربة بسيفه الهندوانى ثم انه لم يزل سائرا الى أن وصل
الى عند عنتر فرآه قد أحل ببنى فزاره و بنى زياد الضرر فتقدم عند
ذلك اليه وسلم بعد ذلك عليه ومنعه عن ضرب الحسام وقال له
أطلب منك العفو يا فارس البيت الحرام وانا سمعت عنك انك
تحب العدل والانصاف وتكره الجور والاسراف وأراك اليوم
ملت بالخلاف ووضعت السيف فى رجالنا وأهلكت قرائبنا
وبنى عمنا ولا رعيت جانبنا ولكن عذرك واضح وأنت لعلو
قدرك مسامح والظلم يوقع صاحبه فى المذيه ويجلب له الويل
والرزيه والآن قد بلغت منا مناك وظفرك الله بحسادك
وأعداك فارجع الآن الى قومك وأقرباك وافتصلوا من بعضكم
كيف شئتم ودبروا لانفسكم ما حويتم ثم انه زعق على بنى
فزارة وقد ردهم عن القتال فسمعوا مقاله ورجعوا الى الاطلال
وهم لا يصدقون بالسلامة من قدام ذلك البطل الرئبال وأما عنتر
فانه استحى ورجع عن القتال لما ان رآه ذل على كبر سنه فأبطل
الحرب وعاد راجعا على عقبه ثم انه أمر شيبوبا أن يشد الربيع
ابن زياد وأخيه عمارة القواد على خيولهما بالعرض ويوسع
بهما فى جنبات تلك الارض وعادوا طالبين الديار وهم على
غاية الفرح والاستبشار وبنى زياد على غاية من الاضرار
(قال الراوى) فلما انهم عبروا على المراعى وشيبوب بين أيديهم
كأنه من بعض الافاعى فقال عنتر لعروة بن الورد يا ابن الابيض

قل لرجالك الاجواد يسوقوا أموال بنى زياد ورعاتهم بين أيدينا حتى نفرقهم فى مراعينا ويحكم كل احد فيهم بما اشتهى الى أن يرد الربيع على ابنة عمى مالها الذى أخذه من عليها فقال عروة يا أبا الفوارس هذا أمر ما يتم لنا مادمنا تحت طاعة الملك زهير ولا يقع لنا منه خير وانه ما يرضى لنا بذلك ولا بد ما يعتب عليك لاجل فعالك ببنى فزارة وما وقعوا فيه من المهالك ويقول لك ألقيت الفتنة بين القبيلتين وحذيفة ما يقعد عنك لانك كسرت له ضلعين وأنت تعلم انه كثير اللجاج معجب بنفسه وهو كثير ومدل على أبناء جنسه وكذلك قيس بن زهير تصبح عداوته لك فى هذه النوبة اذا رأى حمية الربيع واخوته أسارى فى هذه النوبة وهذا أمر ما يتم لك الا ان لم تهجر بنى عبس بلا تطويل وتعول بنا على الرحيل وتنزل على بعض المناهل والجبال وتأخذ حقك ممن عاداك من العبيد والموال ولا يكون عليك لا قاضى ولا حاكم الا رمحك الاملود وسيفك الصارم فقال عنتر يا ابا الابيض وكأنى بعد هذه الفعال بقيت أقيم عند هؤلاء فى الاطلال فوحق الرب القديم الهموسى الكليم والخليل ابراهيم لا ارحلن عن هذه الاوطان ولاقلعن آثار بنى فزارة وبنى شيبان ولاخذن حقى من هذا الربيع القرنان ولو انه فى حجر الملك النعمان أو كسرى أنوشروان (قال الراوى) ومازالوا على مثل تلك القضيه حتى انهم وصلوا الى وادى اليعموريه وبشارة مقيم هناك منتظر ما يكون من تمام هذه الامور المقضيه فلما رآهم مقبلين فرح فرحا زائدا لما رآهم سالمين ثم انه تقدم الى عند عنتر وهنأه بالسلامة من حوادث الزمان وتظرد رعه ملطخا بدم الفرسان وهو مثل

الاسد

الاسد الغضبان والربيع واخوته وهم مشدودين على خيولهم بالعرض وهم يسوقوهم من أرض بنى فزاره حتى وصلوا بهم الى تلك الارض فعندها تقدم الى الربيع ووبخه على مافعل وقال له هذا عاقبة الظلم والبغى وماقدمته يداك من العمل ثم انه أقبل على عنتر وقال له يا مولاى ان أولاد الملك زهير مالك وأخيه شاس قد ساروا الى أبيهم يخبروه بما صار اليك من الشر والوسواس ويعلموه عن قاسيته فى أرض بنى فزاره وماجرى لك مع الربيع وأخيه عماره وماشاهدوا من فعالك بسبب هذه العباره وكيف ظفرت بالجميع وهم معك فى قيود الذل أسارى وأنا اعلم أنه يسير فى جمع كثير من الفرسان ويسير سير المزعج العجلان وربما يلتقيك فى الطريق ويأمرك باطلاق بنو زياد من الاسر والضيق لاجل قلب قيس ولده لان كما تعلم الربيع صهره وعضده ويخاف أيضا لا يحصل به من ذلك عطب وتكون قد خاطرت بنفسك ومابلغت غرض ولاشفيت مما كنت تؤمله مرض وأنا يا مولاى اشتهيت ان أسير بهم مع أبيك وأعمامك فى عرض البر حتى نصل بهم الى الابيات امامك وندورهم بين أبياتنا والمضارب حتى تتفرج عليهم النسوان والبنات الكواعب وتراهم وتشمت بهم مولاتى عبله وأمها ونساء عمومتها ومن تريده وتريدها من نساء الحله وبعد ذلك اذا اصطلح بينك وبينهم الملك زهير ووجوه القبيله فتكون قد بلغت ما كنت تؤمله من عذابهم ونلت الوسيله فعند ذلك قال عنتر افعل مابدالك نجح الله أعمالك وافعل ماتريده من الامر والشان فأنا مابقيت أصطلح معهم مدا الازمان فعند ذلك تسلم بشاره الربيع وأخيه عماره وهم مشدودين على خيولهم

بالعرض وقد ساربهم فى فسيح تلك الارض وهم قد أكثروا من الصياح والعياط وهو كلما صاحوا يقنعهم بالسياط ثم انه أنفذ بصحبتهم أعمامه وأباه شداد ليكون أشفى بعذابهم يعنى بنى زياد وهم معهم فى الكتاف والشداد وقد ساروا بهم الى نحو أبيات بنى قراد وتم عنتر على حاله وهو مع عروة بن الورد ورجاله وهو سائر سير الامان لا منزعج ولا خائف ولا فزعان الى أن قربوا من الديار والاوطان واذا قد ثار من بين أيديهم غبار و بعد ساعة تقطع ومار وظهر من تحته فرسان بنى عبس الاخيار وهم تابعين الملك زهير على الآثار وهم متفرقين فى سائر الاقطار والجميع أطلقوا الاعنه وقوموا الاسنه وهم طالبين أرض بنى فزاره لينظر وا ما حل بهم من الذل والخساره و بين أيديهم الملك زهير ومن خلفه جميع أولاده واخوته المشاهير وجميع أخباره الامراء والرايات على رؤسهم مشتبكه والفرسان بعضهم ببعض محتبكه ولهم بالصياح ضجة ودبكه والحديد على أجسادهم يلمع وأسنة رماحهم كأنها الكواكب الطلع قال وكان السبب فى قدومهم شاس وأخيه مالك أولاد الملك زهير لانهم لما رأوا بنى فزاره وقد فعلوا بعنتر تلك العباره علموا أن أمرهم ما يؤل الى خير فأطلقوا رؤس خيلهم كما أمرهم عنتر وعادوا الى بنى عبس بردوا الخبر فلما وصلوا الى الابيات طرحوا الصائح بما صار ابنى فزاره وامنتر من النكائات ودخلا الى أبيهما وأعلماه بالخبر وقالا له الحق عنتر والا شرب كأس الوبال فانا قد تركناه فى عشرة رجال وجميع فرسان بنى فزارة قد دارت به تطلب الحرب والقتال (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير هذا الكلام أيقن لعنتر بشرب كأس الحمام

وعسر ذلك الامر عليه حتى ما بقي يعرف ما بين يديه وقال والله
لقد علمت أن نوبة عنتر ما تنفصل على جبل الا بصير أحدهما قتيل
ثم سألهم كيف كانت القصة وذلك الامر المريع فأخبروه بظهور
بشارة بن منيع من وسط أبيات الربيع وكيف أخرجه من
السرداب من تحت الرحالات والاقتاب وكيف قد خلصه من أليم
العذاب فعندها ازداد الملك زهير الغضب واعتراه الويل والصخب ثم
انه ركب بعض الجنائب وخرج من بين البيوت والمضارب وانقلب
الحي بالضجيج من كل جانب وتجارت خلفه الفرسان وتتابعت
من ورائه الشجعان وضجت أبيات بني قراد ولطمت النساء
لفقد عنتر بن شداد ونادت أمه زبيبة واولداه واقلة ناصراه
ودقت على صدرها بيدها من خوفها على ولدها وحارت في أمرها
وكذلك عبلة خرجت وهي منشورة الشعر والذوائب وأجرت من
عيونها الدموع السواكب وعظم بكاؤها وانتحابها وسمع مالك
ابن زهير صياحها بين أترابها وأيضا نسوان بني قراد يبكين
على عنتر بن شداد فمال اليهن وصاح عليهن وقال لهن أقللن
من هذا البكاء والثبور فما عنتر الا منصور وعدوه مقهور ثم
عاد على أثر الفرسان لينظر ما يكون من ذلك الامر والشان
وما تخاف في الحي الاقيس ابن الملك زهير لانه قال أنا ما أسير
وأنظر ما يحل بصهري من الذل والضير ولا سيما ان كان عنتر قد
نصر عليه وخلص بشارة من يديه وأنا أعلم انه ما يقعد عن أذية
يوصلها اليه (قال الراوي) وما زالت الخيل تتجارى في البر
والوديان حتى تلاحقت بعنتر في ذلك المكان وكان في أوائلهم
شاس وأخوه الحارث وهما يتسابقان الاثنان فلما رأوا عنتر

عائدا وهو مستبشر فرحان هنؤه بالسلامة وسألوه عن ما كان له من ذلك الشان فحدثهم بأمر الربيع واخوته وفعاله بحذيفة وكيف طير رأس جرته وكيف قتل منهم جماعة من الفرسان وفرق الشجعان وعفى عن نهب الاموال وسبي النسوان (قال الراوى) و بعد ذلك أقبل الملك زهير اليه فترجل عنتر له وقبل يده وقدميه فهنأه بالسلامة من بني زياد بالنصر والظفر ونيل المراد وقال له والله يا ابن شداد لقد سررت بعودتك وخلاصك من يد الاعداء والاضداد لان السلامة هي غاية المراد ولا سيما اذا قهرت الاعداء والاضداد ولا كنت قد تلطخت بدم مابقي يمحا أبدا وتطالب به صباحا ومسا مادامت الرجال مع النساء وتفنى هذه القبائل ولم يبق لا فارس ولا راجل (قال الراوى) لهذا الايراد صلوا على سيدنا محمد خير العباد فقال عنتر يا ملك والا كيف كنت أعمل كنت أسلم روحي لهم يقتلوني وبكأس الحمام يسقوني وكان الربيع واخوته يتبضروا بعظامى وتنقطع من الدنيا أيامى والله يا مولاى ماعملت الاعلى قدر ما رأيت ولا ظلمت يا ملك ولا تعديت ثم انه جعل يقص عليه قصته وهو سائر الى جانبه بين أهله واخوته وهم راجعون حتى أشرفوا على الاحيا فقال له الملك زهير وأين الربيع واخوته فأخبرني عنه وعن قصته فقد ذكرت انهم ملك مأسورين وهم على ظهور خيولهم مشدودين فقال عنتر يا ملك أنا أخبرك بما كان من القصه وذلك ان عمي مالك أخذهم وابي شداد ومضى بهم من وادي اليعموريه بعد ما اطمانت خواطرهم من جهتي وفرحوا بسلامتي وسار بهم الى الابيات في عرض البر وقال عمي أريد

أن يكون هؤلاء عندى و فى حلتى رهائن فى الاسر على المال الذى كان على ابنى فقال الملك زهير وقد زاد به الغضب واعتراه الصخب والله ماقصرت فيما دبرت من الاعمال ولكن كان الواجب عليك أنك لا تفعل هذه الفعال الا اذا أتيتنى قدمت واندثرت ورميت بالنكال ولا كنت فعلت بهم هذه الفعال بعد قتالك معهم والنزال وتفعل هذا الامر وأنا راكب على حصانى وتركت العرب يستضعفون شانى (قال الراوى) فبينما هم فى ذلك الكلام وقد صاروا فى أطراف الخيام واذا بالصياح قد علا فى أبيات بنى قراد وصراخ النسوان قد انعقد وزاد فنظروا الى ذلك الجانب واذا بالخيل والرجال خارجة من بين المضارب وقد تفرقت فى القيعان والسباسب وفى أثرها فارس أمجد وهو خالى من الحديد والزرد وعلى جسده ثوب حرير معمد وهو يصيح على الفرسان صياح الاسد الغضبان والرجال متفرقة من بين يديه ولا فيهم من يقدر يتقدم اليه (قال الراوى) وكانت الرجال الهاربة أعمام عنتر وأبوه شداد ومعه جماعة من بنى قراد والفارس الذى وراهم قيس بن الملك زهير وهو يضرب فى أعقابهم وقد حل بهم البلاء والضير (قال الراوى) وكان السبب فى هذه الاحكام أن بشارة بن منيع لما فارق عنترا وقد سار بعمارة وأخيه الربيع وانعدل بهم مع أبى عنتر وأعمامه وهو يسوقهم وهم مربوطين على خيولهم قدامه ووصل بهم الى الحلة وهم فى الوثاق الشديد فاشهرهم بين أبيات بنى قراد وصار يدور بهم بين المضارب والخيام ويسمعهم غليظ الكلام ويضربهم بسوط كان فى يده على الاكتاف والضلوع والخواصر وينادى عليهم ويقول هذا جزاء

من يسبي البنات الحرائر ويهتكهم في القبائل والعشائر ويفعل الفعلات الكبائر ولم يزل بهم كذلك وهو دائر بهم بسائر الاقطار حتى مارقد امهم ومن خلفهم من في القبائل من البنات والنسوان والاماء والعبيد وكذلك الغلمان وكان ذلك اليوم أصعب الايام على بني زياد وبالاتفاق أتت طريقهم على أبيات مالك بن قراد فنظر عمارة والربيع الى عبلة وهي واقفة في باب خباها والانوار طالعة من جبينها الضياها وهي كأنها الشمس الضاحيه في السماء الصاحيه وكانت قد غيرت أثوابها وابتهجت لفرحتها واعجابها وهي تزهو بين أترابها وأصحابها فلما نظرت اليهم صارت تقول وهم يسمعون خطابها هذا والله قليل في حقكم يابني زياد لانك يا ربيع ما أبقيت مجهودا في عداوة بني قراد مع علمك بأن خلفهم مثل عنتر بن شداد ويلك ياقرنان أخذت مالي وعملت على قتلي ونكالي وعدت أكبرت الجميع لاشك ان الله قد جازاك بما فعلته سريع ورماك في هذا الامر الشنيع (قال الراوي) فلما رآها عمارة وهي تلتفت لفتات الغزال وتميل بين أترابها بالغنج والدلال وسمع منها ذلك المقال كان على قلبه أحلا من الماء الزلال فتحسر وتنهد على ماحل به من الهم والنكال وقال بالله عليك يا ابنة مالك مني على بساعة من ساعات وصالك ودعيني أكون تحت الارض ميت وهالك ولا تهني ولد الزنا بجمالك فقال له أخوه الربيع اسكت سكت حسك وسكنت عن قريب رمسك فأوقعتنا في هذه البليه الاعشقك لهذه الصبيه ولم نزل بالجاحك حتى نهلك ونشرب كأس المنيات ونقطع آثارنا من أوطاننا والابيات

(قال الراوى) وكان قيس قد تخلف فى الحى كما ذكرنا ولم يركب مع أبوه كما شرحنا فبلغه الخبر من وقته وساعته بما جرى على الربيع واخوته وكيف أشهر وهم بنو اقراد والعبد بشارة بين الخيام وهم فى العذاب والآلام فعظمت مصيبته واشتدت نخوته فركب من وقته على ظهر الجواد وقصد أبيات بنى قراد وعنتر بن شداد وفى يده السيف مشهور مجرد وهو يهمهم همهمة الاسد الى أن أشرف عليهم ورأى الربيع وهو فى ذلك الحال الشنيع ورأى الى ما يفعل به بشارة بن منيع أخذه الغيظ والحرد وزاد به النكد فلما أبصره الربيع بكا وأنّ واشتكى وصاح وقال واحرباه يابنو الاعمام من جور أولاد الزنا والعبيد اللئام واويلاه على ضياع العز والاكرام صرنا نذل ونضرب ونهان وقد حل بنا الذل والهوان أما لك أين حرمة القرابة العليا أين نخوة الرجال والاقرباء (قال الراوى) ولم يزل الربيع يحاجه حتى زاد بقيس البلا واسودت فى عينيه أقطار الفلا فأطبق فى عاجل الحال على العبد بشارة بن منيع وضربه بالسيف غرقه فى كتفه ولولا طول الاجل كان أورده حتفه فتركه على الارض ملقا وقد ظن أنه يكون للطير والوحوش رزقا وصاح فى أعمام عنتر فتنافروا من بين يديه حرمة لعلو نسبه وكرامة لابيه خوفا منه ولا كرامة اليه فلما رأى أنهم بعدوا عنه نزل عن ظهر جحرته وتقدم الى عند الربيع وحله هو واخوته وقال لهم اطلبوا أنتم خيامنا والاطلال حتى أشفى فؤادى من هؤلاء الانذال وأعود اليكم فى عاجل الحال ثم انه ركض بالجواد فى أثر بنى زياد وجعل يطردهم فى ذلك الفلا وقد تفرقوا من بين يديه فى ذلك الملا واذا بالملك

زهير قد أقبل بجيشه فعدلوا اليه حتى انهم صاروا بين يديه فصاح الملك زهير فى ولده قيس وقال له ماهذه الفعال والجهل بعد ماكنت فيه من الحياء والعقل فلما سمع قيس كلام أبيه وقف ورجع عن الامر الذى كان فيه وقال يا أبتاه وأى عقل يبقى للانسان اذا انظر سادات قومه بين يديه تذل وتهان وتحكم فيهم العبيد والسودان ثم انه تقدم اليه حتى وقف بين يديه وقص عليه قصة الربيع وما فعل فيه وفى اخيه بشارة بن منيع ثم قال بعد ذلك وحق من خلق العباد ورفع السبع الشداد لاعدت أقيم فى هذه البلاد حتى تتركنى أشفى قلبى من بنى قراد واقتل ولد الزنا عنتر بن شداد (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير من ولده هذا الكلام دهش وحار وقد لحقه الانبهار وعرف أن السيف يجمع فى العشيرة كلها ويتفرق شملها اذا لم يفرق بين بنى زياد وبين بنى قراد والاخبث ذراريهم والاولاد فعند ذلك التفت الى عنتر وقد كلمه بين ذلك المحضر وقال له يا أبا الفوارس أرحل بقومك من هذه الديار ولا تتركنا أحدوثة بين الناس بطول الليل والنهار لان هؤلاء القوم عنك ما يقعدون وأنت ماتصبر على الضيم ولو سقيت كأس المنون وهذا اللجاج ما يؤدى الى خير ولا يهون فابعدوا عنا وافعلوا كيف ماتشتهون (قال الراوى) فلما سمع الملك زهير من عنتر ذلك الكلام قال له السمع والطاعه ها أنا أرحل يا ملك بقومى من هذه الساعه وان قدرت خلعت أنا جميع مالى أو أموت دون بلوغ آمالى ثم انه تنهد من فؤاد موجوع وقلب مصدوع وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

أخذ نكموا حصنا حصينا لتمنعوا * سهام العدا عنى فكنتم نصالها
وقد كنت أرجوكموا خير موقف * على عين خذلان اليمين شمالها
فان أردتم تحفظون مـــودتى * والا فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا موقف العزال عنى بمعزل * وخلوا العدا ترمى على نبالها
فكم من عداة قد حفظت ذمامها
وكم من رجال قد اردت اعتزالها
ولا أخش ذلا و بعدا و وحدة * اذ الحرب شبت خيلها و رجالها
هى النفس أما ان تعيش عزيزة * والا فعما قليل يصير زوالها

(قال الراوى) فعند ذلك تقدم اليه قيس و قال له و يلك يا ولد الزنا وتربية الامة والخنا فأنت لما وجدت عبلة فى بنى شيبان أتيت تطالب بما كان عليها من عبس وعدنان كنت أنت طلبت مالك من القوم الذى وجدتها عندهم وكان حقك الوقوف عند ذلك قال له عنتر يا مولاى هذه اخلاقك فلا تحمى مزاجك ولا تطير على بصاقك فأنا كما قال أبوك اذا بعدت عنك وسكنت البرارى الخوالى وصرت متصرف فى جميع أحوالى فسوف يصل اليكم خبرى وفعالى وتسمعون كيف أخلص أموالى وأما قولك انى ولد زنا وتربية خنا فهذا الكلام ما يقدر يقوله أحد غيرك من الأنام الا و كنت أطير منه الهام بهذا الحسام وأدنيت منه الحمام ثم انه أنشد وجعل يقول

سأرحل عن بلادك ألف عام * مسيرة كل عام ألف ميل
ولو أن العطايا منـــك مصر * وداخـل كل مصر ألف نيل
تركت العطايا منك حتى * قنعنا من ديارك بالرحيـــل
سأنشد فى صفاتك بيت شعر * نظير الدر ليس له مثيـــل

اذا حل الثقيل بأرض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

(قال الراوي) ولما فرغ عنتر من كلامه قال لابيه وأعمامه انصبوا خيامكم وشدوا رحالكم وارحلوا من أرض الملك زهير حتى يستريح قلبه منا ويبلغ جميع ما يتمنى ففعلوا ما أمرهم من المرام وانفصلوا من الجيش يطلبون الخيام هذا وعنتر ينشد ويقول صلوا على سيدنا محمد الرسول

أأظلم ورمحي ناصري وحسامي * وأذل وعزي قائد بزمامي
ولي بأس منسوج الذراعين أعضب * يحاول عن امثاله ويحامي
واني عزيز الجار في كل موطن * وأكرم نفسي ان يهان مقامي
هجرت البيوت المشرفات وشاقني * بريق المواضي تحت ظل قتامي
وقد خيروني كأس خمر فلم أرد * سوى لوعة بها في الحب زاد ضرامي
سأرحل عنكم لا أريد سواكم * واقصدكم في جمع كل ظلامي
وأطلب أعدائي بكل سميدع * وكل هزبر في اللقا وهمامي
منعت القوي اذ لم أقد نارا قوابسا * تشب على الاعدا أسا وضرامي
طرق أيدي في الرؤس كأنها * بيارق هبات الضيا بظلامي
أنا من يرون الموت حتما على الورى * وهيوا وفرسا طرحت بعد مي
اذا شرعوها للطعان حسبتها * كواكب تهدي بها بدور تمامي
يهزوا رماحا في يديهم كأنها * سقوها من الهيجاء صرف مدامي
وبرق سيوف كالسحاب عجالة * وقطر رعود في سواد ظلامي
فان ينكروا حلمي فبأسي بصاحبي
وضرب سيوف الهند دون خيامي
فسيفي ورمحي ما يبان كلاهما * اذا اشتملوا في موقفي ومقامي
وان ينكروا بأسي فاني فتى العلا * واضرب أعدائي بحد حسامي

ومن كان

ومن كان نذلا أوجبانا تركته * وللملأ الطاغى سللت حسامى
آل قومى غنيالى بالصهيل فانه * سماعى واهراق الدماء مدامى
وحطا الى الرمضاء رحلى فانها * مقيلى وخفقان البنود خيامى
ولا تذكروا لى طيب عيش ناعما * بلوغ الامانى تحت ظل قتامى
وفى العز تاتى عيش كل مذلل * على الماء لا فى مشربى وطعامى
فيالى بأن أرضى بذل وصارمى * مجارى على الاعناق غير كهامى
وسابق يبارى البرق اذا ما انتضيته
فأقرب شئ منى بطيب مرامى
وهو الابجر المعروف فى كل موقف * له غرة بيضا وحسن قوامى
يجيب اشارات الضمير باسه * ويغنيك عن صوت له ولجامى
قحمت به بحر المنايا فخضته * وعدت به والنقع زال قتامى

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات وقاربوا الابيات واذا بالصياح فيها قد ارتفع والنهب فى أطراف البيوت قد وقع فحركوا الخيل ليكشفوا ما الخبر والغيظ قد التهب فى قلب عنتر وصار يقول اظهر والله العداوة لنا واقومنا وقد طمعوا فينا لذاتنا ثم انه قصد الى ناحية الخيام وفعل أصحابه وأبطاله كذلك وكلا منهم فى يده حسام وفعلوا فرسان بنى قراد مثل ذلك الفعل وعولوا انهم يلقوا السيف فى الطلبه لاجل قيس وخلاصه لصهره الربيع من الشداد وركضه فى طلب أعمام عنتر وأبوه شداد (قال الراوى) وكان السبب فى هذا الصياح بنو زياد أهل كل بدعة وفساد لانهم كانوا لما اطلقهم قيس من الاعتقال والشداد تطلبوا أبيات بنى قراد وعنتر بن شداد فدخل عمارة الى أبيات مالك بن قراد وقد ظن انه ينال من عبلة غفلة أو قبلة أو مراد

فتبعه أخوه الربيع بريد عدة أوصافنا بركبها ويطلب معونة قيس
على هذه الفعلة التى قد طلبها فنظر الى الصناديق التى أخذهم منه
عنتر ليلة كبسه فى ركايا بنى مالك وجميع التحف الذى اتحفه بها
الملك النعمان فوجدهم منشورين هنالك فعرف الجميع فنادى
أبذهب حقى ويضيع وقال والله هذا هو المال الذى أخذه منى
عنتر وجرحنى وقد سلمت من هذا العبد السوء والا كان قتلنى
(قال الراوى) وكان قيس لما صار يخلص بنى زياد تبعته جماعة
من العبيد الاجلاد وكلهم بالسيوف الحداد والرماح المداد فقال
لهم الربيع الكياد ياويلكم هذا مالى الذى أخذه منى فى ركايا مالك
وتلك الوهاد الذى أتيت به من عند النعمان فها أنا قد وجدته عند
عنتر فى هذا المكان وقد أخذه منى وأنا عائد من بنى شيبان فاحملوه
الى بيت مولاكم الملك قيس ولكم فيه القسم الاوفر وانهضوا
يابنى الزوانى من قبل ان يأتيكم عنتر (قال الراوى) فلما
دخلت العبيد تصايحت النسوان بالويل والثبور وعظائم الامور
فدخل عنتر يطلب الصياح وينظر ماذا تجدد من تلك الامور
القباح فعند ذلك رأى الملك زهير الامور قد عظمت ونار الفتنة
قد اشتعلت وكان أول ما أسبل الليل رواقه وقد أسود الظلام
بأغساقه صاح فى أولاده وقال ما يطفى هذه النار الا أنتم وزيلوا
ما بها من الايقاد فامضوا وفرقوا بين عنتر وبين بنى زياد ودعوا
القوم يرحلوا عنا بسلام والا مات السيف يعمل بينهم فى هذا
الظلام فعند ذلك قال قيس أنا أرد بنى زياد قال شاس ومالك
ونحن نرد عنتر وبنى قراد هذا وقيس صار يركض بالجواد حتى
وصل الى أبيات بنى قراد وكذلك فعل شاس ومالك وذلك خوفا

86

على عنتر من شرب كاس المهالك وردوا عنتر بعدما كان عول
على قتل الربيع وبنى زياد واخوته الجميع فقال شاس والله يا ابا
الفوارس ان فراقك عندى مثل فراق الارواح من الاجساد
ولكن يا ابن العم وحق خالق العباد ما يقدر احد يرد القضا والقدر
الى يوم الميعاد وان الامر قد بلغ الى المنتهى وما كنا نعلم ان الى
هذا الحال يصير المنتهى فلا تضيق صدرك ولا تهتم على ما يصير
من امرك فان ابنة عمك ترحل معك واصحابك اين سرت تتبعك
وانا اعلم وكل من فى الحلة من الرجال ان ابى يندب على هذه
الفعال وان هذا المال الذى راح منك فهو يعود اليك بعد
ما تدخل النساء والرجال عليك وتقبل يديك واسافل قدميك
فعندها الان جانب عنتر وعاد وهو مثل الاسد القسور وهو يقول
انا الذى اخذت مال الربيع وجرحته وها هو قد عاد اليه بعد
ما كنت اخذته ومالى قد صار عنده وهو اخبر كيف اخلصه
منه ولو احتمى له النعمان ثم امر العبيد ان يشدوا الهوادج على
الجمال ففعلوا ذلك وشالوا الاهل والعيال هذا وقد نادى عروة
ابن الورد فى رجاله فشدوا رحاله فما مضى عليهم قدر ساعة
من الليل حتى صارت النساء على ظهور الجمال والرجال على ظهور
الخيل (قال الراوى) وكان قيس بن زهير قد رد الربيع واخوته
بعدما اخذوا المال من بيت عنتر وعمومته قال وسار بنو قراد
وقد قدموا بين ايديهم الحريم والاولاد فاهات الهوادج تلمع مثل
الكواكب الطالع وعنتر سائر وعينيه تتوقد كانها البرق اذا لمع
وقال لهم يا بنى الاعمام اطلبوا بنا ارض العراق وتلك البقاع حتى
اقول لكم عند الصباح ما اصنع فعندها تقدم شيبوب امام الخيل

وهو يتدفق على الارض مثل السيل وساروا الى أن كان نصف الليل فانعزل عنتر وعروة بن الورد فى خمسين فارسا وهم الجميع بين يديه خوفا من أمر يتم عليهم وعليه ثم قال عنتر لابيه شداد ولعمه مالك تقدموا وانتم بين ايدينا بالحريم والاموال الى دياركم يا بنى مالك حتى انى أسير من هاهنا الى أرض بنى فزاره وأسوق من هناك أموال الربيع وأخيه عماره ومثل ما عملوا معنا نعمل معهم ونحل بهم الخساره وأحكم الى هنالك وكل من ردنى عن ذا أحللت به المهالك فقال شيبوب وحق رب الارباب ومالك الرقاب ان هذا هو الصواب وبهذا أردت ان أشير عليك وحق مسير السحاب فخشيت ان لا تطاوعنى على ذلك الحال لاجل ما فى قلبك من الاشغال فقال عنتر والله يا ابن الام ما يشفى غليل قلبى الا الضرب بالحسام والطعن بالرمح المعتدل القوام وان قلبى لمتعلق ببلاد الحجاز والعراق لاقيمن الحرب هناك على قدم وساق ولآخذن مالى ومالهم بالمهندة الرقاق ثم انه أوصاهم بحفظ الحريم والاعراض خوفا عليهم من أحد يأتى من العباد وانه مازال مقيما بعدهم الى أن أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وسار قاصدا أرض بنى فزارة بعد ما أراح واستراح ومازال يرخى العنان للجواد حتى أشرف على المراعى وعرف أموال بنى زياد عليها هو وعروة ومن معهم من الرجال وساقوا ما كان هناك من المال والجمال وقد أوقعوا فى أقفية العبيد ضربا صار مثل فتوق الاعدال فساقوها بين أيديهم وهم لا يصدقون بالنجاة مما حل بهم من الوبال هذا وقد قال عنتر لعروة بن الورد انفذ هذه الاموال وهذه الخيل والجمال مع ثلاثين فارسا تسوقها على عجل

واقف أنا وأنت فى عشرين فارسا نحميهما من يلحقنا من غير مهل
ففعل عروة ما أمره به عنتر وتقدمت الاموال والغنائم بعد هذا الخبر
وسار وا هؤلاء الرجال على الاثر هذا وقد وصل الصائح الى بنى زياد
باخذ الاموال فركبت منهم الابطال وركبت معهم جماعة من
بنى فزارة الاقيال ومعهم حمال بن بدر مقدم تلك الابطال واما
أخوه حذيفة فانه ماقدر يركب من الوقعة الاولى كما ذكرنا
ان عنتر ضرب رأس جحرته طيفوره بالجملة فتأخر عن الركوب لانه
ماله قدرة عليه وارسل أخوه فى هذه النوبة ليساعد الربيع
فى رد أمواله اليه وتجارت خلفهم الفرسان فى ستمائة فارس
ما منهم الا كل ليث ممارس وهم فى الحديد غواطس ويقدمهم
أخوه ربيع الاربعه والخيل خلفهم متتابعه كأنهم
العيون النابعه حتى لحقت بعنتر وعروة ومن بقى معهم من
الابطال وهم متأخرون لحماية ما أخذوا من الاموال قال هذا
وقلب عنتر يغلى على الحرب والقتال فلما رآهم عنتر رجع
اليهم ونزل هو ورجاله عليهم كنزول السيل السيال وما مضى
من النهار ساعة يسيره حتى قتل منهم جماعة كثيره وقد قاتل
عروة فى ذلك اليوم قتال الرجال الاجواد وهلك من بنى فزاره
عدة من الرجال المعروفين بالجلاد هذا وقد صار عنتر الاسد
الغشمشم يضرب المفارق والقمم ويقول يا ويلكم يا انذال الامم نحن
قد أخذنا أموال عوض مالنا فلاى شىء جئتم وراءنا أبشروا
يا أخس العرب بتعجيل آجالكم وخيبة آمالكم (قال الراوى)
وكان بدر رجل عاقل عارف بمصائب الدهر وما يأتى من النوازل
فقال لرجاله وأبطاله لما عاين وابصر عنتر وفعاله اعلموا يا بنى

الاعمام ان عنتر هذا بطل همام وما يتعرض له الا كل من أراد أن يشرب كاس الحمام وبينه وبين بني زياد عداوة ما تنفصل وأي من دخل بينهم عطب أو قتل وأنا والله لو كنت علمت ان عنتر هو الذي أخذ الاموال ما كنت تعرضت له بحال من الاحوال لانه ما يفزع من الموت ولا يخشى من الفوت ولو مالت عليه الجبال في صور الرجال أفناهم ولم يخطر وله على بال والصواب عندي اننا نعود ولا نتعرض له بقتال والاملاك أكثرنا وحل بنا الوبال فقال أكثرهم هذا هو الصواب والامر الذي لا يعاب فعند ذلك لوى جمال عنان جواده وأعاد قومه وأجناده وتركوا اقدام عنتر بني زياد وولوا خوفا من القتل والعناد هذا وعنتر قد تمكن كما اراد وساق فرسان بني زياد كما اشتهى وعاد وقد قتل أكثر من ثلاثين فارس وقد لحقهم على ثلاث المهاد فلما رأوا ما حل بهم من ذلك الحال رجعوا عن الحرب والقتال وولوا الادبار وركنوا الى الفرار ولووا أعنتهم الى ناحية الديار وعاد عنتر وعروة حتى لحقوا بالاموال وضموا المال على المال وفرحت بسلامتهم الابطال والعيال ثم لم يزالوا سائرين كذلك الى أن وصلوا الى ركايا بني مالك لان الظعن كان سبقهم ونزل هنالك هذا وعنتر قد أعجب بنفسه واستحسن ما فعله بين أبناء جنسه فعندها جاش الشعر في خاطره فباح بما استكن في ضمائره فأنشد يقول

لا تقتضي الدين الا بالقنا الذبل
ولا تحكم البيض الا في راحة القلل
ولا تعاشر قوما ذل جارهم * وخلهم في جوار الذل وارتحل

ولا تفر اذا ما خضت معركة * فما يزيد فرار قط في الاجل
يا عبل أنتي سواد العين فاحتكمي
في القلب مع مهجتي يا غاية الامل
وان ترحلت عبس فلا تقصي * بدار ذل ولا تصغي الى العذل
لان أرضهموا من بعد رحلتنا * تبقى بلا ناصر يدعى ولا رجل
سلي فزارة عن فعلي وقد نفرت * في جحفل حفل كالعارض الهطل
تهز سمر القنا حقدا على اذا * رأت بريق حسامي زائد الشعل
يخبرك بدر بن عمرانني رجل
ألقى الفوارس لا أخشى من الاجل
فاتلت فرسانها حتى غدوا هربا
والطعن في اثرها بالسيف والاسل
وعادني ابحري يمشي فتزلقه * جماجم أصبحت كالحنظل الخطل
وقد أسرت سرات الكل مقتدرا
وعدت من طربي كالشارب الثمل
يا دهران رمت قلبي بالفراق فما * أبكي لفرقة أحباب ولا طلل
بل من فراق التي في طرفها حور * اهاج بي فرط وجدي مع العلل
أمسى على وجل خوف البعاد كما
تمسي الاعادي من خوفي على وجل

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من انشاده وكلامه ولحق بعد ذلك بقومه وأعمامه وتلقته فرسان بني قراد وفرحوا بما فعل ببني زياد وبما قد أتى معه من تلك الاموال التي ملأت تلك الوهاد وهنوه بالسلامة مما كان فيه من ذلك الحرب والجلاد ثم انهم نزلوا في ذلك المقام وتلك الاطلال وتشاوروا في أي مكان ينزلوا فيه

من تلك الجبال حتى يتحصنوا فيه بما معهم من المال والعيال والاماء والعبيد والنوق والجمال فقال عنتر لعروة ولاعمامه ولمن معه من الرفاق لابد لنا من المسير الى أرض العراق والنزول على بعض الغدران القريبة من تلك الآفاق ولما نستقر ونستريح انتصب لقلع آثار بنى شيبان ولا أدع منهم لا شيوخ ولا شبان فقال شداد ياولدى أوما تفزع من الملك النعمان فقال عنتر لا وحق مكون الاكوان وملون الالوان وخالق الانس والجان لا أخاف منه ولا من كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان ولا من قيصر ملك عبدة الصلبان فقال شيبوب يا ابن الام ان أردت ان تفعل هذه الفعال وتشاقق الملوك الثقال فسر بنا من هاهنا حتى أنزل بك فى جبال الردم ووادى الرمال لانه اذا كان فى بابها عشرة رجال احموا أنفسهم ممن يأتى اليهم يطلب حربا أو قتال وبعد ما تتحصن فيه عادى من تشاء من العساكر والابطال اذا كنت تأمن على الحريم والعيال وعلى من معك من الاموال فقال شداد يا ولدى وحق رب الارباب ان هذا هو الصواب والامر الذى لا يعاب لانى سمعت صفة هذا المكان انه يحمى الخلائق ويكون ساكنه فى أمان من كل الطوارق والحدثان ثم انهم اتفقوا على نزولهم فى ذلك المكان وعند ذلك استرحوا حتى مضى من الليل النصف الاول وبعد ذلك أفاقوا وكلا منهم على الرحيل قد عول وقد رحلوا وساروا طالبين الوادى الذى قد ذكرنا والجبال الذى وصفنا قال وان هذه الجبال كانت مما يلى العراق فى أطراف بلاد الحجاز وتلك الآفاق وهى عالية سامية يظن الناظر انها بالسحاب متلاقيه ورؤسها قد ارتفعت بالعلو الى آخر

89

الدنيا حتى كادت الشمس أن تحرقها بالنور والضياء وفى جنباتها كهوف ومغاير وأشجار وغابات كثيرة الالوان وشيء كثير من شجر أم غيلان وهى أرض ملآنة بالحيات والافاعى وسا كنوها الوحوش والسباع وما لذلك المكان غير طريق واحد وان رأته السفار وجازته يروه متباعدا وله عطفات وافتنات تأخذ الانسان من رؤيتهم الحيرة والانبهات وهو مثل الحصن الحصين المصان اذا حل فيه الخائف أمن على نفسه وعلى ماله وعياله من نوائب الزمان ويستريح قلبه من شياطين العربان واذا وقع فى فمه عشرة من الفرسان احرموا أهل الارض أن تصل اليه ولو كانوا عسكر شجعان ولا عليه من جنباته طريق ولا يملك أحد أن يصل اليه بتسليق الا من ذلك الشعب المضيق وبينه وبين أرض بنى شيبان سبعة أيام على التحقيق (قال الراوى) فلما سمع عنتر وصف ذلك المكان من ذلك الحصار سار وابعدوا المسير فى ذلك القفار وقد هجروا المنازل والاهل والديار وثبتوا لمعادات القوم الاشرار وتقدم عنتر امام القوم وقد زاد على قومه العتب واللوم فجاش الشعر فى خاطره فباح بما كنت عليه ضمائره وقد تذكر كلام الملك زهير وذلك الشان وقوله له ارحل من الديار والاوطان فأنشد هذه الابيات الحسان

احفظ حبيبا بحسن الرأى والودى

فأكثر هذه الناس ليس لهم عهد

أريد من الايام مالم يضرها * فهل يرفع فى نوائبها الجهد

وما هذه الدنيا لنا بطيعة * وليس يحاق من مداتها بد

تكون الموالى والعبيد لعاجز * ويخدم فيها نفسه البطل الفرد

وكل قريب لى بعيد مودة * وكل صديق بين أضلعه حقد
فلله قلب لا يقل غليله * وصادق لا ينهيه عن خله وعد
يكلفنى ان أطلب العز باطنا * وانى العلا اذلم يساعدنى الجد
و يسعدنى فى الحرب رمحى وصارمى
وسابقة زحف وذوا منعة نهد
فيالك من قلب معنا فى الحشى * ويالك من دمع على الخد ممتد
وان تظهر لى الايام كل عظيمة * فما بين اضلاعى وقلبى لها ورد
وليس الفتى من عاق عن حمل سيفه
أسارى وخلاه عن الطلب المجد
اذا كان لا يمضى الحسام بنفسه
فليس لضارب الماضى بقائمه حد
وحولى من دون الانام عصابة * تودّدها يخفى وأضغانها تبدوا
ومالعبس الا أن تصاحب فتية
ضواعن لا ومنهم الحسن والسعد
اذا طلبوا يوما الى العز شمروا * وان ندبوا يوما الى غارة جدوا
وكم لى فى ساحة البر سفرة * يصاحبنى فيها المهند والغمد
اذا طبوا الاعداء أثرى بنكبة
نحوت وقد غطاعلى أثرى الجهد
ولو شاء رمحى سدّ كل كتيبة * يطلّعنى لا غوغاء فيها الجرد
الا ليت شعرى هل يبغى المنى * وتلقانى الاعداء بقصيتى تبدو
جواد اذا اسود الحوافر وجهه * يروح الى طعن القبائل أو يبدو
خفيت على أثر الفريدة فى
العلا اذا هاجت الرمضاء واختطر الطرد

وتصحبنى

وتصحبنى من آل عبس عصابة * لهم شرف بين القبائل ممتد
لها مثل الاسد ميل فى كل موطن * كان دم الاعداء فى فمهم شهد

(قال الراوى) ولما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام تعجبت الفرسان من قدح فكرته وشرف همته وقال له عروة بن الورد لا رد الله من قلاك ولا كان من يشناك فما تركت لشاعر مقال ولا خليت لفارس فعال ولا يصعب هذا الامر عليك فها نحن بين يديك ولا نبخل بأنفسنا عليك وانهم لم يزالوا سائرين يقطعون ذلك البر وقفره حتى انهم وصلوا الى المنزل المقدم ذكره ونزلوا الحريم من على ظهور الجمال وتركوها فى ذلك البر والتلال ودخل عنتر الى الشعب هو وأعمامه وعروة ورجاله الابطال فرأوا الوحوش تسعى جانبه وأسده تلاعب ثعالبه فقال عنتر لما رأى تلك الآثار ان هذا المكان لا يسكن الا ان كنا نطلق فى جانبه النار فقالوا أعمامه هذا والله هو الصواب والرأى الذى لا يعاب ثم انهم أمروا العبيد باطلاق النار فى تلك الاحطاب فهج الوحش جميعه لما حس بتلك الالتهاب ودامت النار تعمل فى الوادى خمسة أيام تضطرم حتى بقى الوادى كأنه من أودية جهنم وقد احترق جميع ما كان فيه من الوحش الذى كان فيه وكان شىء كثير لا يحصيه الا الله خالق كل شىء ومنشيه وفى اليوم السادس خمدت تلك النيران بعد الاشتعال ودخل بنو قراد الى الوادى وقد انصرفت تلك الاحوال واستراحت قلوبهم عن مقاسات الاعداء والاضداد وأمر عنتر لمن معه من تلك العبيد الاجواد ان يضربوا السرادقات والخيام ويمدوا الاطناب والاوتاد وان يدخلوا بالحريم والعيال والاولاد هذا وقد امتثلت العبيد

ماأمرهم به من ذلك المقال ومهدوا الارض من اليمين والشمال وماجاءآخر النهار حتى امتدت لاطناب ورفعوا القباب وقد أدخلوا الحريم والعيال وضجت لاصواتهم تلك الجبال واستأنست تلك الديار بالسكان والنزال (قال الراوى) وبعد أيام قال عنتر لابيه شداد يا أبى انى أريد أن أسير الى بنى شيبان الاوغاد واجازيهم على مافعلوهم والربيع بن زياد مع ابنة عمى وأسبى حريمهم والاولاد فقال أبوه ياولدى نحن فى قلة من الرجال وقد صرنا فى أرض غريبة الديار والاطلال فان تباعدنا عن الحريم مانأمن عليهم من طوارق الايام والليال فقال عنتر هذا شىء ماأخاف منه والكثرة ماترد فى عينه لان أعداءنا الذى بين أيدينا أنا طالبهم واماهم لم يطلبونا فقال له أبوه وأنت ياولدى فى كم من الفرسان تريد تسير فقال له فى مائة من الفرسان المشاهير فقال له ياولدى ماهذا صواب لان بنى شيبان خلق كثير وعندهم من خلفهم جم غفير والصواب انك تسير من هاهنا فى مائة وخمسين فارسامن أعزماهنا من الرجال وتترك الباقى هنا لحفظ الاموال والعيال واذا فعلت ذلك تكون على خطر من هذه الاعمال ياسادة ياكرام ففعل عنتر مثل ما أمره أباه وقد سار بين يدى الرجال وهويذكر ماقاساه من أهل قبيلته وناسه وأقرباه وهو ينشد ويقول

مدّت الى النائبات باعها * وجاربتنى فرأت ماراعها
ياحادثات الدهر قرى واهجعى * فهمتى قد كشفت قناعها
ولا تعادى رجلا قد جربت * فعاله الابطال فى قراعها
ماداس فى دار العدا جواده * الاوارو بالدماء بقاعها

ويل

ويـــل لشيبان اذا صبحتها * ومدت لحرب الفوارس باعها
وارتفع النقع العوالى فى * الفلا وأظهرت بيض الظباء شعاعها
وخاض رمحى فى حشاها معلنا * وشك مع حديدها اضلاعها
واصبحت نســاءها نوادبا * على رجال تشتكى نزاعها
ياعبل عندى من هوا كى لوعة * أحس فى طيب الحشى أوجاعها
ياعبل كم تزعق غربان البنا * قـــد مل قلبى فى الدجاه سماعها
فارقت الطلالا وفيها عصبة * قد قطعت من محبتى أطماعها
وعن قليل ينظروا الدهاء اذا * خيـــل المنايا قلعت أفرعها

(قال الراوى) فلما فرغ الامير عنتر من تلك الابيات مال الامير عروة منها طربا واهتز من سماعها عجبا وقد شكره جميعهم على فصاحته وشجاعته وسار واطالبين ديار بنى شيبان وقد قل الموت فى عينهم وهان هذا وعنتر سائر وفى قلبه نار الحريق وقد تحمل من الغيظ مالا يطيق وهو لا يفتكر فى الفرسان ولا فى ازدحام الشجعان فهذا ما كان لهم من الاحوال وأما ما كان من مفرج بن هلال الذى هم سائرون الى دياره والاطلال فانه لما ان عاد من عند الملك كسرى أنوشروان وهو فرحان جهدان ومعه أموال ورجال وخلع حسان وشىء كثير ما تاكله النيران وعند عودته دخل على الملك النعمان وأقام فى ضيافته ثلاثة ايام وأعلمه بما جرى له فى بلاد خراسان وكيف كان قتالهم مع من هناك من الفرسان وبعد ذلك سار من عنده وهو طالب دياره والاوطان وكان قد اشترى معه ثلاثمائة حمل مدام من الخمر العقار وهو خمر العراق الذى صفى وراق وصار اصفى من دموع العشاق وانه لما وصل الى أرضه والاوطان وعلم به بن عمه مالك

ابن حسان ففرح بقدومه الفرح التام وخرج الى ملتقاه هو ومن
عنده من الفرسان وهم المائة فارس الذى كان تركهم مفرج
لما سار الى كسرى أنوشروان وساروا الى أن التقوا به من أبعد
مكان وهنوه بالسلامه هو ومن معه من الفرسان وبعد ذلك
الامر والشان التفت مفرج الى ابن عمه مالك بن حسان وقال له
أين عبدى بشارة ورفقته ومالهما طالع الى لقاءى مثل عادته
فقال مالك يا ابن العم اعلم أن بشارة رجع الى خساسة أصله وعمل
عملا ما سبقه اليه أحد من قبله فقال مفرج ما الذى فعل يا ابن العم
من الفعال أخبرنى بصدق الاقوال فقال له مالك اعلم أنه
ما أقام بعد مسيرك عشرين يوم وأظهر لى انه وصل اليه من عندك
كتاب وانك قد أرسلت له خطاب وانك تقول له خذ ما تحت
يدك من الاموال والذخائر العوال وأمضى بها الى جبال الردم
ووادى الرمال وتحصن بهم هناك أنت ومن معك من العبيد
الاقيال فانى قد تحملت من خدمة كسرى ما لا أطيق ولا بد أن
أهرب من بين يديه ان وجدت الى الهرب طريق وخذ جميع
ما فى خزائنك من الاموال والذخائر الغوال ومضى بها الى جبال
الردم ووادى الرمال بعد ما حملها على ظهور الجمال وسار وما سمعنا
بعد ذلك له أخبار ولا وقعنا له على آثار الا أن كان فى هذه الايام
قدم علينا من عند الربيع بن زياد قاصد من القصاد وأخبرنا أنه
مقيم فى بنى عبس عند عنتر بن شداد وقد رد ابنة عمه عبلة عليه
وسلم جميع الاموال مساء وصباحا وفى الغدو والاصال وقد
اجتمع برابعة محبوبته وقد استراح واطمأنت مهجته واننى يا ابن
العم كنت معول فى هذه الايام على المسير الى الملك النعمان

وأخبره بما جرى وكان فوصلت أنت الينا فى هذه الايام فافعل ماتريد يا ابن الكرام (قال الراوى) فلما سمع مفرج منه ذلك الامر صارت عيناه مثل لظى الجمر وقد سكر من غير شرب خمر ودق بيد على يد من شدة الغيظ والحرد وقال له ويلك يا مالك ونحن ما قبلنا عبلة من زمان فكيف ظهرت فى بنى عبس وعدنان فقال مالك ما أدرى كيف كان هذا الامر والشان وأنا متفكر من وقت ما وصل الى هذا الكلام فقال ابن عبد العزى سنان وكان فارس بنى شيبان وحاميها من طوارق الحدثان أنا أقول بعين الفراسة يا أمير مفرج ان عبدك ما قتل عبلة لما أمرته بقتلها وذلك الشان وانه كذب عليك بالمحال ودبر برأيه حتى خلا له المكان وأخذ أموالك وسار بها الى عبد بنى عبس وعدنان لانه ابن زنى مثله وأراد أن يعيش تحت حمايته وظله لانه قد وجد محبوبته عنده فقال له مفرج وقد قاسى الامور على معاناتها وقال كان يفعل ذلك اذا مت أنا ودرجت فى الاكفان والا مادمت أنا راكب على ظهر الوطان ومالك سيف والسنان وحولى خمسة آلاف من بنى شيبان وخلقى مثل الملك النعمان وكسرى أنوشروان فاينهب لى مال ولا يعدا لى على جار ولا ينهتك لى عيال فقال له سنان ومالك بن حسان الرأى عندنا انك تنفذ الى خلفائك الذى تعتمد عليهم فى شدتك ورحائك وسر بنا الى بنى عبس حتى نقلع آثارهم ونخرب ديارهم ونخلى منهم أطلالهم ونقتل عبيدهم ونسترد مالك من عندهم فقال لهم مفرج ما هذا صواب الا بعد أن أسير الى الملك النعمان وأعلمه بما جرى وكان واستأذن بالمسير الى بنى عبس وعدنان لانه يريد أن يصاهر

الملك زهير فى هذه الايام ويتزوج ابنته المتجردة لأجل ما فيهما من الحسن والجمال الفتان وهو راغب فيها وطالب قربها ووصالها وان نحن سرنا بغير اذنه اليهم ووقع بيننا القتال يعتب علينا ويغضب من أجل هذه الفعال والرأى عندى اننا نسير اليه ونعلمه بحالتنا فربما يرسل الى زهير ويخلص أموالنا أو يأمرنا بالمسير الى غريمنا ونرحل عن قعدتنا من عنده ونقتل زهيرا وعبده وجميع فرسانه وجنده ونهلك الرفيع منهم والوضيع ولا ندع أموالنا عند هؤلاء الاقوام تضيع ولا تذلى من قبل عبدى بشارة بن منيع فقال له سنان افعل ما بدا لك وسر بنا اليه لاشك حتى تبلغ آمالك وبعد ذلك انصرف كلا منهم الى منازله وأطلاله وجددوا التهديد بين أهله وعياله (قال الراوى) ومن شدة ما جرى على مفرج ما أقام فى الحلة أكثر من يومين وفى اليوم الثالث سار الى الملك النعمان وفى قلبه من عبده بشارة النيران وقد سارت من خلفه جميع بنى شيبان وما زالوا يقطعون الارض والكثبان الى أن وصلوا الى الحيرة واستأذنوا بالدخول على الملك النعمان فأذن لهم بذلك الامر والشان فدخل مفرج وقلبه فزعان وهو فى حالة الذل والهوان الى أن بقى بين يديه فنظره الملك النعمان ودموعه تجرى من آماق عينيه فقبل الارض قدامه وهو مثل المجنون الذى ضاعت افهامه فقال له الملك النعمان ما بالك وما الذى اعتراك ونالك فتقدم الى بين يديه وأعلمه بما جرى عليه من عبده بشارة بن منيع وما وقع منه فى حقه من الامر الشنيع وكيف أخذ أمواله وما ملكت يديه وسار به الى عند عنتر ابن شداد بعد أن رد عبله عليه قال فلما سمع الملك النعمان

من مفرج هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وقال لمفرج
أنت والربيع ما أخبرتنى بأنكم قتلتموها أو رددتموها المهالك وقد
أقررتم على أنفسكم فى حضرتى وأعلمتونى بذلك الايراد
أنت والربيع بن زياد فقال مفرج يا مولاى هكذا كان ولكن
ما فينا من رأى عبلة عند قتلها ودفنها فى الرمال والكثبان وانما أنا
أمرت عبدى بشارة أن يخرج بها الى البر ويقتلها ويسقيها كأس
الوبال فأخذها من عندنا وخرج بها وقد فعل ما أراد واشتهى
وقد أتى الينا وهو مغرق بالدما وكان ذلك منه محال وهو على أثوابه
لأجل صدق المقال وما علمت بذلك كيف كان الحال وهذا
ما جرى والسلام وقد أخبرتك أيها الملك الهمام قال فلما أن سمع
الملك النعمان من مفرج هذا الكلام فقال له لا تضيق صدرك
من هذه الاحوال ولا يصعب ذلك عليك واعلم أن مالك كله
يعود اليك والرجل الذى أخذه يساق بين يديك لانى فى هذه
الايام أردت أن أنفذ الى الملك زهير ملككم أخطب منه ابنته
المتجردة وكنت منتظرا ما رده الربيع من الامور العائده والا
فقد تأكدت القصة بهذا الامر الذى قد اعتراك ولا بقيت أتهاون
عن انفاذى اليهم فى طلب الجميع الرفيع منهم والوضيع ثم انه
كتب من وقته وساعته كتابا الى الملك زهير وهو يحذره وينذره
وهو يقول له فى أوله اعلم يا زهير ان التقدم على العشائر لا يكون
الا بحسن التدبير وأنا قد بلغنى عن عبد كم عنتر انه قد خرج من
رق العبوديه واستكبر وأنت قد صرت تجوز له الذمام ولا تناديه
الامثل بنى الاعمام والصواب انك تتبع سنة ملوك العرب
وتخشى العواقب والنوب وتحسن معنا الادب وتأمر عبدك

أن يرد أموال مفرج اليه ويقربه عينيه وكذلك عبده بشارة ويحسن معناجيله ووده والاجازاه على قبح فعله وسلكنا به مسالك عمله وبعد ذلك اطلب أنت منى مهرا فتلك مهما شئت من الاموال والخيل والنوق والجمال والجواهر الغوال واحذر أن ترد هذا الرسول القادم عليك بالجواب الا بخطاب لبيت خادم الرأى الصواب والا أصبحت على روحك نادم وديارك خراب يزعق فيها البوم والغراب ثم ان الملك النعمان ختم الكتاب وسلمه الى النجاب وقال له خذ هذا الكتاب وسر به الى ديار بنى عبس الانجاب ولا تعطيه الا فى يد الملك زهير وتأتينى برد الجواب وبعد ذلك تسير بنا الى الربيع بن زياد وتستخبر منه عما جرى من الاوراد فأجابه النجاب بالسمع والطاعه وسار به يجد المسير من تلك الساعه ومازال سائر يقطع القفار آناء الليل وأطراف النهار وأما الملك النعمان فانه قد أقام منتظر جواب الرسول وما يأتى به من الكلام وأعاق مفرج عنده فى تلك الايام حتى يبصر ما يتم له من الامر والشان وأما النجاب فانه مازال سائر الى أن وصل الى ديار بنى عبس وعدنان وكان وصوله اليهم بعد رحيل عنتر من عندهم بيومين فدخل النجاب على الملك زهير وقبل يديه وسلم كتاب النعمان اليه فأخذه الملك زهير وقرأه وعرف رموزه ومعناه والتفت الى النجاب فى عاجل الحال وقال له اسمع يا وجه العرب ما أقول من المقال أما ما ذكره مولاك عن عنتر فما هو عندى حتى اننى آمر عليه وانهى ونحن سمعنا انه ملك الآفاق ومراده يقيم فى أرض العراق وانه ما سار من عندنا حتى انه القى الفتن بيننا وبين جيراننا وانها والله فتنة عظيمه ومحنة جسيمه

وقد

وقد ضجت منها أهل الآفاق وحصل والله من أجلها تعب وشقاق والذى أعلمه انه لو قام عندنا يوم آخر أو يومين لكان أفنى القبيلتين بشجاعته وأهلك الفريقين ببراعته وأنا أعلم أنه بعد قليل من الزمان يكون مجاور الملك النعمان فى دياره ومنازل بنى شيبان فدعه يأخذ خبره ويفعل به ما يريد من الامر والشان وأما أنا فلا أتعرض له فى أمر من الامور ولو أحل به العدم والثبور وأما قوله أزوجه ابنتى فأنا ما عندى بنت تصلح للزواج ولو كان عندى أيضا بنت كما ذكر صاحبك ما غربتها عن أرضها ووطنها ولا أسلمها لمن يتحكم فيها ليلا ونهار وأنا راكب على ظهر الحصان وحولى أربعة آلاف من بنى عبس وعدنان وأنت بعد ذلك يا أخا العرب فما تحتاج الى كتاب وما عندى غير هذا الجواب جواب ثم ان الملك زهير أمر للنعاب بخلعة مطرزة الاكمام وان يحمل الى دار الضيافة ثلاثة أيام ويرجع الى مولاه بسلام فأبى النعاب هذا الكلام وخرج من عنده حردان وسار طالب الى أرض الحيرة الى الملك النعمان ومن غيظه من الملك زهير ما سار الى الربيع بن زياد فى أرض بنى فزاره كما أمره مولاه ولا مر عليه (قال الراوى) وكان الربيع فى تلك الايام فى أرض بنى فزاره لانه لما خلصه قيس من العبد بشاره وجرى ما جرى من هاتيك العباره ودخل الربيع وأخيه عماره الى أبيات بنى قراد لاجل عبلة ست العذاره ورأى صناديق الاموال الذى أخذها عنتر منه فى ركايا بنى مالك وأمر العبيد بشيلها الى أبيات قيس كما تقدم وأتى اليه عنتر على حس الصباح وجرى ما جرى من تلك الامور القباح (قال الراوى) لهذا المقال وكان شيبوب قد أخذ ما فى الصناديق من الاموال

والاقمشة الغوال وملأها حجارة ورمال وزبل الغنم وبعر الجمال قبل أن يظهر هذا الامر والحال (قال الراوى) ولما ان أقبلت أولاد الملك زهير وهم شأس ومالك وصلوا وأفرقوا مابين بنى قراد وبنى زياد فأمر الربيع بشيل الصناديق فى عاجل الحال فتقدمت العبيد وشالتها الى خيام الملك قيس وجرى لهم ماجرى وأصبح عنتر راحلا بأصحابه من عندهم وكان الربيع مجروح من وخذ الاسنة والحسام فقعد يداوى روحه مدة أيام (قال الراوى) ولما ان خفت جراحه وبدا صلاحه أمر بفتح الصناديق ففتحت فى عاجل الحال فوجدهم على هذا المثال فلطم على وجهه وراسه حتى كادت أن تقع أضراسه وأخذه الانذهال وندم على هذه الفعال فبينما هو جالس فى ثانى الايام واذا بعبد من عبيده قد أقبل عليه وأعلمه بأمواله التى كانت فى بنى فزاره قد ساقها عنتر عن بكرة أبيها بعد ان شن على اخوته الغاره وجرح منهم اثنين وقتل من بنى عمهم ثلاثين (قال الراوى) فلما ان سمع الربيع هذا الكلام قام قائما على الاقدام وأخذ أخيه عماره وسار طالبا ديار بنى فزاره يقع له معنا كلام اذا اتصلنا اليه نحكى عليه العاشق فى جمال النبى يكثر من الصلاة عليه وأما ما كان من نجاب الملك النعمان لما ان بلغه عنه انه فى بنى فزاره فما عوّل عليه ولا سار اليه بل طلب أرض الحيره وهو فى هموم وحيره ودخل على الملك النعمان وأخبره بما جرى وكان فلما ان سمع هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وزادت به الغصص والآلام وقال وحق ذمة العرب الكرام وحرمة البيت الحرام لابد ان أقتل رجاله وأذل ابطاله وأنهب أمواله وأسبي عياله

95

وأما عبد شداد لابد أن يظهر خبره فى الاماكن من البلاد وأبدله من عندى فرسان وأجناد وأدعهم يقطعوا منه الآثار ويخربوا منازله والديار ثم انه بعد ذلك ادعى بأخيه الاسود فحضر بين يديه وكان اسمه يزيد ويلقب بالاسود لانه كان سفاك الدما عظيم الخلقه واسع الجثه فلما ان حضر بين يدى أخيه أعاد عليه ما كان من امر الملك زهير وكيف رد رسوله خائب بغير فائدة ولا جواب فلما ان سمع الملك الاسود هذا الحديث تبسم تبسم الغيظ والحرد وقال له أنت الذى تهين نفسك وتطمع العرب فى قدرك والا لوانك بذلت السيوف فى أعداك لخافت من هيبتك أصدقاك لان الملك يحتاج الى هيبة وناموس وان لم يفعل ذلك الفعال دائما صاحبه موكوس ومعكوس والصواب انك تنفذ الى زهير من يخرب دياره ويجعل بواره ويهلك اولاده وأعوانه أو يأتى بالكل الى بين يديك تتحكم فيهم بما تريد (قال الراوى) فلما ان سمع الملك النعمان من أخيه الاسود هذا الكلام اشتد به الغيظ والحرد والآلام ثم انه قال لاخيه الاسود كن أنت وكيلا عنى فى هذا الامر الشديد. وافعل ما تشتهى وتريد فقال الاسود ان هذا الامر كذلك فأنا ما أسير واقطع الارض والدكادك قال هذا والملك النعمان قد جهز الاسود بعد ثلاثة أيام وقد سيره فى عشرين ألف عنان فرسان وشجعان من بنى لخم وجذام وشيبان الشجعان وكانوا رجال عيان وسار بهم الملك الاسود فى البر والوديان كأنه النمرود بن كنعان وهو طالب أرض بنى عبس وعدنان وبعد مسيره تخلف الملك النعمان فى مدينة الحيرة وتفرغ قلبه وأرسل العبيد الى سائر الحلل لاجل

لابد أن يكشفوا أخبار عنتر ومن أين يظهر وفي أي أرض ينزل أو من أي طريق يعبر ويعودوا اليه بجلية الخبر فسارت العبيد تقطع البر الاقفر والمهمه الاغبر وأما النعمان فانه صار كل يوم يركب ومن حوله جماعة من فرسان العرب وبجانبه مفرج بن هلال وهم يسيرون على ظهور خيولهم العوال الى أن يشرفوا على المواشي والمال وهم يسلوا بعضهم بالقيل والقال وما زالوا على مثل ذلك الحال مدة أيام وقد أوسعوا في البراري والآكام الى أن تنصف النهار وعولوا على العودة الى الديار واذاهم بغبار من بين أيديهم قد طار وتكدرت منه البراري والقفار وبعد ساعة انكشف وبان من تحته فرسان كأنها العقبان على خيول كأنها الغزلان لكنها هاربه والى النجاة طالبه فوقف الملك النعمان وأرسل من يكشف خبر هذه الفرسان ويطلعوه على هذا الامر والشان قال فلما ان وصلت الخيل الى الملك النعمان ورأته عيان تبدل خوفها بأمان وانتقذت من طوارق الحدثان فعند ذلك تبين لهم مفرج بن هلال واذاهم من فرسانه الاقيال فقال لهم يا ويلكم ما الذي دهاكم ومن بشره رماكم فقالوا له والله يا ابن العم ما دهينا الا من عنتر بن شداد وقد أتى الينا بعد مسيرك من عندنا من البلاد قد كبسنا بخيله تحت الظلام وكانت أهل الحي سكارى نيام فقاتل فينا بالحسام وقد فضحنا بين الانام وترك نساءنا أرامل وأولادنا أيتام وأخذ ما أخذ وسار وطلب البراري والقفار قال فلما ان سمع مفرج من قومه هذا الكلام لطم على وجهه ورأسه حتى تقعقعت جميع أضراسه وقال لهم يا ويلكم وفي كم كان هذا الشيطان حتى فعل بكم هذا

الامر والشان فقال له ما رأينا الا في نفر قليل ولكن فيهم كل فارس جليل وقد ابلونا بالذل والويل قال ومازالت الفرسان تأتي اليه من البر والفدفد حتى انقطع منهم المدد مع آخر النهار وقد صح ان عنتر سبا كل من في الحلة من النساء والعيال وسار على طريق جبال الردم وتلك الرمال فقال لهم الملك النعمان وحق بيوت النيران لاطلبنه ولو صعد الى السماء والفرقدان ثم انه طيب قلب مفرج بن هلال وفي قلبه نار الاشتعال من سماع هذا المقال وعادوا الى الحيرة وهم في انذهال وقد باتوا في هم واتراح الى أن أصبح الصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فجمع مفرج المنهزمين والذين كانوا معه مقيمين فوجدهم خمسة آلاف انسان فأخذ الاذن من الملك النعمان بالمسير الى دياره والاوطان ليبصر ما جرى عليه من الذل والهوان فأذن له في ذلك الامر والشان فسار يجد المسير في البراري والقفار وقلبه طائر على قومه من سماع هذه الاخبار ولم يزل سائرا حتى أشرف على الديار فرآها قفرا خراب والنساء تندبون على من قتل لهم من الرجال والاحباب فلما ان رأى مفرج الى تلك الاحوال تزايد به البلبال وقد جرت على خده دموعه وزادت لوعته وهلوعه وحسرته وولوعه وقد تأسف على هذه الفعال وأما رجاله فما منهم الا من سار الى أبياته وافتقد حريمه وعياله ثم عبيده وأمواله فرأى دياره قد نهبت وعياله قد سبيت فزاد به الحزن والجوى وصار على غير استوى وأما مفرج فانه كان يجرعة الثكلا وقد قيل في بعض الامثال أن ما جرب النار الا من بها اصطلا وصار نادم على ما ناله من خراب دياره ونهب ماله

وسبي حريمه وعياله ومن قعاده عن مجازات غريمه زادت به المصايب لما ان سمع ندب النوادب (قال الراوى) ومن شدة ماجرى عليه من الهموم والالام ما اقام فى الحلة غير ثلاثة ايام وركب بعدها وسار واخذ معه جميع فرسانه الاخيار وسلك بهم البرارى والتلال بهذا العسكر الجرار وهو طالب جبال الردم وتلك الرمال هو ومن معه من الرجال فهذا ما كان من هؤلاء من الاحوال وأما ما كان من عنتر ابطال الرجال فانه لما سار الى ديار مفرج كما تقدم فى المقال ومن خلفه مائة وخمسون فارس رئبال ومازال يقطع الارض والرمال والتلال والكثبان حتى أشرف على حلة بنى شيبان وكان وصولها اليها عند الصباح فأكمن هناك فى بعض الاماكن الفساح ونزل فيها الى أن استراح وانفذ أخيه شيبوب يكشف له الخبر عن أهل الحلة وينظر ان كان مفرج هناك أم لا فال عند ذلك سار شيبوب وهو كالريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب وما غاب أكثر من ساعة وعاد وهو مسرعا على الاثر وقال لاخيه عنتر يا ابن الام ان سعدك قد غلب على رأى أعداك وما فى الحلة من يردك عن مسعاك لان ما هناك أكثر من ألف فارس والكل راقدين فى حجور النساء النواعس فقال له عنتر وكيف ذلك أبدى لى ما ذكرته بحق مالك الممالك فقال شيبوب لان مفرج بن هلال سيد بنى شيبان لما عاد من عند الملك كسرى أنوشروان وهو فرحان وعليه خلع من العظام الحسان ومعه ثلاثمائة حمل شراب من الخمر الرائق الوهاج تشبه فى انسيابه فى قطع الزجاج سبايك الذهب عند الارهاج وكان قد عول أن يشربها هو و بنو عمه وفرسان عشيرته وأبطال

قومه فرأى ما أخذه بشارة من المال والجمال والنياق الحسان وحدثه بذلك ابن عمه مالك بن حسان لان الربيع أرسل اليه وأخبره بأن عبلة قد عادت الى الملك وان عبده بشارة وماله قد صار بين يديك فجرى عليه مالم يجر على بشر وعاد راجعا الى الملك النعمان على الاثر ويشاوره فى أمر المسير الى بنى عبس وعدنان ويرميهم منه بطوارق الحدثان ونوائب الدهر والزمان ويأخذ منك ثاره ويخرب ديارك كما خربت دياره من شدة ماجرى عليه من تأسفه عليك ولاجل ماله وعبده الذى وصلوا اليك وقال لبنى عمه أشربوا أنتم هذا الشراب ثم قلوا من اللوم والعتاب ولا يسألنى أحد عن جواب فانى مابقيت أشرب خمر ولا أقطع من الاحكام أمر حتى أقتل عبدى بشاره وأطفى بقتل عنتر الاآخر مابقلبى من الحراره وان القوم ياابن الام من حيث سار مفرج من عندهم مافيهم من عاد صحا ومافيهم الامن يزال مغتبقا ومصطبحا وهم غافلين عن نزول النوائب راقدين فى حجور النساء والبنات الكواعب وانى قد رأيت من الرأى الصواب والامر الذى مافيه شى يعاب انكم ترحلوا من هذا المكان وتخوضوا أرض بنى شيبان وتدخلوها تحت استار الظلام واذا أنتم قاربتم الخيام تفرقوا ثلاث فرق كل فرقة خمسين فارس وتكونوا أيقاظ لا تكونوا نواعس وتدوسوا القوم تحت سنابك الخيل وتحلوا بهم الذل والويل وقد نلتم ماتريدون وبلغتم ماتؤملون وتشتهون فقال عنتر ياابن السوده وحق ذمة العرب الكرام لقد أشرت وماقصرت فيما به دبرت فى هذا المرام فقال شيبوب والله ياابن الام انى ماتكلمت الا على قدر مانظرت من الاحكام فعند ذلك

ركب عنتر وركبت من خلفه الرجال وقد عرفوا حقيقة الامر والحال وساروا فى عرض البر وبين أيديهم شيبوب كأنه الاسد الاسد الريبال لا يعيى له ركب ولا يلزمه تعب ولا نصب ولم يزالوا يقطعون القفار حتى أقبل الظلام بسواد الاعتكار فلاحت لهم نيران بنى شيبان وقد نظروها من أبعد مكان وكان الليل قد غسق على الخافقين وانطبق فعند ذلك افترقوا ثلاثة فرق وزعقوا من كل جانب ودخلوا بين الخيام والمضارب وبذلوا فى الرجال حدود القواضب و فى دون ساعة تكدرت الدنيا ونزلت على القوم المصائب وقد انعقد عليهم الغبار من كل جانب وعلا الصياح من المشارق والمغارب وثارت الرجال من المراقد وخفقت قلوب الابكار النواهد وقامت السكارى وهم حيارى مما حل بهم من الشدائد وظنت الفرسان تصبح أسارى وتحل بهم الاوابد وزاد سواد الليل اعتكار ودجا وتقطعت منهم حبال الاسباب والرجا ولم يجد الانسان له مهربا ولا ملتجا وطلبت الفرسان من هول المعمعة فرجا وناحت الحمائم على الاجساد المطروحة بالشعا وأقام ملك الموت للارواح هجيا ومازال السيف يعمل حتى والليل مندرجا وأقبل الصباح بنوره مضيا مبتلجا وأصبحت فرسان بنى عبس وجوههم مضيئه والنصر متوجا وقد كسوا من الدماء ثوبا أحمر امدبجا وكانت ليلة عظيمة من بين الليالى نال فيها عنتر كل الفخار وأصبح متحكما فى أرض بنى شيبان وقد ملك الاموال والعيال والنسوان ووصل الى بيوت الامراء الكبار مثل مفرج بن هلال الفارس الكرار وابن عبد العزيز سنان ومالك بن حسان وسبى انساء بنى شيبان وساق

عنتر البنات والصبيان وأخذ الجمال والاموال وقد سبي لمفرج ثلاثة نساء وأربع بنات من خيار العيال ومن نساء اخوته وبنى عمه أربعين أمراة من النساء الموصوفات بالجمال وا كتسبت بنى قراد ورجال عروة من النوق والخيل والجمال ماسد أقطار البر والرمال وعادوا بعد ذلك بما معهم راجعين ليطلبوا جبال الردم ووادى الرمال وتركوا ديار الاعداء فضائح وفى جنباتها شىء كثير من النوادب والنوائح وما زالوا سائرين وفى سيرهم مجدين حتى بقى بينهم وبين الجبلين رماقيها من القوم مسافة قريبة دون يوم وكانوا قد أصلحوا فى أرض موحشة الجوانب والدكادك قليلة الخاطر فيها والسالك فمد عنتر عينه فرأى بين يديه غبرة عظيمة عاليه وعجاجة مرتفعة ناميه وهى على بعد منه فاستيقظ بعد ماكان ناعس وقال لعروة ترى ما أرى قال لا وحياتك يا أبا الفوارس فقال له مد نظرك الى بين يديك وحقق فى عرض البر بعينيك قال فمد عروة نظره وقد حقق فى البر واذا بالغبار والقتام قد ارتفع وكلما اقرب زاد له سواد على وطلع فقال عروة يا أبا الفوارس رايت غبارا قائما لديك وأقول انها غنيمة ساقها الله تعالى اليك فقال عنتر على كل حال ارفقوا بالليل حتى ان الخيل تستريح وتعينكم على ما تريدون من المنى والنيل فعند ذلك ترجلت الفرسان عن صهواتها وقد افتقدت حزمها وأرخت اعنتها والجمتها وعادت بعد ذلك الى صهواتها بعد ما أخذت أهبتها وسلت صفاحها وقومت بين أذان خيولها أسنة رماحها هذا وقد وكل عنتر بالمال الذى معه أربعين فارسا وتقدموا الباقين مثل الليوث العوابس وهم مائة وعشر فوارس مافيهم الا كل مدرع

ولا بس وماز الوا يتحدثون في أمر ذلك الغبار حتى قرب وصار في وسط القفار فسمعوا من تحته صيحات عاليات وضجات مرتفعات وأمور تدل على صياح نسوان ودموع جاريات والكل ينادون يا آل عبس يا آل عدنان أما من رجل كريم يغار على البنات والصبيان أما من فارس جسيم يخلص النساء من ذلك الهوان (قال الراوى) فلما سمع عنتر تلك الاصوات والاشارات أخذته الحيرة والانبهات واسواد النور في عينيه من سائر الجهات وقال لعروة دهينا والله يا فارس البدو والحضر ووقع بالحريم ما كنا نخشى ونحذر فيا ليت شعرى من الذى من العرب أصابنا بهذه المصائب وتجرى علينا ونحن اسود الغاب الغوالب ومن الذى فعل بحريمنا هذه الفعال ونحن غياب في قضاء الاشغال (قال الراوى) وكان السبب في ذلك الشر والعناد وكان تسبب فيه الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد وذلك انهما لما أتوا الى بنى فزاره وفاتهم الربح ووقع بهم الخساره لما ان عنتر أخرج من عندهم العبد بشاره وجرى ماجرى من ذلك العباره وبلغ الربيع وعماره بنو الانذال ان أبا الفوارس عنتر أغار على مالهم من الاموال وتبعته بنو فزارة بالرجال والابطال فما قدروا ان يلحقوا منه ولا عقال وعاد عنه بخيبة الآمال فعند ذلك دخل على حذيفة بن بدر وصار بين يديه وهو مما جرى له يدق على صدره وقال له يا أبا جبار يا فارس الاقطار كيف غفلت في هذه النوبه عنا وتخليت عن حمايتنا ونحن في جوارك مقيمين وفى ديارك آمنين فقال لهم لم أكن عن الوقعة مكسور لما ضرب عنتر رأس جرتى طيفور ولما كنت سكت عن هذه الامور ولوان الدماء من الافواه تفور وتخر

من رقاب الرجال نهور على انني وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ماعلمت ان عنتر هو الذى غار علينا وبالاذى قد وصل البنا والا ما كنت قعدت عن حربه وقراعه ولو ان روحى فى التراقى كنت لقيته وقصرت باعه وانما قلت لنفسى بعض العرب الطماعه قد عبروا بأطراف بلادنا وأطلالنا وحدثتهم أنفسهم بأخذ بعض أموالنا فركب أخى وحمل معه بعض اخوانه وجماعة من الابطال وقلت انه يقضى الاشغال ويبلغنا الآمال ويرد الخيل والجمال وجميع النياق الاصال فعادوا عن ما أملوه بالذل والخيبه وأضاعوا ماكان لهم من الحرمة والهيبه وأ نا وحق اللات والعزى سكران من هذا الامر أكثر من سكر شارب الخمر وان لم ألحق عنتر وأذله والا حل بى المرض الشديد ومت كدا كميد فقال الربيع والله يا ابن العم ما بقى يمكننا المقام بعد ما فعل معنا هذ الولد الزناء هذه الفعال وأحل بنا الآلام ثم انهم تأهبوا من يومهم وليلتهم فى ألف وسبعمائة فارس مافيهم الا كل بطل مداعس وليث ممارس والكل فى الحديد غواطس وساروا على أثر عنتر قاصدين الجبال بعد ما نهاهم الشيخ بدر بن عمرو عن هذه الاعمال فما ارتدعوا وما قبلوا له مقال بل قال لهم حذيفة لا تسمعوا من أبى كلام لانه كبر وخرف وقل منه المقام ونكون نحن ملوك أولاد ملوك ونرضى بالذل من عبد راعى جمال وهو فقير صعلوك (قال الراوى) ولما انهم ساروا فى البر وأوسعوا فى ذلك القفر قال حمل لاخيه حذيفة والربيع بن زياد أنا قد نشأنا فى هذا الامر لمعادات عنتر بن شداد بغير رضاء أبينا بدر بن عمرو وطلبنا بهذه الفعال الكياد وقد عصينا مشائخ العشيرة وأصحاب

الكلام ونخاف ان يتم علينا أمر مشكل فتشمت بنا بنوا الاعمام ولا يبقى لاحد منا فى الحى مقام والرأى عندى ما أقول لكم من الكلام وهو ان نستظهر عليه ببعض فرسان العرب وهو الامير ظالم بن الحارث الفارس المنتخب وما بالاستظهار من بأس ولا يذمه أحد من الناس قال وكان حمل قال لاخيه هذا المقال لاجل ما وقع لعنتر فى قلبه من الهيبة وقت القتال لما وقع لهم ما وقع ذلك النوبه من العناد والعطب وأيضا وافقه الربيع بن زياد على ما طلب وظنوا ان هذا الفارس الذى ذكره حمل ينصرهم على عنتر ويبلغهم منه الارب لان هذا الفارس الذى هو ظالم ابن الحارث كان فارس بنى مرة وذبيان وكان شديد القوة أعجوبة من عجائب الزمان وكان من قوته وشجاعته يفتخر على سائر العرب من بعد منها ومن قرب قال وكان الذى يعينه على ذلك الهجوم والاخطار الهائلات سيف كان ورثه من جدوده يسمى ذو الحيات وكان فى ذلك الزمان معدوم الصفات لانه كان اذا أشهره فى يمينه فى البر الاقفر فلا يستطيع أحد ينظر اليه بالنظر (قال الراوى) وكان هذا السيف من قديم الزمان عمل الملك يقال له الاقرن بن هامان وكان ملكا جبارا وبطلا مغوارا لا يصطلى له بنار ولا يعدى له على جار وكان من جبره وتكبره خصه الله فى رأسه بحيتين وكانوا يأكلوه الليل والنهار حتى قاسا منهما الذل والهوان وقد أعيوا الاطبة والحكماء وأهل العرفان فلما ان رأى فى نفسه العجز وقد زاد عليه الضرر نادى فى جميع مملكته ان كل من أزال عنه هذه المرض أزوجه بابنته وأشركه فى نعمته واجعله وزير دولته (قال الراوى) فلما كان بعد مدة

من الايام اقبل اليه حكيم من حكماء هذا الزمان وعمل له هذه القطعة السلاح وكانت من صاعقة ورسم عليها بماء الحكمه حيتين وجعلها معلقة على راسه فى الايوان فسكن ما به من الضربان ومكث هذا الملك مدة من الزمان وشرب شراب الحمام وتداولته الملوك والحكام وملكه التبع حسان الذى بنى القصر بالشام وهو أول من علق القصائد على البيت الحرام وكان يفتخر بهذا السيف على سائر ملوك الزمان لانه كان أعجوبة فى ذاك الاوان وكان اذا ضرب به الحديد انصدع واذا أومى به على الصخر انقطع (قال الراوى) وكان ظالم له جد يقال له الضحاك وكان من أهل الحساوة والعراك وكان من بعض جلساء هذا الملك الفتاك وكان دائما يرسله فى سائر المهمات العظيمات ويتعان به على الملوك والسادات فلما عرف انه شجاع وقرن مناع أتحفه بهذا السيف الذى نحن فى ذكره (قال الراوى) لهذا المقال ومازل السيف فى خزائن الملوك الثقال الى أن ملكه ظالم بن الحارث الرئبال واحتوى عليه من دون الرجال وكان عنده أعز من روحه ومن شدة محبته فيه لاينام الا وهو تحت رأسه وقد افتخر به على جميع أهله وناسه لانه كان لايفارقه لاليلا ولانهار وكان دائما يذكره فى الاشعار ومن جملة ماقال فيه من الاوزان هذين البيتين الحسان

الاقى كل نائبة بنفسى * ولا أخشى الحمام اذا أتانى
وكيف أخاف من جور الليالى * وذوا الحيات يقطع والسنانى

(قال الراوى) ولما ذكر حمل بن بدر هذا الرجل وجعله نصب عينه وشار عليهم بالقصد اليه فعاونه الربيع بن زياد على ماقاله واستدع

فاحتاج حذيفة أن يكون لهم تبع وتأهبوا الى المسير من تلك الليله وأوسعوا فى الصحراء وساروا حتى وصلوا الى حى بنى مره ونزلوا عليهم عند اقبال الظلام فاستقبلهم ظالم وأكرمهم غاية الاكرام وأكثر لهم من الطعام والمدام هذا ولما ان طاب لهم المقام تقدم الى ظالم الربيع بن زياد وحدثه بحديث عنتر بن شداد وما فعل معهم من الهم والعناد ثم انه قص عليه قصته والامر الذى كان السبب فى تشتيته من حلته وأعلمه بجميع ماجرى منه عليه وسألوه المعونة بكل ما تصل يده اليه فعند ذلك تبسم عجبا واهتز من شدة ما نزل عليه الغيظ طربا وقال وحق البيت الحرام وزمزم والمقام وما تحلف به العرب من الايمان العظام لقد استحقت بنى عبس المذمة بين العرب لانها جعلت لهذا العبد الراعى بين الفرسان قدر وشان لان كل ماجرى عليكم من المذمة الذميمه فهو من مقدمكم زهير بن خزيمه لانه هو الذى ألحقه بالنسب وجعل له بين سادات العرب علقة ونسب وأنا وحق البيت الحرام وزمزم ومنى ما أنا حامل هم مسيرى معكم ولا ينالنى من ذلك مشقه ولا عنا ولو ان خصمكم الملك النعمان أو كسرى أنوشروان صاحب التاج ثم الايوان أو قيصر ملك عبدة الصلبان الاعلى سيفى ذو الحيات كيف يتلطخ بدم العبيد وقد تعود منى بشرب دماء السادات والابطال الصناديد أصحاب الغارات قال ثم انه أضافهم عنده ثلاثة أيام وهو يقدم لهم فى الطعام والمدام وفى رابع الايام تجهز وسار معهم فى خمسمائه فارس صناديد من فرسان بنى مرة الاقويا الاماجيد وهم راكبين على ظهور الخيل الجياد وكان قد جربهم فى الوقايع فى الحرب والجلاد

وقد

وقد تعودوا بخوض المعامع وشرب دماء الآساد وحضر بهم كثيرا من الغارات الكبار وكم كسر بهم من جحفل جرار وقاتل بهم كل فارس كرار وكل ضيغم مغوار ياسادة يا كرام صلوا على البدر التمام وبعد ذلك جدوا فى المسير وسرعة الكد والتشمير على آثار عنتر بن شداد ومن معه من فرسان بنى قراد الاجواد وقد صاروا يأخذون أخباره ويقتفوا فى المسير آثاره وكل من لقوه سألوه عن عنتر بن شداد وما صار له من الحال حتى سمعوا أنه نزل فى جبال الردم ووادى الرمال واحتمى بها هو ومن معه من الابطال وقد حصن من داخلها الحريم والعيال فقال ظالم لعن الله طلعته والسبال هو ومن معه من الرجال أيظن ان تلك الجبال تحميه منى أو أن ذلك الوادى يمنعه عنى فوحق ذمة العرب السادات لاسقينه كأس العطب والآفات ولاروين من دمه سيفى ذو الحيات قال ثم انهم قصدوا ذلك المكان وهم على علم ويقين وبرهان وبين أيديهم دليل عارف أمين يقال له سعد بن شمروين وكان هذا الرجل قد ربى بأرض الحجاز وأما أبوه كان من فرسان العجم والاهواز هذا وعمارة لا تسعه الدنيا من شدة فرحه وقد زاد به شغبه ومرحه وأيقن انه قد تكامل سعده لانه زعم ان عنتر يقتل فى هذه النوبة ويفعل بعد ذلك جهده وان عنتر ان عدم تكون له عبلة من بعده (قال الراوى) ولما قربوا الوادى والجبلين وبقى بينهم وبينها دون اليومين التقاهم عبد من عبيد الربيع بن زياد وهو هائم فى البرارى والوهاد وكان هذا العبد هارب والى النجاة طالب ولما عرفوه هنوه بالسلامه وسألوه كيف كان خلاصه مما كان فيه من تلك الملامه واستخبروه

عن أمر عنتر وما قد فعل وما قد دبر فقال لهم العبد يا موالى عنتر قد سار الى بنى شيبان فى مائة وخمسين فارس أقران وما فى الجبال غير مائتين فارس من الشجعان لحفظ الحريم والنسوان ولولا غيبة عنتر وشيبوب لما كنت تمكنت من الهروب (قال الراوى) فلما سمعوا منه ذلك الكلام فرحوا وزالت عنهم الاوهام وقالوا الحذيفة هاقد أتاك الامر كما تريد وقد هان علينا وعليك كل صعب شديد فقال ظالم يا وجوه العرب الاقيال وأى شىء يكون حتى انا بلغنا الا آمال اذا لم يقع عنتر و يقتل مع الابطال فوحق البيت الحرام وزمزم ومنى لقد ضاع تعبنا وساء منقلبنا بنجاة هذا العبد الزنيم من العذاب الاليم فقال له حذيفة أيها السيد الكريم وكاننا نقنع بما نجده من سبى الحريم ونرجع الى الاوطان ونترك عنتر من آفات الزمان سليم ولا نهلكه ونهلك من معه من كل شيطان رجيم فقال الربيع ابن زياد أنا عندى الرأى الذى تستحسنه الرجال الاجواد وهو اننا نأخذ ما وجدنا فى الجبال من الجمال والنساء والاولاد ونأخذ ما قدرنا عليه من الاموال ولا ندع لهم مما ملكته أيديهم ولا عقال وبعد ذلك نتبع عنتر ونقصده أينما كان واذا قلعنا منه الاثر وأحللنا به الهوان وتركناه مرمى فى القيعان سرنا على ظهور خيلنا الى الملك النعمان وأحوجنا أن ننفذ أخاه الاسود الى زهير ومن معه من بنى عبس وعدنان ويسوقهم الى بين يدى الملك النعمان ونزوجه زهير بابنته غصبا كان راضيا أو غضبان ونزوج عبلة لاخى عمارة ونرجع الى الديار والاوطان و يكون قد انصلح الامر والشان وهانت علينا الدهور والازمان

فقال عمارة الصميدع الرفيع لقد مدقت فى هذا الكلام يا ربيع لانى أعلم وأتحقق ان عبلة ما خلقت الالى ولا يصلح ان يكون جمالها لغيرى وانها من رزقى وأنا من رزقها ولا يصلح جمالى الا لجمالها قال ثم انهم جدوا فى المسير ذلك اليوم وظالم بن الحارث فى أوائل القوم وهو يتمايل بين الفرسان عجبا ويهتز بين الابطال طربا وهو ينشد ويقول بعد الصلاة على الرسول

أثغرك يا هند أبدى ابتساما ✱ أم البرق سل علينا حساما
وهذا قوامك أم غصن بان ✱ تثنى لنا حين حاكى القواما
الا تنظرى يا ابنة العامرى ✱ صباحا جلا من سناها الظلاما
اذا زرت بالخيل ربع الزنيم ✱ عبيد العبس ونسل حراما
وان كنت جاهلة سلى ✱ بنى عبس لما سللت الحساما
ونكست فى الشعب فرسانهم ✱ بسيف برى لحمهم والعظاما
وأشفيت فؤاد حذيفة وحمل ✱ وبعده الربيع وكل الكراما

(قال الراوى) لهذا الكلام وانه لما فرغ من ذلك الشعر والنظام جدوا فى المسير واستعملوا السرعة والتشمير حتى انهم أشرفوا على جبال الردم ووادى الرمال وذلك الفدفد وبان غبار خيلهم لبنى عبس مثل الظلام الاسود وأبصرت العبيد الذى خلاهم عنتر عند الحريم والعيال الى ذلك الغبار المقبل فتصايحت وضجت من على رؤس الجبال ونزلت وأخبرت الفرسان المتخلفة فى عاجل الحال قال فعند ذلك ركب شداد أبو عنتر واخوته السادات والمائة وخمسين من الفرسان الذى قدمنا ذكرهم فى هذا الديوان وانقلب الوادى بضجيج الاماء والنسوان وعلا صياح العبيد والشباب الجهال وخرجت الرجال المعدودين

للحرب والقتال وقد غاصوا فى الحديد والزرد النضيد هذا وقد بانت خيل بنو فزاره للابصار وقد ظهرت لاعين النظار وقد تقسمت مواكب وسرب وصاحت صياح عالى حتى أزعجت البر السبسب وأطبقت على بنى عبس انطباق ظلام الغيهب وفى أوائلهم ظالم بن الحارث وهو يهدر هدير الاسود الضاريات وقد اشتهر سيفه ذو الحيات المنعوت الصفات وفى دون الساعة تقارب القوم من القوم وظهرت منهم الاحقاد وتنادوا باسم الآباء والاجداد واختلطوا فى القفار والمهاد وأخذوا فى الحرب والجلاد وعملت السيوف الحداد وشمت الحساد وكثر العدد عن بنى قراد وجرح زخمة الجواد عم عنتر وأبوه شداد بعد ما قاتلوا على باب المضيق قتال الرجال الاجواد الذين يخافوا المذمة من سائر العباد قال فلما عظم الامر على الرجال وزاد سكنوا رؤس الشعاب وأجادوا الطعان والضراب وعسر قتالهم على الاعداء ومن معهم من الحلفاء والاصحاب لانهم فرسان بنى عبس الانجاب فلما أبصر ظالم بن الحارث جودة حفظهم للمكان ترجل عن جواده وترجلت خلفه الفرسان ودخلوا جميعهم فى مضيق الجبال ولم يزالوا كذلك وهم على ذلك الحال والقتال بينهم يعمل والدماء تبذل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى قتل ظالم بن الحارث نسل الابالس من فرسان بنى عبس سبع فوارس وأدخل الباقى الى داخل الوادى بقوته قهرا وصار الامر كلما طال ازداد شرا ورأى حذيفة والربيع فعل ظالم وأجناده واشتهار أمره وترجله عن جواده وقد ترجل معه جماعة من رجاله فترجل حذيفة والربيع وفعلوا مثل فعاله هذا والحارث

قد دخل قدامهم وحده والدم يقطر من سيفه وزنده فدخلوا
فى أثره الفرسان وقد ملكوا الشعب والمكان قال فلما أبصرت
النساء هذه المصائب كشفوا الرؤس والذوائب وما فيهم
الا من أيقنت بالسبي وحلول النوائب وما انتصف النهار حتى
دخل جيش بنى مرة وباقى جيش بنى فزاره وقد انقادت فرسان
بنى قراد أسارى وهم فى حبال الذل حيارى وقد ملكوا
الاعداء الحريم والاموال وساقوا النوق والجمال وقد أخرجوا
الكل فى الصحرة والرمال ووقع بشارة بن منيع فى يد
القرنان الربيع وضربه الضرب الوجيع وقال والله لاهونت
عليك بالقتل يا ابن الانذال ولابد ما أحملك الى مولاك مفرج بن
هلال حتى يعذبك بأشد العذاب والنكال فقال له بشارة لعن
الله بطنا حملك يا ابن الاوغاد ان قصرت فيما تقول يا ابن زياد فلو
كان حاضر هنا عنتر بن شداد لطال عليك يا قرنان ان تبلغ منا
مراد وما كان منكم أحد يقدر يدنوا الى ذلك الموضع ولو أن معكم
قوم ثمود وعاد ولكن القضاء والقدر ما للعبد منه مهرب
ولا مفر (قال الراوى) لهذا الكلام صلوا يا حاضرين على البدر
التمام وكان الربيع وحذيفة وعمارة قد صاروا الثلاثه يأمروا
بعقوبة مالك أبو عبلة ويظهر واله الشماته ويقولون له ويلك
تركت أهلك وعشيرتك وذويك وأكابر قبيلتك والمكان الذى
يأويك وتبعت رأى هذا العبد الاسود الذى قد طغى على الرجال
وتمرد وهذا العبد جرى عليك بكراته ولابد له ما يفرقكم
فى بحور نكباته فقال شداد يا عمارة لاتسب ولدى اذا هو
غاب وجرت على أهله فى غيبته هذه الاسباب وهذا شىء لا يدوم

على هذا الامر واذا حضر لا ينصف من زيد الاعمر و وعنتر لا بد له أن يحضرها هنا في عاجل الحال و يعرف كل واحد منكم قدره بين الرجال لاني أعلم منه وحق من أرسى شوامخ الجبال ويعلم كم وزن سادرة ومثقال وقدر الاوراق والآجال لو أن أعداء عدد الرمال مارجع عنهم في الحرب والقتال فقال عمارة يا شداد لا كلام لنا حتى يخلص مما هو فيه من الوبال وينجوا من هذا القتال والنزال ويرجع من أرض بني شيبان سالم وترى مايحل به من هذا الجبار ظالم (قال الراوى) وبعدما فرغوا مما دار بينهم من ذلك المقال أحاطوا على جميع ما تركه عنتر من الاموال والاولاد والعيال والنوق والجمال وجميع ما كان يملكه عنتر الذي يعجز عن وصفه كل حي واشتغل عمارة بعبلة عن كل شيء ثم انهم ساروا مجدين بأجمعهم وهم يقطعون البراري والقفار والاودية والسهول والاوعار وبزعمهم انهم يقتفوا من عنتر الطريق وهم على ماهم عليه من الجد مثل شعل الحريق وقد قدموا بين أيديهم الحريم والعيال والنوق والجمال والاموال وتأخر ظالم بن الحارث في فرسان بني مرة ومن معه من أبطاله وهو يهتز في سرجه معجبا بفعاله مفتخرا بأعماله وانه لما زاد به الاعجاب باح بالشعر خاطره بين تلك السادات الانجاب فعند ذلك ترنم وأنشد وجعل يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات

يا هند قري بأني كريم	وشهم جسيم وأحب الكراما
فمن يك في الحرب مثلي اذا	أوقدت نارها وزادت ضراما
وجميع العدا يخشوا سطوتي	وعندي الحلال يساوي حراما
وفي طول عمري أثير العجاج	وأقيم في الهيجا سيفي والحساما

104

ولالى عديل اذا الحرب ثارت * يقد جماجما ويفرى عظاما
فان كنت جاهلة فسالى سلى * بنى عبس لماسللت الحساما
ونكست فى الشعب فرسانهم * بسيف برى لحمهم والعظاما
وسقت حريمهم بعدما * تركت أولادا العداحيارى يتاما
وقد قيل ان لهم فارسا * يعد بألف اذا الحرب قاما
ومن أين تحمى العبيد اللئام * حريم الكرام وترعى الذماما
وعندى له ان أتى سالما * حساماله ضرب يفرى العظاما
يفرق عنى خطوب الزمان * اذا ازدحمت خيولها يوم القتاما
وأى فخار يكون لى اذا * قتلت بسيفى عبيدا لئاما

(قال الراوى) ثم انه لما فرغ من ذلك الشعر والنظام ساروا يقطعون البر والآكام فلما كان من الغد بعد مسيرهم فى ثلاث اقطار كان ملتقاهم بعنتر بن شداد الفارس الكرار ومن معه من الرجال الاخيار وكان ذلك اليوم الرابع ضحا النهار وهم سائرون على هذا الترتيب مثل شعل النار قال وكان عمارة بن زياد قد سار فى المقدمة مع السبى والحريم والاولاد وحوله جماعة من بنى شيبان و بنى فزارة الاوغاد وهو يترفق بمالك بن قراد ويطيب قلبه ويدور حواليه ويطلب أن يفوز من عبلة بنظرة ولو عدم احدى عينيه هذا وعبلة تعرف منه ذلك فلم تلتفت اليه ولا تحن عليه بل انها تبكى وتندب ابن عمها عنتر وعمارة يبكى لبكائها و يتحسر وجعلت عبلة تنادى باسم ابن عمها وعينيها لذلك تدمع وقلب عمارة لاجل بكائها يكاد أن ينقطع قال وكانوا عبيد الربيع الذى ساقهم عنتر بن شداد وقد صاروا يصيحوا على عبيد بنى قراد وهم يسوقون الحريم والاولاد الى أن وقعت العين على

العين وأيقنوا عند ذلك بحلول البين وضجت عبيد عنتر لقدومه بالصياح وسمع عنتر أصوات النساء النادبات بالنواح فقال لعروة بن الورد ولمن معه من الرجال الاوقاح دهينا يا بنو العم في المال والعيال والحريم والاطفال هذا وقد اشتد به الغيظ والخبال ولم يبق يعرف يمينه من الشمال فحرك جواده وحمل على بني زياد الذي كانوا مع السبي والاولاد وزعق زعقة اهتزت لها الجبال والاوهاد وطعن أول فارس في فؤاده نكسه عن جواده وضرب آخر على جبينه فوقع يختبط في دمه وقد انقطع قلبه وثالث عن جواده كركبه قال فلما عاينت الفرسان هذا البلاء والمصاب غاب عنهم الصواب لما علموا أنه عنتر الفارس المهاب فعادوا راجعين على الاعقاب وعمارة في أوائلهم وقد أيقن بشرب كأس الذهاب وهو ينادي هو ومن معه البدار البدار وأخذ في الهزيمة والفرار وهو لا يصدق بنجاته من العطب والبوار وقد عدم رأيه وصوابه وقد أتلف السرج وثيابه (قال الراوي) لهذا الديوان وماج الركب وارتفع ضجيج النسوان وطلع الغبار الى العنان وعادت عبيد بني قراد على بني زياد ووقعوا فيهم بالعصي والحجارة ثم السيوف الحداد وصاروا يقولون لهم يا ويلكم جاءكم الموت الذي ماله من نفاد وهو أبو الفوارس عنتر بن شداد واليوم يقابلكم على فعالكم بالحريم والاولاد قال وفي دون ساعة أخلت من الرجال عزايهم وما كانوا فيه من الجلاد وتقدم عنتر في عاجل الحال بحسن الوداد الى عند ابنة عمه عبلة بنت مالك بن قراد وسلم عليها وسألها عن من فعل بها هذا الفعال ورماها بالعناد والنكال فقالت له يا ابن العم ما فعلت بي هذه الفعال

الابنوزياد الانذال وبنوفزارة وبنومرة اشرار الرجال ولولا فارسهم ظالم بن الحارث بن الانذال ما أحد منهم قدم الى الجبال وفعل هذه الفعال فكر عليهم يا ابن العم ولا تدع أحدا منهم يعود سالم من المهالك فقال عنتر هذا قريب ممن أبصر منهم وجهك يا ابنة مالك فقالت كلهم يا ابن العم الا عمارة بن زياد لم أمكنه من ذلك فقال لها عنتر البطل الضرغام وكلهم يا ابنة العم اذبحهم ذبح الاغنام قال فهو معها فى الكلام والمقال واذا بأمه زبيبة تنادى به من على بعض الجمال وقالت له ويلك يا ولد الزنا وتربية الخنا أنت ما تمشى رجلاك الا موضع هواك ولا تلتفت الى من لما عليك استحقاق وتخلصهما مما هى فيه من الشدة والوثاق قال فتبسم عنتر من كلامها وقد عمد اليها هو ومن معه من الرفاق وهو يقول لعن الله وجهك وأيضا وجوههم معك فأى شىء أرادوا يا عجوز النحس بسببك والوثاق حتى انهم أتعبوا الجمل الذى حاملك من دون الجمال والنياق ثم انه تقدم اليها وحلها من كتافها ووثاقها وأمر شيبوب أن يحمل أعمامه ومن معها من أصحابها ورفاقها ثم ان عنتر تقدم هو وعروة بن الورد فى مائة فارس أقيال يطلبوا القاء الخيل والابطال وتركوا الباقى لحفظ الحريم والعيال قال وكان عمارة قد وصل الى أخيه الربيع وحذيفة وظالم والجميع واستقبل الجيش وهو ينادى بذلك النداء وصياحه وصياح أصحابه قد أقلق البيداء فقال له الربيع بعد ما تقدم اليه وسأل عنه ما حل من ذلك الامر عليه ويلك يا أخى ما حالكم وأى شىء الذى نالكم فقال له عمارة والله يا ابن الام قد ظهر عنتر وأحل بنا البؤس والضرر ثم أعلمهم بالحال وكيف ان عنتر

خاص جميع العيال وتلك الاسارى من الاعتقال وكذلك
النساء وربات المحارم ولولا اشتغاله بعبلة ما عاد احد منا سالم فقال
الربيع اليوم يعود عنتر نادم وسوف تراه وهو طريح من سيف
الامير ظالم ثم ان الربيع صاح فى الرجال واخذ الاهبة للحرب
والقتال هذا وظالم قد علم بمجىء عنتر ففرح بذلك واستبشر ثم
اطلق لجواده العنان وركض وركضت من خلفه الفرسان
واشتد صياحهم حتى طبق القيعان هذا وقد انقسموا ثلاثة فرق
وكل منهم صاح وزعق وعلى عنتر وبنى عبس كل منهم انطبق
قال هذا وظالم وبنو مره اخذوا الميمنه والربيع وبنو زياد فى المسيرة
ولهم غدير وزجره وهم سائرون فى ذلك البر والبلقع فبينما هم
كذلك واذا هم بعنتر من تحت الغبار قد طلع وهو كأنه الاسد
الاروع واصحابه وراءه فى التبع وهو قدامهم كأنه أسد
من الآساد ينادى ويقول ويلكم يا اوغاد غير الجاد اين تأخذون
ومن خلفكم عنتر بن شداد وما كفاكم ما فعلتم من الفعال
وهججتمونا عن الاطلال حتى انكم أتيتم خلفى الى هذه الجبال
وما الذى تريدون منى يا بنى الانذال وقد استعجدتم بنى مرة
الارذال وأتيتم فى غيبتى وسبيتم العيال مع النساء ربات الجمال
وظننتم انكم أمنتم من غدرات الايام والليال ثم انه صاح فيهم
وعليهم حمل وتبعه أصحابه وفعلوا مثل ما فعل وارتفع النقع وثار
القسطل هذا وقد اختلطت الطائفتان فى بعضهم البعض وركض
خيولهم قد زلزل أقطار الارض وهاجوا فى طولها والعرض هذا
وقد علت بينهم السيوف وقطعت الايدى والكفوف هذا
والجبان قد طلب الهرب فما وجد له طريق وحمل الشجاع نفسه

مالا يطيق ووقعت ضربات عنتر على أجسادهم كأنها نيران الحريق ومزق شملهم بحسامه تمزيق وفرقهم كل فرقة فى طريق ومن كثرة ما أصابه من الغم والضيق ما بقى يسأل عن عدو ولا صديق قال ومازال معهم فى حرب وقتال الى أن قربت الشمس الى الزوال واذا به وقد التقى بحذيفة بن بدر وظالم ابن الاندال وهما جائلين فى وسط المعمعه ولهم هدير وقعقعه وقد جد الاثنين فى طلبه وتحالفا على قتله وعطبه قال فلما ان وقعت العين على العين كان حذيفة لعنتر من ظالم أسبق فتلقاه وهو عليه أشد حنق وطعنه طعنة الحرد والقلق وقال له خذها يا ابن الامة وأنا حذيفة بن بدر بن عمرو فلما تحقق عنتر ان الطعنة واصلة اليه سوحها بحسن معرفته وصناعته وصاح به فاروع مهجته وأقلب سنان الرمح الى وادى ظهره وطعنه بعقبه فى صدره ألقاه على قفاه وكاد أن يعدمه الحياه ومال الى ظالم بن الحارث أن يفعل به كما فعل بحذيفه فضرب ظالم رمحه براه وأراد أن يثنى عليه بسيفه ذو الحيات فصاح به عنتر أروعه وحذفه بما بقى فى يده من الرمح فى صدره فخبله ووقع فى زنده عطله ووقع السيف من يده فهجم عليه ومسكه من جلابيب درعه أخذه أسيرا وقاده ذليلا حقيرا وزعق على شيبوب فتقدم اليه وتسلمه منه وشده شدا وثيق وأنزل به الهم والضيق وأما عنتر فانه عاد يكر على الرجال وقد هانت عنده الابطال وقلت فى عينه جميع الاقيال واتسع عليه المجال هذا والربيع لما رأى الى ذلك الحال خاف على نفسه من الوبال فلم يكن له سبب الا الهزيمة والهرب وكانت له أوفى غنيمة فتبعه بنو عمه وقد جملوا حمه وغمه وأما

أخوه عمارة فانه أراد الهرب فكان عنتر وراه في الطلب فصاح به وفاجاه وطعنه بعقب الرمح أرماه وقد حلت به الخساره فتركه لاخيه شيبوب بجيده كتاف ففعل مثل ما أمره أخوه وأما عنتر فانه تبع المنهزمين في البراري والبطاح هو وقومه الاوقاح وقد أكثروا من خلفهم الصياح فضاقت في عيون أعدائهم الاماكن الفساح وتخيل لهم أن البر كله رماح فقتل من كان عمره قصير ونجي من كان في أجله تأخير وما زال عنتر وأصحابه وراهم في الآكام حتى دخل الليل بالادهام وعاد عنتر وهو كأنه غط في بحر من الدما وصار جواده أحمر ابعد ما كان أدهما وهو يتمايل على سرجه عجبا ويهتز في البر طربا وينشد ويقول صلوا على طه الرسول التي شدت اليه الحمول

قف بالدار صاحبي في بيداها * فعسى الديار تجيب من ناداها
دار لعبلة لاح برق سناها * لناظري فهمت من مغناها
دار يفوح المسك من عرصاتها * والعود والند الزكي ثناها
دار لعبلة شط عنك مزارها * وتأت يقينا ما أراك تراها
يا صاحبي قف بالمطايا ساعة * في دار عبلة واسئل هناك من مغناها
بل كيف تسأل دمنة عادية * نسف الجنوب ترابها وثراها
يا عبلة قد هاج الفؤاد بذكرها * واشتاق يوما طيب عطر شذاها
يا عبلة ان كان للمنية صورة * فأنا المنية لحمها ودماها
يا عبلة لا تبكي على محرقة * قد طال ما بكت الرجال نساها
يا عبلة ان شابت مفارق لمتي * فالحرب تشهد انني لفتاها
قسما بوجهك يا عبيلة انني * من أجل دمعك لا أجيب نداها
سأبيدهم جمعا بحد مهندي * وأجعلهم طعما لوحش فلاها

وأبيد كل صميدع متغشم * شرس المراس ولا أخاف لظاها
أنا عنتر العبسي فارس قومه * أحمي حماها كي تدور رحاها
فوحق مكة والحطيم وزمزم * والمشعرين ومن سعى بصفاها
لابد لي ان أخلي أرضها * سكنا الوحش البر ثم ظباها
وأبيد جمع القوم في وسط الفلا * وأطعن برمحي نحرها وكلاها

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات ارتاحت لها السادات والفرسان في الغارات وقالوا جميعا لافض فوك ولا كان من يشنوك وأطال الرب القديم بقاك ثم انهم جمعوا الاموال والرجال وهم فرحين بذلك الحال وساروا يجدون المسير ثم الترحال فما أصبح الصباح الاوهم على باب الجبل فدخل بنو عبس بني شيبان وبني فزارة ومرة وذبيان وجميع من معهم من الحريم والصبيان والاسارى مكتفين مع العبيد والغلمان قال وكان أعظم القوم فرحا ومسرة بشارة بن منيع لما ان خلص من قبضة عمارة وأخيه الربيع وهو يشكر عنتر ويثني عليه لاجل ما فعله معهم من ذلك الصنيع هذا والعبيد قد تقدمت بين أيديهم ورفعوا الخيام وعلوا القباب ومدوا الاطناب وأقاموا في الجبال ثلاثة أيام في أكل طعام وشرب مدام وفي اليوم الرابع طلعت عليهم غبرة بني شيبان وقد طبقت جميع الوديان وفي مقدمة الرجال والابطال مفرج بن هلال وقد ملأت عسا كره جميع المجال وانتشرت في البر يمينا وشمال (قال الراوي) فلما رأت بنو عبس الى ذلك الحال ركبت جميع الرجال والابطال وفي أوائلهم عنتر بن شداد وعروة بن الورد ورجاله الاجواد وبنو عبس وآل قراد ومالك أبو عبلة والامير شداد وأخوهم

زنجمة الجواد قال ولما تأهبت الفرسان وخرجت من الجبال الى وسيع القيعان وقفوا الجميع فى وجوه بنى شيبان وعنتر بين أيديهم كأنه الاسد الغضبان فأخر عنتر جميع الفرسان وقعد فى ثلاثين فارس أعيان قال فلما رآهم مفرج بن هلال التفت الى من معه من الابطال وقال لهم الا تنظروا الى هذا العبد ولد الزنا كيف قد غلب جهله على قلة عقله واحتقرنا ويريد بهذه الثلاثين فارس يلتقينا كلنا ونحن فى خمسة ألف فارس من كل قرم مداعس فلعن الله أباً سباله ان كانت هذه فعاله ولكن الجهل ما هو الا عند الذى أحوجنا الى لقتاله فقال له بن عبد العزى سنان يا ابن العم لا تعجب من فعل هذا العبد الكشحان ولكن العجب فيما يظهر لك من قتاله فى الميدان لان هذا العبد قد استقتل ولا بقى يبالى بالموت ان أدبر أو أقبل قال وكان الربيع بن زياد فى جملة الرجال وهو واقف بازاء مفرج بن هلال وقد كان انهزم مع المنهزمين الذين سار وافى البرهار بين الى ناحية أرض العراق وكانوا جميعهم خمسين فارس رفاق ولم يزالوا فى هزيمتهم الى أن أصبح الله بالصباح فالتقوا بنى شيبان فى تلك البطاح قال فعند ذلك سألهم مفرج بن هلال عما جرى له مع عنتر من الاحوال فبكى الربيع من شدة ما ناله من الخساره وحدثه بما فعل عنتر فى بنى مره وبنى فزاره وكيف أسر حذيفة بن بدر وظالم بن الحارث وأخيه عماره فلما سمع القوم منه هذا المقال تعجبوا من فعل عنتر وأخذهم الانذهال وأما مفرج بن هلال فانه قال له طب نفسا وقر عينا فسيزول عنك ما قد اعتراك وأنا فى هذه المرة أبلغك من عنتر مناك فها نحن سائرون اليه نأخذ روحه من بين جنبيه

ونهب جميع ماله من الاموال ونسبي جميع النساء والعيال ثم
ان مفرج حدثه بحديث الملك النعمان وكيف أرسل أخاه الاسود
الى بنى عبس وعدنان ومعه عشرين ألف من العربان ففرح
الربيع لما سمع هذا الخبر وعاد معهم على الاثر وقال ان فى هذه
النوبة يقتل عنتر ويقبر ولا يبقى له ذكر يذكر ثم انهم جدوا
فى المسير حتى انهم أشرفوا على الجبال كما ذكرنا فى المقال وركبت
فرسان بنى قراد كما ذكرنا وقدامهم عنتر بن شداد وقال لمفرج
ماقال من المقال ورد عليه سنان بن عبد العزى المقال هذا وقد
قال لهم الربيع بن زياد وحق ذمة العرب الاجواد ان عنتر
ماخرج اليكم فى ذلك العدد الا وفى نيته ان يلقاكم أنتم الجميع
ويفرقكم فى البر والفدفد فعندها قال ابن عبد العزى سنان
بادر أنت ياأمير مفرج الى ذلك العبد الكشحان فعندها قدموا
الى عنتر أسنة الرماح وداروا به فى ألف فارس أوقاح وكان عنتر
معه ثلاثين فارس ريبال فانحط عليهم انحطاط السيل السيال
وجال فيهم شرقا وغربا وأشبعهم طعنا وضربا هذا وقد أضرمت
نيران الحرب وزاد البلا والكرب وكان أى فريق صاح فيه
مزقه وأى موكب من المواكب فرقه وهبر الابطال ومحق
الاقيال وأخيه شيبوب بجانب جواده يحميه بالنبال ويشكها
فى لبات الاقيال فتنفذ الحشا والاوصال وأما الامير شداد
واخوته مالك وزخمة الجواد وجميع آل بنى قراد فانهم جالدوا
أشد جلاد وقاتلوا عن الحريم والاولاد قال وما كانت الاساعة
من النهار حتى عادت الخيل جافلة من تحت الغبار وقد قتل من
فرسان بنى شيبان مائتين فارس من الاقوياء والشجعان وجرح

أصنافهم فى حومة الميدان فقال مفرج بن هلال وحق ذمة العرب الابطال اننا ما أتينا الا لنفقد من معنا من الابطال ولقد بلينا من هذا العبد بشىء ما كان يخطر لنا على بال لان هؤلاء الثلاثون فارس قد نكلوا بألف من الرجال غاية النكال والقوم اربعمائة فارس أو يزيدون على هذا الحساب وقد امدوا بعشرين ألف فارس من الاقويا الانجاب ثم ان مفرج عاد شجع قلبه وصاح فى بنى شيبان الاوقاح فجردت جميعها الصفاح وهزت عوامل الرماح وحملوا أوفى من ثلاثة آلاف وهان عليهم شرب كأس التلاف فعند ذلك التقوهم بنو عبس وعدنان ووقع بينهم الضرب والطعان بعوامل الرماح والاشطان فبينما عنتر يكر على الابطال والفرسان واذا هو قد التقى بابن عبد العزى سنان وهو يحرض بنى شيبان على الضرب والطعان ومعهم الامير عروة بن الورد أسير ومن حوله خلق كثير وكان السبب فى ذلك الامر والشان ان ابن عبد العزى سنان قد رأى عروة ورجاله يحطموا فى بنى شيبان وقد فرقوهم فى قاع الصحصحان فقطف عروة وقد زاد عليه حنقه وضايقه ولاصقه وسد عليه طريقه ومد اليه ساعده وخطفه من سرجه خطفة الجبار العنيد ورماه على وجه الارض والصعيد فتسلمه بعض فرسان بنى شيبان هذا وسنان يجول فى حومة الميدان واذا هو قد التقاه عنترة الفرسان فزعق عليه ابن عبد العزى سنان وقال له ويلك يا ولد الزنا ما بقى لك من يدى خلاص ولا فرار لانى أنا المسمى بقاسم الاعمار ثم انه مد السنان اليه وأراد أن يقضى عليه فضرب عنتر رمحه بسيفه براه وأمهله حتى قاربه وحاذاه وكفحه بالحسام

كفحا

كفيها وضربه به على صدره صفيحا فرماه على الربا والاحقاف فادركه شيبوب شده كتاف فنظرت فرسان بنو شيبان الى ذلك الامر والشان فتركت عروة بن الورد وولت طالبة مفرج بن هلال وهم ما يصدقون بنجاة أعمارهم من يد ذلك الفارس الرئبال هذا وقد تدفقت أمواج المواكب وعلا الصياح من كل جانب وطنب الغبار على المشارق والمغارب وصاح عنتر فى شجعان بنى عبس فتراجعت وهزت بأيديها القواضب ودام الضرب حتى قطر الدم من اللحى والشوارب واستدت أقطار البر فى وجه الجبان الهارب وضاقت عليه جميع المذاهب فلله در عنتر وما فعل فى ذلك اليوم على باب الشعب من العجائب لانه حقا فارسها الاوحد وليثها الامجد وكذلك فرسانه وأعوانه وكان عروة بن الورد قد عاد الى ظهر الجواد واشفى فؤاده من فرسان بنى شيبان كما أراد ومازال السيف يعمل والدما تبذل والرجال تقتل والحسام يقطع والدماء تهمع والرجال عن خيولها تهوى وتقع حتى ذهب النهار بضياه وارتفع وعاد كل فريق عن الآخر ورجع هذا وقد نزلت بنو عبس على باب المضيق تحفظ المكان من الدخول فيه والتسليق وأمر عنتر أخاه شيبوب ان يوصل سنان بن عبد العزى الى الوادى ويشده مع المأسورين من بنى شيبان ونزلت أيضا بنو شيبان وقد ضاق بهم المكان لاجل أسر بن عبد العزى سنان ومن قتل لهم من الفرسان وكانوا ماتين فارس تمام وجرح اضعافهم يا اخوان وأما مفرج بن هلال فما كان له الا ان قال للربيع بن زياد والله يا ربيع ما هذه الانوبة صعبة ما كانت لنا فى حساب وان جرى

علينا غداة غد مثل الذى جرى علينا فى هذا اليوم الاغبر وافنانا هذا العبد الاكثر الذى لايخاف من أحد من البشر وقد أمسيت من هذا الامر سكران بغير خمر لاننى ان خرجت الى هذا العبد الولد الزنا صرت معيرة فى سائر الاقاليم ويقال مفرج بن هلال سيد بنى شيبان بارز عبد زنيم وان لم أخرج اليه وانجز أمره ما ننال ما نريد من خلاص الحريم ويشتفى منا كل حاسد وغريم فقال له الربيع بن زياد وهو بزعمه يقول ان رأيه سديد أنا الذى أرى الامر الصواب والرأى الذى لا يعاب انكم كلكم تلبسون صدور الزرد وتترجلوا عن خيولكم وتزحفوا على ذلك العبد الاسود بالسيوف والعدد ولا يتأخر منكم أحد ولا تزالوا تضربوا فى أعداكم بالسيف الرقيق حتى تحشروهم فى وسط المضيق وتدخلوا خلفهم الوادى وأنتم كشعلة نار الحريق فتبلغوا منهم الآمال وتخلصوا منهم الحريم والعيال فلما سمع مفرج من الربيع هذا المقال قال له هذا رأيك المفسود انك تأمرنا اننا نزحف كلنا ونخلى عنتر يقاتل فى أطرافنا فوالله ما كان أحد منا يعود وما كان يجى علينا آخر النهار ويبقى منا ديار ولا من ينفخ النار ولا يبقى أحد منا سالم ونكون عندهم أوفى غنائم (قال الراوى) وانهم لم يزالوا على ذلك الرواح حتى أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح وأنا وانتم نصلى على زين الملاح فثارت بنو شيبان تطلب الحرب والكفاح فكان أول من برز الى المجال ومحل الضرب والقتال مفرج بن هلال ثم انه صال وجال وواجهه بالمقال وقال يا عبد السوء ما البراز معك الا غاية العار والذل والشنار ولكن تلجى الضرورات الى هذه

الآثار

الآثار وهذا طبع الليالى والايام تضع الكرام وترفع اللئام (قال الراوى) فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام فضرب الابجر بالمهاميز فخرج به الى حومة الميدان وقال له دونك يا قرنان وابن الالف قرنان ثم ان طبق عليه كأنه الاسد الكاسر فتلقاه الآخر كأنه النمر الكاسر وهجموا على بعضهم كأنهم البحور الزواخر فأراد مفرج أن يجول معه كما تجول الفرسان فى حومة الميدان فما أمهله عنتر أن يقلب السنان الى وراه ولا بلغه منه مناه بل انه أدار سنان رمحه الى وادى ظهره وطعنه بعقبه فى صدره أرماه على الارض والاحقاف فما لحق أن يثور حتى انقض عليه شيبوب مثل العيداق أوثقه كتاف وقوى منه السواعد والاطراف وساقه قدامه أسير بحالة الذل والتقصير قال فلما ان رأت بنو شيبان الى ما حل بسيدها من الهوان حملت جميعها وهزت الصفاح وطلبت الحرب والكفاح فما لحقت أن تصف صفوفها ولا تؤلف ألوفها حتى قدم عنتر رجاله ورتب أبطاله وأقياله وقفز بالابجر الى الميدان ومنعهم عن الضرب والطعان بل انه طلب براز الشجعان وترنح فى سرجه كأنه الاسد الغضبان وأنشد هذه الابيات الحسان

صياح الخيل فى كرى وفرى * ولا ساق يطوف بكأس خمرى
أحب الى من قرع الملاهى * على كأس وابريق وزهرى
مدامى ما تبقى من خمارى * بأطراف القنا والخيل تجرى
أنا العبد الذى خبرت عنه * ألاقى فى الكريهة ألف قسرى
خلقت من الحديد أشد قلبا * فكيف أخاف من بيض وسمرى
ألاقى للاسود ولا أبالى * وأعلوا للسماك وكل نسرى

اذا رآنى الشجاع يفر منى * ويرعش ظهره منى ويسرى
ظننتم يا بنو شيبان ظنا * فأخلف ظنكم جلدى وصبرى
سلوا عنى الربيع وقد أتانى * بجر الخيل فى سادات بدرى
أسرت سراتها ورجعت عنهم * وقد فرقتهم فى كل قفرى
وها أنا قد برزت اليوم أشفى * فؤادى منكموا وغليل صدرى
واخذ مال عبلة بالمواضى * ويعرف صاحب الايوان قدرى

(قال الراوى) ولما أبصر الربيع بن زياد هذه الفعال وسمع هذا المقال ورأى ما فعل عنتر فى حق مفرج من الفعال لحقه من ذلك الانبهار والانذهال فقال لمالك بن حسان يا أمير ترجل وافعل مثل ما قلت لكم من الاول والا ما تبلغ من هذا العبد أمل فعند هاتيك رجله مالك بن حسان وترجل من على ظهر الحصان وفعلت مثل فعاله جميع بنى شيبان قال ولما ان ترجلوا على السباسب قال لهم الربيع بن زياد دونكم واياهم وأزحفوا عليهم من كل جانب وضيقوا عليهم جميع الجوانب وقطعوهم بالقواضب قال ولما انظر عنتر الى بنى شيبان وقد ترجلت وطلبت باب المضيق فقال لهم لعن الله من لا يفرقكم تفريق ولا يخلى منكم أحد يهتدى الى طريق ثم انه التفت الى عروة بن الورد وقال له يا ابن الابيض احمل أنت على بنى شيبان فى مائة فارس من فرساننا الاعيان حتى أسوق بين أيديكم الذين ترجلوا ثم طلبونى بقلة عقولهم وما علموا بأن الذى أشار عليهم بهذه المشورة طالب هلاكهم ودمارهم وأنا أريد ان أسير من خلف ظهورهم وأملك خيولهم وأحيرهم فى أمورهم قال ثم أمر أبوه شداد يحفظ باب الجبل هو وجميع الفرسان والعبيد وحمل عنتر مثل الاسد الشديد وتبعه

عروة بن الورد فيمن معه من الرجال الاماجيد وهم الجميع مسربلين بالحديد والزرد النضيد وحملوا على أعداهم كالسيل وأبلوهم بالهم والويل وطحنوا الرجال والخيل وعاد ضوء النهار مثل الليل وكان عنتر اذا طعن الراجل أعدمه الحياه والفارس يتركه عبرة لمن يراه قال وانه لم يزل على هذا الحال هو ومن معه من الابطال حتى أهلكوا جمعا كثيرا من بنى شيبان وصاروا من وراء ظهورهم فى القيعان وصارت خيولهم جائلة فى الصحصحان فقال عنتر لمن معه من الفرسان دوروا بهذه الخيل من كل جانب ومكان ودبروا روسها الى أصحابها وصيحوا من خلفهم وهى تلعب بروس ركابهم قال فلما سمع عروة ذلك المقال أخذه الفرح والاستبشار وقال لله درك يا أبا الفوارس ما أخبرك بالحروب وخوض الغبار ثم انهم تفرقوا على الخيل من كل جانب وجمعوها من البر والسباسب وصاحوا عليهم صياحا عم المشارق والمغارب فانطبقت قدامهم وطلع لها قتام الى عنان السما حتى تبدل الضياء بالظلماء وداست الخيل على الرجال وحرثتها محارثة الايام والليال وكانوا بنو شيبان قد ازدحموا حول الشعب والمضيق فتفرقوا غاية التفريق لما رأوا البلاء قد أتاهم فحار شيخهم وفتاهم وتمددت الاجساد على بسيط الارض والمهاد وداستهم الخيل بحوافرها الشداد وضجت بنو عبس الاجواد من داخل الشعب والوهاد وقضى الله حال بنى شيبان على يد عنتر بن شداد قال وكان الذى سلم منهم وأخر الله فى مدته ركض بين الخيل الجياد وهج على وجهه فى البر والوديان وكان من جملة من سلم منهم مالك ابن حسان لما رأى الخيل أقبلت وماجت من كل جانب ومكان

فعلم أنه ما بقى أحد من بنى شيبان فطلب عرض البر والتلال وتبعه من سلم من الرجال وكانوا أوفى من ألف فارس وقد هجوا على وجوههم فى التلال قال فلما ان خرجوا من تحت الغبار ولاح لهم وجه الامان واذاهم بالربيع بن زياد واقف فى ذلك المكان ينظر ما دبر من الامر والشان فعلم انه رأى فساد فأكل كفه من غيظه من عنتر بن شداد قال فبينما هو واقف على ذلك الامر والشان واذا قد أقبل عليه مالك بن حسان فلما نظره صاح على بنى شيبان وقال لهم يا ويلكم اعلموا ان كل ما نحن فيه من الذل والهوان وهلاك الرجال وسبى البنات والنسوان من هذا الربيع القرنان ولولاه ما كنا عرفنا عنتر بن شداد ولا عملة مقت مالك بن قراد فدونكم واياه حتى نجاريه على فعاله ونصنع أبداه له ونتق سباله ثم انه طلبه حتى قاربه وكان الربيع فى جانبه فتقدم اليه وهناه بالسلامه فما هو الا أن قدم اليه وقاربه حتى طعنه بعقب الرمح فى جانبه نكسه عن مركبه هذا وقد حملت أيضا بنو شيبان قتلوا عشرين فارس من بنى زياد وقد هج باقيهم فى البر والوهاد فما زالوا فى هزيمتهم الى ناحية أوطانهم والبلاد قال فهذا ما كان من هؤلاء وما جرى لهم من الامر والشان وما حل بهم من الاحوال وأما ما كان من عنتر الفارس الرئبال فانه لما عمل ما عمل مع الرجال وقد وقع له فى قلوب الاعداء هيبة وأجلال قال ولما انكسرت بنو شيبان وقد حل بهم الذل والهوان وبردت نيران الحروب وهدأت الكروب فأمر عنتر لبنى عبس ان تفتح للخيل طريق حتى يعبروا الى رأس الشعب والمضيق وقال هذه تكون لنا عدة من غير الزمان

وطوارق

وطوارق الحدثان وتنفعنا اذا أتى الى حربنا الملك النعمان وبعد ذلك قال لهم عنتر يا بنو عمي أتبعوا المنهزمين من بني شيبان في مائة فارس من فرساننا الاعيان فطلبوهم وقد جدوا خلفهم وعنتر سائر امامهم قال ولم يزالوا خلفهم سائرين الى أن أمسى المسا وقد عاد عنتر ومن معه من الابطال طالبين الجبال فرأوا الربيع في طريقهم وهو ملقا بين القتلا على الرمال وهو مخضب بالدماء وهو بان من شدة ما حل به من البلاء والهوان من ذلك الجرح الذي جرحه له مالك بن حسان لما انهزم من عنترة الرئبال كما قدمنا في المقال قال عندها وقف عنتر فوق راسه وقد فرحت جميع حواسه وقال لعروة هذا الربيع بن زياد الذي كان السبب في هذه الامور والفساد انزل اليه وشده كتاف وقوى منه السواعد والاطراف فان الله قد أوقعه فيما قدمت يداه ورد كيده عليه ولا بد لي ان أقرنه الى مفرج بن هلال وحذيفة ابن الاندال فعند ذلك نزل اليه عروة وشده كتاف وأوثق منه الاطراف وأراد ان يشده على ظهر جواده ففتح عينيه فرأى عنتر واقف على رأسه وهو راكب على جواده متكىء على رمحه وهو مثل الاسد الضاري فصاح الربيع يا أبا الفوارس الصنيعه يا ابن العم فيكفيني ما أنا فيه من الهم والغم فبحرمة النسب الذي بيني وبينك تسد جرحي ولا تشدني كتاف لانني مشرف على التلاف وأنا قد ندمت على ما بدا مني من قبيح الفعال وان رجعت الى مثلها فما أنا ولد حلال قال فلما سمع منه ذلك المقال تبسم ضاحكا من ذلك الحال وقال له والله يا ربيع يا من هو في فعله صقيع اننا ما نقدر على مجازاتك ولا مكافاتك لانك ما تزال تحفظ

لنا النسب وترعى لنا ما نعمله معك من الوداد العجب وأنت أهلا للاحسان يا قرنان يا ابن الالف قرنان والله ما تقدر على قبيح الا وتفعله في حقي وتريد ان ينقطع من الدنيا رزقي ولا تناديني يا ابن العم الا اذا وقعت في مصيبة عظيمه وأمور ذميمه فقال الربيع والله يا أبت أنت صادق في هذا المقال فسامح عما مضى ولا تعاملنا الا بالرضى واني من هذه النوبة أصفي لك الوداد وان عدت الى قبيح فأكون من ظهر الامير زياد فقال عنتر اقصر عن هذا المحال يا ابن الاوغاد وكل هذا زور ومحال وما أنا جاهل بهذا المقال ثم انه أمر عروة ان يشده على ظهر جواده بعد ما شد كتافه وقوى شداده هذا وقد حملوا أصحابه الاسلاب والاموال وعادوا راجعين الى الجبال قال ولما ان بقوا داخل الوادي وأمنوا من كيد الاعادي علا منهم الصياح وكثرت عندهم الافراح وأمن كل منهم على نفسه واستراح فقال عنتر لاخيه شيبوب احبس جميع الاسارى في بعض المغاير وتوكل بهم أنت وأخوك جرير حتى ينفصل الامر العسير فعند ذلك عاد شيبوب مع أخيه جرير ومعهم بشارة بن منيع وقد ساقوا بين أيديهم الاسارى الجميع وقد فعلوا بهم أقبح صنيع مثل ما أمرهم عنتر ابن شداد ووكلوا بهم جماعة من العبيد الشداد وقد نزل عنتر في أبياته وقد خلي منه البال على أحسن الاحوال وأهنى عيش بين الرجال وباتوا على ذلك الايضاح الى أن أصبح الله بالصباح وأضاء الكريم بنوره ولاح فقال شداد لعنتر يا ولدي أي شيء في نيتك ان تفعل بهذه الاساره اعلمني بما عندك من الاشاره فقال له عنتر وما عسى ان أفعل بهم من الفعال غير صلبهم على قرون

الجبال وفيهم من نمن عليه بالعتق من الاعتقال فنهم ظالم بن الحارث فارس بنى مره أحزنا. بتنه وا. فع قته وأما ابن عبد العزى سنان ومفرج بن هلال القرنان وجميع من معه من بنى شيبان أصلبهم على الجبال وأحل بهم الهوان وأما حذيفة بن بدر والربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد أتركهم عندى فى الاعتقال حتى أبصر على أى شىء ينفصل الحال قال ثم ان عنتر قام واثبا على الاقدام وبده فى يد بشارة بن منيع الى أن وقف على باب الكهف الذى فيه الاسارى الجميع وقال لاخيه شيبوب احمل هذا القرنان مفرج بن هلال وأخرجه الى قرن من قرون الجبال وعلقه فيها بالحبال وصف هؤلاء عن جانبه من اليمين والشمال وحذيفة وعمارة والربيع أوقع بهم الارتباك ولا تدع لهم من الموت فكاك فانى ما بقيت أبقى على أحد يعاندنى الا واوقع به الهلاك قال فلما سمعوا منه هذا الكلام أيقنوا بشرب كاس الحمام فعندها قال الربيع بن زياد وقد أيقن بالبلا والنفاد لا صبحك الله بخير يا ولد الزنا وتربية الامة اللخنا ونسل الحرام ولا رزقت بعيش هنى كما صبحتنا بهذا الوجه العبوس فى هذا الصباح المنحوس لانك قد جئت تبشرنا بهذه البشارة الرديه فلا بشرك الله بخير يا ابن الامة البذيه فقال مفرج والله يا ربيع ما بقى يترك عنتر منا بعد هذا الكلام لا فطيم ولا رضيع ويهلكنا من أجل هذا الكلام الشنيع والرأى عندى اننا نرقق له الخطاب عسى اننا نتخلص من هذا العذاب هذا وقد نظروا اليه فرأوا عينيه مثل لظى الجمر وهو يتمايل على رجاله ويتلجلج فى مقاله من نشأة الخمر وأما عمارة فانه مات فى جلده

ولوث نفسه وخرس لسانه وانهدت أركانه قال وأما مفرج ابن هلال فانه مما حل به من الوبال قال يا أبا الفوارس لاي شيء تفعل بنا هذه الفعال ونحن في أسرك والاعتقال افطرنا يا أبا الفوارس ما بين يديك ولا يلعب العجب بعطفيك واقرأ عاقبة البغي والعدوان ولا تنتقم منا هذا الانتقام لانك أخذت أموالنا وسبيت عيالنا ويتمت أولادنا ولم نعرف لنا ذنب نستحق عليه هذا العذاب والصلب فقال له عنتر واذا فعلت معكم هذه افعال أو أكثر منها من يمنعني عن هذا الحال فقال مفرج ما أحد يمنعك عن ذلك ولكن الله يحنن قلبك علينا لانه مالك الممالك ويردك عن ذلك لاصلك وطيبة لبنك واعمل عمل مليح وقابل القبيح بالمليح قال فلما سمع عنتر من مفرج هذا المقال ورأى ذلك التضرع والاذلال قال له والله ان سبي بنت عمي عبلة ما هو على هين وأخذ أموالها هو الظلم البين فوالله لابد أن أفني بني شيبان واقتل المشايخ منهم والشبان واذبح الجميع ذبح الخرفان وانهب الاموال وأسبي الحريم والعيال أو تعيدوا ما أخذتم لبنت عمي عبلة من الجواهر والمال فقال مفرج وهو على ما وقع به ندمان اسمع يا حامية عبس وعدنان وفزارة وذبيان والله ان هذه المصيبة ما كان لنا فيها جنيه وما نحن فيها وحدنا ولا تعرضنا لك تعمدا منا وانما ابن عمك الربيع استقضانا حاجة نخرب بها ديارنا وقلع آثارنا ومالك الذي أخذناه من بنت عمك قد وصل الى النعمان على يد الربيع وها قد صار في قبضتك افعل به ما تريد لانه قد صار أقل من عبد من العبيد واعلم أنه قد أعطى الملك النعمان العصابة والاموال

الحسان

الحسان وأنت قادر على خلاصه من الملك النعمان فدبر
ماتريد من الامر والشان واقلع مخه من الآذان فما أنت
عاجز عنه ياحامية عبس وعدنان وأجعلنا من عتقاء سيفك
والسنان واتخذنالك من هذا اليوم أصدقاء وغلمان واعلم ان
الملك النعمان قد أرسل أخوه الاسود الى قومك بنى عبس
وعدنان فى عشرين ألف عنان وكلهم معودين بالحرب
والطعان وقد أكد عليه فى الوصية والمقال انه لايعود الا
ومعه الملك زهير فى حالة الاذلال وجميع أولاده ورجاله موثوقين
فى الحبال بعد سبى النساء وذبح الاطفال وكل ذلك لاجل
المتجردة صاحبة الجمال لانه سمع مافيها من الحسن والكمال وقد
خطبها منه فردها وله خائب ولا رضى أن يزوجها له ولا نوله ماهو
طالب قال فلما ان سمع عنتر من مفرج هذا الكلام قال له متى
كان هذا الابرام فقال له ياأبا الفوارس فى هذه الايام ولابد
مايحصل للملك زهير آلام ويصير الملك الاسود ديارهم خراب
يزعق فيها البوم والغراب ويأتى بهم من غير ارتياب وان بلغ
الملك النعمان انما طلبنا فى هذه الجبال فعل فى ساداتكم
أوشم من هذا الفعال ويصلبهم على الحيرة ويسلهم بالعذاب
والنكال وأنت بعد ذلك أخبر بجميع الاحوال وقد قالت
العقلاء واولوا الالباب من لم يحسب الحساب يكون القتل له
جواب قال فلما ان سمع عنتر من مفرج ذلك الخطاب زاد به
الاكتئاب وغاب عنه الصواب وقد حسب لهم ألف حساب
وقال لمفرج ياويلك وكم للاسود من منذ سار الى ديارنا
بالرجال فقال له مفرج يافارس الانام ان مسيره الى دياركم من قبل

مسيرنا اليكم بخمسة أيام فقال عنتر عندما سمع ذلك الكلام
وأذل بني عبس من دون العربان ولكن والله لاقلعن أثر الملك
النعمان وأصيره هجيج في القيعان وأحرمه ينام على مخدة
القامان قال ثم انه تركهم على حالهم في الاعتقال بعدما جز
نواصيهم وخلاهم في أسوء حال وعاد عنهم في عاجل الحال وهو
يقول لعروة والله يا ابن الابيض ما أنا الملك زهير وأولاده ردىء
الفعال حتى انه يفعل في حق هذه الفعال ولكنني ما أحقد
عليهم ولا أنسى جميلهم ولا أؤاخذهم بسوء أعمالهم واتبع
رضاهم ولا أغضب عليهم ولابد لي أن أبذل روحي في هواهم
وأنصرهم على أعداهم وما زالوا في ذلك الايراد حتى وصلوا
الى بني قراد وأخبر أعمامه مالك وزخمة الجواد وأبيه الامير
شداد بن قراد بمسير الاسود أخو الملك النعمان الى ديار بني
عبس وعدنان بعشرين ألف عنان وأنا أعلم ان الاسود أخو
النعمان آفة من آفات الزمان وانه جبار شيطان أمكر
من ملوك الجان وأنا والله خائف على الملك زهير وعلى أولاده
وعلى جميع حماته وأجناده ولابد والله عن مسيرنا الى نصرته
وأنقذه من ماحل به من بلوته فقال أبوه شداد ياولدي نحن بقينا
ها هنا ثلاثمائة فارس من الفرسان وبقي غريمنا مثل الملك
النعمان وكيف نسير الى لقاء عشرين ألف عنان ونترك هنا
أموالنا ونساءنا والولدان فقال عنتر يا أبتاه اعلم أن الحريم ما بقي
عليه باس ولا يقربه أحد من الناس ماداموا متحصنين في هذه
الجبال ونحن لابد ما نترك عندهم من يدفعهم من الرجال قال
ثم انه ادعى بأخيه شيبوب وقال له يا أبا رباح انا ما نقصدك

الا فى الممات الملاح أخبرنى كم هنا من طريق يسلك الى بنى
عبس وعدنان من غير تعويق فقال شيبوب ثلاثة مفارق
والكل يجتمعوا بطريق واحد على وادى الرخم وغدران بنى
الاجزم فقال عنتر ونقعد كم يوم ونحن نجد ونجدى الى نصل الى
الشربة والعلم السعدى فقال يا أخى خمسة وعشرين يوم فقال عنتر
واى الطرق أقرب المسالك فقال له هذه الطريق والله كادك
تجمعنا على وادى الرخم فى ثلاثة أيام وما المسافر عبور الامن
عليها وهى من هنا قريبة الاسكام قال فلما سمع عنتر من أخيه
هذا الكلام أمر شيبوب أن ينادى فى جميع الرجال بأخذوا
الاهبة للعرب والقتال فعند ذلك استعدوا من يومهم وجهزوا
أشغالهم وعزموا على المسير والجد والتشمير وهم فى مائتين
وخمسين فارس من كل مدرع ولابس وهم فى الحديد غواطس
وترك عند الحريم خمسين فارس وقدم عليهم عمه مالك ابو عبله
بلاه الله بألف علة وذله وكذلك ولده عمرو وأوصاهم أن يحترسوا
على أمورهم ويحتفظوا على الاسارى غاية الاحتفاظ ثم ان عنتر
ركب على ظهر جواده الابجر وتقلد بسيفه الضامى الابتر وغاص
فى الحديد وسار فى مقدمة الابطال الصناديد وقال ان هذه
سفرة تكون علينا مباركة ان شاء الملك الديان وعلى جميع من
معنا من الفرسان ونهلك فيها أهل الشر والعدوان ونسوق
الاسود مأسورا فى حبال الذل والهوان ثم انه سار وبجانبه أبيه
شداد وعمه زخمة الجواد وصديقه عروة بن الورد فارس
الجلاد واستقبل عنتر الطريق وهو طائر العقل والفؤاد على
الملك زهير ومن له من الاولاد قال ولما تبطن البرالاقفر تذكر

أرض الشربة والعلم السعدى فجاش الشعر فى خاطره وأنشد يقول صلوا على طه الرسول

لا يحمل الحقد من تعلو له الرتب * ولا ينال العلا من طبعه الغضب
ولا ينال المنى قط بن زانية * ولا شحيح ولا من حشه العتب
ومن يكن عبد قوم لا يخالفهم * اذا جفوه ولا يغضب اذا غضبوا
قد كنت فيما مضى أرعى جمالهموا * واليوم أحمى حماهم كلما نكبوا
لله در بنى عبس وما نسلت * من الشجاعة ما لم تنسل العرب
عبد لهم يترك الابطال صاغرة * تحت الغبار حيارى ما لها حسب
فان يعاب سوادى فهو لى شرف * يوم الفخار اذا ما فاتنى النسب
اذلم أخلصهم من كل نائبة * فلا سلمت ولا خطتنى النوب
ان كنت تعلم يا نعمان ان يدى * قصيرة عنك فالايام تنقلب
ان الافاعى ولو لانت ملامسها * تبدى انقلابا وفى أنيابها العطب
واليوم تعلم يا نعمان أى فتى * يلقى أخاك الذى قد غره الكذب
ومن يخوض غبار النقع مبتسما * وينثنى وسنان الرمح مختضب
ان سل صارمه كثرت مضاربه * وأشرق الجو وانشقت له الحجب
والخيل تشهد انى قد أكف لها * والطعن مثل شرار النار يلتهب
لى النفوس وللطير اللحوم وللوحـ ـش العظام وللخيالة السلب
لا شك ان بطون الطير مقبرة * فيها لمن جندلت أرماحنا نوب
فاسأل ديار الاعادى كم بنيت بها * بيتا من النقع لم يعمد له طنب
وسائل القوم عن فعلى وعن عملى * فالمال ينهاز والارواح تنسلب
لا أبعد الله من قوم غطارفة * انس اذا نزلوا جن اذا ركبوا
أسود غاب ولكن لا نياب لها * الا الاسنة والهندية القضب
تعدوا بهم أعوجيات مضمرة * مثل السراحين فى أعناقها كبب

لازالت القاصدور الخيـــل فى ملاه
بالطعن حتى يقوم السرج والكتب
فالعمى لو كنت فى أجفانهم نظروا
والخرس لوكنت فى أفواههم خطبوا
والخيل يوم جلاد الفرس تشهدلى
بالطعن والضرب والاقلام والكتب
نجمى يلوح على أعلامراتبهم * فوق السماك وفوق الشمس محتجب
وأنا ابن شداد من أعلامفاخرهـــم
شـــد ادها والدى فى الفخر والادب
مالى عـــلى الارض من قرن يقاومنى
فى حومة الحرب والاهوال تنسكب
هذا مقالى وقولى فى مفاخرتى * شدادها والدى أعلا الورى حسب

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت لها جميع السادات وقد تعجبوا من هذه الكلمات وتموا يقطعون فى مسيرهم الارض والفلوات وعنتر يحدث نفسه انه يقطع عساكر الملك النعمان بما معه من الفرسان وانهم مازالوا سائرين يقطعون البر والآكام حتى انهم وصلوا الى وادى الرخم وكان ذلك الوادى لعرب يقال لهم بنو الاجزم وكان بينه وبين جبال الردم سبعة أيام فوصلهم شيبوب فى ثلاثة أيام وكان هذا منزل قديم من منازل العربان وكل من يقصد بلاد العراق لابد له من العبور من هذا المكان لاجل مايلاقى فى الطريق من المخاوف لانه بر موحش قليل المياه وكل من عبر فيه هلك من العطش والظما ولو كان معنا يا أخى من الفرسان شىء كثير يقوم مقامهم اكتنا

منعناهم عن ورود الماء وغملك عليهم الطريق حتى يهلكوا من العطش والظما ولاسيما اذ كان الملك الاسود قد ملك قومنا وأقاربنا (قال الراوي) فلما سمع عنتر من أخيه ذلك الكلام قال ان كان ولابد انزل ساقي ذلك الآكام وتتوكل على الملك العلام الذي خلق الضياء والظلام فوحق من بسط الارض ورفع السما لاتركت أحدا يبل لسانه من هذا الماء ثم ان عنتر نزل على ذلك الغدير ويوده الى لقاه بني عبس بطير واختلفت رجاله في البر والتلال وانتشروا يمينا وشمال وقعدوا ينتظرون القادم عليهم يومين بليلتين فما أحد ظهر ولا رأوا أحد يخبرهم بخبر فقلق لذلك عنتر وتحير وخاف على من تركهم في جبال الرمل من الويل والضرر فشكى حاله الى أخيه شيبوب واعلمه بما عنده من الكروب وقال له يا ابن الام كيف الحيلة والطريق عنا بعيدة وبيننا وبين القوم مقدار أحد اعشر يوم فقال له شيبوب يا أخي أنا أكشف لكم الاخبار وأتيكم بجلية الآثار ثم انه تحزم وترسم واعتد واشتد وسار من وقته وساعته وخاض البر والقفر فما كان الاشيء يسير حتى انه غاب عن النظر فكانت مدة غيبته يومين بليلتين والجميع عليه خائفين وقلق عنتر بالاكثر وخاف من أمر يكون فيه ضرر فبينما هم في قيل وقال واذا به قد أقبل من بين هذه الجبال وهو أشعث أغبر في أتم حال مما قاساه من المسير والترحال فعندها تقدم اليه عنتر وقال له يا ابن الام ما الخبر وأي شيء الذي جرى وتدبر فقال له يا أخي قد جاءك اليك القوم وبطل عنك العتب واللوم وغدا يشرف عليك الملك الاسود ومعه عساكر قد ملأت البر والفدفد وفرسان ما اكثرتهم عدد

فقال

117

فقال له عنتر ويلك يا ابن السوداء أخبرني ما الذي حل ببني عبس فقال له شيبوب حل بهم التعس والنكس وقد قلع الاسود آثارهم وخرب يا أخي ديارهم لانه لما سار اليهم صبحهم صباح ميشوم وترك ديارهم مسكنا للغربان والبوم وترك عيالهم ونساءهم مباحة لجميع الاعارب وأحاطت بهم الرزايا من كل جانب وأحل بهم المصائب لانه فرق جميع من كان معه من الابطال حوله يمينا وشمال وقاتلهم أول يوم حتى أوصلهم الى الخيام وفي اليوم الثاني أتته بنو فزارة وبنو مرة اللئام لان الخبر كان وصل اليهم مع المنهزمين وأسرت ساداتهم ونزل بهم العذاب الاليم وانك قتلت من أبطالهم خلق كثير وأنزلت بهم العذاب النكير فما صدقوا أن يسمعوا بمجيء الملك الاسود حتى انهم اجتمعوا وساروا في البر والفدفد وقد نزل بهم النكد مما كثر من العدد وبنو عبس يقاهرون الصبر والجلد وما زالوا صابرين على ما به الله بلاهم الى أن ضعف حيلهم وقواهم هذا وقد سطا الملك الاسود على ملككنا زهير وضايقه في الميدان الى أن أخذه أسير وأخذ أولاده من بعده وأحل بهم الويل والتكدير وما أمسى المسا الا وجميع اخوته وطائفته كذلك وقد حل بهم الذل واسودت في وجوههم المسالك وعاد الاسود بعد ما بلغ منهم المنا وحصل له التيسير ومعه أوفى من الفين أسير بحالة الذل والتقصير وقد أوعد بني بدر ومرة بخلاص أسراهم من يدك وبلغهم مناهم وأخبره ان أخيه النعمان أرسله لك يحل بك الذل والهوان واذا وجدك ينزل بك الحرمان وانه تابعك يكشف أخبارك وأينما وجدك يقلع آثارك وقد صح عنده انك في جبال الردم ووادي

الرمال وها هو غدا يشرف عليك بجميع من معه من الرجال وهذا الكلام كله سمعته من صديقك مالك بن زهير ولا تسأل عن ما هو فيه من الهم والاسى والضير وذلك انني لما سرت من عندكم بقيت يوم وليلة وأنا أهيم في البر الاقفر فلم أرى للقوم أثر ولا حطية خبر فقصدت أن أسير الى أرضنا ولا أرجع الا ببلوغ المنا فلما كان في اليوم الثاني وأنا سائر في القفار فرأيت سوادهم قد سد جميع الاقطار وانتشر يمينا ويسار فأوسعت أمامي في الفلا لما ان حققتهم وصرت من وراء ظهورهم وصبرت حتى أمسى المسا وقد حل بهم يا أخي الضر والاسا وتبعتهم حتى نزلوا على غدران الظبا فاختلطت بالسواد الاعظم الذي فيه السبايا واردت أن أسألهم عن ما جرى فسمعت صوت مالك بن زهير وهو ينتحب ويبكي مثل المرأة الثكلا وهو ينشد ويقول صلوا على طه الرسول

طرقنا الطرف من بعد الاماني * وغبنا عن معاداة الزماني
وذقنا الذل لما غاب عنا * مثير عجاجة الحرب العواني
دهلكنا بعده بغيا * واضحا جواد البغي مقطوع العناني
أغثنا يا همام بني قراد * بحد تحسامك العضب اليماني
ولا تشمت بنا قوما لئاما * سبوا نسوانا سبي الزواني
فأنت غياثنا في كل حرب * اذا ملت بنا خيل الرهاني
وقد عودتنا عزا ومجدا * ونحن الآن في ذل الهواني
ولو شاهدتنا في ذل سوء * ونحن مع الاعادي في عواني
نساق وفي نسانا كل عذرى * تشير الى جنابك بالبناني
وتجري الدمع من طرف كحيل * على خد كلون الارجواني

تنادي

تنادى فى شجاها يال عبس * أجيرونى فعزنى قد دهانى
على قوم غدوا فى الارض صرعا * ينوح عليهم طير المعانى

(قال الراوى) وكان شيبوب ينشد هذه الابيات وعنتر تنهل من أجفانه العبرات لان مالك كان عنده أعز من روحه التى بين جنبيه لاجل ما عمل معه من الكرامات وقد قدمنا لكم تلك الاشارات (قال الراوى) ثم ان شيبوب قال يا أخى فلما سمعت مالك عرفته بنفسى وسلمت عليه وسألته عما جرى يا أخى والدموع تنحدر من عينيه هذا ولما رآنى وقد حقق معرفتى فرح واستبشر لما رأى صورتى وقد أعلمنى بهذه الاخبار وما حل بهم من الاضرار وقد أعلمته أيضا بما جرى لك من الاخبار وانك قاعد لهم فى الانتظار وفى قلبك من أجلهم وهيج النار وأخبرته بما فعلت بنى شيبان وكيف انك أسرت مفرج بن هلال الكشمان وابن عمه بن عبد العزى سنان وكيف أهلكت فرسانهم والشجعان وأخذت أموالهم والنسوان وأعلمته أيضا بما قد حل ببنى زياد وحذيفة وظالم نسل الاوغاد وان الجميع عندك فى الاصفاد قال ثم ان شيبوب لما ان سمع منى هذا المقال وعلم بذلك الشان خف كربه وانجلا عنه بعض ما يجده من الهموم والاحزان وقد أخبر أبوه بذلك الامر والشان وقد حدثه بشجاعتك واقتدارك على جميع الاقران والشجعان فلما ان سمع الملك زهير من ولده ذلك المقال كاد أن يتفتت كبده قهرا على فراقك يا زين الرجال وقال نحن الذى عملنا بأرواحنا وأنفسنا ما لا تفعله الاعدا بنا أبعدناك عنا ونفيناك عن أرضنا بغير ذنب ولا ضرر وقربنا أهل الخداع والمكر فلاجل ذلك تم علينا هذا الامر ودهانا الزمان الذى من

طبعه الغدر والهوان ولكن كان الذى كان وكلما عاش الانسان تعلم وهذه الايام قال وان شيبوب قال وما زالت معهم حتى وصلوا الى عيون الظبا وعرف الاسود ماقدامه من اتساع الربا فأمر العبيد أن يكثروا من الماء خوفا من العطش والظما فسرت معهم الى وقت السحر وقد مضى الليل والفجر انفجر وقد عدت اليك وقد أعلمتك بما جرى وتدبر فقال عنتر وقد هدر وزمجر لما ان سمع من أخيه شيبوب هذا الخبر وأى شئ بقى هنا من التدبير بعد هذا الامر العسير اذا رأينا هذا العسكر الكثير غير منعهم من ورود الماء ونوقع فيهم الحرب ونهرق منهم الدماء ونبذل نفوسنا فى خلاص الحريم ونتكل على رب زمزم والحطيم وسوف ترا ما أفعل بهم فى ذلك المكان وأترك دماهم يسيل كما الغدران وأفرقهم فى هذه البرارى والقيعان والنار فى أست أمهم وأم ملكهم النعمان فعند ذلك قال شيبوب وقد تبسم وكان تبسمه فى محله اعلم يا أخى ان الامر أقرب من هذا كله لانى أدبر عليهم تدبير أقول انه يرجع عليهم وبال وتدمير فقال عنتر أخبرنى بما فعلت وما هو الامر الذى اتقنت ودبرت فقال له شيبوب اعلم انى لما سرت من عندك أكشف الخبر وأنظر ما جرى وتدبر ووصلت اليهم وجرى ما جرى بالامر الذى تم وطرا وأردت أجىء من عندهم باسير فقلت فى نفسى والله ما أرجع الا ان كنت أفعل بهم أمر كبير ولا بد ما أفعل معهم شىء أشفى به غليل صدرى فعند ذلك سللت منطقتى من على وسطى وسرت وكان الليل قد أسبل على الخافقين أجنحة الظلام وقصدت الى روايا الماء وأنا مثل أسد وبقيت أجىء الى الروايا وأبذلها وأبذ دماءها وقد صرت

أبذل واحدة بعد واحده وقد علمت ان هذا النا أكبر الفائده
وما فارقتهم حتى انى بذلت الجميع وصنعت بهم أوشم صنيع
وقد علمت انهم اذا أصبحوا لم يجدوا معهم فى الماء ما يبلون به ريق
الفؤاد وقد صرت أجد السير فى الوهاد وقد قطعت فى مسيرى
شيأ كثير لا يقطعه غيرى اذا جد فى المسير الا فى يومين
بلياليها على الجمال ومداراة الحريم والعيال والرأى عندى
يا ابن الامام تأخذ أصحابك وتوسع بهم فى ذلك الوديان وتكمنوا
هناك فى ذلك المكان ولا تزالوا هناك كامنين حتى تروهم
الى الماء متسابقين فتخرج عليهم وكل أحد فى دهشته وتسوق
الملك الاسود فى دهشته ويكون قد انقضى ذلك الشغل
وفرغت نوبته قال فما أتم شيبوب ذلك الخطاب حتى قال الامير
شداد ان هذا هو الصواب والرأى الذى لا يعاب لانهم اذا وصلوا
الى هذا المكان ما يبقى منهم انسان يلتفت الى انسان وكلهم
يبقوا يترامو على الماء وذلك من شدة العطش والظما لا سيما
ويكون قد هوجر الحر وأوهج عليهم البر (قال الراوى) فلما
سمع عنتر ذلك الخبر فرح واستبشر وأيقن بالنصر والظفر
الاكبر وقد أمر أن يأخذوا أهبتهم فجهزوا من وقتهم وساعتهم
وركبوا على صهوات خيولهم وتزودوا من الماء وذلك من خوف
العطش والظما وكان ذلك وقت المسا وقلب عنتر على الملك
الاسود وجماعته وقد قسا وهو يقول لعل وعسى وقد سار بهم
شيبوب فى عرض الفلا الى مكان يعلم انه يخفيهم من الاعدا ونزلهم
فى عرض ذلك البيدا هذا وقد أقاموا فى ذلك المكان وهم
صابرون تحت مشيئة الرحيم الرحمن فهذا ما كان من هؤلاء

وماجرى لهم من الامر والشان واما ما كان من امر الاسود أخو الملك النعمان فانه قد سار باقي ليلته وجعل يجد السير هو ورفقته وما نزل حتى تضاحى النهار وحميت الصخور والاحجار فأكل كثيرا من الزاد وكان من لحم وحوش الوهاد فعند ذلك لحقه العطش والظما فطلب من عبيده الماء عند ذلك نظر بعضهم الى بعض وقد تمنى كل واحد منهم ان تبتلعه الارض وما فيهم من تكلم بكلمة واحده ولا فتح فمه خوفا من ذلك الامور الزائده فقال لهم الملك الاسود ويلكم ما حالكم وما الذى حل بكم ودهاكم ولاى شىء سكتم عن الكلام اخبرونى بذلك يا بنو اللئام فقالوا والله يا ملك العرب ما أصبح قطرة من الماء فى الراويات والقرب والجميع مبذولات ناشفات ولا فيهم ما يبل اللهفات (قال الراوى) فلما ان سمع الاسود هذا المقال قال لهم يا ويلكم ومن فعل تلك الفعال فقالوا والله ما معنا علم بذلك الاحوال وحق الملك المتعال الذى خلق الانسان من صلصال وقدر الارزاق والآجال فقال الملك الاسود وحق النور والنار ما فعل بنا هذا الفعال الا من أراد هلاكنا والدمار على اننا قد توسطنا ذلك البر الاقفر والمهمه الاغبر والماء من الجانبين بعيد وقد تعجبت والله من هذا الامر البعيد فقال له شيخ من مشايخ بنى لخم وجذام وكان عارفا بأمور الليالى والايام يا ملك الزمان مضى ما مضى واعلم ان الانسان ما يقدر يدفع القضا اعلم ان ما بقى فى الرأى الان تنفذ العبابة بين أيدينا يملئوا الراويات من المنهل ويعودوا بها على عجل والا اهلكنا من العطش والظما وحل بنا الويل والعمى وان لم تفعل ذلك الفعال والا اهلكنا

هلكنا

120

كلنا وحل بنا الوبال وأنا أقول ان بعض عبيد بنى عبس قد عمل معنا هذه العمله وقد أراد هلاكنا جمله مجازاة لما فعلنا معهم من الرأى وكانه علم انهم لنا أشد الاعداء اذا وصل الينا الماء فلا تبقى فى بنى عبس قطرة واحده ودعهم تحل بهم المكيدة الزائده حتى يعلموا أن مكرهم قد عاد عليهم وكيدهم رد اليهم وقد قال بعض من قال ان المكر السيئ لا يحيط الا بأهله والاذى راجع لمن فعله واعلم ان اللات والعزى قد أخذلتهم ونصرتنا عليهم وأذلتهم عند ذلك قال الملك الاسود والله لقد صدقت فيما به قد نطقت ولقد أصبت فى ذلك الرأى وحق ذمة العرب وان لم تفعل ذلك والا حل بنا العطب ثم ان الملك الاسود بعد ذلك الكلام والاشارات عين مائتين نجاب بالقرب والمزادات وأمرهم بقطع البرارى والقفارات ويملؤها ويسرعوا بالرجعات فعند ذلك تقربوا بين يديه وامتثلوا ما قال لهم عليه وساروا من ساعتهم يجدون المسير فى ذلك البر فى الهجير والملك الاسود قد سار فى اثرهم وقد حل به الظما مثل ما حل بهم وعقله من رأسه قد غاب ومابقى يعرف الخطأ من الصواب وكان قد ملا جوفه من لحم الوحوش وقد بدا يعمل معه الظما والعطش ومازال كذلك الى أن أمسى المسا وقد صار يعلل نفسه بعل وعسى وهو يظن ان الماء يصل اليه وتقربه عينيه وذلك من شدة العطش ومن كثرة مالحقه من الدهش وقد زاد على عسكره الحال وكل منهم أخذه الانذهال ومابقى أحد منهم يقدر على الحركه وقد حلت بهم النائبات المهلكه ونشفت حلوقهم من الظما وحل بهم العمى (قال الراوى) فلما ان علم الاسود

منهم ذلك الحال نزل بهم في بعض الجبال وقد ظن ان الماء يصله في ذلك المكان فبان أنه متعلل بذلك الشان وما أتى اليه بشر ولاظفر للغايبين بخبر فقال الملك الاسود أظن ان أصحابنا حصل لهم ضرر وقد حل بهم الويل والعبر والا ما كانوا انقطعوا ذلك الانقطاع ولاسيما وهم يعلمون ما حل بنا من الاوجاع وما زالوا على ذلك الايضاح الى أن انفجر الفجر وبان الصباح وصارت الفرسان تضرب الفرسخ والفرسخين حتى انهم يغيبوا عن نظر العين وترجع بعد ذلك خائبه مما كانت له طالبه وقد حسوا بكل نائبه وحلت بهم المصيبة الزائده فقال الملك الاسود وقد قاسى كل هم وضير أظن والله ما جرى على أصحابنا خير ولو كنا علمنا انهم لا يقدمون وفي مثل هذه الاكام ينقطعون كنا قطعنا ذلك الوادي ليلا ولا صبرنا حتى أحاط بنا ذلك البلا قال ثم انه قتل الناس من وهج الحر وقد تلهبت جنبات الفلا والبر وقد أكلت بعضها بالبعض وضاق عليهم وسيع الارض وذلك الطول والعرض ولمعت في وجوههم الهضاب ولاح لهم لائح الويل والعذاب واشتد بالقوم الظما واشتاقت أرواحهم الى شربة من الماء المبرد بالهوى ورحلوا وساروا وقد قل منهم الحيل والقوى وكانوا كلما قطعوا من الارض ميل كثر منهم القال والقيل وهم يقولون الساعة تصل الينا أصحابنا بالنجب والقرب ولم يعلموا بما جرى عليهم من الامر والسبب قال فهذا ما جرى لهؤلاء من الامر والشان وأما ما كان من أصحابهم وما حل بهم من الهوان فانهم لما وصلوا الى الماء والغدير وجدوا عنده العذاب النكير وهو أبو الفوارس عنتر وقد نصب لهم حبال القضا والقدر لانه لما تركه

أخوه شيبوب فى ذلك المكان الذى وصفناه واختفى هو ومن معه من الفرسان كما نعتناه وقعد لهم شيبوب ديدبان يرتقب من يأتى من الوديان ومازال على ذلك الحال الى أن تنصف الليل وقد غاب نجم سهيل وقد هم ان يهجع واذا هو بالنجابة قد أقبلت وهم فى ذلك الحال الاشنع والجيع مقبلين من ذلك البرارى المقفره ولهم هدير وزمجره فلما رأى شيبوب الى ذلك الاقوام قام قائما على الاقدام وقد نار من عينه المنام ونفر عنه النعاس وأخذه القلق والوسواس فعند ذلك حبى على يديه ورجليه وهو يرقب اليهم بعينه ومازال تابعا آثارهم حتى انه قارب القوم وكشف أخبارهم فرآهم مقبلين من البر والسبسب وهم يتساقطوا على الماء كتساقط القطا والطير على الحب فلما رآهم سابقوا الى الغدير مثل الريح العاصف فعاد الى أخيه مثل البرق الخاطف واعلمه بحقيقة الخبر فقام أبو الفوارس عنتر وقد قامت معه الرجال على الاثر وفى دون ساعة دارت بالغدير الاقطار وصاحوا بهم فى قتام الاعتكار فأول ما عمل شيبوب من خبثه والمكر ساق النجب هو وعشر فوارس واتسع بهم فى البر وقد كانوا أصحابها لما انهم وصلوا الى المياه قلعوا ما كان عليهم من العدد والسلاح ثم انهم وضعوها عند النجب فى تلك البطاح فلما ان سمعوا صياح عنتر ومن معه من الرجال حل بهم الويل والانذهال فرجعوا الى ناحية النجب ليأخذوا عددهم ويفتقدوا نجبهم فما وجدوها فصاروا فى أمورهم لما رأوا نفوسهم بلا عدد ولا سلاح وقد عمل فيهم الطعن من سائر النواح وكان كل من مانع عن نفسه قتلوه وكان من سلم نفسه قبضوه (قال الراوى) وما جاء وقت السحر حتى انهم

قبضوا على الاسرى وقتلوا الاكثر وقد تلعوا منهم الاثر وما تركوا منهم أحدا يخبر بخبر وقد اخذوا منهم ثلاثين أسيرا وتركوا الباقين مطار وحين على جانب الغدير ثم انهم عادوا الى موضعهم الذى كانوا فيه كامنين وهم فرحين ومستبشرين وكان ذلك الوقت طلع الصباح وأشرقت الشمس على الربا والبطاح فعند ذلك قدموا الاسرى بين يدى عنتر وهم بحالة الذل والضرر فسألهم عن الملك الاسود ومن معه وجميع عسكره الذى جمعه وقال تركتموه فى أى الاماكن من البطاح فقالوا له الاسارى غداة غد يكونوا عندكم فى وقت الصباح ان جدوا فى مسيرهم والرواح وان كانوا تمكلوا علينا حتى نعود اليهم بالماء هلكوا جميعهم من العطش والظما فقال عنتر لاخيه شيبوب لما سمع ذلك المقال والله ما بنا الا أصحابنا الذى فى الاسر والاعتقال ولاسيما النساء والاطفال يهلكوا عطشا فى ذلك الجبال (قال الراوى) فلما سمع شيبوب من أخيه عنتر ذلك المقال قال له يا ابن الام لا يضيق صدرك من هذه الاحوال ولا تشغل بهذا الامر سرك يا فارس الابطال فأنا بالحى قد انفتح لى باب من الابواب أقول انه غاية الصواب وذلك ان جيش الاعدا اذا اشتد عليهم حر البيدا وحلت بهم الهموم الزائدة فيشتغل كل واحد منهم عن صاحبه ولا يسأل عن رفقاه ولا عن حبائبه ويطلب كل أحد منهم ان يصل الى الماء وذلك من شدة العطش والظما ويتفرقوا جميعهم فى جنبات البيدا ولا يسأل أحد عن أحد أبدا ويشتغلون عن الاسارى والسبايا فآخذ أنا هذه القرب والروايا وأشيلها على ظهور هذه النجب والمطايا وأسيرهم فى عرض البر الاقفر والمهمه الاغبر ويكونون معى

وخمسين فارس غضنفر ولا أبان لاصحابنا ولا أظهر الان رأيت جيش الملك الاسود قد تبدد فى البر الاقفر وسار وخلاهم من خلف ظهره وكل أحد منهم اشتغل بهمه وقهره لاننى أعلم انه اذا اشتد عليه العطش حل به وبمن معه الويل والدهش ولا يبقى عند الاسارى الا العبيد ويكون الاسود ومن معه قد هلكوا فى الارض والبيد فاذا رأيت أنا ذلك أسير بأصحابى فى آثارهم وفى بعض المكامن أخفيهم وأسير أنا وأدخل عليهم حتى يسيروا ونسير جميعا على آثارهم وانظر من انقطع من السبى والعيال وبعد افعل على قدر ما أرى من الحيال وأسقى جميع بنى عبس من الماء الزلال ولا بد ما أطلق كل من رأيته وان قدرت على أمر فعلته وان ظهر على أحد من الاعدا أطلقت عليهم الفرسان الذى معى فى البيدا وأدعهم يبيدوهم بالسيوف القواطع ولا يبقى منهم لا ناطق ولا سامع وان أصبح ذلك لنا فقد بلغنا المنا ونصرنا على الاعدا (قال الراوى) فلما أن سمع عنتر من أخيه شيبوب ذلك المقال قال له وحق ذمة العرب الانجاب لقد أشرت يا أخى بالصواب ورأيك ما فيه شئ يعاب وان كان الامر على هذا الحساب خذ معك عروة بن الورد وخمسين من رجاله الانجاب وتكون مسترجع وأفعل هذا الفعل المليح قال فعند ذلك دبر شيبوب أمره فى عاجل الحال وفعل ما به قد أشار ثم انه ملأ الراويات والقرب وحملها وسار هو ومن معه يعسف ذلك البر والسبسب وقعد عنتر هو ومن معه من الفرسان فى انتظار من يقدم عليهم من عساكر الاسود أخو الملك النعمان (قال الراوى) هذا وشيبوب ما زال سائر بمن معه من الرجال الى أن أتى عليه آخر النهار

وابست الشمس حلة الاصفرار فبينما هو على ذلك الحال واذا قد
طلع عليه من صدر البر غبار قد ملأ جميع القفار ثم انه انجلا
وبان للابصار وقد ظهر من تحته مهارى تقطع الفلا والقفار وعلى
ظهورها الرجال تسير سيراً حثيثا الى ناحية الماء الزلال
وركابها على ظهورها لا تعتني أحد ولا تلتفت الى أبيض ولا
أسود ولا تنظر يمينا ولا شمال مما قد جرى عليها من الوبال
وذلك من شدة العطش والظما ومما قد اعتراهم من الويل
والعما (قال الراوي) وكان السبب في ذلك ان الملك الاسود لما
أرسل الصحابة في البر والهضاب في طلب الماء وغابوا ذلك الغياب
فقال والله لا بد ان أصحابنا قد وقعوا في مصيبه والا ما كانوا غابوا
هذه الغيبه وهم يعلمون اننا هالكين من العطش والظما والا
يكونوا قد ضلوا عن الطريق وعدموا السعادة والتوفيق
والصواب اننا نتحوا بأنفسنا وان لم نفعل ذلك والا هلكنا عن
آخرنا ثم انه من شدة ما قد جرى عليه من كثرة أحزانه قام وركب
هو ومن معه من اخوانه وساروا طالبين اميابني الاجرم وقد
تركوا باقي الناس مبددين في البر والا كم قال وما زالوا سائرين
وهم في سيرهم مجدين الى أن وصلوا الى عراض شيبوب وقد
كمن هو في عطف من عطوف الدروب وما أحد منهم فطن به
وما زالوا يجدون المسير الى أن وصلوا الى الغدير فلما ان رأوا ذلك
الماء الساكب أرموا أرواحهم عليه من كل جانب وقد
تساقطوا عليه من شدة ما قاسوا من ذلك البلا فوجدوا جميع
أصحابهم متلقين على جنباته قتلا فحاروا عند ذلك في أمورهم
وتحيروا في نفوسهم وخافوا من ذلك واندهلوا وعولوا انهم

يشربوا

يشربوا ويرحلوا ويوسعوا فى البرارى والجبال خوفا على أنفسهم من الوبال الذى جرى على أصحابهم الاقيال ثم انهم جعلوا يتساقطوا على الماء كأنهم الغربان وذلك مما حل بهم من الهوان قال فما لحقوا القوم أن يشربوا من هذا الماء المباح حتى أدركهم عنتر ورفقته فى تلك البطاح وجعلوا يطعنوا فيهم بأعقاب الرماح وقد أدركهم الهم والاتراح وما أظلم عليهم الظلام حتى أهلك عنتر منهم ثلاثين فارس همام وأسر سبعين أمير وقد قادهم فى حبال الذل والتعسير وفى جملتهم الملك الاسود أخو الملك النعمان وباقيهم كانوا خواص الفرسان لان عنتر لما نظر الاسود انقض عليه انقضاض الباشق على أفراخ الحمام وقد أخذه أسير وقاده ذليل حقير وكتفه وسلمه الى أخيه جرير فأخذه منه وساقه بين يديه فى المهاد وسلمه الى الامير شداد بن قراد فعند ذلك أقرنه بحمل ابن بدر وعادوا وهم فى فرح بالنصر والظفر (قال الراوى) وقد راق المكان من الحرب والقتال بعدما أخذوا السبعين فارس والاسود المفضال وقد وضعوا جميع الاسارى فى القيود والاغلال والباشات الثقال وقد أخذوا لهم راحة فى ذلك الآكام وهم منتظرين بقية الاقوام فبينما هم على ذلك الحال واذا بالجيش قد تتابع تتابع السيل السيال وكان أكثرهم راكب على الجمال لان الخيل قد وقع أكثرها فى الفلا من شدة العطش والظما فلما ان وصلوا الى الغدير تراموا عليه كأنهم موتى لانهم ما وصلوا الى الماء وفيهم رمق وذلك من شدة القلق فنزل عليهم عنتر وأصحابه نزول السيل وأبلوهم بالعما والويل وقد صاروا يضربوا بالسيوف فى أعناق الرجال ويطعنوا بالرماح فى صدور الاقيال ويضربوا

مقادم الخيل والجمال هذا والرجال يتساقطون على الرمال وصارت
الفرسان تقع ماتقوم والرجال في الدماء تعوم وقد صار الانسان
لايهوش ولاينوش وصارت جثثهم رزقا للطير والوحوش
وقد غابوا جميعهم عن الوجود من ذلك الاحوال ولا بقي أحد
يعرف يمينه من الشمال وكانت ذلك الليلة كثيرة الاهوال قال
ومازال السيف يعمل والدما تبذل والرجال تقتل وهم على
ذلك الايضاح الى أن مضى الليل وقارب الصباح وقد كلت
مناكب الرجال من كثرة ضرب الصفاح هذا وقد علم
بنو لخم ان الماء قد ملك ورأوا انهم قد هلك فقاتلوا قتال من
استقتل واشتد الطعن بالاسل هذا وقد كثر على بني عبس
العدد وتزايد المدد ولكنهم أظهروا الجلد وأخفوا الكمد
ومازالوا كذلك الى أن طلع الفجر الاول ومابقى في القوم من
يحسن قول ولا عمل من شدة ماحل بهم من الوجل ولما كان
عند الصباح أشرفت عليهم غبار من قبل الاعداء وقد زاد منهم
الصياح وهم ينادون يال عبس يال عدنان أبشروا ما اثام بالويل
وشرب كأس الحمام وهي تضج بالفرح والاستبشار بخلاصها
من الاعتقال وباطلاقها من الوثاق والاضرار (قال الراوي)
وكان خلاصهم من الكروب على يد القيم شيبوب لانه لما ان سار
الملك الاسود ومن معه من الطوائف كان شيبوب سائرا لما
في عرض البر كما قدمنا ومازال حتى عبر جيش بني لخم من ورائهم
وهم متتابعين والى وادي الرخم طالبين وقد تركوا السبايا
من ورائهم ولا فيهم من التفت بعد رواح الملك الاسود بل طلب كل
واحد لنفسه النجاه وأوسعوا في ذلك البر والفلاه وذلك

من شدة الحر والهجير وقد حل بهم من العطش والتدمير فعند
ذلك وصل شيبوب الى بنى عبس والكل موثوقين بالكتاف
وقد أشرفوا على التلاف فخلصهم شيبوب من الحبال وأعلمهم
بما جرى من الاحوال وقد سبى النسوان والبنات وجميع
الرجال والسادات وكذلك الملك زهير وأولاده الجميع وأعلمهم
بما فعل أخوه عنتر بالاعداء من الامر الشنيع قال فلما ان سمع
الملك زهير من شيبوب ذلك الكلام أخذه الضحك والابتسام
وتعجب من هذه الامور والاحكام وقال والله من يوم ولد وهو رجل
مسعود من الواحد العلام وكل من عاداه خرب بيته وزادت به
الآلام هذا وقد فرحت بنو عبس بالخلاص وقد ضجوا الجميع
لعنتر بالدعاء وقالوا والله مالابن عمنا مثيل فى جميع الاحوال فقال
صديقه مالك بن الملك زهير والله ان ابن عمنا عنتر ماله نظير ولا
يفرط فى هذا الرجل عاقل ولا نبيل ولا من هو فطن ولا من هو
فضيل قال ثم انهم بعد ذلك الكلام والمقال صاح الملك زهير
على بنى عبس الاقيال وقال لهم ياويلكم اركبوا من هذه الخيول
الشاردة وخذوا من هذه العدد الذى على هذه الجمال واطلبوا
معونة أحياكم بعد الممات وصون حريمكم والبنات فعند
ذلك تصايحت جميع الرجال وقد فعلوا ما أمرهم به الملك زهير
الرئبال وقد سمعوا منه ذلك المقال وكانوا أوفى من الفين من
الابطال وتعددوا جميعهم بالعدد ولبسوا الخود والزرد وركبوا
من تلك الخيول الحسان وصاروا يركضون فى تلك الوديان وما زالوا
على ذلك الحال الى أن ولا الليل وأقبل النهار بالابتهال وأشرفوا
على مكان المعمعة والقتال كما قدمنا فى المقال وقد رأوا

الى عنتر وجميع الفرسان وقد دارت بهم الاعداء من كل جانب ومكان فحملوا على الاعداء حملة الحنق وقد طعنوا فيهم طعن من اشتد به الغيظ والحرق ففاض الدم وانهرق وزاد البلاء واندفق وسال من الرجال العرق والجرح من شدة المحال انفرق وكان الشجاع فيهم من ركض بالجواد ومرق ومن شدة عسفه في الربا والبرا احترق وما بقي له من التعب رمق قال ولم يزل السيف يعمل والدم يبذل ونار الحرب تشعل الى انه ما بقي من الاعدا الا من خلى القتال وولى وقد أخذوا من بقي أسرى وتركوا الباقي عن الارض قتلا متلقحين على التراب في الفلا لان القوم كانوا عشرين ألف فارس أسر منهم سبعة آلاف وقتل مثلهم وتلقحوا على الاحقاف والباقين هجوا على وجوههم في الفلاه وهم لا يصدقون بالنجاة قال ولما ان طلع النهار وأشرقت الشمس بالانوار التقى عنتر ببني عمه المشاهير وهم بنو عبس والملك زهير هذا والامير عنتر لما رأى الملك زهير ترجل له من على جواده الابجر وكذلك فعل الملك زهير وقد تعانقا من شدة فرح التلاق وتباكيا من ألم الفراق وبعد ذلك ركب الملك زهير وقد مسك عنتر له الركاب وقد عضده لما ركب وباس رجله في الركاب فأراد الملك زهير أن يترجل على الرمال ويقبله فأقسم عليه عنتر انه لا يفعل هذه الفعال وقال له يا مولاي يعز على ما جرى عليكم من الاسر والاعتقال والذي قد جرى من عساكر العراق الانذال فقبل الملك زهير راسه وبين عينيه وشكره وأثنى عليه وقال له والله يا أبا الفوارس ويا زين المجالس انا قد فعلنا معك القبيح وأبعدناك في البر الفسيح وبعد بعدك عنا قد جوزينا

على فعالنا وما عرفناقدرك الا الماقدناك فلله درك ودارأباك
ودرقومك وأقرباك (قال الراوى) وبعد ذلك صفت القلوب من
جميع بنى عبس الاجواد على فارسهم وحاميهم عنتر بن شداد
هذا وقد دلت بنوعبس القتلى وسيوفهم وخيلهم وعددهم ورحالهم
ونزلوا فى ذلك المكان لطلب الراحة ومحادثة الاخوان وهم
فرحين بالنصر والظفر على أعدائهم اللئام قال وما زالوا فى لعب
وانشراح الى أن أصبح الله بالصباح ووصل اليهم شيبوب
بالحريم وقد فرح بذلك النصر العظيم وأقاموا ذلك اليوم كله
على ذلك الغدير وهم مستبشرين بما حصل لهم من ذلك الخير
الكثير هذا والنساء قد أتت الى عنتر وصرن يقبلن يديه
ويشكرنه ويثنين عليه قال وما زالوا على ذلك الحال وهم فى فرح
وابتهال الى أن ولى الليل وأضاء النهار وأشرقت الشمس بنورها
المتلال ورحلوا طالبين الاهل والعيال الذى تركوهم فى جبال
الردم ووادى الرمال هذا وعنتر بجانب الملك زهير وأولاده وهو
يانس بوداده ويعلمهم بما جرى له مع بنى شيبان وبنى زياد
والربيع القرنان وأخيه عمارة الكشحان وما فعلوا فى حقه
من العناد وكيف أوقعهم فى بغيهم رب العباد قال وكانوا قد
شدوا الاسارى على خيولهم عرض ولم يدروا ان كانوا فى سما أو فى
أرض هذا والملك زهير لا يشبع من حديث أبى الفوارس عنتر بطول
ماهم سائرين فى البر الاقفر وقد صار ينظر الى الملك الاسود والى
حمل بن بدر وهما فى جملة الاسرى وقد صاروا يرقون للملك زهير خوفا
من عنتر لا يبطش بهم وهو لا يلتفت اليهم ولا يعتنى بهم ويعرض
عنهم ويريهم أنه ما لهم قيمة ولا مقدار ولا يعاتبهم على ما فعلوه معه

من ذلك الاضرار قال وما زالوا سائرين على مثل هذا الحال والملك زهير يقول للامير عنتر الفارس الريبال اعلم أنه ما بقي لنا أحد نعتمد عليه من سائر العربان لانه قد صار لنا أعداء مثل بني فزارة وبني مرة وشيبان والملك النعمان وما بقي يقعد عن عداوتنا لاجل ما فعلنا في أخوه وفي عسكره ذلك الامر والشان (قال الراوي) فلما سمع عنتر من الملك زهير ذلك المقال تبسم ضاحكا ثم قال طب نفسا وقر عينا من هذه الفعال فوحق ذمة العرب الكرام لو أتى كل من في الارض من ترك وعرب وأعجام ما عاد يصل اليك منهم هم ولا غم مدى الايام ولابد ما أترك النعمان في أسرك والملك كسرى يرتعد من ذكرك قال وما زالوا في قيل وقال وهم يتحدثون في مثل ذلك الاحوال الى أن أشرفوا على الجبال التي تركوا فيها العيال والخيل والجمال واذا بها خالي الجنبات موحش العرصات ليس فيه ديار ولا نافخ نار وما بقي الامكان البوم والغربان وقد اندهلت من رؤيته جميع الفرسان وأما الامير عنتر فانه قد تحير مما شاهد وأبصر وكذلك جميع من معه من الاصحاب اندهلوا على فقد من لهم من الاحباب هذا وشيبوب قد مد نظره وهو يتعجب من ذلك الحال واذا هو ببشارة بن منيع مصلوب على بعض قرون الجبال والطير حائم عليه وقد أكلت الحدا من عينيه فعند ذلك صرخ شيبوب من شدة ما جرى من الحزن عليه ثم انه زعق واحرباه عليك يا بشارة يا ابن منيع والله لقد اشتفت الاعداء منك وحزن أهلنا الجميع ثم انه دق يده على صدره وقد انقصم من ذلك الامر ظهره فلما ان سمع عنتر منه ذلك المقال قال له ويلك ما بالك يا أخي تفعل

126

هذه الفعال فقال له انظر يا أخي الى بشارة بن منيع ها هو مصلوب على الجبال فنظر عنتر بعينه فوجده على ذلك الحال وهو معلق في الجبال فتأسف عليه وقال والله لا بد ان أفعل مع من فعل به هذه الفعلة مثل ذلك الحال ثم انه بكى من شدة البلبال وأنشد يقول

رأت عيني لوادي الرمل خالي * فأجرت المدامع كاللآل
وقفت به أسائل عن فتاة * وعن أترابها ذات الجمال
وكيف يجيبني قفر محيل * خراب لا يغني عن سؤال
اذا صاح الغراب به شجاني * وأجرى أدمعي سحباً عوال
غراب البين مالك كل يوم * تنادي عن يميني مع شمال
وتخبرني بأصناف الرزايا * وبالهجران من بعد الوصال
كأني قد ذبحت بحد سيفي * فراخك أو نصبت لك الحبال
بحق أبيك داوي جرح قلبي * وهدي نار سري بالمقال
وخبرني عبيلة أين حلت * وما فعلت بها أيدي الرجال
فقلبي هائم في كل أرض * يقبل اثر أخفاف الجمال
وجسمي في جبال الردم ملقى * خيالاً يرتجي طيف الخيال
وفي الوادي على الاغصان طير * ينوح ونوحه في الجو عال
فقالت له وقد أبدى نحيباً * دع الشكوى فليس حالك مثل حال
أنا دمعي يفيض وأنت باكي * بلا دمع فذاك بكا محال
لحا الله الفراق ولا رعاه * فكم قد شك قلبي بالنبال
أنت قاتل كل جبار عنيد * ويقتلني الفراق بلا محالي
وصلى الله ربي كل وقت * على المختار صفوة ذي الجلال

(قال الراوي) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات تباكت جميع الامراء والسادات ولم يعلموا من فعل في حقهم هذه الفعال

ولا تجرأ على مثل هذه الاشغال وقد قلق عنتر وأخذه الاندهال
من هذه الامور والاخطار (قال الاصمعي) وكان السبب
في ذلك الاضرار انه لما غاب عنتر وترك الحريم والاولاد في الجبال
ما حسب حساب الاشرار وكان ترك عمه مالك أبو عبلة الغدار
والعشرين فارس من بني عبس وهم خيار العشيرة لاجل
ما يحفظوا المال والعيال وسار بعد ذلك وقد أوصاه على الاسراء
والعيال ففي يوم من بعض الايام دخل مالك أبو عبلة على الاسارى
ليطلع عليهم ويوبخهم بالكلام ويعاتب مفرج بن هلال هو
والربيع ابن الاندال ويطالبهم بما كان على عبلة من المال
فقال له الربيع ويلك يا مالك أما تستحي من هذا المقال وأنت
تعلم ما أنت فيه من الذل والعار لاجل متابعتكم لهذا الاسود
الغدار وأنت مع ذلك تطالب الحماية بسيفه وأنتم تعلمون ان أهل
الارض صارت أعداء ويلك يا مالك أنت عدمت عقلك حتى تظن
ان ذلك العبد يسلم من الهلاك والعدم فهذا شيء لا يكون ولا يجرى
يا بني قراد وأنتم في مائتين فارس تريدوا ان تقاوموا العرب والعجم
وهذا شيء عما يفعله الامن عقله قد عدم ويلك يا ابن العم أنت
تريد تزوج ابنتك لمن كان بالامس راعي جمالك وخادم بغالك
وحق ذمة العرب ما بقي عنتر يرجع من قتال الملك الاسود ويلك
يا مالك دع عنك هذا المقال وهذه الفعال واغتنم الفرصة من قبل
ان يحل بكم الوبال

تم الجزء الخامس من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بني عبس
عنتر بن شداد في غرة شهر صفر الخير سنة ثلاثة وثمانين ومائتين
بعد الالف من هجرة من خلقه الله على أحسن وصف

الجزء السادس من سيرة الامير حبة
بطن الواد الهمام الضرغام
عنتر بن شداد أبى
الفوارس الصناديد
الشداد وهى
سيرته
الحجازيه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم (قال الراوى)
ويكون على علمك يا امير عمرو ان عنترا فى هذه النوبة ما بقى يرجع
ولو عضدته جميع الامم عن قتال الاسود وسوف تنظر ما تجدد
ويلك يا عمرو دع اباك الامير ما لك يغتنم الفرصه والا هلكتم
كلكم وشربتم من الموت أعظم غصه وتسبي حريمكم وما لكم
وعيالكم ويحصل بكم دماركم وفناؤكم وتبقوا مثلا بين الامم
وما بقى أحد من الاسارى الا وتكلم وما زال الربيع يترجم
حتى أخذت عمرو الحمية مع ما كان فى قلبه من بغضة عنتر ثم قال
وكيف يكون العمل يا ربيع فقال له بادر الى مفرج بن هلال

وأنا آخذ لكم منه الذمام والامان على أموالكم وعيالكم والنسوان ونتفق كلنا ونسير الى الملك النعمان ولانزال عنده حتى يصل أخوه الملك الاسود وننظر مايجرى ويتجدد من الملك زهير وماحل به من الاسر والضير فان كان الملك الاسود قد ظفر به وأسره فنتوسط مع الملك بنوبته ونزوجناه بابنته المتجردة ويبطل بينهم الارتياب ونزوج عبلة بعمارة الوهاب ونعود كلنا الى أهلنا ونلتقى الاحباب بالاحباب ونكون قد نلنا الفخر بمصاهرة الملك النعمان لانا اذا صار لنا معه علاقة ونسب فتهابنا به سائر العرب فلما أن تكلم الربيع بهذا المقال قال له عمرو يا ربيع أريدك أن تصفح عن ما أبديته من المقال فان ظفر عنتر بالملك الاسود وسلم وأتى الى هنا وعلم بما جرى وتجدد فانه يقلع آثارنا الى الابد ولايدع منا أحدا يلتفت الى أحد فقال له عمارة وهو فيما هو فيه من ذلة الاسر والشدائد ويلك ياعمرو ما هذا الاجنون زائد يسير عنتر بمائة وخمسين فارس غير أعيان ويريدون أن يلقوا عشرين ألف عنان ومعهم مثل الملك الاسود وعليها هيبة أخيه النعمان وحق اللات والعزى ان هذا شىء قط ماجرى فى الازمان ولايسمع بمثله انسان فى سائر البلدان وان كان فى أجله تأخير فماينفلت من أكثر أربع فوارس مدامير ويبقى الزنيم معجعجا فى القيعان ولا يأويه أحد من العربان ويعود علينا ويسئلنا أن نسأل فيه الملك النعمان حتى اننا نعيده الى الاوطان ويبقى أذل مما كان فاترك عنك ياعمرو هذا الفزع وعدم التدبير واقبل من رأى أخى الربيع مابه يشير عليك فلما تكلم عمارة السقيع بهذا المقال قال له مفرج بن هلال

وأنا الآخر اشهدوا على يا من ههنا من الرجال انكم ان فعلتم
ذلك رددنا عليكم ما أخذناه من على عبلة من المال ونكون لكم
عدة ما بقيت الليال فلما سمع عمرو منهم ذلك المقال انطلى عليه
ما زخرفوه من المحال فعاد الى أبيه مالك وأخبره بتلك الاقوال
فخاف من ذلك الامر قلبه وزاد فزعه وروعه وقال لولده يا ولدى
لقد حسب الربيع حساب فيه أنواع كثيرة من الصواب
ولكننى يا ولدى أخشى العواقب لاننى قط ما اخذت عنتر بن شداد
الا وأنا ابنى أنواع المصايب وأرجع أستغيث به حتى يخلصنى
مما أقع فيه من النوائب فقال له ولده عمرو والله يا أبتاه الا فى هذه
النوبة فانك وحق اللات والعزى ما بقيت أبدا تراه الا ان يكون
صار رمة فى الفلاة فدعنا يا أبتاه نبادر الى هذا الامر المقضى
ونجعل لنا عند الملك النعمان اليد البيضا قبل أن نلتقاه ونبقى
نطلب رضاه وهو لا يرضا وان لم تقبل منى هذا الامر السديد
والا انجو بنفسى وادعك تفعل بنفسك ما تريد فقال له أبوه
اصبر على يا ولدى حتى أحكم التدبير ولا أفعل فعلا أنا به غير
خبير فقال له ولده ما أبت ذلك اليك فها أنا مساعدك فيما تقربه
عينيك فقال له يا ولدى اذا دخل الليل وطلع نجم سهيل ودنا
ما نؤمله من الاوصاف ادخل أنت الى القوم وحلهم من الكتاف
وسلم اليهم لعددوعدهم يجيئون ويسوقون كلما معنا من المال
ونكون نحن معهم فى الاعتقال حتى نصل الى النعمان ونعلمه بما
قد دبرنا من الاحتيال فاذا سمع منا ذلك فهو يطلقنا ويجود علينا
بالافضال ونكون نحن بهذه الفعلة بلغنا المراد وأمنا من
عتب عنتر بن شداد ان هو سلم من هذه الرزية وعاد لانى أعلم

ان نسوان أبيه وأعمامه يحدثنه بما يتم ويجرى من العمل ان هو عاد وكان له تأخير فى الاجل فقال له ولده عمرو هذا هو الصواب وقد أتيت بأمر لا يعاب (قال الراوى) ثم ان عمرا صبر مثل ما أمره أبوه حتى أظلم الظلام ودخل الى القوم وأطلقهم مما هم فيه من الشد والعذاب وأخبرهم بما دبر أبوه فرأوه الفرسان من الصواب ثم انه سلم اليهم السيوف الصقال وقد ذكرنا فيما تقدم انهم كلهم أبطال وقد سمعتم ما قاسى عنتر منهم من القتال حتى انه أخذهم ونزلهم فى القتال وانهم لما ملكوا فى أيديهم العدد ناروا وكل واحد منهم ما يصدق بخلاصه مما كان فيه من العذاب وكان مالك بن قراد يأخذ العشرين فارس الذين أمره عليهم عنتر قبل ما راح ويبيت بهم فى فم المضيق ويحفظ المكان الى الصباح وكان فى تلك الليلة قد أعلم من يعز عليه بما دبره وأوصاهم أن لا يقاتلون لان ذلك كله كياد العنتر بن شداد ولما خرج مفرج بن هلال وخرجت معه من فم الوادى الابطال قتلوا من قاتل من رجال عروة وغيرهم من الرجال وقد قبضوا على مالك أبى عبلة وولده عمرو وأصحابه كما وقع الاتفاق والمقال وما أصبح الصباح الا والقوم مالكين الوادى بما فيه وقد تحكموا فى أطرافه ونواحيه ثم ان مفرجا لما ان قتل الرجال الذى كانوا مستخفين فى الوادى والرمال ما كان له شغل الا قتل بشارة بن منيع وصلبه على قرن الجمال وذلك مما فى قلبه من الدحال وفى الحال استخلص مفرج مما كان له من العيال وكذلك حريم بنى شيبان وأخذ ما كان هناك لبنى عبس من النسوان وأهان عبلة غاية الهوان وكان فعل كل هذا والكياد مما فى قلبه من عنتر بن

شداد ثم بعد ذلك ساق أمواله وأموال أعداه وسار طالب ديار النعمان وهو لا يصدق بالنجاة وانهم لما أرادوا استقاموا على الطريق بقي عمارة بن زياد يدور حول عبلة ويسليها كلما رأى نحيبها وبكاها وصار يكرمها كلما نظر الى مفرج يهينها ويحمل بها الاذلال ويوعدها بخلاصها وخلاص قومها من الاعتقال وهي لا تلتفت اليه ولا تعن عليه ولما كان من الغد ضحوية النهار طلع من بين أيديهم غبار وارتفع وثر وبيع وثار وزاد ظلام وقتار قتباد روا فضوه ليكشفوا ما تحته من الاخبار فبعد برهة انكشف ذلك السواد وبان من تحته جيش كبير زائد المدد والعدد وهو يموج بالحديد والزرد النضيد وقدام الخيل فارس مثل الاسد وهو عظيم الهيكل طويل القد كأنه برج مشيد وهو غارق في ثياب الزرد وركابه تخط في الارض من طول فخذيه والشجاعة تشهد له لا عليه فلما بان ذلك الفارس وتحقق الحال تغيرت أحوال مفرج بن هلال فعند ذلك نادى وأعلن بالمقال وقال واحرباه يا وجوه العرب هذا والله معدي كرب فارس الخيل والجلاد وان الفرار من بين يديه أخير من الاسر والاضرار لانه في هذا الجيش الكبير ونحن في قلة وان قابلناه حل بنا الوبال والتدمير ثم ان مفرج بن هلال أطلق لجواده العنان والتفت الى ابن عمه سنان وقال له اتبعني يا ابن العم واترك المال والعيال فانه يخلصهم النعمان من غير قتال فعند ذلك تبعه مالك بن حسان وسنان بن العزى والربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد وهو يقول لاخيه الربيع ويتكلم بكلام شنيع ويلك يا أخي تهرب وتخلي عبلة بعد ما حصلت في أيدينا وترضى لنا بالعار ولا تقاتل

130

قدامها ساعة من النهار فقال له الربيع ويلك يامذلول الشارب اطلب لنفسك النجاة والا تموت موت الفجاة فانها هى الذى ارمتنا فى هذه المحنه واحلت بنا النكبه اهرب والا قتلت قتل الكلاب وحل بك القتل والارتياب لان هذا معدى كرب الزبيدى له عند عنتر ثار من عهد خالد بن محارب لما سبى بنت عمه الجيدا واى من وقع فى يده منا ذبحه ذبح الجديان فعند ذلك هرب عمارة وشيعه وقلبه ملتهب على عبلة بالنار هذا ما جرى لمفرج بن هلال والربيع وعمارة واما ما كان من ظالم بن الحارث الذى كان اتى نجدة لبنى فزارة فانه لما رأى فعال هؤلاء القوم وهروبهم من بين يديه تعجب وقال ابلاكم الله بالعطب بين العرب لانكم لا تحمون حريم ولا تدفعون غريم ثم ان ظالم بعد كلامه فارقهم وطلب دياره وكان هذا الفارس الذى هربوا منه لم يقدروا على اذيته ووصولها اليه لانه جبار يعادل بقامته عاليات الاشجار واذا وقف فى الحرب يظهر على خصمه غاية الاظهار وثبات الشجاعة عنده اذا انعطف واذا ضم فخذيه على الجواد الجارى وقف واذا لطم خصمه اسقاه كأس التلف واذا لكم جنب الجاموس انخسف وما سمته العرب معدى كرب الا لطول قامته وعظم هامته لانه كان اذا ركب الجواد العالى يخط فى الارض بابهاميه (قال الراوى) وما كان له همة الا ركوب الخيل العلاة العتاق والطعن بالرماح الرقاق وضرب الاعناق بالسيوف الرقاق وكان يكبس الحلل والقبائل ويقطع الطرقات على القوافل ما ملك عليه وسيله ولا لبطل عليه حيله لانه شتت القبائل واخذ عشرها ومراعيها وقد حملت اليه الاموال من سائر البلاد قال ومما نقلته الرواة

من الاخبار انه ما خرج فى هذا الجيش الجرار وسار فى هذه الاقطار الا فى طلب عنتر ليأخذ منه بالثار لما سمع انه نازل فى جبال الروم ووادى الرمال وتلك السباسب ليأخذ منه ثار خالد بن محارب الذى قتله عنتر واحل به النوائب لما ذكر له عمه مالك الجيدا ابنت زاهر وقد ذكرنا لكم هذا الكلام ايها السادة الكرام لان الجيدا لما تخلصت عادت الى ديارها وواظبت الاحزان ليلها ونهارها وبقيت تندب ابن عمها خالد وترثيه بالاشعار لما حل بها من تلك المصايب (قال الراوى) وقد وصفنا فيما تقدم ما فى الجيدا من الفصاحه والقوة والبراعه وقد ذكرنا أن عنتر انه قدر عليها لما مضى اليها الى تلك البلاد الا بعد جهد جهيد وأمر قوى شديد وكانت الجيدا من شدة تبرانها قد لبست السواد وضربت لها بيتا من الشعر على قارعة الطريق وواظبت البكاء والتعداد وقد أقلقت ببكائها من كان بعيدا عنها أو جارها (قال الراوى) وكان معدى كرب اذا جلس على الشراب من كثرة صراخها والانتحاب يأخذه الاعجاب فينفذ اليها ويعاتبها على ذلك الامر المهول ويقول لها أما لهذا الحزن أن يزول فتقول له الجيدا لا وحق من لا يزول ولا يحول لا يزال حزنى يطول الا ان الحق يا ابن عمى المقتول فيقول لها معدى كرب والله انها أقبح القبائح والانكاد كيف يسير مثلى الى قتال عبد من عبيد بنى قراد واجعل دمه عديل دم خالد بن محارب ويحل بنا العار فى المشارق والمغارب وحق اللات والعزى انى اذا قتلت عوضا عن خالد ابن محارب الملك زهير بن خزيمة كنت أنا الخاسر فى هذه الغنيمة (قال الراوى) ثم ان معدى كرب لما اتفق معها على ذلك الوداد

جعل

جعل العيون والارصاد على عنتر بن شداد وبني قراد وسار يأخذ أخبارهم وعوّل على ذلك الشان حتى يسمع بحديث عنتر ومافعل مع بني شيبان وقد بلغه أنه نازل في جبال الردم غضبان (قال الراوى) فلما تحقق ذلك الخبر أدعى بالجيدا بين يديه واذا هى من لبس السواد كالغراب الاسحم وقد أسقمها البكاء والانتحاب وقد حلت بها النقم فقال لها يابنت العم ابشرى بقتل عنتر بن شداد وسائر بني قراد وسبي حريمهم والاولاد فقالت له الجيدا والله يا ابن العم ما أرضى بهذا ولا أقنع الا أن ارى ديار بني عبس خرابا ولكن اذا شربت دم عنتر شفى غليل قلبي والفؤاد ونقصت نار قلبي من الازدياد فأخبرني أي شيء الذى جرى من الامور وأكون على قاتل بعلى غيور فعند ذلك أخبرها بما وصل اليه من خبر عنتر وانه والله ياجيدا قد قام النعمان وكسرت طائفة بني شيبان وقد فعل هذا كله وهو في مائتى فارس من أنذال العربان فقالت له الجيدا يا ابن العم دع عنك الاغرار ولا تحتقر لا بالعبيد ولا بالاحرار لان السعادة اذا نزلت من السماء تركت أقل العبيد ملكا فاقبل مني وبادر هذه القصه واغتنم من عنتر هذه الفرصه ودعنا نأخذ منهم بالثار وتنكشف عن قلوبنا هذا العار قبل أن يسبقنا الى هلاكه الملك النعمان ونبقى نحن علينا العار مابقي الوقت والزمان (قال الراوى) فلما سمع معدى كرب من الجيدا هذا المقال فما أمكنه المخالفة فعند ذلك أمر بني زبيدة بالاستعداد ولبس الحديد وركوب الخيل الجياد والمهارى الشداد واختار منهم خمسة آلاف فارس من الفوارس الاجواد وقد عوّل وعزم على المسير من يومه الى جبال

الردم ووادي الرمال هو ومن قد صحبه من قومه الفرسان الابطال وقال للجيدا اقيمي أنت ها هنا حتى أسير أنا الى بنى عبس وأقطع منهم الاكباد والنفس وآتيك بعنتر بن شداد وأبلغك غاية المنا والمراد فقالت له الجيدا وحق اللات والعزى لاسرت الا بنفسي حتى انني أقاتلهم على فعالهم ولابدلي أن أسقي سناني من دمائهم وأذبح شيوخهم وشبانهم وفتيانهم وأسبي نسوانهم وأسوق عبيدهم وإماءهم وأنهب نوقهم وجمالهم ثم انها لما ان فرغت من ذلك التهديد خلعت عنها لباس السواد ولبست عدة الجلاد وسارت في أوائل الخيل وهي مقروحة الفؤاد على عنتر ابن شداد ثم انها انشدت تقول صلوا على طه الرسول

فني عمري وحزني غير فاني * وقل تجلدي ووهى جناني
وفيض الدمع قد قرح جفني * ونوحي بعد خالد قد جفاني
فوا أسفا على من كان يحمى * حمانا بالحسام الهندواني
فجعنا فيه عبد بني قراد * وساعده القضا والموت فاني
ولولا أن صروف الدهر غدرا * لما أعطى الفخار بنو الزماني
فسيروا يا بني الاعمام حربا * على أطلال عبس والمعاني
وسوقوا من نسائهم كل عذرا * بأطراف القنا سوق الهواني
فيا يعلى لهيبي غير طعن * بنير عجاج الحرب العواني
وضرب من ضيا البيض القواني * يعض له الشجاع على البناني

(قال الناقل) لهذا الكلام بعض الصلاة والسلام على من سلمت عليه الغزال وبعد ذلك سارت بنو زبيد وقد قويت عزيمتهم على لقا بني عبس الابيات وما زالوا يقطعون القفار في البر والفلوات حتى قاربوا وادي الرمل وتلك الربوات والتقوا بجيش

مفرج بن هلال وهو سائر بالحريم والاموال وهو فرحان بالخلاص من الاعتقال هو ومن معه من الرجال وهرب كما ذكرنا من بنى زبيد فارسها عمرو بن معدى كرب وطلب النجاه وكذلك أصحابه ورفقاه وقد دار بنو زبيد بالمال وقد فرحوا بوقوع هيبته فقال معدى كرب للعيدا انظرى يابنت العم الى هؤلاء الابطال وما حل بهم من الهرب والانغلال ولكن الذئب اذا شم رائحة الاسد الريبال يجرى على وجهه ويطلب البرارى الخوال وان هذا يابنت العم مال ما فيه تعب وهو أول بلوغ الارب ثم ان معدى كرب نظر الى مالك وولده عمرو وجماعة بنى قراد وهم مشدودون على الخيول فى الرباط والتشداد فتأملهم معدى كرب فعرفهم فعندها صاح وصرخ من شدة الفرح ونادى ياللعرب يابنى عمى ما أسعدها من طريق ثم سألهم عن حالهم وما حل بهم ونالهم وقال لهم ياويلكم كيف وقعتم فى يد مفرج بن هلال ونحن قد وصلنا الخبر أنه عند عبدكم عنتر فى الاعتقال وانه قد كسر بنى شيبان وقد احتوى على أموالهم وأولادهم والنسوان ونحن نرى مفرجا سائرا بالجميع وما نرى القصة الا عجيبة علينا وما رأينا أحدا من رجالكم غير أولاد زياد وهم عمارة والربيع الكياد وهذه قصة عجيبة ما وقعنا لها على باطن وهذا أمر ما يمكن فيه تهاون (قال الراوى) فلما تكلم معدى كرب بهذا الكلام قال له مالك والله يافتى ما كنا الا عزاز وكل هذه المصايب والاموال كنا نحن السبب فيها وفى أصلها وتلك الفعال تركنا الحق واتبعنا المحال وحق الملك المتعال اننا ما كنا الا أعز الخلق والرجال ثم انه حدث معدى كرب بحديث عنتر وفعاله معهم وما كان من أمرهم وأخبره كيف

رجع عنهم وخلاهم فى أمان من غير الزمان وانه قد سار الى الاسود أخى النعمان وقد أخبروا عنه أنه فى عشرين ألف عنان وكيف خلصوا مفرج بن هلال والقصة التى جرت من أولها الى آخرها (قال الراوى) فلما سمع معدى كرب هذا الكلام قال لعنك الله يا مالك على تلك الفعال وحق الملك المتعال لقد جازيتم عنترا باوشم الجزاء ياويلكم يابنى قراد أما علمتم ان عنتر بن شداد هو الذى ترك لكم ذكرا يذكر ماطلعت الشمس والقمر ولولاه لاندثرت دياركم فوالله لقد جازيتم الرجل بئس الجزا ولكن ماجرت هذه العجائب الا بسعادة الجيدا حتى تأخذ بثار ابن عمها خالد بن محارب قال مجد ثم ان معدى كرب أمر بجماعته أن يبطحوه على الارض فبطحوه بعد ان تواثبوا اليه العبيد وأمر عبدين جلدين أن ينزلوا عليه فعند ذلك شبحوه فى أربع سكك حديد وأتت له الجيدا بذكرى نورين فنزلوا بهما عليه ذلك العبدان ومازالا يضربانه حتى اوقعا لحمه عن عظمه وضربوه ضربا وجيعا وقد أهانوه وأهانوا بنى قراد الجميع وبعد ذلك قال معدى كرب للجيدا يابنت العم اعلمى ان مالكا هو الذى أنفذ عنترا الى ديارك حتى سباك وقتل ابن عمك خالدا وأراد هذا الشيخ السوء أن يجعلك خادمة لابنته فاشفى قلبك منه ومن ولده الى أن تصل الينا الاخبار وتبرد قلوبنا بتلك الفعال لان الذى كنا اليه سائرين قتال الملك الاسود ولكن يابنت العم نرجع الى ديارنا الى ان تصل الينا الاخبار واذا سمعنا أن بنى عبس أتت مع الاسود وان عنترا معه مأسور مقيد سرت أنا الى الملك النعمان واستوهبه منه وأحضره الى بين يديك وتفعلين به كلما تريدين وتقر

بذلك

بذلك عيناك (قال الراوى) فلما دار بينهم الكلام طلبوا منازلهم وعادوا راجعين وكان يجرى لبنى زبيد فى مسيرهم والجيد اتعذب مالك وولده عمرا وهما يقاسون منها الهم والبأس وهم عراة مكشفين الراس وهم يأكلون كفوفهم ندامة على مافعلوه من ذلك الامر (قال الراوى) فهذا ماجرى للجيد او معدى كرب وأما ما كان من المنهزمين من بنى عبس وشيبان فانهم وصلوا الى النعمان ولطموا على خدودهم وقد زادت أهوالهم وقد شكوا احوالهم اليه وأخبروه ان مقدمهم مفرج بن هلال ومن كان معه من الرجال قد وقعوا فى الاعتقال (قال الراوى) فلما سمع النعمان ذلك المقال نادى ياويلكم وفى كم التقا كم هذا الشيطان حتى فعل بكم تلك الفعال وأنتم قد سرتم فى عشرين ألف عنان فقالوا له أيها الملك المداعس قد التقانا فى دون المائتين فارس ثم انهم أخبروه بما كان منهم وما تم عليهم وما كان من الاحوال فقال وحق النور والنار ان هذا حديث يقطع الظهور ولكن اذا لم أدبر على قتل عنتر والا صارله علينا يد وصار لنا معه شغل شاغل ثم ان النعمان أمر ان ينزلوا هؤلاء المنهزمين فى أعز مكان ويزيدوا لهم فى الاكرام الى أن يصل أخى الملك الاسود يملك بنى عبس وأموالهم والنسوان وأنفذه بعد ذلك الى هذا الولد الزنا الوغد اللئيم يسوقه بين يدى سوق العبيد حتى أعذبه العذاب الشديد وبعد ذلك أضرب رقبته وأرميه للكلاب فى القفر والبيد (قال الراوى) وبعد ذلك بأيام وصل مفرج بن هلال بعد ان خلص من القيود والاغلال وأيضا سنان بن عبد العزى والربيع بن زياد وأخوه عمارة القواد ومافيهم من يظن فى نفسه انه نجى ولا رأى لعينه فرجا ثم انهم

دخلوا على الملك النعمان وهم على حالهم فى ثياب الذل والاحزان وما فيهم الامن أسال دمعه وبكا وأن واشتكا وشرح قصته فزاد بالنعمان الغيظ والغضب وتأوه وتكرب وفى عاجل الحال أمرهم بالجلوس وأوعدهم بكشف البؤس ثم استعاد الحديث على جاثيته من مفرج فشرح له ماصار وماجرى وكان وهروبهم من معدى كرب وكيف تركوا الحريم والعيال والاموال فعند ذلك تعجب النعمان من تلك الاحوال وقال والله يحق لهذا الحديث أن يكتب ويؤرخ بماء الذهب لما فيه من العجب ولما زاد بالنعمان الغيظ والحرد قال يا مفرج وفى كم سار عنتر الى أخى الاسود فقال والله ياسيدى انه سار فى دون المائتين فارس ولكنهم أبطال عوابس وقد زين لهم الشيطان وجه المحال (قال الراوى) فلما سمع الملك النعمان ذلك المقال أخذه الرعد والرجفان والدهشة والانذهال وقال والله ان هذا الشيطان مايفزع من الموت ولا يخطر له على بال فعند ذلك تقدم الربيع بن زياد الذى طبعه الفساد من دون بنى عبس وباس الارض وخدم وترجم وقال أيها الملك المطاع ادام الله عليك الانعام اعلم انما يجسر هذا العبد على ركوب الاهوال الاعشقه لعبلة بنت مالك بن قراد وهى الذى ترميه فى الامور الشداد وعشقه لها أورثه الجنون ومحبته لها هونت عليه شرب كاس المنون فعند ذلك قال عمارة المفروش الذقن السقيع الرقيع وحق اللات والعزى لقد صدقت فى الكلام ياربيع لان عبلة تورث الجنون مما أعطيت من الحسن والجمال البديع والقد والكمال والحسن الرفيع فعند ذلك عرف الربيع معنى كلام

عمارة وقد علم ان ذلك من كثرة عشقه لها وغرامه فهذا ما جرى بين الربيع وعماره وقد علاهم ما حل بهم الذل والخساره وأما الملك النعمان ومن حوله من الرجال والاقران فانهم أوقعتهم قلوبهم على مفرج بن هلال وعلى فرسان بني شيبان وما ذهب لهم من الاموال والحريم والنسوان فجعل يطيب قلب مفرج بن هلال ويوعده برد أمواله والحريم من غريمه وجعل يقول لمن حوله من الامراء والاصحاب والحجاب والله يا وجوه العرب الانجاب ما بقي لنا وجه نطلب منه الفرج وبلوغ الآمال الا قدوم أخي الاسود ومن معه من الابطال فانه ان أتى بجميع ما تريد ومعه أعداؤنا أسرى مربوطين في السلاسل والاغلال بلغنا منهم الآمال وان كسر عنتر بالمائتين فارس الذين قلتم عليهم سلمنا نحن الملك اليه وتنظر لنا بلادا نهرب اليها (قال الراوي) ثم ان الملك النعمان ما قال هذا المقال الا من شدة الغيظ الذي نزل عليه من تلك الاحوال وما جرى عليه من الهم والوبال (قال الراوي) وما جرى في أيام الجاهلية من القيل والقال ومن غارات بعضهم على بعض ورحيلهم ونزولهم في اتساع تلك الارض وبعد أيام قلائل وصلت الى الحيرة طائفة من بني جذام ولخم الذين انهزموا من قدام عنتر بن شداد في وادي الرخم وهم في حالة العدم مما قد اعتراهم من الجوع والعطش والعدم وما منهم من يلتفت الى وراه ولا يعلم ما دهاه على رفقاه وقد أتعب أكثرهم التعب والمهاري وهي التي تمشي بهم في هذه البراري (قال الراوي) ومما اتفق من هذا الامر الذي هو عجيب وغير سقيم كان النعمان في ذلك اليوم قد ركب في موكب عظيم من أرباب دولته وأكابر

مملكته وقد خرج من مدينته وجعل يسير الى مقاطع ارض النجف
لعل يجد بذلك سرورا وتحف فلما نظر الى ذلك ورأى غبار المنهزمين
تأن الى ان ظهر من تحته فرسان وهم منهزمون وقد تراموا بين يديه
ونعوا اليه أخاه الملك الاسود فلما نظرهم الملك النعمان اشتد به
الحرد وقد انعجم لسانه عن الخطاب وقال لهم ما حالكم وما الذى
دهاكم هل ظفر بكم عنتر بن شداد فقالوا أى وأبيك ظفر بنا
فقال وبأخيك الملك الاسود وما نعلم ماجرى بعد ما عليه من الانكاد
لهم النعمان يا أولاد الانذال نحن سمعنا ان عنتر اسار اليكم فى مائتى
فارس من الابطال وأنتم كنتم فى عشرين ألف عنان أقبال
فكيف ظفر بكم وفعل بكم هذه الفعال وكان معكم أخى الاسود
الذى اذا غضب ما يبقى على أحد ومثله فى التدبير لا يوجد فقالوا
وحق نعمتك التى بها علينا أنعمت قد كنا فى عشرين ألف
فارس كما ذكرت وزادت فينا طائفة أخرى مقدار خمسة آلاف
من بنى مره وكلنا وقعنا فى الخسران لاننا سرنا مع أخيك الى بنى
عبس وعدنان وأحطنا بهم من كل مكان وأنجزنا أمرهم
وأنزلنا بهم الهوان وأسرنا زهيرا ملكهم واولاده وأجناده وأخذنا
نساءهم وأولادهم والعيال ونهبنا مالهم من الاموال وعدنا
راجعين والى عيون الغضب معولين وفرحنا ونحن مستبشرين
وسرنا وقد أكثرنا من المال وقد جد بنا المسير ومازلنا سائرين
الى ان ضعينا من التعب ومافينا الامن أكل الزاد والطعام وامتلأ
فلما عطشنا قنا الى راويات الماء فرأيناها ناشفة فأيقنا يا مولاى
بالهلاك والبلاء وقد زاد بنا الظماء وحل بنا الانبهار وصارت
الارض كأنها شعلة نار فلما رآنا أخوك الملك الاسود وقد أشرفنا على

العطب أشاروا علينا أرباب دولته أن تنفذ بين يديه النهاب بالقرب فعندها أمر بذلك الشان فسارت قدامنا ما ئتا فارس على الخيل والمهارى من مقدمين العربان وساروا حتى انهم يحيون بالماء ويريحون الناس مما نالهم من الظماء وشدة البأس فكان عنتر يا ملك الزمان مالك الغدير وقاعد النا في الانتظار وقد اصطاد أصحابنا الكبير والصغير وقد عمل يا ملك عنتر أشياء ما أحد عملها في دار الدنيا ثم انهم عادوا عليه القصة من أولها الى آخرها وشرحوا باطنها وظاهرها وقالوا أيها الملك قد سمعنا ان أصل بلانا كله من أخيه شيبوب لانه أتانا في الليل وأبذل الماء وتركنا في حالة العدم والويل فعند ذلك ولهم الملك النعمان وهو يعض على أصابعه وقد عظمت فجائعه وأخو عاطب أم سالم والله يا ملك الزمان ما معنا خبر منه فارد النعمان كلاما لان لسانه انعجم عن الجواب ومازال كذلك الى آخر النهار حتى وصلت آخر المنهزمين وانقطع مدد الواصلين فأخبروه أن أخاه الملك الاسود سالم من القتل وقد أسره عنتر هو وخمسة آلاف فارس أجواد من بنى لخم وجذام وعلى بن بدر والباقى قد أهلكهم عنتر بالسيف يا ملك الزمان (قال الراوى) ثم انه كان الربيع بن زياد حاضرا ذلك المقال فكاد الغيظ أن يخنقه من فعال عنتر فعند ذلك أدار وجهه الى الملك النعمان وقال أيها الملك لا تأخذك فكرة من هذا العبد الولد الزنا الشيطان وأنت أمرك نافذ فى كل مكان اكتب الى سائر القبائل وهى تأتيك واقلع بها آثار بنى عبس فقال النعمان والله يا ربيع أنت الذى فقدت علينا بشؤمك بابا لا ينسد وأحوجتنا الى انخراق الهيبة مع هذا وضيعت حرمة الملك والسلطنة الى هذا الحد ولقد كنا

والله نحن ما بيننا وبين هذا الرجل معاملة ولامشا كلة وان هذا
يا ربيع باب أوشم الابواب وما أنت بعده الناس من الاصحاب ولا
من الاحباب ولقد رميتنا مع هذا الكلب ابن الكلاب فياليتك
ما كنت جئتنا ولا رأيناك وكنت قد استنجدت بغيرنا من قبائل
العربان على هذا الشيطان ابن ألف قرنان لانسا كنا منه
فى أمان لا نلتفت اليه ولا يلتفت الينا فأتيتنا وأرميتنا فى شره
وأبليتنا بذكره حتى وصلنا معه الى خرق الحجاب وكثيره الالتزام
ثم ان الملك النعمان بعد ذلك الكلام تنهد وتحسر وقد بدأ الا لام
وسكت ساعة من الزمان ثم كتب كتابا الى معدى كرب
يخبره بما كان من الاحكام ويعلمه بكسرة الملك الاسود وبنى لخم
وجذام ثم انه أمره بالقدوم اليه بجميع ما تحويه يده من الفرسان
ويقول له اطلق الحريم التى لبنى شيبان ورد على مفرج بن
هلال جميع ماله من الاموال لانه قد نهبه عنتر مرتين ولا ترك له
حالا من الاحوال فالله تعالى يلقيه على الرجال وأنا أرد عليك
أكثر ما أخذت من أموال وجمال ثم انه بعد ذلك أوصاه فى آخر
الكتاب بالحفظ على عبلة ومن معها ثم قال له وأنا أسألك لا تفرط
فى أحد منهم وأنا اعطيك اضعاف ما ذكرت اذا أصبح هذا العبد
هالكا وأريد منك ان تأتى على عجل ولا يأخذك تهاون ولا كسل
(قال الراوى) ولما فرغ النعمان من ذلك الكتاب أدعى بنجاب
وسلم اليه ذلك الكتاب وقال له خذ هذا وأوصله الى معدى كرب
وأتنى منه بالكتاب فأخذه النجاب وسار الى ان أوصله الى معدى
كرب فأخذه منه وقراه فتعجب ثم قال لله دره هذا العبد الذى قد أخذ
العروسة وحازها على كل الامم فوالله ليكون له حديث شائع

فى المشارق

في المشارق والمغارب ويظهر منه شيء كثير من العجائب لان هذا ما جرى لاحد قبله ولا بعده وان هذا لعجب واي عجب وانه يحير العجم والعرب وأنا ما كنت منقطعا عنه الا خيفة من العار لانه كان في الاول راعيا جمال وكان بازائه ذلا وشنار واليوم عاد فخار لانه أهلك جبابرة كثيرة وقد قاوم مثل الملك النعمان وكل من قهره في الميدان نال الفخر العظيم (قال الراوي) لهذا الكلام ثم ان معدي كرب بعد ذلك الكلام أرسل خلف الجيدا فحضرت فشاورها فيما يعمل من العمل ثم حدثها بحديث النعمان وقال لها الى أين تسير بن ومعك سائر بني شيبان الى عند الملك النعمان أسير أنا الى لقاء عنتر بن شداد في ثلاث آلاف فارس وآتي به هو والملك زهير وأسوقهم الى عند الملك النعمان في الذل والهوان واذا أنا فعلت هذه الفعال ما يرجع النعمان يخالف لي مقال فقالت الجيدا أنا ما أقدر أسير الى النعمان الا ومعي سائر بني قراد حتى لا أخاف عليهم العذاب فقال معدي كرب وهكذا أوصاني الملك النعمان في الكتاب ثم ان الجيدا اتهيئت ومن الغد سافرت في مائة فارس من قومها وساقت بني قراد قدامها وعمت طالبة العراق وكان من جملة الاسارى جرير وقد قاسى من العذاب أمر كثير وما قدر على خلاصه الا ذلك اليوم لانه التقى فرصة فأخذ في عرض البر وطلب جبال الردم وأما معدي كرب فانه بعد رحيل الجيدا أخذ يا سادات أخيار صلوا على صاحب الانوار ثلاثة آلاف فارس يضرب بهم المثل وسار بهم من غير مهل وأما عنتر فان اخاه جرير وصل اليه وأخبره عما كان من الاحوال فلما سمع عنتر قال الى الملك زهير وأعلمه بالخبر وكان الملك زهير لما وصل

الى الجبال ورأى الاما كان خوال فعاجلا أخبر عنتر وعلم أن يبقى لاجل هذا الحال مضير فقال ياملك ما أسفى الا على بنت عمى لانى أعلم أن عمى اذا وصل النعمان يزوج عبلة بعمارة فقال له شيبوب والله يا أخى كلما جرى هو من عمك مالك ومازال عنتر كذلك الى ان وصل اليه جرير وأخبره بالخبر وهو فى بكاء ونواح وأخبره كيف سارت اليه بنو زبيد وما لقيت عبلة من العذاب الشديد فقال الملك زهير وعلى ماذا عولت يا أبا الفوارس قال يا ملك على أن ألتقى معدى كرب بيدى واصطلى الحروب واذا وقع فى يدى طلبت منه عبلة وأعمامى والا ضربت رقبته وسرت الى الملك النعمان وخلصتهم منه بالسيف فقال له الملك زهير افعل يا أبا الفوارس ما تريد فاننا لك سامعين ومطيعين ثم ان عنترا أخذ أهبته للقاء فقال الملك زهير لقومه يابنى عمى اعلموا ان هذا الفارس القادم علينا هو فارس هذا الزمان فقال عنتر ياملك كن أنت مطمئن القلب من جهة هذا الفارس أنت وقومك ثم ان عنترا خرج من باب المضيق ليحرس قومه فى ظلام الليل وفى ثانى ليلة فعل كذلك وعند الصباح خرج بنو عبس فما وجدوه فقلق الملك زهير وتحير وقال ما أظنه الا سار وحده وان مسيره الى بنى زبيد ومعدى كرب مجازفة ومن الصواب أن نعينه على ما يلقاه ثم قال لولده مالك خذ معك ثلثمائة فارس وسر الى معونة عنتر فقال شداد والله يا ملك ان كان عنتر قد فعل هذه الفعال فما هو الا خطأ والصواب انا نساعده كما قلت فقال الملك زهير والله يا أمير شداد هذا ما فيه شك ولا عناد ولا سار ولدك الا لبنى زبيد فافعل أنت ما يا مالك ما قلت لك فامتثل من والده ذلك الرأى السداد وتم سائرا بالفرسان

137

وفى صحبته شداد وأخوه زخمة الجواد قال مجد فهذا الذى جرى
لمولاه من الامر والشان وأما ما كان من عنتر بن شداد فانه كان
قد اغتاظ من وصف الملك زهير لمعدى كرب صاحب المواقف
المشهورة فى العرب فقام اليه وحده وبذل نفسه معه ولومات
فى بلوغ قصده (قال الراوى) وكان معدى كرب الآخر قد
سار فى بنى زبيد فى رجاله كما ذكرنا وتم فى مسيره حتى قدم
على وادى الرمل وبقى بينه وبين الجبال يوم واحد فأحضر قومه
للمشورة وقال يابنى عمى أنا خائف لا يكون قد وصلت أخبارنا لبنى
عبس فيخافون منى ويتحصنون فى الجبال ويشرعون فى القتال
ويدرككم الملك النعمان ولا نبلغ آمال والصواب أن أسبقكم
أنا الى الجبال وأهجم على بنى عبس على غفلة والقى فيهم القتال فما
تصلون أنتم الا وقد انقضت الاشغال فقالوا نعم ما أشرت فأخذ
من قومه خمسين فارسا وسار من أول الليل وما سار حتى عبر
نصف الليل فسمع قدامه رجلا يسير فى الظلام وهو مجنب
الطريق فقال معدى كرب لبعض رجاله انظر من هذا الذى هو
سائر فتقدم الزبيدى وقال من أنت والى أين قاصد فقال يا مولاى
أنا من بنى زبيد وقد أنفذنى مولاى الى بنى عبس أشرف له على
أخبار عنتر بن شداد وها أنا قد عدت اليه ومعى طرف من الخبر
فقال له الزبيدى تكذب ياولد الزنا فها نحن بنو زبيد سائرون الى
بنى عبس ثم مد يده ليطعنه فضربه شيبوب بنبلة فى صدره مرقت
تلمع من ظهره فلما وقع الى الارض زعق معدى كرب وقال واحرباه
قتل والله صاحبنا دونكم وهذا الرجل أعدموه قواه قال مجد
فعندها طلبوه أربع فوارس فلما رآهم طلبوه ضرب آخر بنبلة

ارماه وأوسع في الفلاه فالحقوا له غبار ولا وقعوا له على آثار وماغاب الاساعة وعادوا خلفه فارس كأنه طود أو بعير حل من قود وهو ينادي يا اوغاد غير انجاد أنا عنتر بن شداد ثم انه انصب على الخيل انصباب السيل وكالهم بالسنان أوفى كيل فقتل منهم اثنين في طعنة و رمى الثالث والرابع رماه شيبوب بنبلة في فؤاده فكسه عن جواده والذي سلم عاد الى معدي كرب وهو ينادي بالويل والحرب فلما سمع معدي كرب بالحال أخذه الوجد والبلبال ثم حمل عنتر والتقاه وهو كأنه البحر اذا زخر وتقاتلا حتى جرت بينهم العبر وجرى الدم من أجسادهم على التراب ومازالا في قطاعنا الى ان بدا مفرق الصباح (قال الراوي) لهذه الاخبار صلوا على كامل الانوار فنزلا على وجه الارض وتعاركا عراكا قويا فذل معدي كرب واضمحل فنظر عنتر اليه ودموعه تجري على خديه فطمع فيه وشاله على يديه وضرب به الارض كاد أن يخلط طوله في العرض ومن شدة الوقعة انوهن وتقايا ماشرب من أمه من اللبن وشده كتاف وركب عنتر جواده بعدما شده على جواده بالعرض وكذلك فعل شيبوب بأسيره الذي رماه بالنبلة ثم قال عنتر عدبنا يا أخي الى الجبال حتى تبصر على أي شيء ينفصل الحال لان معدي كرب ان ما أطلق عبلة ومن معها والا أرميت رقبته ورقبة الاسود معه وأخلص أنا قومي بالحسام فلما سمع معدي كرب من عنتر ماقال قال يا أبا الفوارس ما يحتاج الى هذا التهديد والمقال فعبلة تأتيك وكل مامعها من الاموال وجميع أصحابك يخلصون من الاعتقال وأنا أيضا أرد قومي عنك وأكون لك عبدا من دون الرجال وأتخذك لي صديقا على ممر الايام والليال وربما

138

أتوسط لك فى الصلح مع الملك النعمان ويأتيك الامان من قبل أن يسير اليك بكل العربان فلما سمع عنتر من معدى كرب هذا أعرفه الهذيان قال له اسمع يا معدى كرب اعلم ان هذا الذى تقوله كلا يا قرنان وما انت اهدى منى اليه حتى تدوله وسوف يبلغك ما اصنع أنا بالنعمان لانى ما عاديته وبذلت سيفى فى الفرسان الا حتى أرفع عنى اسم العبودية ومرادى أعمل سلطان واعمل على ملك أنت وكل من عادانى يا قرنان (قال الراوى) فلما سمع معدى كرب جوابه انقطع عن خطابه وعلم انه جبار مكين وعرق لا يلين وما سار عنتر غير قليل فى البيدا حتى سمع حس صهيل خيل بنى زبيد قد طبقت البيدا وكانوا سائرين على عجل لانهم يريدون أن يلحقوا صاحبهم معدى كرب فلما سمع عنتر حس الخيل ورآهم قال لاخيه شيبوب ويلك يا ابن الام تقدم أنت باسيرك قدام حتى ارد أنا هذا الجيش الذى مثل الغمام تأملوا يا ذوى الافهام ولم يرض عنتر يقول لاخيه أرسل لى نجدة من بنى عبس حتى نلتقى بها هؤلاء الفوارس الذين رماحهم قد سدت منافس الشمس وان شيبوب سار بمعدى كرب والفارس الآخر وعنتر قد واجه القوم وصاح فيهم صياح منكر فجاوبته الفرسان بصياح آخر يحير الافكار لانهم رأوا القتلى الذين كانوا مع معدى كرب فحارت منهم الابصار وقد طمعوا فيه لوحدته فتجاوزت اليه الخيل وقالوا يا ابن الانذال أخبرنا من فعل باصحابنا هذه الفعال فعاد اليهم من غير كلام وخاض فيهم تحت القتام وترك رؤسهم تحت الاقدام ومازال يقاتل ويمارس حتى ارمى منهم الى الارض مائة فارس فلما رأوا ذلك ايقنوا بالعطب وصاحوا على بعضهم سدوا عليه الطرقات والا شتتكم فى الفلوات

فحملوا من كل جانب وضيقوا عليه السباسب فهو كذلك واذا بغبرة بني عبس قد ظهرت وهم ينادون بالعبس يا العدنان وشيبوب قدام الخيل لانه تعبان وكان قد التقاهم في الطريق وعرفهم انه ترك أخاه في غاية الضيق فساروا الى أن رأوه في هذا الامر المنكر وحملوا على الاعداء كأنهم الاساد فلما رأى بنو زبيد هذه الاهوال تفرقوا في جنبات البيد وقد تبعتهم بنو عبس الاماجيد وعادوا وقد بلغوا النصر والتأييد وكسبوا المال والانعام والتقى مالك بن زهير بعنتر فعانقه وجدد معه الوداد فشكره عنتر وأثنى عليه وقال والله يا أبا الفوارس لو لقينا قدامنا المهالك لاجلك لا كافيناك على فعالك معنا فشكره عنتر على ذلك الكلام ودخلوا الجبال وهم كلهم بالافراح ولما خلي قلب عنتر أحضر معدي كرب وقال له اكتب الآن كتابا الى النعمان وأفدي نفسك بعبلة ومن معها من النسوان وجميع ما لها من الاموال والا أسقيك كأس الوبال فعندها كتب معدي كرب الى النعمان كتابا يخبره بما كان (قال الراوي) لهذا الديوان صلوا على سيدنا محمد سيد ولد عدنان وكان الذي في الكتاب من معدي كرب للنعمان يقول الذي نعلم به الملك على العربان العزيز الشان أن الزمان ينقلب ويأتي بكل عجب ثم سأله أن يمن عليه بالمال ويخلصه من الاسر والوبال ثم كتب أيضا الى الجيد يقول الذي نعلم به بنت العم أن الدهر يأتي بكل عجب ولم يزل بأهله ينقلب والزمان غدار والعاقل لا يأمن اليه لا في الليل ولا في النهار ومن قال ان ما مثله في جميع الابطال فقد أخطأ في المقال وقد كنت جاهل ولا أقاس بعاقل لاني وقعت في يد فارس لا يبالي

بالموت

بالموت ثم ان معدى كرب شرح للجيدا فى الكتاب كلما عليه
من الاسباب ثم أوصاها أن تحسن لنسوان بنى قراد وان تكرم
عبلة كل الاكرام وأخاها عمرا وأباها مالك وتعتذرى اليهم فيما
فعلت معهم من العذاب ولا تدعى لهم من المال ولا عقال فما كون
طول عمرى عند عنتر فى العقال ثم سير الكتاب مع نجاب من
بنى عمه من جملة المأسورين وأوصاه بسرعة العودة فقال السمع
والطاعة وسار حتى وصل الحيرة فرأى القبائل حولها كالجراد
والملك النعمان يخلع على الفرسان الشداد وكانت الجيدا قد
أوصلت اليه وحدثته بالحديث ومسير معدى كرب اليه فقال
النعمان للفرسان والجيدا وحق النار ما كان مسير معدى كرب
الى هذا العبد صوابا واذا هم برسول معدى كرب قد وصل وأخبر
النعمان بحديث عنتر والذى جرى من الامور والشان فاشتغل
قلب الملك النعمان وهام وعاد فى بحر الافتكار والاوهام وجمع
وجوه قبيلته وقرأ عليهم الكتاب فلما سمعوا ما فيه من الخطاب
غابت عقولهم والالباب وتاهوا جميعا عن الصواب ثم سكت
الجميع عن رد الجواب فازداد غضبا النعمان وقال أنا لابد لى
ما أسير الا اليه بنفسى وهذه القبائل ولا أترك من بنى عبس
لا فارسا ولا راجل فقال له وزيره عمر بن نفيلة العدوى أيها
الملك العزيز الشان اذا أنت فعلت ذلك لم تبلغ مراد لانك اذا سرت
بهذا الجمع العباب ورأى أن ما له طاقة على لقاء هذه المواكب
والاعراب اخرج أخاك ومن معه من الاحباب ويقول لك
ارحل عنى بهذه الامم والا ضربت رقبة أخيك ومن معه من الانذال
الذين فى الاعتقال أيطيب على قلبك تبيع دم أخيك ومن معه

خمسة آلاف فارس من عشيرتك بدم عبد لا قدر له ولا قيمة ولا شان
فقال النعمان لا وحق النيران ولكن كيف يكون العمل
والتدبير فدبرنا برأيك أيها العزيز والاب الكبير فقال يا ملك قبل
كل شيء اهتم في خلاص الاسارى وافعل بعد ذلك ما تشاء والرأى
عندى ان ترد جواب لعنتر في كتاب وتقول له ان أردت أن
تفدى عبلة فاطلق أخى الاسود وجميع ما عندك من الاسارى وأنا
أطلق لك عبلة ومن معها والا ان أبيت أنفذ لك رأس عبلة وأصلب
كل من عندى واعلم يا ملك الزمان انك اذا طلبت من عنتر كل من
في الارض بعبلة أرسلهم اليك (قال الراوى) فلما سمع النعمان
ذلك رآه صواب وأمر أن يكتب لعنتر كتاب وان ينفذه من
ساعته مع نجاب ففعل الوزير تلك الاسباب وأنفذه مع نجاب
وأقام ينتظر الجواب وسار الرسول حتى وصل الى جبال الردم
فنعوه العبيد والابطال الذين رتبهم عنتر يحفظون باب الجبال
ثم دخل بعض العبيد الى عنتر وأعلمه بالحال (قال الراوى)
فأذن للرسول بالدخول بعد ما أقعد الملك زهير على سرير ملكه
ودارت به الفرسان من أقاربه وأهله ووقف عنتر يحجبه فعندها
دخل الرسول وسلم بقوة جنان وأرمى الكتاب الى زهير فقرأه
وأعاده على عنتر والحاضرين فقال عنتر أنا أطلق الجميع لكن على
شرط أن يرد على عبلة ذات الجمال وما كان عليها من المال
ولا يخلى من مالها ما عقال والا أكون محاربه طول الايام والليالى
فلما سمع الرسول هذا الخطاب عاد من وقته ودخل على الملك
النعمان وأعلمه بما جرى وكان وما الذى قال عنتر فارس الزمان
فلما سمع النعمان كلام الرسول قال له وزهير ما قال فقال يا سيدى

ومن

ومن هو زهير من الناس عند هذا الاسود الحجام والله لا زهير ولا غيره يقدر يرد له جواب ولا تظنون اليوم ان ملك بنى عبس الا عنتر بن شداد فقال النعمان أذل الله رقبته وأرغم أنف قبيلته ما أقل نخوته ولا بد لى ما أذل رقبته (قال الراوى) ثم أطلع وزيره على ذلك الحال وقال أيها الاب الكبير ماذا يكون الحال فقال له رد عليه عبلة وخلص أخاك ومن معه وبعد ذلك دبر على هلاكه (قال الراوى) فعندها أحضر النعمان مال عبلة بالتمام ولم يفقد له عقال حتى التاج والكم والعصابة والاكليل وسلمهم لها وأمر باطلاق بنى قراد كلهم من الاعتقال وقال لمالك ياشيخ تسلم ابنتك وها هى مالها عليها وهؤلاء قومك وسيروا عنا فعندها قال مالك أبو عبلة للربيع بن زياد بالله يا ربيع اتركونى هنا عندكم فى الاسر والعذاب الاكبر ولا أكون لكل يوم أصبح وأمسى بوجه ذلك العبد الاغبر فقال عمارة والله يا مالك كلنا كذلك ولا يلذ لنا عيش حتى نراه هالك فقال الربيع والله يا عمارة هذه الحسرة بها نموت وأنا كذلك يا ديوث ثم انهم ساروا مع الاموال والعيال حتى وصلوا الجبال (قال الراوى) لهذه الاقوال وخرج عنتر والملك زهير الى لقائهم وفرحت الاحباب بالاحباب وهنأ بعضهم البعض وسلم على عمه وهنأه بالسلامة فدعى له مالك وشكره على ذلك ثم قال والله يا ابن الاخ كل الذى جرى علينا من الربيع بن زياد وأخيه عمارة القواد لان الربيع قد لعب بعقل بعض العبيد فحلهم من الكتاف والحديد وعادوا علينا تحت الظلام وجرى علينا ما جرى مثله على أحد فعندها تبسم عنتر وأظهر الحلم والجلد وقال صدقت يا عم لان أخى جرير

أخبرني بذلك وسلامتك هي أحسن ثم انه أقبل على ابنة عمه عبلة وسلم عليها وقبلها بين عينيها وسألها عن حالها فقالت يا بن العم ماذهب منه حسبه واجده بهيبتك يا سيد الابطال ولا حسر النعمان يأخذ مني شيئا يساوي عقال فقال عنتر وحياة عينك لو أخذ لك شيئا يساوي حبة ضربت رقبة أخيه الاسود ثم أمر عنتر باطلاق الأسارى بعدما عراهم من الثياب الملاح وأخرجهم من الوادي حفاة عراة بأسوء حال فقال الاسود يا أبا الفوارس أما تخاف من غدرات الزمان اذا سيرتنا هكذا حفاة عراة لا شيء نركبه ولا زاد نأكله (قال الراوي) لهذا الديوان فقال عنتر أنا أعلم انكم تسيرون من هنا وتجمعون العربان وتعودون الى قتالي بكل من سكن القيعان وأنا أحق بخيلكم القاكم بها وأقاتلكم عليها اذا أتيتم الينا وأما المأكل والمشرب فقدامكم كثير لانكم تأكلون من نبات الارض وتشربون من غدرانها وأما نحن فقوم محصورون في هذا المكان وحق الى وحق ذمة العرب ما أردت اطلاقكم بل أردت ان أضرب رقابكم واقل ما كانت العرب تقول عني اني عبد ولد زنا وهذا تقولوه أنتم وغيركم ولواني أطلقتكم الف مرة وأحسنت اليكم الف كرة وكان الصواب قتلكم وراحة قلبي منكم وما على أكثر من اللوم فسيروا من قدامي بلا مهل واخرجوا من وجهي بالعجل ودعوا النعمان يأتي الي في أهل السهل والجبل فقال الملك الاسود لا يا أبا الفوارس لا تفعل بحق ذمة العرب فاني ما اقدر أمشي ولا فرسخ طريق فلا تشمت بي العدو والصديق فان لم تمن علي بشيء يحملني والا فاجذب حسامك واقتلني ومن هذه الحياة النكدة أرحني والا فارحني بفضلك

وارجع الى طيبة أملاك فقال عنتر لشيبوب يا ابن الام تصدق على هذا الفقير بما يركبه واخرجه من وجهى والا أعجل عطبه (قال الراوى) وما فعل عنتر تلك الفعال بخلا منه بالمال وانما أراد يوريه ان مال النعمان عنده قدر ولا قيمه هذا وشيبوب قد دخل الى الجبال وعاد بشيطنته وعبارته ونكادته وخرج وهو يقول خذ هذا العطاء واهرب لا يقتلك أخى عنتر فنظر الملك الاسود عبدا وقدامه جمل أعور بادى النابين مهدول الشفتين أعرج من يديه المقدمتين مخفس الجانبين لعابه ومخاطه يجرى على شفتيه كالمزرابين وخلفه ذلك العبد الذى جاء به شيبوب وهو عبد أصلع الرأس معرقص الحاجبين وله من خلف ومن قدام حدبتين يغزل من رجله الشمال وكله عيب وشين والعبد سائر وراء ذلك الجمل وهو يضرب أجنابه بالعصا ضربة يتأخر الى ورا العبد يحدى ويقول بعد الصلاة والسلام على الرسول

أنا الغلام الاغبر * والشرمنى يكثر
والخيل منى تنفر * لان فعلى أعور
فمن بنا يصبح * فانه ينـدر
واى جيش قد رأى * خيالنا ينكسر
فى يومه أوفى غد * وقيمة انك ثلاث يقبر

قال الاصمعى هذا والعبد يلعلع وكلما وقف الجمل ضربه على أجنابه بعصاه الى عند الملك الاسود وقد أتى شيبوب ومعه ناقة ضعيفة جرباء عوراء لا يزال لعابها على خطامها بعنق رقيق مرخية الآذان بارزة الاسنان مكوية على أجنابها فوراء زريبة الجمال نظرها يقرف الكلاب تحود على الطريق

وتقصد الروابي والمضيق رعاها مزعج وصياحها مدهش لا تصلح
لحاجة ولا تسوى دجاجة وما أتى بها شيبوب الا لمهمة وشيطنة
ولجاجة وقال شيبوب هذه الناقة اركب بها وهذا العبد يخدمك
وشيلوا زادكم على هذا الجمل وعد الى ديارك والا عجل أخي بوارك
(قال الراوي) فلما نظر الاسود الى ذلك الجمل والناقة هانت
نفسه عليه وهان هلاكه عنده وحلف لا يركب الناقة ولا يتبعه
هذا العبد ولو مات فى الطريق فقال له شيبوب الحمد لله يا هذا
لا يراك أخي أو يعلم انك رديت عطاه فيتلف مهجتك (قال
الراوي) فخرج الاسود من الجبال وهو كثير الخجل وسار
يقطع البر والفلوات ثم ان عنترا بعد ذلك أدعى بمعدي كرب فجز
ناصيته وأطلقه وقال له أنا ما فعلت بك هذه الفعال الا لاجل
ما فعلت الجيدا ابنت عمي عبلة وتركتها عندها في الاعتقال فعند
ذلك خرج معدي كرب وهو في أسوء حال وسار الجميع وهم
يذمون الزمان والاسود يقول وحق النار ان ضرب الرقاب أخير لنا
من هذه الاسباب وما زالوا كذلك ليلا ونهارا حتى وصلوا الحيرة
ورآوهم العربان الذين اجتمعوا في ذلك المكان ونظروا اليهم
وهم عرايا بسوء حال فأخذهم من ذلك الاندهال ووصل الخبر الى
النعمان فجرى عليه ماجرى على انسان وخرج لملقاء أخيه
فرآهم النعمان وهم عراة حفاة مكشفين الرؤس بأسوء حال فأخذه
الاندهال وأفاض على أخيه من الخلع والاثواب واستعاد منه
ماجرى من الحال فحدثه بما جرى له في الاعتقال فزاد به الغيظ
وقد حلف وشدد في الايمان أنه لا يبقى من بني عبس لا صغير
ولا كبير (قال الراوي) وكان النعمان قد قال هذا المقال

من شدة غيظه الذى قد ملأ فؤاده ولما ان تكلم بهذا الكلام تقدم اليه جابا بن عامر وباس الارض بين يديه وقال أيها الملك أدام الله عزك ومجدك أى شىء المقال الذى يعود علينا وبال كيف تسير بنفسك الى عبد أسود وأنت عندك من ينوب عنك وأنا أسير اليه فى مائة فارس وأصرم لك عمره وآتيك برأسه ورؤس قومه وأسوق اليك نساءهم وبناتهم سوق الاماء وأبلغك منهم غاية المنا وأنا الضامن ذلك الضمان صاحى غير سكران أوريك ما تعجز عنه ملوك الزمان وجبابرة الفرسان فقال النعمان لا وحق بيوت النيران لا قبلت ذلك ولا أسير الا بنفسى وكل من فعل شيأ قدامى شكرته وأفوض عليه انعامى وأكرمته لانى أعلم ان الملك كسرى قد سمع طرفا من هذه القصة وربما ينقل أمرنا العرب يسرى فهيؤا أنتم أشغالكم فى هذه الخمسة ايام حتى نسير كلنا (قال الراوى) فعندها تصرفت الابطال وأخذت فى اصلاح الحال وبعد ذلك رجع جابر وهو يقول لسادات قومه من بنى كندة يا وجوه العرب لقد دخل قلب النعمان من هذا العبد فزع عظيم ولولا خوفى من معصيته والخروج عن طاعته لكنت سرت وحدى وقضيت هذه الاشغال (قال الراوى) وكان الملك كسرى قد جعل له على النعمان عيونا من خواصه وأصحابه من أجل الاخبار وكلما جرى أمر من الامور أطلعوه عليه وكان عنتر أول ما نزل بجبال الردم ووادى الرمل وسبى بنى شيبان وفعل بهم تلك الفعال وأسر مفرج بن هلال فانفذوا الى كسرى وأعلموه ولما ظفر عنتر بالملك الاسود والحديث الذى تقدم كتبوا بذلك بطائق وأرسلوها اليه فلما سمع كسرى بتواتر تلك الاخبار عظم عليه وقال

كسرى فهذا العبد الاسود المشؤوم الا كما قد فعل في النوبة الاولى ما فعل لما أتى يطلب مهر بنت عمه عبلة ووقع في أسر المنذر أبي النعمان وقتل حاجبي الخصروان وقتل جماعة من الفرسان الذين في أرض خراسان وقبلت فيه سؤال الوزير الموبدان وجازيناه بالاحسان لاجل قتله للبهلوان الذي قدم علينا من انطاكية وعطيناه التاج والعصابة وحكمناه في بيوت الاموال وأعدناه الى قومه بنعمة لا يقدر عليها الاملاك من ملوك الزمان ثم قلنا انه يكون لنا ولنا من الانصار فعاد العبد الزنيم الى خساسة أصله وغره الطمع غاية الاغرار لاجل عدلنا ونظرنا اليه بعين الاحتقار والآن فما بقي في الامر الا قتله وهلاك قومه والا طمعت فينا العربان ولابد لي أن انفذ بعض حجابي في طائفة من الفرس لاجل اقامة الهيبة والا عظمت النوبة ثم أمر وزيره فخرج اليه من يومه في خمسة آلاف من عساكر خراسان وقدم عليهم حاجب جليل المقدار يقال وردشان وكان رجل جبار خبير بالحروب والكفاح وقال له الموبدان يا وردشان لا تتكل على قتال العرب ولا تدبير النعمان بل كن أنت في المقدمة واحذر أن تجعل الذكر الا للعجم حتى تنال من الملك النعم فقال الحاجب أيها الاب المعظم وحق النار اذا ضرمت لا عدت الا حتى أهدم البيت وأهدّ حجارة الحرم وأهجج العرب من أرض الحجاز الى الروابي والاكم وأذبح الابطال ذبح الغنم ولا أدع في الارض من يسجد لصنم وصار يجد المسير الى أرض النجف ورأى ما قد اجتمع حول الحيرة من العرب وكان النعمان قد عول ذلك اليوم على الرحيل الى قتال عنتر وقد أعرض العرب فرآها ثلاثين ألف لان بني فزارة وصلت اليه مع الشيخ

1143

بدر بن عمرو وسائر اخوته وحذيفة وباقي بني زياد ومن يتعلق بهم الان الملك النعمان لما علم بقدوم حاجب كسرى ركب الى لقاه وعظم قدره عند ملتقاه وقال أيها السيد ما الذى أزعج قلب ملك الزمان حتى حرك للسير مثلك يا حاجب وردشان (قال الراوى) لهذا ابو الدان فقال له وردشان يا نعمان تواترت الاخبار بعجزك عن قتال عبد أسود كشهان فأنفذني الى كشف الضر عنك وعن العربان وأسوق اليه هذا العبد الاسود المنهان فقال النعمان وقد صعب عليه ذلك الامر والشان اعلم أيها الحاجب وحق النار والمعبد الاكبر لقد كذب الذى قال هذا المقال وذكرني بالعجز عند الملك العادل وانما جمعت هذه القبائل وكنت أنا اليه سائر (قال الراوى) فضحك الحاجب وقال يا ملك العرب هذا من عجزك تسير بثلاثين ألف فارس وتقلي هذا العبد لك مقايس (قال الراوى) فسكت النعمان ثم أمرهم ذلك الحاجب بالمسير وسار في المقدمة ولم يلتفت الى أحد من العرب ورحل بعده جبار في بني كندة قال أبو عبيدة يا أخيار صلوا على النبي المختار وقد انضافت اليهم بنو فزارة وتتابعت بعده قبائل العربان وقد اسودت الدنيا من كثرة الغبار وكان عنتر قد أنفذ اخاه جريرا حين أطلق الملك الاسود وبني لخم ومعدي كرب وقال له يا جرير لا تعود الا أن تراهم رحلوا اليه فصار جرير وهو في زى العبيد وما برح حتى وصل وردشان وجرى من الحديث ما تقدم ذكره ورحل مع القوم أول يوم والثاني فارقهم وصار يقطع البر والقفار حتى وصل الى جبال الردم ودخل على أخيه وهو يرعد من هول ما رأى وحدث أخيه عنتر بالذى جرى فتبسم عنتر وقال اسكت يا جرير تعظم القصة

فوحق ذمة العرب لاتركت أحدا منهم على طريق ولو كانوا فى عدد رمل العقيق ثم انه أخذ معه أباه شداد وعمه زخمة الجواد وعروة ابن الورد ودخل على الملك زهير وأخبره بما سمع فشاوره زهير اعنتر فى أمر القتال فقال عنتر ياملك أى شىء مالنا مشورة الا الضرب بالسيوف الصقال ونحمى هذه الجبال حتى تلعب بروسنا الخيل ثم قال عنتر اعلم ياملك الزمان ان الامر أعظم من هذا واقرب وانت وأولادك ماتباشر واقتال ولا حرب ولاتزال حتى تروا الاعداء تهيؤا جسرى على روس الرماح العوال وأنا قد رأيت من الرأى ان آخذ معى ألف فارس وأسير الى لقاء هذا الجيش العرمرم فقال شيبوب يا أخى أنا أسير معكم بشرط أن تسمع منى ما أقول فقال يا أخى قل مابدالك فما فينا من يخالف مقالك فقال تسير فى هذه الالف فارس وأنا اسير بكم الى وادى السيل الذى لابد للقوم من العبور فيه واخفيكم فى جنباته حتى اذا وصل العساكر وازدحمت فى جنباته فاخرجوا وازعقوا عليهم وقد حصلوا فى ضيق المكان ويتبدل خوفهم بعد الامان وربما عادوا على الاعقاب وداس بعضهم بعضا فى طلب الهرب والذهاب فقال عنتر والله لقد أشرت بغاية الصواب واحسنت فى هذا الحساب قال فعندها انتخب عنتر الرجال وكان قد صار عنده فى الجبال ثلاث آلاف وخمسمائة فارس ولما انتخب عنتر الابطال أوصاهم بحفظ الحريم والعيال وسار من يومه فى ألف فارس كلهم شجعان (قال الراوى) وكان هذا وادى السيل أقرب الى جبال الردم من الحيرة بيوم وسبق عنتر ومكن فيه برجاله وأبطاله وطلع شيبوب الى أعلا الجبال وقعد لهم

ديدبان

دیدبان يرصد الاخبار وهو مختفى بين الصخور الكبار ويتأمل الاقطار يميناً وشمالاً وكانوا قد سبقوا النعمان بنصف نهار وأخذوا راحة حتى لبست الشمس حلة الاصفرار وعند المساء طلع عليهم غبار حتى سد الاقطار (قال الراوي) فعندها صاح شيبوب وقال تأهب يا ابن الام للحرب والقتال فها قد أتاك العسكر والابطال وكان النعمان سائراً فى آخر العسكر وهو مذل بنفسه منكسر القلب من كلام الحاجب الذى لكسرى وانه لما قارب الوادى نزل بالعربان قريباً منه خوفاً من زحمة المضيق وتمت الاعجام سائرة وهى نازلة الوادى متقاطرة وفى المقدمة وردشان وكان هذا الحاجب من شدة عجبه بنفسه قد صار فى المقدمة وقد عقد سباله خلف اذنه وهو حنق القلب على العرب يقول انه يهلكهم ويحل بهم العطب وهو لا يصدق انه يرى عنتر وذلك جبار بن عامر الآخر وقد تبعته بنو فزارة وأيضاً بنو زياد وكلهم يبغضون عنتر بن شداد الا انهم ما دخلوا شعاب الوادى حتى أقبل الظلام واتفق انها كانت ليلة مظلمة سوداء معتمة فعادة عليهم الرياح وقامت الرماح فى وجوههم من اليمين والشمال وتكدرت الروابى والتلال واختلطت فرسان العجم بالعرب وازدحم (قال الراوى) لهذه الاخبار فعندها صرخ عنتر فى أصحابه فارتجت الجنبات وأجابته بنى عبس بتلك الاصوات وما فيهم الا من ضرب فارس أو رماه هذا وعنتر ينادى أين تأخذون يا كلاب يا أوغاد غير اجسادها انا عنتر بن شداد فارتاعت لهول صرخته الاجساد وارتعدت الاعضاء من زعقاته الشداد وقد تغيرت الالوان من هيبته وظنت العجم ان الوادى عليهم قد

انطبق وعاينوا ملاك الموت فى المكان الذى خرج منه عنتر وزعق فوقع بالجيش الرجفان وكادت روحه ان تتعلق وكادت الرجال أن تقع فزعا وفرق وأخذهم السيف فى ظلام الفسق ولم يعرف الاصدقاء من الاعداء وسالت الدماء من وادى السيل وتلك الجنائب وفاض فيضان السحائب والخلق مزدحمة والدم شبه السيل اذا همى ولا بقى يعرف الانسان روحه فى الارض أم فى السماء ونادى جبار فى بنى كندة يا ويلكم دونكم والموضع الذى نزلنا منه والا رحنا غلط وفرط فبنا الفرط واقد كان الصواب مع النعمان ثم عاد فى طائفة بنى كندة وترك الباقين بالاعاجم مختلطة وكان عنتر قد فعل تلك الفعلة وقتل من قتل وطلب رأس الوادى والجبل وانسل باصحابه من المعمعة وخرج بالعجل ومعه عروة البطل قال المؤلف لهذا القيل والقال وكانت ايضا معه جماعة من بنى قراد وساروا كل من وصل الى باب المضيق وطلب النجاة صاح فيه وأخذوه أسير وان كان هو مستيقظ تركه عفير فبينما هو كذلك وجبار بن عامر قد طلع والسيف فى يمينه يلمع وجواده من تحته يتعثر وقد ظن انه نجى أو رأى من الموت فرجا وماء والاثم المهرى حتى ضرب شيبوب جواده بنبلة فوقعت فى نحره ووقع من على ظهره جبار فهم ان يثور فأدركه شيبوب أخذه أسير وشده كتاف وطلعت من بعده بنو زياد الاوغاد فأخذ منهم عنتر ثلاثين من بنى بدر ولحجى الربيع وعمارة عند اشتغاله ببنى فزارة وما كان عنتر عرف منهم أحدا والا ما كان الربيع لحجى ولا عمارة رأى له فرجا ولم يزل القتال يعمل الى نصف الليل ولعبت بحوافر الخيل جماجم القتلا وباتت الاعاجم خاسره بين طوائف العرب وهى

مثل

مثل البحار الزاخره وطلع وردشان من المضيق وحوله جماعة من فرسان خراسان وهو يهز في يمينه العامود ويهدرهدير الاسود وكان قتل خمس فوارس من بني عبس وجماعة كثيرين من بني كندة فابصر أصحابه وقد وقع فيهم الفناء فأخذ خواصه ونجى وماهو الا أن ظهر من تلك الشعاب حتى انقض عنتر عليه مثل العقاب وعارضه ولم يعرفه بل طعنه في جانبه الايمن أقلبه وعجل عطبه فرأت أصحابه ما أصابه فهزوا الحراب الى نحو بني قراد فجرحوا عشرة أبطال وقد قتلوا ثلاثة ودفعوا الخيل وهجموا على وجوههم وتتابعت بعدهم المنهزمين وقد انجلى عنهم وبان الضوء وجعلوا يطلعون من باب الجبل وهم كتائب وكراديس وطلائب وعنتر واقف على رأس المضيق كل من وصل اليه زعق فيه وقد انذهل فيرمى عنه العدة وينهزم وهو مخبل وشيبوب يرمى فيهم بالنبال والرجال تطعن فيهم بالرماح الطوال والارواح تهرب من الاجساد والدموع تجرى على مفارقة الحريم والاولاد حتى ان الهارب اذا رأى شبحا قال هذا عنتر بن شداد ولما انجلى الصباح قل العدد وانقطع المدد وعاد عنتر ورجاله الى الوادى فرآه يسيل بالدما ويضج من أنين القتلا وما فيه الا رجل مجروح أو جسد بلا روح فقال عنتر لاصحابه خذوا أنتم هذه الاموال والرجال وسوقوا الاسارى في الجبال (قال الراوى) المؤلف لهذه الاقوال كانت هذه ليلة تعد بليال وتحسب بسنين طوال وكان عنتر فيها فحلا من الفحول الثقال ورجاله قد أشفوا الغليل وأرموا الفرسان بالويل والنكال وكانوا قد أسروا من الفرس ثلاثمائة فارس من عرب وعجم فشدوا الجميع مع حذيفة بن بدر ثم عادوا وهم

طالبين جبال الردم ووادى الرمال وسار واو عنتر فى المقدمة والجيش بين يديه وخلفه والى جانبه عروة وعنتر متفكر فيما عليه فى وادى السيل مع هؤلاء الجيوش والعشائر وقد أخرج يده من جلباب درعه وقد اشار الى عروة يخاطبه بالشعر يقول هذه الابيات صلوا على صاحب المعجزات

حي يا عروة وادى السيل حى * حيه مادمت يا ابن العم حيا
كم غلام شاب فى ايلة * رأسه بعد ما كان صبيا
كم شجاع قد رأى ماهاله * وتمنى أن يرى الصبح مضيا
فسقاه الموت كأسا علقما * من حسامى ثم ناداه عتيا
يالها من ليلة قضيتها * برجال يبصرون الموت غيا
من بنى عبس اذا ما تبدوا * أهبطت انسابهم سعدوطيا
ولهم خيل اذا ما ركضت * عاد صوت الرعد للركض خفيا
سائلى يا عبل عنى واسمعى * خبرا يشفى الداء الدويا
سقيت من أعداك لما أن أتوا * يطلبونى كل جبار عتيا
ومزجت الماء بالسيف دما * فجرى كالسيل فى الوادى طريا
خبروا النعمان أنى أسد * غابي رمح أصم سمهريا
من دما الابطال شربى كلما * شربت فرسانها كأس الحميا
عندى بالانصاف فى يوم اللقا * واذا خانوا العدا كنت وفيا
لا أبالى أن تلاحى بالقضا * لا ولا أندب البين يوما شيا
أشبع الاطيار من أجسادهم * بقناتى ثم رعى السمهريا
وأنا من خير عبس منصبا * وبهم أفخر ولو صبيا
(قال الراوى) لهذا النظام بعد ألف ألف صلاة على المظلل بالغمام هذا الذى جرى لبنى عبس وعدنان وأما ما كان من

الملك النعمان وماتم له من الشان فانه كان قد نزل بالقرب من الوادى الذى ذكرناه وهو حاسب مثل هذا الحساب فوصل اليه أول المنهزمين فى الليل وهم يدعون بالويل والثبور وأخبروهم بما فعل عنتر وأنه قد قطع منهم الاثر فعندها هاج العسكر وعوّل أكثرهم على الهرب والذهاب هذا وقد ركب النعمان وقال للعرب ياويلكم تقدموا الى رأس الوادى ولا تتركوا أحدا من المنهزمين يختلط بنا فى هذا الليل الهادى والا وقع فينا السيف فتقدمت فرسان بنى لخم وصارت تستقبل المنهزمين من العجم وتردها الى الفضاء وأما العرب فانها ركبت واعتدت واقامت تنتظر المدد الى ان أصبح الصباح وعرف خصمه بحقيقة النظر وحدثوا النعمان بما فعل عنتر فاشتغل قلبه غاية الاشتغال وتعجب من تلك الفعال وأقبل أخوه الاسود ومعدى كرب فى آخر العسكر وسارت بعد القبائل تقطع ذلك البر ما قطعت ذلك الوادى الاقفر الذى فعل فيه خلاصه عنتر ومازالوا سائرين الى ان أشرفوا على جبال الردم ضحى نهار وكان عنتر وصل اليها قبل انشقاق الفجر وشد الاسارى وقال لاخيه نادى فى العسكر يأخذوا الاهبة والعبيد يستعدون بالحجارة الكبار فعند ذلك نادى جرير فى الابطال وأعلمهم بذلك المقال وأخبرهم بالحال فاعتدوا للقتال وتأهب الابطال قال المؤلف لهذه الاقوال صلوا على من سلمت عليه الغزال وقد ركبوا الخيل الجياد وطلعت العبيد تحفظ جوانب المضيق بالقسى والنبال وقد شالوا معهم الحجارة والصخور الكبار وخرج الملك زهير واولاده وتقدم موكب بنى قراد وفى أوائلهم عنتر بن شداد الذكى الوداد وما فرغ من هذا الترتيب حتى

أشرف عليهم النعمان وعلى رأسه علم ذهب من اعلام كسرى ولما قارب النزول دقت الطبول واهتزت الارض عرضا وطول وازدحمت البيارق السود والاعلام والبنود والبازات الذهب السلطانيه ودقت الكاسات الكسرويه ومدت سرادقات النعمان مقابل باب الوادى وعليت قبابه ونزل مفرج بن هلال وطائفة من بنى شيبان عن يمينه مع الربيع بن زياد وبنى فزارة ونزل معدى كرب فى بنى زبيد ومراد عن يساره ولما هدأت الطوائف أبصرت بنو عبس قلة عددهم فقلوا فى أعينهم ونظروا عنتر ابين أيديهم وقد أخرج يده من جلباب درعه وهو واقف بين العسكر القادم فلما رأته بنو كندة زادت أحقادهم وقد تقدموا اليه وتبعتهم بنو شيبان أصحاب الضرب والطعان وطلبوه من الاجانب وأخذوا معه فى الطعان والطراد قال المؤلف لهذا الايراد بعد الصلاة والسلام على خير العباد ولما طلع ذلك الغبار وانعقد وكثر على ابطال عروة العدد فأدركهم عنتر بالمائة فارس الأخر فتصادمت الخيل الجياد وصار الصلاح فساد هذا وعنتر يسير من خلف رجاله ويجر رمحه من وراء ظهره وينظر ميامنهم ومياسرهم وهو كلما رأى جانبا منهم تضعضع وكثر عليه العدد فيصل كالجبل اذا شردوا الاسد القوى اليد ثم قال لابد أن أمحو هذا الاسم ولم يزل ينثر الرجال بطعناته وضرباته والمواكب تتعجب من قتاله واهتمامه ونقماته حتى عبر نصف النهار وتضعضعت بنى كندة ووقع بها الانبهار وطلب أكثرهم الهرب والفرار وقد كسرها عنتر بهيبته وعروة بهمته وهو فى مائتين فارس وكانوا هم فى الفين فارس وغادوا وقد قتل بين

رجاله

رجاله عشرون من الاعداء قتل سبعمائة بطل وعند عودتهم تلقاهم عنتر وهنأهم بالسلامة وصار يشجعهم ويقول والله يابني عمي ماتعلون المنازل الا بالصبر على النوازل ومن لم يصبر على النوائب لم ينل أعلا المراتب وطمعوا فيه الغرباء والاقارب فقال عروة بن الورد والله ياأبا الفوارس ماكسرنا هذا اليوم الا بهمتك وحسن فعالك وقتالك وعلو همتك ولاتمت لنا هذه الفعال الا بكونك خلف ظهرنا فشكره عنتر وأما الملك النعمان فانه نزل في السرادقات وهو متعجب بمسير تلك القبائل الى فارس واحد ولماجرى في القضية ماجرى وأخبروه أكابر دولته بفعال عنتر وأصحابه وكيف كسر بني كندة في مائتين فارس فقال هذا الرجل قد جعل الحرب دأبه والضرب والطعن شرابه ثم أخذ الراحة الى ثاني يوم ثم أمر النقباء بترتيب الصفوف ثم ان عنترهم يبتدر النعمان بحملته ويدهمه بصولته ويبلغ بالقصد منيته وأسره في الميدان بحملته واذا بالجيدا بنت زاهر قد اقبلت في طائفة من بني زبيد وهي مقبلة كالبرج المشيد مسربلة بالحديد وفي يدها قناة خطية وعليها لباس بالسواد وهي مقروحة الفؤاد بعلامة الحزن على ابن عمها وبعلها خالد بن محارب الذان قتلاعنتر قال المؤلف واذا الجيدا لماصارت بين الصفوف ورمقها الطائفتان فصرخت وولولت وبكت وتحسرت وبدمع عينها اشترقت وأنشدت تقول صلوا على طه الرسول

يالقومي قد قرح الدمع خدي * وجفاني الرقاد من عظم وجدي
ولباس السواد قد هد حيلي * وبرى السقام عظمي وجلدي

كان لى فارس سقاه المنايا * عبد عبس بجوره والتعدى
بدر تم هـــوى الارض لما * رشقته الحمام من كف عبدى
وتركنى من بعد كثرة جندى * ورجالى أكابد الهم وحدى
ياقتيلا بكت عليه البواكى * فى جبال الفلا وفى أرض نجدى
وبكاه الحسام لما تولى * وشكا من مقامه فى الغمدى
كان مثل القضيب قدا ولكن * قده صرف دهـــر قدى
ياقومى من يكشف العار عنى * ويراعى من بعد خالد عهدى

(قال الراوى) فوالله ماوصلت الجيدا الى تلك الابيات حتى صاحت عن بكرة أبيها بالاموات يالثارات خالد وحملت بنوازياد وقد أطلقت الاعنه وقومت الاسنه وصارلهم ضجة ورنه وقد جردوا السيوف وهم يضجون فلما رأى الملك زهير ذلك الحال عاد فى باقى الابطال وقد حمل بنفسه يطلب القتال وقد عملت الرماح الطوال وطارت رقاب الرجال ووقعت الرؤس من الاعناق وقام الحرب على قدم وساق ووقع بهم الخوف والعدم لما سمعوا بأن عنتر ادهمهم وطلبوه بالقنا والقواضب وداروا به من كل جانب وقد كشفوا رؤسهم وزمجروا بالحملة عليه وقد خففوا ملبوسهم وكانوا سبعة آلاف بطل همام وليث قمقام ويتبعهم ألفين فارس من بنى لخم وجذام وأيضا جماعة من العرب من فرسان الملك النعمان وبين ايديهم معدى كرب يدمدم كما يدمدم الاسد الضرغام (قال الراوى) ونظر عنتر الى حالتهم فعلم أنهم لا يريدون غيره لاجل مافى قلوبهم من الاحقاد والكياد فالتقاه بنفسه وأخذ معه عروة بن الورد ورجاله وثلاثمائة فارس من أبطال بنى عبس واستقبل رماحهم استقبالا كما تستقبل

الارض العطشانة قطر الغمام وسار يسحبها على رواق درقته بصناعته والذى يدهمه أو يناجيه من الانام يبرى أعلاه بالحسام وهو يفترسهم بهمته افتراس الاسود للاغنام وقد ملأ الصحراء من قتلاهم والآكام وله صوت ودمدمه كأنها دمدمة لرعد فى الغمام ولم يزل على ذلك الحال والاحكام الى ان كسر كل هؤلاء وبدد منهم جماعة من الفرسان وملأ بقتلاهم الميدان (قال الراوى) وابصر الجيدا وهى تحرض الرجال وتدلهم بندائها فطلبها عنتر وقاربها وزعق فيها فأرعبها وطعنها بعقب الرمح أقلبها وكسر لها ثلاث مواضع من جانبها (قال الراوى) فلما رأى ذلك معدى كرب نادى لعنتر شلت يداك يا ابن الامة والخنا أتظن ان الايام لك كل يوم بالسعادة تدوم فأبشر فهذا اليوم عليك مشؤم ثم حمل وأراد أن يطعن عنترا فما أمهله أبو الفوارس وقال خذ ذلك حرزا ثم طعنه طعنة الحنق وضربه بالسيف فقطع حديده وزرده ووصلت الضربة الى جسده فأجرى دمه وأشرف على عدمه ومن حلاوة الروح صار فى الآكام طالب الخيام وحمل عنتر بعد ذلك على بنى زبيد فما كان لهم بحربه طاقة فولوا وتقهقروا فخرج عنتر الى وراء رجاله ووقف يرعاهم ويحفظ بنى عبس وبقى الملك زهير خائفا عليهم من حملة الملك النعمان وكثرة المواكب الذين معه فى قبائل العربان وأما النعمان فانه اندهل وأخذه الفكر فيما شاهد لعنتر ولبنى عبس الأحر (قال الراوى) وكان النعمان قد أراد أن يرسل الى زهير يطلب منه الصلح فى غير حرب ولا نزال فما أمكنه الوزير عمرو بن نفيلة بل قال له أيها الملك القوم الساعة قد بغوا علينا وزاد طمعهم

فيناوان طلبت منهم صلحا بأبوا ويقولون لولا خوفهم منا ما سألونا ولا طلبوا منا الصلح والصواب يا ملك أنك تذلهم بكثرة الخلائق وتأمرهم أن يدوروا بهم من المغارب والمشارق ويفنوا أكثرهم بالسيوف البوارق وتلقى هيبتك فى قلوبهم حتى انهم يجيبوك الى ماتريد (قال الراوى) لهذه الاخبار فصبر النعمان وفى قلبه نار الوقود فلما رأى فعل عنتر بنى زياد زاد به الهيمان والتنكيد وعوّل أن يأمر بالحملة الى سائر العربان واذا بأخيه قد حمل بباقى الفرسان وهى العشرين ألف فارس الذين معه وداروا بعروة ورجاله وانقضوا عليهم مثل العقاب وزاد الصياح من كل جانب ومكان وطلع الغبار وقد تقنطرت فيه من على السروج الفرسان وتضاربوا باليمان وتطاعنوا بالسنان فأبصر عنتر ذلك فأمر أبيه شداد وعمه زخمة الجواد أن يحملوا بالالف فارس ثم انه تبعهم وزعق فيهم وقال يابنى عمى لاتفزعوا من كثرة العدد فها أنا وراءكم أحفظ أقصاكم وأدناكم وأنا أنظركم وأرعاكم فرقوا أعداكم بمضارب السيوف وفرقوا هذه الالوف ولا تخافوا من الحتوف فعند ذلك حملوا بقلوب قوية ونيات صحيحة وخيول مستريحة وصاحوا ببنى لخم ففرقوهم عن عروة ورجاله تفريق الغنم وصاح فولى الجبان وانهزم وقام الحرب على ساق وقدم وصاح سبع المنايا وهجم وزعق وتقدم ووقع الجبان فى العدم وأبصر النعمان فقال عنتر وأتأخيراه عن القتال فعلم انه يحيى نفسه لساعة الاهوال فزعق وصاح فى العشرة آلاف الذين عن يساره وأمرهم بالحملة مع مفرج بن هلال فحملت ومعها الربيع ابن زياد واقتحمت العجاج والسواد وتصادمت الخيل الجياد

ومالت

ومالت الابطال الشداد وهم الملك زهير أن يحمل فى باقى بنى عبس فلم يمكنه عنتر بل قال ياملك أنت وأولادك احموا ظهرى بفم المضيق ولا تحمل حتى ترى النعمان حمل ثم حمل عنتر فى ألف آخر وكب رأسه فى قربوص سرجه ودمدم بين آذان الابجر فخرج من تحته كالبرق الخاطف اذا غشى البصر ثم انه لهب الحرب وأحماها وتلقى الابطال بالضرب وأجرى دماها واغمد سيفه الضامى فى قممها وكلاها وضرب بسيفه الرماح فبراها وأطعم الوحش من لحوم القتلى وأقراها هذا وبنو عبس قد جاوبته بنداها ونادت بعضها بعضا بأسماها وأقرنت شدائدها ورخاها وقد عظم مصابها وبلاها وغيبت المعمعة جميع الفرسان بضياها وأورثت الرجال بلاها (قال الراوى) لهذه السيرة قال وكشفت المنية عن أنيابها وأيقنت النفوس بذهابها وزاد نار الحرب والتهابها ودارت أيدى القضاء على مشايخها وشبانها ونفذت الاسنة فى قلوبها وألبابها وعلقت النائبات فى لحوم الابطال أنيابها وقطعت السيوف من الرجال رقابها واحتجبت الشمس وكان الغمام حجابها قال أبو عبيدة عفى الله عنه وطارت الجماجم من أعالى رقابها وشاب من الفرسان شبابها وكان الحرب مثل جهنم وعنتر بوابها والفرسان أحطابها وترك جماجم الفرسان نعالا لدوابها وكان الملك زهير كلما أبصر بنى عبس تقهقرت بسعفها بمائة بعد مائة حتى بقى هو وأولاده وأجناده حوله فى ثلثمائة فارس كأنهم الاسود القناعس ورأى الربيع ذلك فزاد به الاستبشار وخرج فرحان من تحت الغبار وقال للنعمان ياملك الزمان أما ترى الى بنى عبس قد ضاعت بين هذه

الخلائق ولولا أسودهم عنتر ما كان بقي منهم أحد وهذا الملك زهير واقف في باب الشعب وأولاده بين يديه فلم لا تأمر بعض القبائل بالحملة عليه وتضع السيف فيمن حواليه وربما أسرتها وهجمت الوادي وسبيت العيال وأخذت النساء والاموال وقد انفصل الحال فقال النعمان بالله عليك ياربيع دع هذا الهذيان واصبر حتى تنظر على مثل أي شيء ينفصل الحال وهذا أمر والله طويل ولا بد أن يتحدث به جيل بعد جيل وتعاير نا بفعله كل قبيل لان هذه الاربعين ألف فارس لا يفزعها شيء ولا بلغت منها غرضي فوحق النار ان أصحابنا هم الخاسرون وان بني عبس هم الرابحون والصواب ياربيع اننا نلزم الناموس والا لعبوا بنا في القيام والجلوس وحل بنا كل أمر وبوس ونقع في البلاء والنحوس لان مضيق القوم محفوظ بالرجال ولهم على أحاقيف هذه الجبال عبيد مثل زبل الجمال وعندهم الحجارة الثقال وأكثرهم بالقسي والنبال وما يقبل عليهم الا من زال عنه الاقبال (قال الراوي) لهذه الاقوال بعد ألف صلاة على المظلل بالغمام فقال الربيع وقد واقعه الخجل والله ياملك لولا هذا العبد ولد الزنا كنا بلغنا الامل وها أنت تسمع صوته قد أقلب الارض شرقا وغربا وهو لا يمل طعنا ولا ضربا ولو كان بين يديه رجال تعرف شيأ من الحرب كان انفصل الكلام فقال النعمان وحق النار وما فيها من الانوار لان لم يقتل هذا العبد لم يفتح حبنا ولا يفلح (قال الراوي) ولم يزل القتال يزداد ويكثر العناد الى ان ولى النهار ونادوا بالانفصال وقد ملوا من الانصدام وطلب كل فريق منهم مضاربه والخيام والتقى الملك زهير بأولاده وهم سالمين غانمين ومن ورائه سائرين

وعنتر وراءهم مثل شقيقة الارجوان وأكمام درعه تنقط من دماء الفرسان وجواده منقع بالدماء وبياض رجليه عاد أدهماً من رؤس القتلاء الذي صارت رمماً وهو ينشد ويقول بعد ألف صلاة ترضي نبينا محمد الرسول غاية السؤال والمأمول ورضي الله تعالى عن ابن عمه زوج البتول وعنتر أشار لهذه الابيات يقول

يا عبل قري بوادي الرمل آمنة * من العدا واذا أحرقت لاتخف
فدون بيتك أسد في أناملها * بيض تقد أعالي البيض والحجف
لله در عبس لقد بلغوا * كل الفخار وبالوا غاية الشرف
خافوا من الحرب حتى أبصروا فرسي
تحت العجاجة يهوي بي الى التلف
ثم اقتفوا أثري من بعد ما علموا * ان المنية سهم غير منحرف
خضت الغبار ومهري أسود حالك
وعدت وهو خضيب من دم الجيف
مازلت أنصف خصمي وهو يظلمني
حتى غدى من حسامي غير منتصف
وان يعاب سوادي لوجهات به * فالدر يستره ثوب من الصدف
وما شرفت بقومي بل هم واشرفوا * بما بلغت من العلياء والشرف
وقد سلكت من العلياء منزلة
بدر الدجا لو سلكها عاد وهو خف
والارض ملكي وسكان الفلا خدمي
وفوق ظهر المها والمشتري شرفي
لولاك يا عبل ماذل الهوى عنقي * ولا دعوت دعا أيوب وأسفي
عمي تجودي بوصل منك يا أملي * يحيي الفؤاد من الآلام والتلف

(قال الراوى) لهذا النظام لما ان سمعها الملك زهير هنأه بالسلامة وقال له لله درك ودر أبيك وباركت اللات والعزى فيك فى أفصح كلامك وما أمضى حسامك ثم افتقد بنى عبس فوجد قد فقد منهم مائة فارس فقال وحق الفرد الصمد لولاك ما كان اليوم رجع منهم أحد لانى رأيت العرب قد شالت عليهم مثل الزبد ولكن بهيبتك انتصروا وبسيفك نخلصوا فشكره عنتر على ذلك الحال والكلام ونزلوا النامر لاكل الطعام وأخذوا الراحة وهم محترسين لانفسهم ايقاظ لارواحهم وأما الملك النعمان فانه نزل بعد ما أنفذ أخاه الاسود للقبائل والفرسان وحسبوا من قتل فكانوا أربعة آلاف وسبعمائة فارس وأكثرهم من بنى زبيد لانهم تقدموا قدام الجحافل فقال النعمان وحق النور والنار ان دامت علينا هذه الامور فما يبقى منا من يخبر بخبر من فعال هذا العبد عنتر وهذه مصيبة لم أرى غيرنا شكاها ولا وجد مثلها ان لم تدركنا القبائل والا أصبح عزنا زائل وقال الوزير أيها الملك الامجد وحياتك ما أهلك الناس الا هذا الاسود لانه قد طمع فى الحرب وعلم ان ماله مقاوم ولو كان هنا فارس مثله يلقاه لكان لعب السيف فى أصحابه ورفقاه والا هكذا ما نبلغ مقصود ولو اننا بعدد قوم عاد وثمود لان عنترا ما حمل على موكب الا ومزقه ولا فريق الا وأهلكه فقال النعمان أيها الوزير وحق النار وشمس النهار لو أنى كنت أعلم انى ألتقى هذا الملتقى فى هذه البيداء ما كنت بت فى هذا المكان أبدا ولا كنت حسبت انى كنا أصل الى هذا المكان فى الحال أحضرهم فى الجبال وبعد ذلك أعتقهم وأطلب منهم المتجردة بنت الملك زهير وأتصل بهم لانهم

فرسان وأى فرسان أشجع منهم فى هذا الزمان لاسيما عبدهم
الاسود الذى ناره فى الحرب ما تخمد لانى ان كنت أنا ملك العرب
وخلفى مثل هذه الطائفة العبسيه هابتنى جميع الملوك القصية
والدنيه ووقعت لى الهيبة فى قلوب العجم وصرت عند كسرى
معززا ولكن كيف الوصول الى هذه الحالات لانى وحق
النار هانت عندى نفسى وصغر ملكى فى عينى وزادت هيبة
هؤلاء القوم فى قلبى وان لم أتصل بهم والامت بغير أجلى (قال
الراوى) ثم نزل فى سرادقه وكاد الغيظ أن يخنقه وهو متفكر
فى هذا الامر العسير وزاد الحرس من الطائفتين وأوقدت بنو
عبس النيران على الجبال فصارت كأنها مواكب من نار ومازال
الامر كذلك حتى طلع الصباح وركبت عساكر النعمان
على تقايات باردات هامدات لان أكثرهم قد أتى للنهب ولاظن
انه يلقى من قتال بنى عبس هذا الملتقى ولما أبصر وامنهم تلك الفعال
أيسوا من نهب المال وفترت نياتهم عن القتال وصاح عنتر
فى بنى عبس فتبادر وامثل السباع وقد حدثوا أنفسهم بكسر تلك
القبائل وفى تلك الساعة وصل الى النعمان نجدة من اليمن عشرون
ألف فارس وهم طوائف مختلفة وفيهم طائفة يعبدون القمر يقال
لهم بنى الاشتر وايضا حامى بلاد اليمن الى حد سواحل البحر
وصاحب أرض الطائع وهو الذى ضربت به الامثال وتعوذت منه
صناديد الرجال لان هذا الفارس كان يقاتل فارسا وراجلا وكانت
تفزع منه الملوك الافاضل (قال الراوى) وكان لطيف الخلقة رقيقا
رشيقا يقاتل بالعمد والمزاريق واذا غدا على قدميه قبض
وحش الفلا بيديه الا ان خلقته وحشة المنظر وكان قصيرا أسمر

عميق السواد زائد الخيل والنجب قليل المثال في قبائل العرب
وكان الملك النعمان ينفذ له الهدايا على طول الزمان ويتحفه
بالخيول والاموال ويرجو منه النصر على كل الشدائد والاهوال
وانه لما قدم في ذلك أكرمه النعمان وأحسن اليه والى رفقاه وترحب
به عند ملتقاه وقال له النعمان ياغاسق وحق النار ما أتيت الا في
وقت الحاجة اليك ثم أخبره بما هو فيه من الاخبار فعندها تبسم
غاسق من كلام النعمان وتقدم وباس الارض وقال أيها الملك أدام
الله عزك ونشر بالعز والعدل فضلك لو كنت أنت صبرت حتى
وصلت أنا ليك ما كنت أحوجتك الى هذه القبائل بل كنت
أنا سرت وحدي الى هذه الطائفة وبلغت منها المنى ولكن ما كان
أيها الملك الا هكذا وأنا وحق الملك المتعال ما أقود اليك الاعنتر
ابن شداد ولا أترك من أصحابه من يخبر بخبر ولا أخرج للحرب
الاعاري الجسد من الحديد والزرد حتى تنظر هذه القبائل فعلى
وتشهد ان ما في زماني مثلي (قال الراوي) وبعد كلام غاسق
التفت فرأى الصفوف قد تعدلت فعند ذلك ترجل غاسق عن
جواده ورمى الرمح من يده وزعق ببعض عبيده فأتى اليه وباس
يده فقال له ائتني بحسامي والحربة فعندها ناوله حساما عريضا ثقيلا
وحربتين دقاقا بأسنة مثل لهيب النار ولما صاروا الجميع بين يديه
خلع غاسق الاثواب التي بها ولبس ثوبا قصير الاكمام وضيق
اللثام وأخذ بيده حربة وحسامه والدرقة بشماله وكانت درقة
واسعة الصفات قوية الرواق لا يخرقها حربة ولا مزراق ولما
كملت عدته برز الى الميدان وسعى على قدميه وجال كما تجول
الفرسان على الخيول الجياد وقد حير الشجعان ثم بهتت اليه

العيون

العيون من كل مكان ولما قارب بنى عبس صاح ونادى بأعلى صوته وقال يا بنى عدنان ويا فرسان هذا الزمان اطلبوا فرسانكم وأبطالكم وشجعانكم الى هذا الميدان ان شئتم رجاله وان شئتم أبطال خياله حتى أريكم من فعالى ما يذكر على طول الزمان والليالى فها أنا عارى الجسد خالى من الحديد والزرد وقليل السلاح والعدد وقد خرجت الى الميدان هدفا للسيوف الفواصل وأسنة الرماح الذوابل على ان الاجل اذا حضر وكان مقدرا لا ترده الدروع ولا الحراب فابرزوا ان أردتم أفرادا والا أزواجا ثم صال وجال وقال أنا لا أتكبر على أحد حرا كان أو عبدا والخلق عندى كلها سواء ثم انه أنشد وجعل يقول هذه الابيات صلوا على سيد السادات وصاحب المعجزات

انما لابس الحديد جبانا * جاهلا بحوادث الأعوام
وابن عشرين لم يعش زائدا * ولو ظل فوقه سحاب غمام
والمنايا ان لم تفاجئك صبحا * أرتقيها عند اختلاط الظلام
أنا حتف النفوس والمنية * العظماء فى يقظتى والمنام
من رآنى فقد رأى الموت حقا * من خيال يلوح تحت القتام

(قال أبو عبيدة) هذا يجرى من غاسق مقدم بنى الاشتر وأما ما كان من بنى عبس وعنتر فانهم صاروا منتظرين اليه وكان الملك زهير قد حمل هما عظيما من قدوم هذه النجدة الى النعمان وقد علم ان قبائل العرب اليه متتابعة فعند ذلك اشتغل قلب الملك زهير لذلك فعلم عنتر منه الكلام فقال له يا ملك الزمان لا يهم قلبك كثرة الاعداء فنحن ان زاد علينا الامر وكان كثير الاخطار دخلنا الشعب ومسكنا رأس المضيق وطاولنا الاعداء بالحصار ولو انهم فى عدد

رمل العقيق ولا نصالح النعمان الا على ما تريد واذا لم يفعل النعمان
ذلك فانا آخذ معي عشرة فوارس واقطع بهم عرض البر واختلط
بقبائل العرب واذا اصبح الصباح درنا حول النعمان وحملنا عليه
وقتلناه وحملنا على الجميع وقد فرقناهم لان يا مولاي هذا الملك اذا
قتلناه تفرقت هذه الطوائف الى بلادهم ونهب بعضهم بعضا
وطلبوا ديارهم فبينما عنتر مع الملك زهير في هذا المقال وأمثاله
واذا ببعض فرسان بني عبس قد انقض على غاسق وطلبه مثل
البرق البارق ومد اليه رمحا طويلا خارق ولما رآه غاسق ثبت
اليه حتى قاربه وضرب رمحه بسيفه براه وفي الحال فاجاه وهز
احدى الحربتين اللتين في يده وضربه بها فولى فوقعت في ظهره
فرقت تلمع من صدره فلما رأت الفرسان ذلك علمت أنه بطل
شديد فبرز اليه ثان من بني قراد يقال له زياد فجال وصال فما تركه
غاسق يجول وضربه بالسيف فقده نصفين وصار في الحال
دلوين (قال الراوي) فلما رأى عنتر ذلك الحال تغيرت منه
الاحوال وتكدر عيشه أسفا على الرجال فقال عنتر ان برزت
الى هذا الشيطان وأنا فارس فما أكون أنصفت وان برزت اليه
راجلا ورأى الغلبة خلاني وغدى على قدميه فما أقدر الحقه
ولا أصل اليه فعندها قال الامير ناصر الدولة شيبوب يا ابن الام
أنا أخرج اليه واضاربه بالنبال وأوسع معه في المجال وأبصر
أنا أقوى عصبا وأسرع جريان عند الطلب فقال عنتر والله
يا شيبوب ما أنت من رجاله ولا تقدر عليه في ميدانه لان أحواله
شاهدة عليه والنجابة لائحة عليه وان أنت خرجت اليه فلا آمن
عليك من حربه (قال الراوي) فبينما عنتر وشيبوب في الكلام

153

واذا بعروة قفز الى غاسق وناداه ويلك يا ابن الانذال لقد لعب العجب بعطفيك حتى احتقرت بالرجال وخرجت راجلا تطلب القتال وها أنا أريك عاقبة البغي والضلال ثم انه طلبه وصال وجال وانشد وقال صلوا على باهي الجمال

أجهل والعجب بين لانام * دعه يا ابن العبيد اللئــــام
ما كل من قال أنا سيد * يصدقوه الناس عند الكلام
الارض حبلى وهي ولادة * تأتيك با ولاد في كل عام
وقد فتكت اليوم في سادة * كانوا رجالا عند ضرب الحسام
سوف بنوهم يأتوك عاجلا * بطعنة تسقيك كأس الحمام

(قال الراوي) لهذا الحديث الغريب فلما سمع غاسق كلام عروة ورأى هجومه عليه طابه وهو يقول يا عبسي وحق الليل اذا انسدل والظلام اذا كحل ما قلت الا قول أشجاعة والبطل ولكن أين من الناس من يقول ويفعل ويصبر عند ملاقات الرجال في السهل والجبل تحت غبار القسطل وما فرغ من كلامه حتى أطبق عليه غاسق وزعق به زعقة الاسد وقد تقدم اليه وقاربه وهز الحربة التي كانت معه وضربه بها فجاءت في جنب جواده فأتلفه فعاد اليه وأدركه قبل أن يثور ودار امامه وسلمه لعبيده فاخذوه وساقوه ذليلا حقيرا وكان خلفه ثلاث عبيد لا تزال قريبا منه في المجال وكلما طلب شيأ من آلة الحرب ناولوه واذا أسر أسيرا أخذوه منه وتناولوه وان غاسق لما سلم عروة الى عبيده قال لبعضهم ائتني بجوادي ورمحي حتى أنجز أمر هؤلاء القوم الائام قبل أن يذهب الظلام فعندها أتوه بجواد من تربية العرب كثير الادب مليح اليقظة ذيال الذنب له غرة مثل

الكواكب يلحق اذا طلب ولا ينجو امنه من أراد الهرب وناولوه
رمحا قصيرا غليظا بكعب كأنه حمة عقرب أو قبس على مرقب
فعندها ركب غاسق الجواد مثل الشيطان واستلب الرمح منهم
وحمل وقد قبض فى مقبضة الترس حربة ماضيه من الحراب
الخراشيه وقفز وهو يطلب بنى عبس وقد قلوا فى عينه وهانوا
عنده وقد حدثته نفسه انه يكسرهم وحده ويأخذ بذلك الشرف
على أهل الحضر والبوادى وكانت حملته على الميمنة ولما حل فيها
صار يلعب بالرمح ويقصد به النحور ويطعن فى الجوانب والصدور
حتى قتل خمسين فارسا وبطل من جملة الفرسان والعرب من غير
مهل فعندها تشوشت العساكر وهاجت الاكاسر وقد بهتت
الخلائق وماجت بنى عبس لما رأت هذه البوائق ثم التفتت
تطلب عنترا واذا به قد قفز بجواده الابجر الى الميدان وموقف
الطعان ورأى غاسقا وقد فعل هذه الفعال فعندها ازادت نيرانه
اشتعال ولما قارب غاسق سمع الصياح منه على ورأى الخيل تتبادر
الى نحوه مثل السعالى وهو يردها بصيحاته وقد أسر أسيرا يقوده
بحبل كالبعير وفى الحال سلمه الى عبيده حقيرا وقال لهم اطلبوا
بهذا الى الملك النعمان حتى أرداناعنكم الفرسان فهذا الذى جرى
لهذا الفارس وأما عنتر فانه لما صدم الميدان ورأته الفرسان
ورأى غاسقا ومعه ذلك الاسير فطلبه عنتر واذا هو بأبيه شداد
مأسورا فعند ذلك زعق زعقة عظيمة اهتزت لها الجبال الشداد
وحمل على العبيد وطعن أحدهم فى ظهره فطلع الرمح من صدره
وأراد أن يخلص أباه فادركه غاسق وفاجاه وصاح فيه وناداه

وفى الحال

وفي الحال انطبقوا الاثنين انطباق الجبال وقد لعبوا بالرمحين حتى حيروا الفريقين وتلاعبوا على ظهري الجوادين فما سمعت الآذان ولا رأت العينان مثل ما جرى بين هؤلاء الفارسين فهذا ما كان من الفارسين وأما ما كان من النعمان فانه زاد به الفرح واتسع صدره وانشرح وتيقن انه يأخذ بني عبس وعنتر مع جملة من أسر فعند ذلك دنا النعمان ينظر من تحت الغبار وقد انكشفت عنه الاعلام وتقدم الى الضباب لاجل أن يرى ما يكون بين عنتر وهذا الغلام وعندها تقدمت من ورائه بني فزارة والفرسان والابطال وأكثروا القيل والقال وقد صرخ الملك زهير في بني عبس وغطفان وبني عمه من آل عدنان وكان زهير ما صرخ في قومه وحمل بنفسه وطلب الحرب والقتال الا لان فعال غاسق قطعت ظهره واحتار في أمره وتقطعت منه الاكباد وقال لمن له من الاولاد والعساكر والاجناد كونوا على أهبة أمركم واذا قضى الله على عنتر بقضائه ورأيتم طوائف النعمان عليكم قد حملت فاتقوهم بصدوركم ولا تموتوا الا كرام لاننا ان قصرنا عن ضرب الحسام سبيت نساؤنا والعيال وخربت ديارنا والاطلال وتفرقت سبايانا الى سائر البلاد والاطلال فما فرغ الملك زهير من هذا المقال والكلام حتى جردت بنو عبس كل حسام صمصام وأشهرت صفاحها وهزت رماحها وعلا صياحها وقد وطنت الرجال أرواحها فعند ذلك بلغ الخبر الى حريمهم والعيال فأقلبوا بصياحهم الجبال خوفا على الاطفال وأرخوا الذوائب على الاكتاف وخافت القبيلة كل المخاف وقد رفعت النساء كلها ألسنتها بالدعاء الى عنتر وقد

أشارت عليه بأصابعها نحو السماء ولطمت خدودها حتى تخضبت بالدماء فزعا من السبي بعد الحماء وكذلك ضمية زوجة شداد زاد بها البكاء والتعداد وأدار عنتر وخصمه الجلاد (قال الراوي) لهذا الخبر والايراد بعد ألف صلاة على سيدنا محمد سيد العباد وطلع الغبار حتى عاد النهار سوادا ورأى كل واحد من صاحبه ما رأى وقد حار الفريقان مما جرى ودام الامر كذلك حتى تقضى أكثر النهار وسار غاسق زائل وبعد ذلك عاد عنتر وقد استظهر على خصمه وقد لاحت له عليه المقاتل وعفى عنه لان عنتر كان مراده أسره حتى يفدي به أبيه وعروة وقد عرف منه غاسق ذلك لانه كان من الفرسان المذكورة فعند ذلك نادى به غاسق بعد ما أشرف على التلف وقال يا وجه العرب بحق معبودك من تكون من الفرسان فاني ما رأيت مثلك ولا أقوى من صلبك وقد سمعت ان لبني عبس فارسا من أهل الحرب والجلاد يقال له عنتر ابن شداد وأنا من أجله أتيت الى هذه البلاد أطلب معه الحرب والجلاد وقد دخلت في عسكر النعمان وقلت ان قتلت عبد العبسيين افتخرت بقتله على فرسان الزمان وما خرجت هذا اليوم راجلا الا لاجل أن ينظر طرفا من شجاعتي وقوتي وبراعتي ولاجل أن تقع في قلبه هيبتي ويطيع الملك النعمان على ما يريد في أي شيء سواء كان قريبا أم بعيد والآن قد رأيت منك ما أضعف جناني وهد مناكبي وبل مضاربي فبحق ما تعتقده من الاديان والعباد هو أنت عنتر بن شداد أو ذاك دونك في الجلاد فلما تكلم غاسق بهذا الكلام وأمثاله تبسم عنتر من مقاله وقال يا هذا هو أنا عنتر ابن شداد الذي سمعت بذكره وصفته من كل جالس وقائم ولولاك

ياشيطان خرجت الى راجلا ما كنت أبقيتك الى الآن سالما وقد فعلت مافعلت وأسرت من أصحابى ما أسرت وها أنت قد وقعت فما بقى لك من يدى خلاص على انى أقاتلك وأنامك حتى انى أثخنك بالجراح وآخذك أسيرا من وسط هذا الفلا حتى تكون لمن أسرتهم فداء وان وقعت فى يدى مرة أخرى قتلتك وأكون قد أخذت ثارهم معنا والآن ان أردت السلامة من الجراح فسلم نفسك وريح روحك من الكفاح والا وحق ذمة العرب طعنتك فى بعض المقاتل وأعجل تلافك وأضربك بهذا الحسام أقطع بعض أطرافك فلما تكلم عنتر بهذا الكلام قال له غاسق وقد أظهر الذل والخضوع اعلم ياحامية عبس انى قد سمعت عنك انك منصف عند الحرب ولكنى أرى كلامك هذا فى غاية التعدى لوجوه عديدة أحدها انك خرجت الى وأنا تعبان وقد قاتلت فارسا وراجلا ولقيت مالقيت من الفرسان والوجه الثانى انك تأمرنى ان أسلم روحى لك من غير قتال ولا حرب ولا نزال وهذا أمر لو فعلته لعايرونى به الاخلاء والاصحاب والمشايخ والشباب وكانوا يقولون لعنه الله وأمثاله أى شىء جرى حتى انه سلم روحه من غير قتال ولكن ياوجه العرب أريد أن تفعل بى ما تذكر به طول الابد فقال عنتر وما هو الذى تريد فقال هو انك تعلم اننا خالين من الحديد والزرد والقصد انك تطاعننى وأطاعنك بلا اسنة قدام هؤلاء الخلائق والابطال فأجابه عنتر الى ما قال وقلع من رمحه السنان ورأى عنتر فعاله فخاف من العار وأراد أن يذكر بالانصاف فى سائر الاقطار فعند ذلك مد يده الى رأس الرمح وعول على قلع السنان (قال الراوى) فعندها استغنم غاسق الغفلة

وصاح فى عنتر وزعق زعقة من عدم صبره وجلده وهز الحربة التى كانت فى فخذه وزجها اليه وطلب بها صدره فخرجت الحربة من يده كأنها شهاب أو شعلة نار قد انفتح لها باب وكان عنتر لما سمع صيحته وقد نظر اليه ورأى الحربة قد قاربته فمال عنها واستتر بدرقته وعلم عنتر ان خصمه غدره فما شعر بنفسه حتى وقعت الحربة فى كتفه ففجرت دمه وعبرت مثل السهم ولم تخطىء الوهم (قال الراوى) فعندها حس عنتر ان السماء قد انطبقت على الارض من شدة الغيظ وألم الجرح الذى وصل اليه الا ان عنتر ما اشتغل بها بل أخذ الرمح مثل البرق وصاح بين آذان الحصان فخرج من تحته مثل السهم اذا مرق وكان غاسق لما فعل ذلك الفعال وقف ينظر عنتر اذا مال يأخذه أسيرا فرآه قد ثبت جنانه وعاد طالبه فحار غاسق من قوة اهتمامه وشدة عزيمته وهمته وفى الحال عول على الهرب وانسد فى وجهه كل مذهب ثم أدركه عنتر من بين يديه مثل اللهب وطعنه فى جنبه فاعتدل الرمح فيه وتصلب فمال الى الارض يتخبط فى دمه طولا وعرضا وعاد عنتر وقد اشتد به الالم ودخل بين الجبلين وقد انهد خلفه جيش بنى عبس وجميع الامم وأتبعه شاس بن الملك زهير وأخيه مالك وقد صعب عليهم ذلك (قال الراوى) وكان الملك زهير على الدخول قد عول بين تلك الجبلين الشواهق فرأى عرب اليمن وبنى الاشتر وقد حملوا وهم يطلبون آثار فارسهم غاسق فعندها خرج الربيع بن زياد فى ذلك الخلائق وصار يقول يا ويلكم دونكم الآن وبنى عبس فقد قتل عبدها ومن كان يحميها وها هى قد انهزمت وانكسرت تطلب الشعاب خوفا من السبى

والسيف لايقيهما وبعد كلام الربيع وقع التفسير فى سائر
فرسان قبائل العرب فعند ذلك انطبقت الخلائق على بنى عبس
انطباق الغمام اذا انسكب وقد حمل الاسود أخو النعمان وحمل
معدى كرب الزبيدى وعلا الصياح حتى كادت الجبال انها
تنقلب ورأى الملك زهير الى هذا الحال فعاد بباقى الابطال وهو
يطلب القتال وعملت فى صدور الطائفتين النصال وتقطعت
المفارق والاوصال وطارت الرؤس عن الرقاب والاعناق
وقامت نار الحرب على قدم وساق ووقع فى بنى عبس المحاق
وعملت السيوف الرقاق والرماح الدواق وطعن الاسنة فى المقل
والاحداق وودعت الارواح الاجساد توديع الفراق وزاد
القتام عليهم حتى أظلمت الآفاق وتولت قومهم قواطع الآجال
والارزاق ودارت على العسكرين كاسات المحاق وسار
القتال عند باب المضيق وتكاثرت قبائل العرب على بنى عبس من
كل جانب وطريق وانحصروا فى الشعب والمضيق هذا والحرب
يعمل بينهم كأنه نار الحريق وصار الحرب بالحراب والمزاريق
وحققت الحقائق وجرى الدم كما يجرى البحر الدافق فعندها أيقنت
بنو عبس بالهلاك وسوء الارتباك وقاتل الملك زهير لما رقعت
هذه الوقعة ورأى هذه العساكر المتدفقة وقد أخذوا عنتر
ودخلوا به الى الشعب واحتموا وقلعوا الحربة من كتفه ونشفوا الدم
ووضعوا عليه من الحشائش النافعة وجعلوا ينظرون ما يكون من
تلك الجريمة الواقعة فسمع عنتر الصياح لما هدأ مابه من داخل
الجبلين ورأى بنى عبس عادت راجعة ضعفاء عن القتال فعلم انه
ان غفل عنها نالت العداء منها منالا فعندها عاد عنتر الى ظهر جواده

الابجر وهو فى اغبر حال من الجرح المنكر وقد تألم له وتغير وخطف رمحه الاسمر وطلب باب المضيق وهو لا يعرف العدو من الصديق هذا والمنية قد هانت عليه ومن كثرة الغضب الذى حل به اسودت الدنيا فى عينيه وكانوا أولاد الملك زهير قد منعوه من ذلك فلم يقبل اعتذارهم وخرج كأنه شعلة نار فرأى الملك زهير وعشيرته فى ضيق الخناق وقد ضاقت بهم الآفاق فعند ذلك زعق عنتر وحمل فى جيش النعمان فلحقهم الرجفان من عظم زعقته وولت الخيل راجعة من شدة همته وتأخرت الفرسان لما رأته وتغيرت وجوهها عند حملته وفى عاجل الحال ردت اليه الخيل على أعقابها ورمت من على ظهورها ركابها مما حل بها من طعنها وضرابها ورأت من عنتر طعنا يسابق الاجل ويهدر كأنه الشجاع البطل ولم يزل عنتر كذلك يقاتل ويمانع ويدافع عن نفسه وعن قومه وهو يحميهم ويضرب فى المقاتل حتى انسدل سواد الليل على الخافقين وقد زال طمع العربان وما كانوا أملوه من الامل ولما ان رآهم عنتر كذلك رجع هو وقومه الى الخيام وقد عمل فى ذلك اليوم عمل منكر وقاتل قتالا تعجز عنه الجبابرة الاول من البشر وقد عادت بنو عبس رابحه بعدما كانت خاسره لان عزيمتهم للحرب بغياب عنتر كانت فاتره الا ان عنتر من شدة الجراح فى شدة شديدة ولكن له عزيمة على الحرب جليده ولما عاد عنتر من الجولان تلقاه الملك زهير واولاده وبعض خلانه وأجناده وقد عبس عنتر لاجل فعاله وما يبدى من أعماله وقال له يا أبا الفوارس ان حياة هذه القبيلة مقرونة بحياتك وساعدتها موافقة

لسعاداتك

157

لسعاداتك وهذا بعدما اعتنقه وهناه بسلامته وقد فرح الملك
زهير بما أولاه الرب القديم من عنايته ثم قال ياحامية عبس
لو رأت عيناك ماجرى علينا أمس ولولا أغثتنا لكانت العرب
نهبتنا لاننا وقعنا في بحر عجاج وسارت الفرسان تتنافر أفراد
وأزواج مما سال علينا من العرب وقد طمعت فينا الغيلك عنا
فالحمد لله على سلامتك ولولا خروجك لنا آخر النهار فما كانت
العرب أبقت منا ديار ولا نافخ نار ولكن ما يعجبنا منك تلقى
روحك للعطب والبوار وأنت بهذا الجرح الوثيق الذى كأنه
نار الحريق فقال عنتر أيها الملك الجليل وحق أياديك الذى
لاتحصى ان عبدك لايبالى بالجراح لانها عندى من شرب الراح
وسوف تنظر ما أفعل بهذه العساكر عند الصباح ان شاء الملك
الفتاح واقتل النعمان واحرق عساكره واملأ من قتلاهم
الميدان وقد انقضى الامر وهان وان ساعدنى الرب القديم
الكريم وأسرت النعمان بن الاوغاد فأنا أفادى به صديق
عروة بن شداد وانى لولا ماوقع لى مع هذا القرنان وما أبدا لى
من زخاريف المقال والهزيان وتذلله لى فى الكلام لما كان قدر على
هذه الفعال وما كنت تركته برفل فى حلة عجبه ارفال وما جرحنى
الا بالخديعة والمحال ولا كان يقدر هذا القرنان أن يصل
الى محاربته ولولا خديعته ما كان ذلك ثم ان عنتر نزل عن جواده
وفى قلبه وفؤاده من أسر عمه وأبيه شداد لهيب النار الذى
لاتطفيه هذا وقد نزلت العشيرة وهى متألمة لجرح عنتر (قال
الراوى) فهذا ما كان من بنى عبس وأما ما كان من النعمان
ومن معه من العساكر والفرسان فانه نزل وهو بالنصر فرحان

وصار يتعجب من صبر بني عبس قدام هؤلاء العربان ولما ان استقر به الجلوس دخلوا عليه سادات اليمن وشكوا اليه قتل غاسق وما نزل به من البوائق وكذلك أخوه الاسود وبنو فزارة يشكوا ما دار عليهم من سوء الدوائر وكذلك معدي كرب وبنت عمه الجيدا بنت زاهر وما فيهم الا من أشار عليه بقتل عروة وشداد وطلبوا بذلك أخذ الثار وجعلوا يشكوا اليه ما في قلوبهم من لهيب النار وقال أخوه الملك الاسود أيها الملك المهاب ان الذي أراه من الصواب انك ترضي قلوب هؤلاء السادات الذي أتوا الى خدمتك بقتل هؤلاء وتنزل بهم البلاء المبين وتبادر غدا أعداك بنيات صحاح وتسلبوا منهم الارواح ويكون غدا يوم الانفصال وقد بلغت الآمال واذا أنت ظفرت ببني عبس الانذال تصلبهم كلهم على هذه الجبال وتفرق على هؤلاء القبائل المجتمعة من لهم من العيال حتى تقع لك الهيبة في القلوب ويخضع لك كل غني وصعلوك ولا سيما اذا أحضرت رأس هذا الاسود بين يدي كسرى وأيضا رأس ملكهم زهير وان لم تفعل ذلك اتهمك كسرى بهلاك ورد شاه حاجبه وبما يقول لك أنت الذي عملت على أصحابي وسلطت عليهم العرب حتى سقوهم كأس العطب (قال الراوي) فلما سمع النعمان ذلك الكلام قال لمن معه من الفرسان الكرام يا قوم وحق البيت المعظم وحرارة الجمر اذا أضرم اني ما أنا متأسف على مثل هذا القبيلة كيف تعدم ولولا فارسها المجدع والمجرح لما كانت خسرت ولا تأخرت ولا حل بها بؤس ولا تراح على انه قد خرج آخر النهار لما طال على قومه المطال وفعل على ما به من الآلام تلك الفعال فقال أخوه الاسود

وقد اغضبه ذلك وكادت نفسه تزهق وقال أى شىء مرادك تأمر العربان بالتفريق والانفصال وترحل عنهم بعدما فعل بنا هذه الفعال وما قاسيت أنا الاسر والاذلال وحق النور والنار ما كان بقى لنا عند العرب قدر ولا قيمة ولا ترجع تطيع لك أمر ولا تسمع لك مقال ولا يبقى ينتظم لك عند الملوك حال من الاحوال ولا تقول انك رحلت من بنى عبس شفقة وهم يقولوا خوف واذلال فقال بقية الدولة صدق والله ياملك أخوك فى هذا المقال فقال النعمان وهكذا نريد نعمل ولكن اصبر الى غدا حتى أسير الى بنى عبس رسول واسمع من ملكهم مايقول (قال الراوى) فلما سمعوا من النعمان كلامه انكسر عزمهم وطلب كل واحد منهم مقامه ولما خرجوا من عند النعمان طلبوا خيمة الاسود فلما رآهم ترحب بهم ولما جلس كل منهم فى مقامه دار بينهم الحديث فقالوا ملوك العرب للاسود أما تنظر ما فعل أخوك وهذا أمر ما نصبر عليه أبدا فقال الاسود يا وجوه العرب لا كلام حتى ننظر ما يفعل أخى من الاحكام فان صالح بنى عبس الاثام فأنا أكاتب كسرى وأطلعه على هذه الاحوال وأقول ما أرسل الى عنتر وأمر بقتل العجم الا أخو النعمان وهو الذى عمل على الحاجب وردشان والازال ارفع شانى وأحط شأنه حتى ان الملك كسرى يعزله وأتولى أنا مكانه واذا سرت ملك العرب ارسل اليكم حتى تجتمعوا أكاتب العرب واقطع أثر أخى وأثر بنى عبس وأقيم ناموس الملك كما أحب قال فلما سمعوا العرب مقاله طابت خواطرهم فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من النعمان فانه لما خلى له المكان أحضر وزيره عمر ابن نفيلة وكان من حكماء الزمان فذكرنا انه عاش

من العمر أربعمائة عام وكان أكثر مقامه فى البيت الحرام وكان يكثر من ذكر محمد المصطفى وهو من جملة من بشر بظهوره وكان النعمان يرفع قدره ويقبل رأيه ولما ان خلا له المكان شكا اليه حاله من جهة المتبردة بنت زهير واستشاره فى أمر بنى عبس وقال يا بنى عمى انى ما يهون على اتلاف هذه القبيلة التى فعلت هذه الفعال وقد وقع فى قلبى لها مجد واجلال وأنا أريد منهم القرب والاتصال وان لم اتصل بهم والا اعترانى الجنان لان مثل هذه القبيلة لا يهمل أمرها ولا يخمد ذكرها وانى ما حضرتك هذا الوقت الا لتشير على فلما سمع الوزير كلام النعمان فرح بذلك الشان وأتاه الامر كما أراد لانه كان يحب بنى عبس وعنتر بن شداد فقال يا ولدى ارسل القوم ووافقهم وقوى قلبك بمصاهرتهم فانهم أبطال واقبل وصيتى فيهم واكرم فرسان بنى عبس وعدنان وأبطال البيت الحرام وأراعيهم فى هذه الايام اكراما للرجل الذى يظهر بين زمزم والمقام العزيز فى الكلام فكأنك به وقد قام بأمر خالق الضيا والظلام وخمدت بيوت النيران ويدعوا العرب بشريعته الواضحة البرهان الشديدة الاركان والرأى عندى انك يا ولدى تتلافا قلوب هذه الطائفة وتملك رقابهم وتظفر بالاحسان فمنهم نبى آخر الزمان وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب العظيم الشان ويخرج منهم هذا الانسان وهم يكونوا له أعوان. (قال الراوى) لهذا الديوان بعد الصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان فلما سمع النعمان ذلك المقال وافق ما بقلبه من الغرام والبلبال فقال يا أبت كن أنت الرسول اليهم فلعل ينصلح الحال واشكرك ما بقيت الايام والليال وعسى يزوجنى الملك زهير بابنته

ذات

ذات الحسن والجمال وأنا أمهرها بما طلب من الاموال وأنا أخبرك ان فارسهم جرح وعجز عن القتال وأنا خائف من هذه الطوائف لا تغنيهم اذا طال عليهم المطال فقال الوزير السمع والطاعة يا ولدى أنا أسير فى هذا الامر والشان وأعود اليك بما يسرك وأجعلهم لك أطوع من العبيد ولكن يا ملك من الرأى ان تحسن الى عروة وأبيه شداد وتطلقهم وتنعم عليهم وتطلب منهم انهم يتوسطوا لك فى هذا امر والنوبة لينصلح الشان فلما كان عند الصباح أحضر الملك النعمان شداد أبو عنتر وعروة الفارس القسور وخلع على الاثنين خلع ملكيه من ملابس الملوك الكسرويه وقال لهم يا وجوه العرب من بنى عبس وحق النار ما أؤاخذكم بسوء فعالكم ولا أقابلكم على أعمالكم لان بنتى فيكم جميلة ومنزلتكم عندى جليلة وأريدكم تسيروا مع وزيرى عمر بن نفيلة وتساعدوه فى خطبة بنت ملككم زهير ولا تعودوا الا بالصلاح والزواج والنكاح والا وحق خالق المساء والصباح أمرت جميع الطوائف بقتلكم وأمرهم ان يجردوا السيوف ويمحوا آثاركم ولولا رغبتى فيكم لكنت فعلت هذه الفعال من أول يوم وأبطل هذا العتب واللوم واعلموا ان كسرى ما بقى يقعد عنكم بعد ما قتلتم حاجبه وردشان وكسرتم جيشه الذى أتى من خراسان ولا بد له من قلع آثاركم اذا لم يكن خلفكم مثلى يمانع عنكم بلين الكلام واذا اشتد الامر بينكم بضرب بالحسام فماذا أنتم قائلون فى هذا الكلام (قال الراوى) فلما سمع شداد هذا الكلام التجم بلجام وقام فقبل شداد يده وقال يا ملك من لم يعرف اليوم الاحسان فما هو بانسان وأنت قد قدرت وعفوت والآن لا بد لنا من اجتهاد

فى هذا الامر ولو طارت رؤسنا ونكون لك من جملة الخدام وما تكلم شداد بهذا الكلام الا لما وقع فى قلبه من الخوف والفزع لانه كان أيقن بالهلاك هو وعمرو وتيقنوا انه ما بقى لهم من الموت فكاك لاجل ما فعل ولده عنتر الابطال فما صدق انه يسمع من الملك النعمان هذا المقال حتى أنعم وأجاب وواعده هو وعروة بالاصلاح فعندها جاءت لهم الخيل والجنائب الجياد الغوال وساروا هم والوزير الى أن وصلوا الى الجبال ورآهم عنتر عيانا فترجل عند ذلك وأومأ لهم بالسلام وهنأهم بالسلامة وقبل يدى الوزير فقبله الوزير فى رأسه وسار فى ركابه الى عند الملك زهير فترجل عن جواده فقام له الملك زهير وأحسن ملتقاه وجبر قلبه وتلقاه ثم جلسوا فقال الوزير للملك زهير أيها الملك المكرم اعلم انى أتيت من عند النعمان بما يسرك وتك فيه الخير ان أنت أجبتنى الى ما أقول وان أنت أبيت فتصير مشرد فى القيعان اعلم أيها الملك العظيم الشان أنت لابد لابنتك من زوج وهى لا تلق لها مثل الملك النعمان ولا أوفى ولا أعلى فلما سمع زهير كلام الوزير أجاب وكذلك أشار عليه عنتر بذلك هو وأرباب دولته والاصحاب وقد أنعم الملك زهير وأجاب فقال الوزير أيها الملك قد أتينك خاطب وفى ابنتك راغب فقال الملك زهير قد أجبت النعمان الى ما طلب وأناله من بعض الخدام (قال الراوى) فعندها فرح الوزير بقضاء حاجة الملك على يده فأوصل له ما كان أتى معه من الخلع وقد وقعت البشائر ودقت الكوسات وزمرت البوقات واجتمع زهير والنعمان وانصلح الامر والشان ومن غيظ الاسود خطب من بنى فزارة بنت بدر وهم كانوا فيه أرغب هذا وقد انصلح الحال

واصلح

وأصلح النعمان بين بني عبس وعدنان وفزارة وذبيان وأصلح أيضا بين عنتر بن شداد والربيع بن زياد واستمال قلوب الابطال والسادات من الرجال وأصلح بين القبائل وفي قلوبهم على بني عبس نار الحقود والدخائل والغيظ في قلوبهم مثل المشاعل قال فهذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من سائر القبائل ومن العجم وعسكر خراسان الذي كسروا في وادي السيل بعد قتل وردشان فانهم وصلوا الى المدائن وهم يدعون بالثبور وعظائم الامور فلما علم الملك كسرى أحضرهم الى بين يديه وسألهم عن ما جرى فأخبروه بالكبسة التي كبسهم اياها عنتر بوادي السيل وقتل فيهم في ظلام الليل وكيف قتل وردشان وما جرى وكان فلما سمع ذلك الكلام قام وقعد وأرغا وأزبد وقال لهم النعمان ما كان منه فأخبروه انه ما دخل معهم الوادي ولا ترك العربان تقاتل معهم ولا نصح في القتال الاخيه الاسود فلما سمع ذلك نما غيظه وقال وحق النار والنور وتربة جدي نار ولا بسير الى قتال العرب غيري واحق شأفتهم ثم انه أمر النقباء تنادي في عساكر كسرى وفرسان خراسان ان يأخذوا الاهبة للقتال من أجل العربان فتقدم اليه الوزير الموبذان وقال له أدام الله أيام الملك العادل من هم صعاليك العرب من القبائل حتى تسير اليهم وتتعنى لقتالهم ولكن اصبر أيها الملك حتى تصل الاخبار بما فعل النعمان مع هذه الفرقة فان كان يستنقم منهم فما هو الاعلى السداد وان كان ما يفعل ذلك وصالحهم وعفى عنهم فيكون قد استحق غضب الملك قال فلما سمع كسرى ذلك الكلام صبر بالرغم عنه ولم تكن الايام يسيرة حتى أتت اليه الاخبار بما صار لبني عبس مع الملك النعمان

وكيف صالحهم بعد ان جمع عليهم سائر العربان والاسود قد أرسل الى الملك كسرى يعلمه بما جرى و يقول له الذى يعلم به الملك العادل أدام الله بقاك ان أخا النعمان الذى أوليته مملكتك فانه نافق عليك واستخار بنى عبس بعد ان كانوا ذلوا وجرح عبدهم عنتر وقد صالحهم وتبع شهوة ذنوبه وفنى الدولة الكسروية وكل ذلك من أجل بنت الملك زهير حتى تزوجها وأخذهم له انصارا وأصهارا وقد أطلعتك على الاخبار والسلام عليك من النار (قال الراوى) لهذا القول المجموع ان كسرى كان ملكا عادلا طيب الاصل قريب المرجوع فلما سمع بهذه الاخبار قام وفى قلبه لهيب النار واتفق انه كان لحاجبه وردشان الذى قتله عنتر فى وادى السيل لما كان مع النعمان أخ يقال له زوردخال وكان شجاعا ريبالا وهو بطل من الابطال ومقدم على عساكر كثيرة واجناد وله أقطاع واسعة و بلاد وانه لما سمع بقتل أخيه حزن حزنا عظيم واصابه لفقده مرض دائم ومما أصابه أنه قطع شعره وحار فى أمره وقال وحق بيوت النار ما أخذت ثارأخى الامن النعمان ومازال مداوم الاحزان وهو مكمد الى ان وصلت كتب الملك الاسود وهو يخبرهم بما كان ووصلت كتب أخرى من العيون التى كانت على النعمان وفى الكتب شرح القصة وما كان من المبتدأ الى المنتهى ولما ان قربت الكتب على كسرى بقى من الغيظ لا يسمع ولا يرى ثم قال وكاننا ما فعلنا هذه الفعال وأهلكنا العساكر والاقيال الالاجل حاجة النعمان بن الانذال واذا كان الامر كذلك ما هو تحت يدى بل انه ملك مثلنا والا ما كان فعل هذه الفعال بغير أمرنا ولكن نحن الذى بسطنا

اليه

اليه بساط عدلنا فأمن غضبنا ومابقى من الصواب الا انه يهان
ويؤدب والا طمعت فينا شلوخ العرب (قال الراوى) ثم انه
من وقته وساعته دعا بولده خداوند الى حضرته لانه أكبر أولاده
وهو الموصى له بالملك من بعده وكان أشد أولاده بأسا وأقواهم
رأسا فلما حضر بين يديه قص قصة النعمان عليه ثم قال له
ياولدى وبعد ذلك فالملك يريد سياسة وناموسا ولا يبقى صاحبه
بين الملوك موكوس وأنا أريد ياولدى ان تركب من هنا فى جيوشك
وتتوجه الى الحيرة وساعة أن تصل النعمان تضع السيف فيمن
احتماه من العربان ولا ترجع الى هذا المقام حتى تنتقم من بنى
عبس غاية الانتقام وتعلق على البيت الحرام رؤسهم قوام وتفعل
تلك الفعال بجميع من يحتمى لهم من الرجال وتسبى نساءهم
وأولادهم حتى يتعظ من سواهم وأما الاسود أخو النعمان
أوليه الجميل والاحسان وأخلع عليه خلع القبول والرضوان
وولّيه مملكة العربان لان الكتب الذى وصلت الى عندنا أخبرتنا
انه ناصح لدولتنا (قال الراوى) فلما سمع خداوند من أبيه ذلك
المقال نهض فى ساعة الحال وبادر الى قضاء تلك الاشغال
ثم أقبل على أبيه وقال له كم آخذ معى من الفرسان فقال له
سبعين ألف عنان لان العرب كثيرة فى أرض الحجاز وكلهم
فرسان الحرب والبراز وربما داخلهم الطمع فى عساكر الاعجام
وحاموا بالكثرة عن البيت الحرام فلما سمع خداوند من أبيه
ذلك الكلام أخذه القلق والاندهال وقال وحق النار وما
يظهر فيها من الاشتعال انى أقدر أهيج العرب الى رؤس الجبال
بعشرة آلاف فارس من الرجال وأفرقهم فى البرارى والقفار

ولا أبقى منهم ديار ولا نافخ نار ولكن ما أفعل الا ما تحب وتختار ثم انه خرج من عند أبيه وقد اهتم فى الامر الذى أنفذه فيه وأمر أخاه وردشان أن ينتخب له الابطال ففعل ذلك وفرغ منه فى ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع سار وهو فرحان وقد تقدم فى مقدمة العسكر وهو مؤمل بأخذ ثار أخيه هذا والجيش قد تتابع وهو مثل الغمام وخداوند بن كسرى سائر تحت الاعلام وهو يحلف بأعظم الاقسام لاعدت رجعت من هذه السفره حتى أنزل ببنى عبس الذل والحسره واجعل لى فى ذلك البلاد خبر مذكور وافعل بالعرب كما فعل بهم جدى سابور والا ما تصفو لنا معهم أمور (قال الراوى) فهذا ما كان من عباد الصلبان وأما ما كان من الملك النعمان فانه لما أتى الى مدينة الحيره أقام بها أفراحا كثيره ولما ان استقر به الامر وآنست به الديار أخذ يدبر فى تجهيز المهر حتى انه يرسله للملك زهير وقد اشتغل عن نوائب الدهر ومع ذلك ما يشتغل من الاسباب وان يأتيه من عند كسرى جواب فلم تكن الا أيام قلائل حتى أشرف عليه جيش الديالم فلما نظر النعمان تلك العساكر الذى ملأت السهول والجبال فركب فيمن عنده من خواص دولته من الرجال وسار يلتقى تلك العساكر التى كأنها البحار الزواخر ولم يزل سائر حتى وصل الى تلك العساكر ولما ان قاربهم سأل أحدهم فأخبره انه ابن الملك كسرى مقدم تلك الجحافل فلما سمع النعمان ذلك الكلام سار فيمن معه وهو طالب الاعلام ولم يزل سائرا بين تلك العساكر الى ان التقى بابن الملك كسرى ولما وقعت عليه ترجل فتقدم اليه الحاجب

وردخال أخواوردشان وقبض عليه وقدمه بين يديه فباس الارض النعمان وأشار بالدعاء فقال له خداوندا يا نعمان كأنك قد غرتك مملكتك حتى أنك فعلت بارادتك وان أبى ما أمرنى الا بضرب رقبتك وسلب نعمتك بسوء تدبيرك وقلة معرفتك ولكن أنا ما أعجل عليك حتى تفرغ الخدمة التى نحن فيها وبعد ذلك أحملك اليه وأقدمك بين يديه واذا صرت قدامه مثل بعض العبيد يفعل فيك ذلك الوقت ما يشتهى ويريد فلما سمع النعمان ذلك المقال أخذته الحيرة والاندهال فندم على ما فعل من تلك الفعال ثم سكت عن رد الجواب وعلم ان ذلك الوقت لا يفيد الكلام والخطاب هذا وقد خافت حواشيه وناسه لما فعلوا به ذلك قدام أكابره وجلاسه ثم انهم لما قبضوا عليه قبضوا جماعة من خواصه ولما فعلوا بهم ما فعلوا أيقن كل منهم بقلة خلاصه ثم انهم وضعوا فى أرجلهم القيود والاصفاد وجعلوا الكل فى السجن وعليهم العيون والارصاد ثم ان خداونددعى بعد ذلك بالاسود فحضر الى بين يديه وقد تجرد ثم انه فى عاجل الحال رق اليه فوضع على راسه التاج وأمر بالخلع فخلعت عليه وفرح الاسود بذلك الحال وأيقن بقبول السعادة والاقبال ثم ان خداوند أقبل بعد ذلك الحال وقال له اعلم ان الملك العادل كسرى أنوشروان قد عرف نصحك ومخامرة أخيك النعمان وانه جعلك مكانه ملكا على جميع العربان وقد أمرنا أن نسير من هذا المكان ونغشى بنى عبس وعدنان وننزل بهم الذل والهوان ومن عصى عليك من القبائل سرنا بعد ذلك اليه بهذه الجحافل وننزل به الفناء النازل وقد مضى أثره من الديار والمنازل فلما سمع الاسود من

خداوند ذلك المقال والاخبار قبل الارض بين يديه مرار وقال
وحق النور والنار وماتبديه من اللهب والشرار لقد أنكرت
على أخي النعمان غاية الانكار لانه رق للاعداء وعفى عنهم
وعاملهم على قبيح أعمالهم بالجميل والوفى بعدما كانوا قد استوجبوا
الذل والضير وكان ذلك من أجل ابنة ملكهم زهير لانه سمع
بصفاتها من بعض الناس فأخذه من حبها القلق والوسواس
فلما سمع خداوند من الاسود ذلك المقال تعجب غاية العجب من تلك
الاحوال وقال قد مضى حكم النعمان وولى وانقضى وماوقع
الابحر عمه وان الملك العادل قد رضيك لدولته واستشارك تابعا على
رعيته فاكتب أنت الساعة الى قبائل العرب واعلمهم بما تجدد
من هذا الامر والسبب حتى تبصر من يطيعك ومن يكون اليك
قادم ومن يخالفك ويعصى على دولة الاعاجم فمن أطاع أحسنا
اليه ومن عصى سرنا اليه بهذه العساكر وقدمنا اليه وأخذنا
روحه من بين جنبيه وأخربنا أرضه واطلاله ونهبنا أمواله
وسبينا عياله (قال الراوى) فلما سمع الاسود ذلك الكلام دعى
لدولة الاكاسرة بالدوام وقال يامولاى مادمت أنت وأبوك خلفى
فكل الارض وأهلها فى كفى ولا أكلفك بالمسير الى هذه الطائفة
التى قد بغت على أنفسها ولا تتعب بل انى أبيح دماهم الى سائر
العرب ولا أدع لهم لا رأس ولا ذنب ولا من يركب على قتب فلما
سمع خداوند ذلك الكلام قال له لابد لى من المسير اليهم فى هذه
الايام واطلب هذه الطائفة العبسية واصلب ساداتهم على
البيت الحرام ولا أدع منهم فى هذه السفرة لاشيخ ولا غلام حتى
تهابنى جميع العرب وتخشى جانبى ويعلموا بأن جميع الاقطار

163

تحت قبضتي فعند ذلك كتب الاسود كتبا كثيرة بهذا السبب وانفذها مع النجاب الى سائر قبائل العرب وهو يعلمهم بوصول الملك اليه ويأمرهم بالقدوم عليه والحضور بين يديه ثم انه ارسل في جملتهم الى معدي كرب والى جبار وهو يطلعهم على جلية الاخبار واوعدهم انه سائر الى بني عبس يأخذ منهم بالثار ثم انه بعد ذلك اخلع واوهب وفرق الفضة والذهب واستمال قلوب الناس اليه وقبض على كل من كان من دولة اخيه ثم انه ذبح الذبائح واولم الولائم ومد السماطات الى الاعاجم والديالم وقد فرح عاتم من ذلك الامر وتولى بنفسه خدمة خداوند بن كسرى فهذا ما تم لهؤلاء من الاخبار واما ما كان من جبار بن عامر فانه لما اطلقه عنتر وسار طالبا الى اهله والديار وكانت نفسه قد هانت عنده وزاد همه وكثر وجده وسار يسهر الليل والنهار وقد اخذه القلق والافكار ورأت روحه العبر من كثرة حنقه على عنتر وكذلك جرى على معدي كرب وقد حل به الضجر والويل والحرب ولم يبق له اسم يذكر بين العرب وهيبته ومدحت عنتر سائر الفرسان بما تم عليه من ذلك الامر والشان ما بقي يركب مع احد من الشجعان ولا يحضر ضرب ولا طعان حتى يأخذ ثاره من عنتر ويطفئ ناره ويكشف عاره هذا والفرسان قد سارت تأتي اليه وتتوجع له فيما جرى عليه وقدمت عليه الفرسان من كل جانب ومكان ومن جملة من أتى اليه زائرا وقدم عليه من الشوامت دريد بن الصمة الخثعمي الذي عمر من العمر الى ذلك الزمان اربعمائة وخمسين عام ولحق نبينا محمدا سيد الانام عليه وعلى آله واصحابه افضل الصلاة

والسلام وكان مع العمر الطويل صعب القتال شديد الاوصال صبور على الطعن والنزال ولاجل هذا سمته العرب رجاء الحرب فقدم على معدى كرب ومعه صهره سبيع بن الحارث المسمى بذو الحمار وكان هذا سبيع زوج ابنة دريد وهو من جملة جبابرة الجاهليه وأفضل من ذكر بالفروسية وقد أرخ في غير هذا الحديث ماجرى له مع الامام على بن أبي طالب كرم الله وجهه من القتال والعجائب حتى قتله الامام وانه لما قدم على معدى كرب مع دريد أكرم مثواهم ونحر لهم النوق وأقاموا عنده يومين وفي اليوم الثالث مزح دريد مع معدى كرب وأكثر له من المذمة وأشار اليه بهذه الابيات يقول صلوا على طه الرسول

لقد ذل يامعدى من أنت ناصره * وخاب رجاه واستبيحت حرائره
أما يستحي من يدعي منزل العلا * يقاتله عبد زنيم ويأسره
فخل اليمانيات لاتحملنها * ولاتذكر الفخر الذى أنت ذاكره
فما كل من سل الحسام بكفه * يشيع له ذكر وتخشى بوادره
وما في سنان الرمح موت وانما * بعلمه قبض النفوس معاشره
فت كمدا وعش بذل وحسرة * ولاتشتكي لليل أنت ساهره
فان كنت ذا عزم ونفس حمية * فسر نحو شيطان الحجاز وبادره
ولاتخش من آل عبس ان تعينت * فمافيهم والليث سواه فحاذره
فان خفت فاطلب من سبيع معونة * ترى أسدا في الحرب تدمى أضافره
اذا سل سيفا أحرق الارض حده * وسل به الارواح والموت ناصره

(قال الراوى) فلما سمع معدى كرب من دريد هذا المقال تغيرت منه الاحوال وقل منه الصبر والجلد ومات غيظا وكمد

ولا

ولا بقى يملك شيأ من العقل وتمنى الموت والقتل ولكن أخفى
الكمد وأظهر الجلد وجعل يعتذر لدريد ويقص عليه الخبر
ويحدثه بما فعل عنتر وكيف أباد الفرسان وقهر الشجعان وكيف
أسر جبار وقتل وردشان فعند ذلك تبسم ذوا الخمار سبيع بن
الحارث واليه أشار وقال له أنت يا معدى كرب تقول هذا المقال
الا مما حل بك من العبر ومما وقع فى قلبك من رعب عنتر أذات
اللات والعزى رقبة من يذل لعنتر وبعد هذا الامر قد فات
ولا بقى ينفع فيه غير السكات وان أردت أن تمحوا عنك العار
وتأخذ ثارك من هذا العبد الغدار فشد عزمك وازل همك وغمك
وسر متى شئت حتى أسير معك وأبلغك أربك وأريك ما أفعل بعنتر
وتنظر وتبصر من يكسب منا ومن يخسر ثم انهم بعد ذلك
الكلام اقاموا عنده خمسة أيام وهو يزيدلهم فى الاكرام ثم انهم
ودعوه وساروا طالبين الاوطان هذا ومعدى كرب قد طاب
قلبه بوعد دريد وذو الخمار وأمل فى نفسه خلاص الثار وكشف
العار ثم انه كتب كتاب الى جبار ابن عامر واعلمه بما وعده صهره
ذو الخمار ويبشره بأخذ الثار وكشف العار ويستشيره
بما يفعل من الفعال فلما وصل الكتاب الى جبار وقرأه وعلم
بصحة الاخبار فأرسل لمعدى كرب وأكد معه الايمان
وتحالفوا على قلع بنى عبس من دون العربان ولم يزالوا على ذلك
الحال وهم ينتظرون بلوغ الآمال الى ان وصل اليهم الخبر
بما تجدد وعلموا ان مملكة العرب قد سارت للملك الاسود ففرحوا
بذلك الشان وزاد سرورهم بالقبض على الملك النعمان ثم انهم
رحلوا طالبين ديار بنى عبس وعدنان وكان أول من سار ابن

عامر حار لاجل الاتفاق الذى كان بينه وبين معدى كرب وكان معه سبعة آلاف من بنى كندة وهم الذين يرجوهم لكل شدة وماقيهم الا من هو على صهوة الجواد منغمس فى عدة الحرب والجلاد وسار يطلب أرض بنى عبس وقلبه يغلى بالشر والاحقاد وقد أمل أن يسبق الملك الاسود وجيوش كسرى ويفوز بالذكر والفخر دون الورى (قال الراوى) وكانت بنو عبس قد عادت الى أرضهم ونزلوا فى ديارهم وقر قرارهم وهم فى فرح بمصاهرة الملك النعمان وبما قد بلغوا من العز وعلو الشان وعنتر وعروة لا يفترقان من ابتكار شرب الدنان واللعب والطرب مع الاخوان حتى ختمت جراحاته التى جرحها له فاسق فارس اليمن ومابقى عليه خوف ولا وهن وكان كلما اجراذ كر عبلة بينهما يشير عروة على عنتر أن يطلبها من عمه مالك وهو يأبى ذلك ويقول يا أبا الابيض أناما أدخل على بنت عمى حتى تدخل مولاتى المتجردة على الملك النعمان وتنفصل ولائم الملوك الكرام وسادات العربان وادبر أنا بعد ذلك أمرى بأى وجه كان هذا ما كان من هؤلاء وأما ما كان من خداوندين كسرى فانه بعد ما قبض على النعمان كان أول من علم بذلك الشان بنو عبس الشجعان لان الوزير عمرو بن نفيلة العدوى كتب اليهم كتابا وأخبرهم بما جرى من الاسباب ولما ان وصل اليهم الخبر بهذه الفعال وسمع كل منهم ذلك المقال أخذهم الانذهال وضاقت صدورهم واحتاروا فى أمورهم وبقوا بين المصدقين والمكذبين ومازالوا حتى وصلت من عند الاسود كتب الى فزارة وسمع بنو عبس بان أرض بنى فزارة انقلبت بالافراح وواظبوا شرب

الراح مساء وصباح وزالت عنهم الهموم والاتراح وفرحوا بوصول الكتاب وأخلع حذيفة بن بدر على النجاب ثم ان حذيفة صنع الولائم والدعوات لاصحابه وتعلقت الآماء والمولدات وقال سوف نأخذ من أعدائنا ما فاتنا بعد ان صار صهرنا الاسود حاكم جميع العربان وقد قبض الملك العادل على صهره بنى عبس وفى هذه الايام يقلع آثارهم ويسبى صغارهم ويقتل كبارهم (قال الراوى) وكان بالاتفاق العجيب ان هذه الكتب لما وصلت الى بنى فزارة كان الربيع بن زياد نازل عندهم هو واخوته فاجتمع بحذيفة بن بدر ووجوه عشيرته فقال لهم يا بنى عمى كونوا أنتم من اليوم على أهبة واستعدوا للطعن والضرب وأى قبيلة أتت الى بنى عبس من أى الجهات حتى يعينوهم فامسكوا عليهم الطرق والمذاهب حتى لا ينجو منهم هارب واكبسوهم قبل أن تأتيهم الاعاجم والاعارب ويفنوهم وتملكوا أنتم ارضهم ومراعيهم وكان قد وصل اليهم فى كتاب الملك الاسود وهو يأمرهم بذلك وان يضيقوا عليهم المسالك ويقول لحذيفة يا أمير ان رأيت بنى عبس وقد خافوا من الفرس ورحلوا فاكتب الى واعلمنى بذلك وفى أى مكان ينزلوا فلما سمعوا بنو عبس بهذا الشان وصح عندهم بأن ابن كسرى قبض على النعمان وبلغهم أن بنى فزارة مداومين الافراح مساء وصباح عند ذلك أحضر الملك زهير بنى عبس بين يديه وأخبرهم بما أتى من الاخبار اليه وقال لهم اعلموا ان الوزير عمرو بن نفيلة قد ذكر فى كتابه الذى انفذه الينا بأن خداوند بن كسرى سائر الينا فى عساكر العرب والعجم وكذلك الاسود وقد اتفقوا على اهراق دمائنا ونهب أموالنا وسبى عيالنا

(قال الراوي) فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء في عينه ظلام وقال له أيها الملك الهمام نحن الذي ضيعنا السداد برحيلنا وادي الرمال والا لو كنا مع بنا حتى نسمع ما يجري على مهرنا وبعد ذلك كنا ندبر أمورنا ولكن ما بقي يخبينا من الاهوال ويحمي حريمنا والعيال الا الضرب بالسيوف الصقال والطعن بالرماح العوال والرأي أيها الملك أن ترحل بنا من غير مطال ونطلب لنا مكانا نحصن فيه الحريم والعيال وبعد ذلك نتجرد الى لقاء العرب والعجم ونتنزه بهم القمم وأريك أنا ما أفعل بهذا الملك الجديد وكيف أبدل صفو عيشه بتنكيد وأترك بني فزارة بعد الافراح ينقلبوا الى هموم واتراح واقيم في ديارهم النواح مساء وصباح (قال الراوي) فلما سمع زهير هذا المقال من عنتر فرح واستبشر وصفى عيشه بعدما كان تكدر لانه يعلم انه فارس غضنفر وهو على ما يقول يقدر ثم انه قال يا أبا الفوارس اذا كان الامر على هذا الحال فتقول لاخيك شيبوب يعلم الرجال بما نحن فيه وما نحن معولين عليه من الارتحال حتى نسير اذا مضى الليل بالظلام ونتحصن في جبال أجا وسلمى لانها جبال حصينة وأي طائفة نزلت بها كانت من أعدائها آمنة ونقيم هناك في تلك الجبال حتى ننظر على أي شيء ينفصل الحال لان هذه الجبال مثل جبال الردم وأصعب ملقا وأعلى منها ذروة ومرتقا فعند ذلك أمر عنتر شيبوب يعلم الرجال ويأمرهم بأخذ الاهبة والارتحال ففعل شيبوب ما أمره عنتر وصبر حتى أظلم الظلام واعتكر ورحلوا بالمال والعيال وقصدوا نحو تلك الجبال العوال وتركوا منازلهم خوال ثم ان عنتر ارسل عبدين من العبيد الكثيرين

الشطاره وقد أمرهم بالمسير الى بنى فزاره وقال لهم فى ديارهم
ولا تعودوا الينا حتى تعلموا جميع أخبارهم لانهم مجدين لنا
فى الطلب وهم أشد لنا عداوة من جميع العرب فعندها سارت
العبيد من غير مطال وبعدها سار بنو عبس طالبين نحو الجبال
فلما وصلوا اليها نزلوا ونصبوا الخيام طولا وعرض وقد أنسوا
بتلك الارض ولما استقر بهم القرار أحضر الامير عنتر أخيه جرير
القهار وقال ما أريدك الآن تسير من ساعتك هذه الى مدينة
الحيره وتنتظر هذه العساكر الكثيره وتختلط بمن قد جمع الاسود
من العرب والعجم وتستخبر كم يكون عدد تلك الامم واذا رأيته
قد سار الى نحونا تسبقه وتقطع الفلاة وتأتى تعلمنا حتى اننا نتأهب
الى لقاه فلما سمع جرير من عنتر ذلك المقال أجابه بالسمع والطاعة
ثم انه تجهز وسار من ذلك الوقت والساعة (قال الراوى)
فهذا ما كان من بنى عبس أصحاب الشجاعة والشطاره وأما
ما كان من طائفة بنى فزاره فانهم لما سمعت برحيل بنى عبس من
الاطلال ومسيرهم الى أجا وسلما وتحصينهم فى الجبال صعب
عليهم ذلك المقال وقالوا لقد فاتنا منهم الغنائم والاموال ولا بلغنا
بما كنا نرتجيه منهم آمال ثم ان الربيع بن زياد من عظم ما حل به
من الهم والنكد اجتمع هو وحذيفة بن بدر وكتبوا كتابا
الى الملك الاسود وهم يعلموه بما جرى من أمر بنى عبس وتجدد
ويقولون اعلم أيها الملك اننا كنا لقدومك منتظرين وكذلك
القبائل الذى كتبت لهم مرتقبين ونحن نقول عسى أن يصل
أحد منهم قبل أن يدروا بنى عبس فنعينهم عليهم ونهدمهم ونقتل
شبانهم ورجالهم وننهب أموالهم فعلموا بمسير خداوند الى نحوهم

وعرفوا انه جمع كل عدولهم فرحلوا الى جبال أجاوسلما وحصنوا فيها أموالهم ونساءهم ونحن اذا رأينا أحدا من القبائل أتى الينا سرنا نحن الآخرين وقصدناهم وأعناهم عليهم وجمعنا عليهم العرب من سائر السباسب ونساعدهم بالقنا والقواضب وانا نهنيك بما وصل اليك من الاكرام وأكبر الهناء اذا حصل لك النصر على أعدائك ولاسيما اذا احاطت يدك على زهير ملك بني عبس وعبدهم عنتر ثم انه بعد ذلك طوى الكتاب وأرسله الى مدينة الحيرة مع نجاب (قال نجد) وبعد ارسال الرسل وصل اليهم الامير جبار ومعه أبطال بني كنده وهم معدّين من أصحاب الشجاعة والشدّه فتلقوهم بنو فزاره وقد أيقنوا انهم يحلوا ببني عبس الخساره فلما قدموا عليهم أكرموا مثواهم ولما استقر بهم الجلوس سئل جبار عن بني عبس وعمّا تم لهم فأخبروه انهم تحصنوا فى الجبال وتركوا ديارهم خوال فلما سمع جبار زاد به الآلام وعض على كفيه وصعب ذلك الامر عليه ثم أقبل على الربيع وجعل يسالقه فى الكلام ويقول يا أمير لا تتأسف على رحيل الاعداء فسوف نسير خلفهم ونجد ونتبعهم ونحصرهم فى الجبال وننزل بهم الذل والوبال ونقيم على حصارهم حتى يأتينا الملك الاسود لاننا قد أرسلنا اليه نجاب يعلمه بهذه الامور والاسباب لكن ما بقي فى الرأى الا اننا نجمع عليهم خلفاءنا وأصدقاءنا وأصحابنا الذى نعتمد عليهم فى شدّتنا ورخائنا وما نسير من هذه الديار حتى يبلغنا جميع الاخبار ونسمع عن خداوند انه قد دهمهم فى جيوش العرب والعجم ونعلم بأنه قد أنزل بهم البؤس والنقم فاذا وصلت الينا هذه الاخبار سرنا وكشفنا عنا

العار

167

العار وطلبنا منازل العز والافتخار وننتقم من بعضنا بعض لا تنافينا كفاية تلتقي أهل الارض قال الناقل فلما سمع جبار من الربيع ذلك المقال أجابه اليه واتفقوا انهم يسيرون الجميع ثم قال له حتى يصل الينا معدي كرب ونجتمع ونجد كلنا الهم في الطلب ويأتي أيضا دريد مع ذوا الخمار لانهم ما يأتوا الا في جيش جرار وبهم نبلغ ما نختار لاني ما رحلت من الديار حتى أتاني كتابه وأخبرني انه واصل الينا بمن معه من أصحابه فلما سمع الربيع وبنو فزارة ذلك الكلام فوجدوه رأى صواب ثم بعد ذلك الكلام أنزلوا جبار ومن معه في الخيام وأكرموه غاية الاكرام وأكثروا له من الطعام والمدام وأقاموا بعد ذلك في انتظار معدي كرب ومن يصل اليهم من شجعان العرب وقد أيقنوا أن ليس بقي من بني عبس آثار وانهم يقلعوا من عنتر ومن معه الآثار (قال الراوي) وكانت هذه الامور والاقوال كلها تجري والعبدين الذي أرسلهم عنتر الى بني فزارة تسمع وترى فلما انهم علموا بما جرى من ذلك الاحوال عادوا مسرعين الى الجبال ولما وصلوا أعلموا بجميع ما سمعوا من ذلك الاحوال وقصوا عليه جميع الاخبار وما اتفق عليه الربيع وجبار وشرحوا له أخبار بني فزاره وما سمعوه عن دريد من تلك العباره فلما سمع عنتر مقالهم اشتد غضبه على الاعداء كلهم وقد نهض من ساعته الى عند الملك زهير وأولاده وأخبرهم بذلك المقال فلما سمع الملك زهير من عنتر هذه الاخبار قال له والله يا أبا الفوارس ما أرى ظهر لمامع بني فزارة في الصلح آثار لان الغدر لباسهم والبغي أساسهم وانما تقع الخسارة انشاء الرب القديم الا في رؤسهم لانهم قوم لئام

منا حبس فما عندك من الرأى يا أبا الفوارس (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الملك زهير ذلك الكلام قال الرأى يا ملك اننا نخلى هنا ولدك قيس لحفظ المال والعيال ويكون معه ألف فارس ونسير نحن فى هذه المكان الى من قصدنا من العربان ونكبس أعدانا بمن معه من الفرسان وننزل بهم الذل والهوان ولا نبقى منهم انسان فلما سمع زهير ذلك رآه صواب ثم تأهبوا للمسير وساروا فى ثلاث آلاف فارس غضنفر كل فارس منهم يلقى المائة وأكثر وتركوا قيس ومعه الباقى وأوصوه بحفظ المال والعيال وأمرهم باليقظة والاحتراز وأن يكونوا على حذر من شياطين الحجاز وبعدها رحل الملك زهير وجد فى قطع البر الاقفر وبجانبه بدر الدولة أبو الفوارس الامير عنتر وكذلك أبوه شداد وعروة بن الورد ورجاله الاجواد والكل على الخيل الجياد بالرماح المداد والسيوف الحداد ولما انهم بعدوا عن الابيات ودخلوا فى البرارى المقفرات قال عنتر لاخيه شيبوب خذ بنا على أقرب الطرقات واقصد بنا البرارى المقفرات حتى لا يلقانا لا أبيض ولا اسود فقال لهم شيبوب خلفى وانظروا العجب وجدوا لاعداكم فى الطلب فعندها جدوا فى قطع القفار وأوصلوا سير الليل بالنهار وصاروا يقطعون الفلا الى ان صار بينهم وبين بنى فزاره فرسخين فعندها أقبل عليهم شيبوب وقال لهم انزلوا هنا وأريحوا خيولكم من التعب والعنا حتى انى أسير وأكشف أعداكم وأعود اليكم بما فيه رضاكم ثم انه مضى كأنه بعض الجن الطياره وعرف الربح من الخساره ثم انه عاد على عقبه راجع وقد بقى من الليل الربع الرابع فلما وصل الى أخيه أعلمه

إن

ان الاعداء قد برزوا من الحلل وقد ملؤا جميع السهل والجبل وقد اجتهد بنو فزارة وبنو كنده وأظهروا ما عندهم من الشده وقد عولوا على المسير وان الربيع بن زياد هو الذى لهم مدبر ومشير وهم سائرين الينا وقلوبهم تغلى نيران الحقد علينا وقد عولوا على حربنا وقتالنا فلما سمع عنتر من شيبوب هذا الكلام قال له لا تصف لنا أولاد اللئام فوحق الملك العلام الذى أنزل القطر من الغمام وارسى الجبال كالاعلام وأوسع البر والآكام لا تركت ليلة غد الصباح الا وكلهم مبددين فى البطاح ثم التفت الى الملك زهير وقال أيها الملك اقعد أنت وأولادك ومن يعز عليك فى هذا المكان ويكون عندك خمسمائة حتى أسير أنا وأكبس الاعداء فى هذا الوقت والحين وما أدع النهار يطلع الا وهم فى البر مغرقين فلما سمع الملك زهير من عنتر هذا الكلام قال لا وحق البيت الحرام لا عذبت روحى عليك ولا سرت الا بين يديك فقال له عنتر اذا كان خاطرك أيها الملك على هذا الامر فأنا أشير عليك برأى موافق وهو انك تقسم العساكر ثلاث فرق واذا وصلنا اليهم تقصد كل فرقة الى جانب وتحمل وتزعق كأننا فى ظلام الغسق (قال الاصمعى) فأعجب هذا الرأى للملك زهير وكل من حضر ومامنهم الامن أيقن بالنصر والظفر لما سمعوا ذلك القول من أبى الفوارس عنتر ثم انهم ركبوا خيولهم وساروا وقد أيقنوا ببلوغ مأمولهم ولم يزالوا حتى حاذوا ديار بنى فزارة فتفرقوا وحملوا عليهم من كل جانب وشرعوا اليهم بالقنا والقواضب فصار العقل منهم ذاهب مما حل بهم من المصائب وفى عاجل الحال ركبوا على صهوات الجنائب وكان

أكثرهم خالي من الزرد فمن دهشتهم تفرق شملهم وتبدد شمل حال بهم في الظلام الاسود وحارت منهم العيون وخابت آمالهم والظنون هذا وسيوف بني عبس تعمل في أطرافهم وقد عاينوا اتلافهم واما صار سمع صياح عنتر وهو كالرعد اذا هدر فصاح في بني كندة معاشر الابطال والشجعان لا يهولنكم صياح هذه الشيطان اثبتوا وجدوا الهم في الطلب واياكم أن تحدثوا انفسكم بالهرب ولا تخافوا من هذا الخطب الجليل فما هم الا في نفر قليل ثم انه بعد ذلك النداء طلب عنتر وقد سبقه من قومه الرجال الاجواد وخيم عليهم الغبار لما طلع من تحت أرجل الخيل الجياد فزاد الليل سواد وعملت بينهم البيض الحداد وكثر الابراق والارعاد ودام الاهوال وكثر العناد ودار بهم من الاماكن وتفرقوا الفرسان هذا والثلاث مواكب تنادي عن لسان واحد يا آل عبس يا آل عدنان وجعلوا يصيحون بذلك النداء وهم في أشد الكفاح وكثر بينهم القتل والجراح حتى اقترب الصباح وسارت الفرسان أشباح بلا ارواح وقد حل بهم القضاء والقدر ومامنهم الامن تعب وتقهقر الا أبا الفوارس عنتر فانه عمل تلك الليلة عمل منكر وسار كأنه الاسد الادرع الذي يفترس ولا يشبع وبقت الرجال قدامه تهوى وتقع وما زالوا على هذا الحال الاشنع حتى انفجر الصباح وطلع وبني فزاة وبني كندة قد جرعت في تلك الليلة الموت جرع وقد حل بهم من سيف عنتر الذل والويل وتفرق بنو فزارة في ظلام الليل وبني عبس قد اشفت الغليل لان مابقى الا ذينة والربيع في نفر قليل وكذلك بني كندة حل بهم الويل الطويل بعد ماقتلوا وأسر وامنهم ألفين قتيل (قال الراوي)

ولما

ولما طلع النهار وأشرقت الشمس على وجه الارض عرف الناس بعضهم بعضا وكان الملك زهير وقد قاتل ذلك اليوم أشد قتال هو وأولاده لانه كان اجتمع في تلك الليلة بكل فارس قتال وأما عنتر فانه أباد الابطال وتحيرت منه جميع الرجال ومازال على مثل ذلك الحال الى أن حميت الشمس واشتد الحر حل بهم الفناء ونزل بالناس العناء وسارت الشمس في كبد السما وحل بالعالم ثقتين العطش والظما (قال الراوى) فعند ذلك نزلوا وقد انطرحوا في جنبات تلك الساحة وقل منهم الحيل والقوى حتى حتى هب نسيم الهوى فعادوا الى خيولهم ركبوها وكان أول من ركب وحضر الى الميدان أبو الفوارس عنتر بعد ان رتب صفوفه فلما رأته بنى كندة فعلت كفعله وركب جبار وابتدر الميدان نحو عنتر فارس عبس وعدنان فلما رآه عنتر حمل عليه حملة الغضب وقد انطبق عليه انطباق القضاء ولوح السيف وضربه أرماه في وسط الفلاه فأدركه شيبوب شد كتاف وساقه بين يديه فلما رأت بنى كندة ذلك حملت بأجمعها تريد عنتر فأمهلها حتى تلقاها بضرباته فشردها وأمر الملك زهير لبنى عبس بالحملة فحملت على بنى كنده فأورثتها الشدة (قال الراوى) فلما رأى جبار ذلك الامر والشان نزلت دموعه على خده غزار فقال له شيبوب لعن الله أباك وقبح بطنا رباك تفعل فعال العدوان واذا جار عليك الزمان ورماك تبكى بكاء النسوان فقال له جبار يا شيبوب وحق علام الغيوب الذى يعلم ما فى القلوب ويكشف الشدة عن كل مكروب مابكيت خوفا من القتل والهوان وانما بكايا على تقلبات الزمان لانه مازال ينقص اللذات ويفرق الجماعات

واذا اضحك يوما أبكى سنة وليس له على أحد جميل ولا حسنة فلما سمع شيبوب مقاله رق لحاله وقال له مامعنى هذا الكلام ياجبار بينه لى حتى أعرفه وأنظر مافيه من الاسرار فقال له ياشيبوب اعلم انى كنت أهوى جارية تسمى أمامة بنت أسد بن دودان صاحب أرض الحيوان وسيد قبيلة بنى الريان وقد قاسيت لاجلها شدائد وأهوال تقصر الاعمار الطوال وتذل كل انسان وتحير الانس والجان ولا سمح لى بها أبوها حتى توسط لى فيها الملك النعمان ولما انفصل الحال ودنت أيام الوصال وجلت الى أبوها النوق والجمال ومابقى لى عايق يعيقنى عن بلوغ الآمال فأتانى فى ذلك اليوم كتاب الملك النعمان وهو يأمرنى بالمسير الى قتال أخيك فيمن معى من الفرسان فسرت أنا ومن صحبنى وقد اشتد منى العزم وقصدناكم وأنتم فى جبال الردم فأسرنى أخوك عنتر وأنزل بى الذل والعبر وتركنى فضيحة بين البشر فلما صالحه النعمان وأطلقنى فسرت طالب أهلى ولما وصلت اليهم وقر بى القرار فأرسلت أطلب من أسيد زوجتى فأرسل يقول أنت قد علاك الشنار وأسرك عبد من عبيد بنى عبس وألبسك ثوب العار وأنا مابقيت أسلم ابنتى اليك ولا أزفها عليك حتى تأخذ منه ثارك وتكشف عنك عارك فبينما نحن على ذلك الشان واذا قد أتانا الخبر بالقبض على النعمان فلما سمعت ذلك الخطاب ضاقت بى الاسباب وماصدقت أن يأتينى من الملك الاسود كتاب حتى سرت اليه بمن معى من الاصحاب وقلت فى نفسى لعل وعسى فعاندنى الدهر وعلى أسى وجرى ماجرى واذا بى وقعت فى يده مرة أخرى وهى أشد من النوبة الاولى وعلمت

انى

170

انى أبقى بهـا عنـد العرب مثـال وبعـد ذلك أنا أعلم وأتيقن بأنه ان عاد من الحرب ينزل بى المحن ويعذبنى ويسلب نعمتى وبعدها يضرب رقبتى وأنا بما جرى على من هذه الامور والاسباب جرت دموعى من شدة الاكتئاب (قال الراوى) فلما سمع شيبوب كلامه وعرف مرامه قال له ويلك يا جبار لو انك عوض ما سرت الى الملك الاسود وأتيت تساعده على هذا النكد وأنت فى هذا الجمع والعدد وعملت هذا العمل فى حق النعمان بعدما أولاك الجميل والاحسان وجازيته بأسوأ المجازاه وجئت تساعد عليه عداه كنت جئت الى أخى عنتر حتى انك ترى بعينك وتبصر ما يفعل معك من الجميل الذى يذكر ولا يبلغك من تعب أوطارك وكان يحيلك الامر على حسب اختيارك ولكن لما كافئت النعمان بقبيح أعمالك أوقعك الغدر فى سوء فعالك فلما سمع جبار من شيبوب ذلك المقال بان الحق من المحال وقال والله صدقت يا شيبوب لكن ان سبب لى خلاصى علام الغيوب فأنا أرجع عن ذلك وأتوب ويكون على يديك اقلاعى عن هذه الذنوب وأريك يا وجه العرب أن تكون أنت المتولى لهذا السبب وتتوسط لى فى الصلح مع أخيك وخلاص مهجتى من العطب وان يصطنعنى ويرغب فى صحبتى وأنا وذمة العرب أخدمه جهدى وطاقتى حتى تدهمنى منيتى وأكون عونا له أنا وأهلى وعشيرتى وان أنا خنته بعد هذه المرة فتكون أمى زانية غير حرة وأكون قد كذبت فى نسبى وتعلم سائر العرب انى من غير أبى (قال الراوى) فلما سمع شيبوب مقاله عول أن يعطيه زمامه لما علم انه فى مقاله صادق وانه لم يكن بالكذب

ناطق فأقبل عليه وقال له ياسيد بنى كنانة أنا أفرج عنك هذه الشدة وأزيل عنك همك وغمك وأدم لك ابن أخى وأكرمك برجع ولا أحد من أهلى يكاملك ولكن ياوجه العرب ان كنت تعرف ماوراءك من الحسب والنسب احلف لى بالرب الكريم الذى هو بأحوال الخلائق عليم الذى أوسع الفلا ورفع السموات العلا وسطح الارض على تيار الما وأحاط بكل شىء علما وعلم آدم الاسما وخلق فى الارض نسمة تسعى وأخرج منها النبات والمرعى وعظم قدر الكعبة الغرا وأكرم مثواها بمجاورة أبى قبيس وحرى وأمات وأحيى وحكم على عباده بالموت والفنا وتفرد بالدوام والبقا وبحق موسى وابراهيم وما أنزل عليهما من الآيات البينات وبالنبى الذى يظهر فى آخر الزمان من أفخر عنصر معد بن عدنان صاحب المعجزات والبرهان انك ماتكون بعد هذه الايمان خوان (قال الراوى) فلما سمع جار من شيبوب هذا المقال أجابه الى ماقال وقال له بمن أرسى شوامخ الجبال ويعلم كم وزنها ذرة ومثقال وأكد عليه فى الايمان والاقسام بأنه لاعاد يغدر لا فى قتال ولا فى كلام (قال الراوى) وان هذه الايمان الذى كانت تحلف بها الجهال فى ذلك الزمان الاول كل من حلف بها وكذب يموت لوقته ان سلم من العذاب (قال الراوى) فلما سمع شيبوب من جار ذلك اليمين وأشهد عليه رب العالمين أطلقه من شداده ورد عليه عدته وجواده فلما نظر جار الى شيبوب وقد أطلق سراحه زال همه وكثرت أفراحه وانذهل وزادت انجحابه ثم انه ركب وعاد الى أصحابه فلما رأت بنو عبس الى ذلك الحال ورأوا جار أقبل ظنوا انه انطلق غصب من

شيبوب

شيبوب صاح فيهم الملك زهير وأمرهم أن يأخذوه أسيرا واذا بالامير
جبار ركض على الملك زهير وترجل عن ظهر جواده وقبل رجل
الملك زهير في الركاب وحكى له ماجرى مع شيبوب من الامور
والاسباب ثم ان الامير جبار عاد الى ظهر جواده ونادى بأعلا
صوته يابني الم كفوا أيديكم عن ضرب الحسام البتار فقد حلفت
الى بني عبس يمينا بمن أرسى الجبال الشوامخ وقدر الارزاق
والآجال ورفع السموات العوال الذي لاشبيه له ولامثال
اني أكون الى الامير عنتر من جملة المحبين على طول الزمان حتى
خلاص الى الملك النعمان فكل من سمع كلامي وعصى زمامي
والا عجلت عليه بحسامي اذل يرم مرامي فلما سمعت بني كندة
كلام الامير جبار انكفوا عن قتال بني عبس وفرحوا بالخلاص
من قدام عنتر الاسد الريبال ثم انهم مالوا كل بني كندة
وكانوا كما ذكرنا سبعة آلاف على بني فزارة وبني زياد أبادوهم
بالحسام وطعن الرمح المدام وأما عنتر فانه كان تحت الغبار
يبطح الابطال بحسامه الضامي البتار وكان خاف من غدره الامير
جبار لايغدر به تحت الغبار حتى رآه فعل تلك الفعال وأبصره
هو وقومه بنو كندة أبادوا بني فزارة وبني زياد ففرح عنتر واتسع
صدره وانشرح بصاحبة هذا البطل الجبار فبينما هو واقف يتفرج
عليه الاوالامير جبار هجم على عنتر وترجل عن ظهر جواده
وركض وأراد أن يقبل رجل عنتر في الركاب ترجل عنتر عن
ظهر جواده الابجر واعتنق الى الامير جبار وقبله بين عينيه هذا
والامير جبار قال لعنتر يا أبا الفوارس كل دم بيننا موهوب والله
مطلع على ما في القلوب لاني عرفت مافعلت معي من الجميل

والاحسان فلعن الله أبو جهار ان كان بقي بعد هذا اليوم يعين الاعداء عليك في البيدا أو يضمر لك سوء أبدا فلما سمع عنتر كلام الامير جهار شكره على كلامه واثنى عليه وتحالفوا الاثنين على حفظ الوداد ثم انهم حملوا على بقية بني فزارة وبني زياد وطعنوا في أقفيتهم بالرماح المداد ولم يزالوا خلفهم يطاردوا فيهم حتى وصلوهم للخيام بعد ذلك عادوا على خيلهم الشارده والعدد المبدده الى أموالهم ورجعوا طالبين جبال أجاو سلما وجهار راكب الى جانب عنتر وقد فرح واستبشر (قال الراوى) أما بنى فزارة والربيع بن زياد كانوا واقفين قريب الخيام منتظرين الى جهار حتى يعود اليهم بعنتر أسير واذا بأصحابهم مقبلين هاربين والى النجاة طالبين لما رأوهم وقع بهم الانبهار ولما نظر الربيع ذلك انقطع ظهره وحار في أمره ونادى ويلكم يابني العم ما الذي جرى عليكم وقالكم أحكوا الما جرى عليهم من بني عبس وعدنان وعنتر كيف أسر الى الامير جهار وقد صار من جملة أصحابه وكان أكثر شكواهم من عنتر وجهار وبنى كندة فلما سمع الربيع ذلك الكلام اندهل وطلب الهرب خوفا من الهلاك والعطب وأما عمارة بن زياد رمى الرمح من يده اليسار وبقي يركض ويلتفت الى ورائه من خوفه من عنتر وهو يقول ياليتني ما كنت في هذا اليوم ركبت في هذا الموكب وانكسر الربيع وأخذ يسب الامير جهار وبني كندة على مافعلوا بهم وأما الامير عنتر كان رجع من خلف الاعداء وقد أشفى فؤاده من بني فزارة وبني زياد وبلغ منهم ما اشتهى وأراد وعادوا طالبين الجبال هذا وعنتر راكب الى جانب الامير جهار وقد أخرج يده من جلباب درعه وافتكر ما جرى له

172

من الاهوال وما جرى عليه من المصائب الثقال فأشار بهذه الابيات يقول أفلح من يصلى على الرسول

أبا عبلة ضيعتى العهودا * وصار ودك الماضى صدودا
ومازال الشباب وما اكتهلنا * ولا أبلى الزمان لنا جديدا
ولازالت صوارمنا حدادا * تقد بها أناملنا الحديدا
سلى عنا الفزارى حين لما * شفينا من رجالهم الكبودا
وخلينا نساءهم حيارى * قبيل الصبح يلطمن الخدودا
ملئنا سائر الاقطار حربا * فأضحى العالمين لنا عبيدا
وجاوزنا الثريا فى علاها * ولم نترك لقاصدنا مزيدا
اذا بلغ الفطام لنا صبيا * تخر له أعادينا سجودا
ومن يقصد بداهية الينا * يرى منا جبابرة اسودا
ندير الطعن بالسمر العوالى * اذا ما الحرب تنضج ذا الكبودا
ونضرم نارنا فى كل أرض * تذيب العظم منهم والجلودا
وانصل سيفنا فى كل أرض * عظام داميات أو جلودا
اذا دارت على قوم رحانا * تركنا عامر الاطلال بيدا
ويوم البذل نعطى ما ملكنا * ونملأ الارض احسانا وجودا
فهل من مخبر النعمان عنا * مقالا سوف يبلغه رشيدا
اذا عادت بنو الاعجام تهوى * وقد ولت ونكست البنودا
وسمر الخط تعمل فى قفاها * وتروى مثل ما تروا الكبودا
ويعلوا ملكه ويبات قهرا * يقاسى مثل ما قاسى ثمودا
أنا لعبد الذى ألقى المنايا * حقيقا فارس الخيل المجيدا
وطئت بعزمتى هام الثريا * بسعد بازغ وثنا حميدا
أنا عنتر وذكرى شاع جهرا * فى الآفاق ذا فعل شديدا

ولي نجم سعيد من الهى * وخالق من كل الانام له عبيدا

(قال الراوى) فما فرغ عنتر من هذه القصيدة حتى طرب الملك زهير وكل من كان حوله من أبطال بني عبس الاماجيد وبني كندة الصناديد أما الامير جبار فانه بقي باهت في وجه عنتر وقال له والله يا أبا الفوارس لقد جمع الله فيك الفروسية والكرم والفصاحة وحسن الشيم وقد سدت على العرب والعجم والذي يحفظ مثل هذه الابيات ما يحتاج معه في الليل الى أنيس ولا في النهار الى جليس (قال الاصمعي) وكانت هذه الابيات سمتها العرب في ذلك الزمان المؤنسية وكانت العرب اذا اختلت بأنفسها في البر تنشدها فيحفيها الانس وهي من جملة المختارات لعنتر صاحب الوقعات هذا ما كان لهؤلاء وأما ما كان من معدي كرب الزبيدى وبني زبيد فانه وصلت اليه الاخبار بركوب خداوند الى بني عبس هو والملك الاسود وان الملك النعمان انقبض عليه جميع معدى كرب من قومه مقدار خمسة آلاف بطل من بني زبيد وبني خثعم ومراد وكاتب الامير جبار بن عامر الكندى أن يلاقيه على أرض بني عبس وركب بعدها معدى كرب وسار الى عند دريد بن الصمة يطلب منه ومن ذوا لجار معونة ونجدة على بني عبس فلما نزل معدى كرب عند دريد بن الصمة حكى له ما جرى على الملك النعمان وركوب بن كسرى خداوند واجتماعهم على بني عبس وان العرب والعجم انفقت عليهم مع الملك الاسود ولما سمع دريد هذا الكلام صار الضياء في عينه ظلام وقال والله ان تم هذا الامر والسبب على فرسان العرب طمعت فينا أنذال العجم ويبيعوا في بلاد الترك والديلم بيع الاماء والعبيد والخدم وهذا الامر

ما تركه

ما أتركه يتم على أبطال العرب ولا بقى ما أكانت امارة العربان
وأطلعهم على هذا الامر والشان ولم أزل مقيما فى هذا المكان حتى
أسمع ماجرى على بنى عبس وعدنان وكيف رضى ملكهم زهير أن لا
يعاونهم على حسبهم وأنا وحق ذمة العرب لولا عنتر فى بنى عبس
لكنت سرت الى معاونتهم على قتال العجم ولكنى أخاف من معيرة
العرب لا يقولوا سار دريد بن الصمة أمير بنى هوازن وجشم الى
خدمة عنتر وهو عبد اسود راعى نوق وجمال وغنم وأما أنت
يامعدى كرب ما أقدر أسير معك بعد قبض العجم على الملك
النعمان وطمعهم فى قبائل العربان ولا أحرق حرمة بيت الله
الحرام لانى أعلم ان الاسود ما تدوم مملكته ولا يفلح من يتبعه
وبينى وبين الملك النعمان عهد ما أضيعه فلما سمع معدى كرب من
دريد هذا الكلام انكسر قلبه وفترت نيته وأقام فى ضيافة دريد
ثلاثة أيام ودخل يوم الرابع وجعل يدور على القبائل والحلل
ويجمع الفرسان من كل منهل حتى انه سار فى عشرة آلاف فارس
وسار بهم طالب قتال بنى عبس فمر فى طريقه على أرض الامير
جبار بن عامر الكندى وخرجوا بنو كندة اليه ليتلقوه ويسلموا عليه
فسألهم عن الامير جبار فاخبروه بمسيره الى قتال بنى عبس وانه
اتفق هو وبنى زياد عليهم وان الجميع سائرين الى نصرة الملك الاسود
حتى يقدم فى طائفة العرب والعجم وسمعنا ان بنى عبس هربوا
الى جبال أجا وسلمى لما سمع معدى كرب هذا الكلام والخبر
فرح واستبشر وصاح وافرحاه بعد ترحاه والتفت لمن معه
وقال لهم وحق رافع السماء قد صح لى ما كنت أحب واختار
وسهل الله لى بأخذ الثار وكشف العار ثم انهم ساروا يقطعون

البراري والقفار وجدّوا في المسير طالبين جبال أجا وسلمى حتى
حتى أشرفوا على الجبال وطلع غبار خيلهم حتى غشى الابصار
وكان لقيس بن زهير ديدبانية على رؤس الجبال فلما نظروا العبيد
الى غبار معدي كرب نزلوا من رؤس الجبال وأتوا الملك قيس
وأعلموه بما نظروا من ذلك الغبار فلما سمع الملك قيس كلام العبيد
صاح في بني عبس وأمرها بالركوب فركبت الابطال وضج حي بني
عبس من كل جانب ومكان وركب قيس بن الملك زهير واعتقل
حتى بقي كأنه قلة من القلل أو قطعة فصلت من جبل وركض
في أوائل بني عبس حتى وصلوا الى باب المضيق أبصروا البر يموج
بالفرسان وفي كفها عوامل الاشطان عند ذلك أرسل الملك قيس
فارس من بني عبس وقال له امضي واسأل عن هؤلاء ومن أي عرب
هم من أصدقائنا أو من أعدائنا لان الطالب الينا كثير فسار
العبسي حتى صار بين تلك العربان ونادى بأعلا صوته هيا أيها
العربان أخبروا من أنتم من الرجال قبل ما يقع بيننا وبينكم
القتال فعندها تقدم اليه معدي كرب وقال ويلكم يا بني عبس
الويل لكم يا قليلين الحياء الذي ألحقتم في أنسابكم أولاد الاماء
وقد دنا هلاككم والفناء بعد ما طلبوكم العرب والعجم ونحن
بنو زبيد وأنا مقدمهم معدي كرب وقد جلبت كل من له عليكم دم
وثار وسلموا أنفسكم قبل ما تصل اليكم عساكر العرب والعجم
فلما سمع العبسي كلام معدي كرب عاود الى قيس وحكى له بالخبر
فبان في وجه الملك قيس الغضب وصاح في رجاله وثار الغبار
وأضرم نار القسطل التقوا بني عبس وبني زبيد وأظلمت القفار
والبيدا ووقع بينهم طعن يهد وضرب يقد وانقلبت الدنيا بالصياح

واسودت

174

واسودت الوجوه الملاح وهبت نسمات الموت مع عواصف الرياح وكثر على بني عبس المدد وزاد عليهم النكد ودهمتهم تلك المواكب ودارت بهم من كل جانب ووقع بهم الملل وقد تأخروا الى ذيل الجبل ولم يزالوا على مثل ذلك العمل حتى ولى النهار وارتحل وأقبل الليل وانسدل افترقوا عن بعضهم البعض من بعد ان متلآت على وجه الارض نزل بنو عبس فى فم الوادى خوفا على حريمهم من الاعادى ونزل معدى كرب والابطال الذى معه على باب المضيق أما الملك قيس بن زهير اجتمع فى أبطاله وقال لهم يابنى العم الرأى عندى اننا نطاول هؤلاء القوم بالبراز ونحمى هذا المكان الى أن يصل الينا أبى بمن معه من الفرسان فلما سمعت منه بنو عبس هذا الخطاب قالوا أشرت بالصواب على اننا لولا هذا البطل الجبار معدى كرب ما كنا نبالى بكثرة العرب الذى معه لكن هو الذى أضعف قوانا وأنزل بنا الكرب قال لهم الملك قيس والله يابنى العم لو كان فيكم من يخلفنى ويدبركم بعدى لكنت خرجت اليه فى غداة غد ولكن أخاف أن يقضى على ويقع فيكم بعدى الفناء ثم انهم بعد ذلك حرسوا أنفسهم الى ان طلع الصباح وغابت الكواكب وأقبلت اليهم الكتائب من كل جانب وأول من تقدم للحرب معدى كرب قدام الجميع وهو كأنه الاسد الاروع وقد زاد به الغضب وأراد يظهر شجاعته عند العرب وقال لبنى عبس مخاطبا ويلكم يابنى عبس أين أسود كم عنتر الذى طلبتم حماه واتكلتم عليه أبرزوه ان كان حاضرا ودعوه اليوم يحمى عن النسوان الحرائر فوحق من أمر الغيث فهطل والبرق فأعشب لا أتركن لى ولكم حديثا يكتب ومثلا يضرب ثم انه لعب برمحه

أنداب حتى حيرعقول أولى الالباب ولما نظر قيس الى فعال معدى كرب وكيف أعجب بروحه نادى فى بنى عبس اليكم والجبال حتى أبرز الى هذا البطل المعجب بنفسه من دون الرجال ثم ان الملك قيس تحرك على ظهر الجواد حتى صار قدام معدى كرب وناداه ويلك يامعدى الى كم هذا التعدى ويلك ما أنت الذى أسرك حامينا عنتر بن شداد وحلك بالعار وجادلك بالاطلاق بعد ما أراد قطع ناصيتك وطعنك فضيعت الصنيع وفعلت فعال اللئيم الوضيع ولو كان عنترها هنا حاضر لبرز اليك وأخذ روحك من بين جنبيك لكن ما غاب اليوم الا من أجل سعادتك وان غاب اليوم يحضر غدا وترى ما يحل بك من الردا والله يانذل بنى زبيدان عدت وقعت قدامه وبين يديه لا طال لك عمر ولا بقى ولا لقيت منه الا شر ملتقى لانك قد أسأت الادب وأنت تزعم انك أمير صاحب حسب ونسب هذا ان رجعت اليوم من قدامى سالم وما فيك من سنان رمحى علائم ثم ان قيس حمل على معدى كرب وصدمه ومد سنان رمحه اليه وأنشد يقول

لو كنت تعرف يامعدى احسانا * لما جلبت لنا خيلا وفرسانا
أسرك فارسنا وقد عفا كرما * حلفت وخنت بعد العهد ايمانا
وقد تنكرت لما أولاك من نعم * وابن اللئام اذا أمنته خانا
لله در بنى عبس لقد حملت * من الفخار أكاليلا وتيجانا
نحن الملوك وباقى الناس كلهم * تراهم عند ضرب السيف غلمانا
اذا ركبنا ظهور الخيل وانبسطت * رماحنا قدحت فى الحروب نيرانا
يبات من خلفنا كسرى على وجل * مخافة ملوك الارض تخشانا
فاذ وهبنا املأنا الارض من كرم * حتى يصير عطانا شبه طوفانا

وان تفاخرنا تعود فى خجل * لما ترى فعلنا سرا واعلانا

(قال الراوى) لما فرغ قيس من هذه الابيات صاح معدى كرب فيه وحمل عليه والتقى مالك قيس كما تلتقى الارض العطشانة أوائل المطر والتحم بينهم القتال والطعن والنزال وجرى بينهم قتال شديد وحرب تذوب منه الحديد حتى طحنت ارجل خيلهم الحصى والجلاميد الا أن قيس ما كان فى طبقة معدى كرب فى الشجاعة والفروسية لان معدى كرب كان من الجبابرة الالفيه المعدودين فى زمن الجاهليه وسطا معدى كرب على قيس بن الملك زهير واستطال وأوراه فى الحرب اهوال ولما نظرت بنو عبس الى تلك الاحوال أرادت انها تحمل واذا بالعرب قد حملت والارض من ركض خيلهم قد تزلزلت ومدّت الرماح السمهريه وجردت السيوف الهنديه وافترق قيس من معدى كرب وكان معدى كرب جرح قيس فى موضعين عند ذلك حملت أبطال بنى عبس وعدنان واختلطوا مع بعضهم البعض فى حومة الجولان وعملت الرماح الخطيه والسيوف الهنديه ومازالت السيوف بينهم تعمل والرجال تقتل والدم ينزل ونار الحرب تشعل الى نصف النهار وقد قل من بنى عبس الاصطبار وعادت الى باب المضيق وحملت أنفسها مالا تطيق وعانتها العبيد بالحراب والمزاريق الى آخر النهار وأقبل الليل بالاعتكار ورجعت كل طائفة الى خيامها ومعدى كرب كأنه أسد وبقوم أصحابه على الحملة قالوا والدوحق ذمة العرب ما حاملنا الا وقلنا انها وقعة الانفصال قال معدى كرب لو كنتم صبرتم ساعة واحدة كنت قتلت قيس أو أخذته أسيرا لكن غدا نهجم عليهم الجبال وننهب الاموال ونسبي

الحريم والعيال فقال أمراء العرب والله يامعدى كرب ان
بنى عبس شجعان ولا بقى يسمع بمثلهم الزمان ويحق لهم ان تسميهم
العرب الكرام فرسان المنايا والموت الزؤام وناصرين الحريم
والايتام ثم انهم أقاموا حتى أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح
زعق معدى كرب على قومه وقال اه دونكم وهذا المال المباح
من قبل أن تأتيكم العربان وتزاحمكم الشجعان هنالك ركبت
الفرسان واعتدوا للحرب والطعان وكان بنو عبس لما اعتدوا
عند الصباح تصايحت عليهم نساءهم والاطفال لا تتركونا
لقبائل العرب مباح هنالك جرد بنو عبس الصفاح وتقدموا
للحرب والكفاح وطاب الموت للرجال وقاتلوا دون المال
والعيال لما لقى معدى كرب الامر قد طال ترجل عن ظهر الجواد
وترجلت معه الابطال وفعلت بنى عبس مثل مافعل وقد خاب
الرجا والامل وقد وقع بالجبان الملل وتضاربوا الضرب الوجيع
حتى جرى الدم نجيع وقام الحرب بينهم على قدم وساق وضاق
بهم الخناق وشربوا من المنية كأس المذاق ودام الامر على
ذلك حتى أقبل الليل الحالك افترقوا عن بعضهم البعض وقد
امتلأ بالقتلاء وجه الارض هذا كان لهؤلاء وماجرى لهم
من الكلام المذكور وأما ما كان من الملك زهير والامير عنتر وما
معهم من الرجال فانهم رجعوا كما ذكرنا طالبين الجبال وهم
فرحين ببلوغ الآمال وعنتر أفرح الخلق بمصاحبة الامير جبار
حتى قربوا من الجبال قال الامير جبار لعنتر والله يا أبا الفوارس
قد أنكرت غيبة معدى كرب لان كنت أتت الى عندى وأوعدنى
انه يلاقينى بأرضكم هو ودريد بن الصمة وذو الخمار وانى أرى

مابان

مابان لاحد منهم خبر وأنا خائف لا يكون سمع بمسيركم الى بنى فزارة وسار الى حريمكم وسطى على اصحابكم فى غيابكم والرأى عندى ان ترسل اخاك يأتينا بالاخبار ولما سمع عنتر كلام الامير جبار رآه صواب أمر الى أخيه شيبوب انه يسير ويشرف على الجبال وينظر أحوال بنى عبس ويرجع لهم بالخبر سريع فأجاب شيبوب الى ما أمره أخوه عنتر وأعطى رجليه للريح وطلب البر الفسيح كأنه النسر اذا طار والنمر اذا غار فى البرارى والقفار حتى وصل للجبال فسمع صياح بنى عبس فتقدم نحو نار الاعداء حتى يعرف من يكونوا من عرب البيداء واذا بالقائل يقول يا بنى زبيد أبشروا ببلوغ المراد مابقى من بنى عبس من يقدر يثبت للحرب والطراد وعند الصباح نمكن منهم ضرب الصفاح ونسبى الحريم الملاح ونأخذ بثار خالد ونسلب منهم الارواح فلما سمع شيبوب ذلك المقال عاد على كعبه كأنه ريح الشمال حتى التقى بعنتر والملك زهير ونادى بحالة الضيم والتنكيس وقال واذل حريمكم يا بنى عبس فقال له عنتر ويلك ما الخبر قال له ان معدى كرب قد جمع أوفى من ثمانية آلاف من الابطال وحاصروا أهلنا فى الجبال وقد طال عليهم بقوته واستطال وسمعت صياح النسوان والاطفال فلما سمع عنتر هذا الكلام زاد به الهم والآلام وقال لعن الله أصلك يا معدى كرب ويلعن أبى وجدى اذا لم أدع لى ولك حديثا يذكر من بعدى ثم ان عنتر هم يطلق عنان جواده ويلحق أهله قبل ان تسبيهم الاعادى فأقبل عليه الامير جبار وقال له يا أبا الفوارس بحيات عينين عبله دعنى أسير فى هذه الخدمه حتى ابصرها دبر هذا الرجل ومن تبعه من فرسان العرب وأريد

أن أجعل بينك وبينه مودة ونسب قال عنتر افعل ما بدا لك لانك
اقسمت على بقسم عظيم والا كنت سرت اليه واخذت روحه من
بين جنبيه ولكن افعل ما بدا لك ما بقيت أقدر اخالف مقالك
فعند ذلك ركب الامير حجار فى أبطال بنى كندة وسار من نصف
الليل الى ان أصبح الصباح ووصل الى الجبال وأبصر الى القتال يعمل
قال الامير حجار واحرباه يا له من يوم مشؤم كان على معدى كرب ومن
معه من أبطال العرب فوحق البيت الحرام لو أبصر عنتر ما بقومه
من المصائب ما أبقى من بنى زبيد لا ماشى ولا راكب وفى ساعة
الحال طلب معركة القتال ومعدى كرب لما نظر المواكب
أقبلت وملأت البرية فرح بهم لانهم قحطانية وقال لقومه ابشروا
فانه قد أتاكم حجار بن عامر وأنا له فى الانتظار حتى نقلع من بنى
عبس الآثار ثم انه حرك اليه ظهر جواده وقد انشرح فؤاده
وغاص فى الغبار حتى قرب من الامير حجار ونادى اهلا وسهلا
بالاخ الشقيق والخل الرفيق وذمة العرب ما أتيت الا فى وقتك
حتى تأخذ من الغنيمة قسمك فتبسم الامير حجار وقال له وحق
خالق الليل والنهار لقد خاب ظنك يا معدى كرب قد نسبتنى الى أبى
وجدى لان الاحسان ما يضيع من الانسان ومن كان له نسب
عالى رفيع ما يفعل فعال اللئيم الوضيع قال معدى كرب وكيف
ذلك يا أمير حجار أما انت معى على العهد مقيم قال حجار بلى وحق
زمزم والحطيم ان كنت تسمع منى نصحى وطلبت مودتى وصلحى
والا دونك سيفى ورمحى فبقى معدى كرب باهت فى وجه الامير
حجار ولا يعلم أى شى جرى من الاخبار وقد اشتد به الغيظ
والغرام وقال له يا أخى أى شى بلغك عنى من قبيح الزمام حتى

تكلمت معي هذا الكلام الذي هو أشد من ضرب السيف اليمان فعندها حكى له الامير حجار جميع ما جرى له من عنتر بن شداد الفارس المغوار ووصف له كرمه وشجاعته وكيف أسره وسلمه لاخيه شيبوب وكيف عمل معه من الجميل وكيف أطلقه بعد ما حلف له وبعد ذلك يا معدى كرب وحق مالك الممالك وموسع المسالك ومفرق بين الصباح والليل الحالك لو اعطانى عنتر جماله لرعيتها ولو مالت عليه الجبال لاتقيتها فان كنت ترضى يا معدي لنفسك ما قد رضيت عاهدنى على هذا المقال وكن بين يدى عنتر من بعض الرجال والا دونك الحرب والقتال ودع عنك القول المحال فلما سمع معدى كرب من الامير حجار هذا المقال تقطعت منه الاوصال وزادت ناره اشتعال وقال ويلك يا حجار والى هذا الحد تركت عزة النفس وذليت لعبد بنى عبس قال حجار دع عنك هذه الحماقة يا معدى كرب ولا بقيت تقول هذا المقال عن عنتر فكل الناس من أنثى وذكر تقول عنتر فى هذا الزمان معدوم المثال لان قتال الالف فارس والعشرة آلاف فارس والفارس عنده بالسواء ولا يعد نفسه الا غالب بين فرسان العرب وان كنت أقول انى فارس الدنيا ما أقدر أقف بين يديه لانى بارزته فى هذه المره فى أرض بنى فزاره فرأيت منه العجائب وكلما بذلت فيه المضارب يبطلها عنه بضرب صائب ويعف عنى كما تعف الفرسان عن النسوان ولما أسرنى سلمنى لاخيه شيبوب ثم عفا عنى وأعطانى الامان والزمام وأطلقنى حتى كأنى ما خطرت لهم على بال فلما رأيت أنا ذلك الحال هانت نفسى على وصرت له من بعد الاصحاب وها أنا سائر معه أعينه على خلاص الملك النعمان

وقتال الاعجام الائام قبل ماتطلع فيناعباد النار ويخرقوا حرمة بيت الله الحرام لان الملك الاسود تابع كسرى فى عبادة النار ولابد لعنتر مايقلع آثاره و يجعل دماره و يعيد الملك النعمان الى مملكته و يقتل خداوند بن كسرى أنوشروان وكل من معه من عساكر وشجعان فاترك يامعدى كرب ماأنت فيه من نصرة العجم ولا تتبع هوى النفس فتندم وبادر الى صلح عنتر من قبل أن يحل بك العدم لانى تركت عنتر سائرا على أثر من معه وهذه الساعة يكون عندى لانه سمع ماجرى على قومه وربعه ثم انه أعاد عليه مافعل عنتر وكيف أرسل اليه أخاه شيبوب تحت الليل حتى انه أشرف على بنى عبس ونظر الى ماجرى عليهم منك وتدبر وما فعلت بهم من الفعل المنكر وأراد انه يسير اليك فامكنته من شفقتى عليك فبادر لهذا الامر قبل الفوات ولا ترمى انفسك فى الهلاك والممات فلما سمع معدى كرب كلام الامير حجار تذكر قول دريد بن الصمة وقد علم انه نصحه لما قال له ذلك المقال عن الملك الاسود وان ملكه لا يدوم ولا يفلح من يتبعه وبقى متفكر فى هذا الحساب والامر والشان بين الاجابة والعصيان ويخاف ان خالف هلك هو ومن معه من العربان ويقتله عنتر ان وقع فى يده ثانى مرة فقال يا أمير حجار وكيف بقت قلوب بنى عبس تصفو بعد مافعلت معهم هذه الفعال قال حجار ان صفيت لهم الوداد زالت من قلوبهم الاحقاد ويسامحوك بما فعلت من الاخطار لان فرسان العرب مازالت تطلب أخذ الثار وكشف العار وأنا أكون واسطة فى هذه النوبة من غير تنكيد ويصير لك من هذه القبيلة ركن شديد ويأتيك الامر كما تريد ولاسيما

اذا خلصنا صورهم الملك النعمان تشكرنا على ذلك جميع العربان ويرتفع لنا قدر وشان ونحتوى على أموال الاعجام ونسقيهم كأس الحمام ونحامى عن البيت الحرام الذى كانت العرب تحلف به فى ذاك الزمان ولما صفى الخاطر من التنكيد اختلطت بنو كندة فى بنى زبيد وكان قيس ومن معه من الاخيار قد زاد بهم الهم والاضرار من قدوم بنى كندة وجبار وقد ظنوا انهم اتوا نجدة لمعدى كرب فاشتد عند ذلك مصابهم وصاحت نساؤهم على جبار بحالهم الاوهو أنفذ يطيب خواطرهم ويعلمهم بجميع ما جرى من الامور فحل عندهم الفرح والسرور وما أقبل الظلام واعتكر حتى أقبل الملك زهير وعنتر فلاقاهم الامير جبار ومعه معدى كرب وبشرهم بالصلح وزوال الكرب ثم ان معدى كرب ترجل وقبل أيادى الملك زهير وسلم على عنتر ورق له فى الكلام واعتذر وقال له يا أبا الفوارس كل دم بيننا كان موهوب غير مطلوب وربنا مطلع على القلوب فقال عنتر والله يا وجه بنى زبيد وحق من أوسع البيد نحن ما فعلنا هذه الفعال عصبة للملك النعمان الا خوفا على البيت الحرام لان العجم لو تملكوا من البيت جعلوه معابد للنار ويقلعوا من العرب الآثار من سائر الاقطار فصدقه جميع الحاضرين فى كلامه وشكروه على فعله وغمرهم الملك زهير بالخلع والتم شمل تلك القوم واجتمع ودخلوا الى الجبال وهم فى خمسة وعشرين ألف من الابطال وأقاموا فى الولائم والدعوات سبعة أيام متواليات وفى اليوم الثامن قدم جرير أخو عنتر من أرض الحيرة وأخبر لاخيه عنتر بعساكر العرب والعجم وكثرتهم ووصف له ما قد اجتمع من الخلائق والامم

فقال عنتر ويلك يا جرير من أجاب من العربان للاسود الكشعان قال يا أخي الذى أجابه بنو الاشتر وبنو غاض وبنو ناهض وأصحاب الدماء من الفرسان وبنو طى وبنو شيبان وكل من كان يبغض دولة النعمان وأما من كان يحب الملك النعمان فما أجاب وأكثر القبائل سمعوا كتابه فما ردوا عليه جواب ومازال يرتب أموره حتى قدم عليه الربيع بن زياد وحذيفة بن بدر وكل أمراء بنو زياد وبنو فزاره على أكتاف النجب والمهاره وأخبروه انكم قلعتم منهم الآثار وأخربتم الديار وبكى حذيفة وانتحب وطلب منه تعجيل المسير بالعرب الى قتالكم فأجابه الى ماطلب وزاد به الغضب وحلف انه مايبقى منكم أحدا وكان خداوند بن كسرى عول انه يقسم العساكر قسمين واحدا اليكم والثانى الى مكة لما قدم عليه الربيع وبنو فزارة وحكوا له ان الامير عماره اولكم من الاعداء فأشاروا على الملك الاسود انه يشير على خداوند بأنه يسير بجميع العساكر اليكم فدخل الملك الاسود على خداوند وقال له ياملك الرأى عندى اننا نسير بكل العساكر على قدم واحد ونبصر من القبائل من هو طائع ومن هو معاند وبعد ذلك نهجم على بنى عبس نأخذهم كلهم أسارى ينقادوا قدامك ذليلين حيارى ونطلب البيت الحرام لان بنى كندة قد مالت الى بنى عبس وتميل الى غيرها الان عباد البيت الحرام لايغفلون عن زمزم والمقام ولايتركوه يهدم منه شى حتى يصير الدماء حوله مثل سيل الغمام فلما سمع خداوند ذلك الكلام من الاسود أجابه الى ماطلب ونادى فى عساكره بالرحيل وماترك فى الحيرة غير ألف فارس من العجم تحفظ الملك النعمان ومن معه من

الفرسان وماقارقتهم يا أخى الا والدنيا ترهج من لمعان العدد والبيض والزرد فصاح عنتر فى أخيه جرير بصوت يصدع الحجر وقال له لا تصف لنا طناجير العجم وحق من أبرق البرق وأنار الشمس من المشرق لابدّ أن أفرق مواكبهم ولا يركن الاول للآخر ثم انه بعد ذلك الكلام دخل على الملك زهير وقال نحن ما لنا تدبير غير القتال وصون الحريم والعيال ولا نعرف هذا القوم الذى صاحبونا يقاتلوا معنا بنصيحة والا نحن أصحاب القريحة فقال له عنتر يا ملك وحق ذمة العرب ما بيننا وبين القوم الان تقع العين على العين ويقتل عشرة فوارس من الطائفتين وقد طاب بعضهم لبعض بالدماء فيلزمهم مثل ما يلزمنا ثم انهم طلعوا الى خارج الخيام وأخبروا الفرسان بالعساكر القادمة بأن عدتهم مائتين وخمسين ألف عنان قال الامير جعار والله ان هذا من أعظم العار اننا نخلى هؤلاء القوم الطناجير الاشرار يدوسوا أرضنا بحوافر خيولهم وما بقى لنا فى البر قرار اذا لم يعودوا الى مملكة النعمان قال أمارة العرب الحاضرون ما الذى عزمت عليه يا أبا الفوارس قال عنتر عزمت على لقاهم والصبر على أذاهم قال معدى كرب والله لا تركنا من هؤلاء الطناجير من يمشى على قدم قال الامير جعار صدقت يا معدى كرب فى كلامك والسبب نحن كلنا عازمين على هؤلاء الامر ولكن الرأى قبل القتال صواب فى هذه الامور والاسباب قال قيس بن الملك زهير يا وجوه العرب جرير أخو عنتر ذكر لنا ان الخلق كثير سائرين الينا وخداوند بن كسرى لما رحل من أرض الحيرة ما ترك لحفظ الملك النعمان غير ألف فارس من العجم وهذا جميع يسير

والصواب أن نسير منا مائتين فارس على أكتاف النجب والمهاره واذا وصلوا أرض الحيره يضعوا السيف فى الاعجام ويخلصوا الملك النعمان من القيود والاغلال فنبلغ الآمال لان هذه العساكر المتكاثره ماتنصرف علينا الابعد أيام كثيره لاجل بعد المراحل واذا وصلت الينا كفاية نطاولهم فى القتال يوم وعشرة وعشرين الى ان أنتم تكونوا خلصتم الملك النعمان تميل اليه كل قبائل العربان فلما سمع الحاضرون كلام قيس بن الملك زهير رأوه صواب قالوا الجميع لله درمن سماك قيس الرأى لانك أشرت بالصواب والامر الذى لا يعاب وما بقى بعد هذا الكلام والمقال الا الفعال قال عنتر الرئبال ان كان ولا بد لكم من هذا الحال فانا أسير بعشرة أبطال وأخلص الملك النعمان ولو حال من دونه الانس والجان قال الملك زهير لا والله يا ابن العم مسيرك أنت عن بنى عبس فى مثل هذه الاوقات ماهو صواب لان المدى الى الحيرة بعيد ونحن طائفة قليلة قدام هذا العدد الكثير وقد خاف الملك زهير من عنتر لا يسير للحيره وهم يتاو بعده بالحيره قال الامير حجار أنا أسير الى خلاص الملك وحق ذمة العرب لا سار أحد غيرى فقال عنتر لما سمع كلام الامير حجار ان كان يا أخى ولا بد من مسيرك أنت خذ معك عروة بن الورد مع رجاله فأجابه الى ما يريد واعتد الامير حجار من يومه وركب فى مائة بطل من شجعان قومه وركب معه عروة بن الورد فى مائة بطل من رجاله على أكتاف النجب والمهارة وساروا الى أرض الحيرة ومن بعد مسيرهم سار عنتر كل يوم يأخذ معه معدى كرب ومقدار مائتين فارس ويبعدوا عن الجبال يكشفوا الاخبار عساكر العجم للمسافر ويعودون

للجبال وماز الوا على ذلك الحال مدة عشرة أيام وفى اليوم الحادى عشر وهم سائرون كما جرت لهم العادة واذا هم يروا الغبار من قدامهم على وتار وسد منافذ الاقطار وبان ذلك الغبار عن خمسة آلاف فارس للحديد لوابس وكانت هذه الابطال طليعة عساكر العجم مع فارس جليل القدر يسمى شامرد وكان جبار لا يقادس وشيطان لا يمارس فلما بان وبانت وراءه المواكب قال معدى كرب لعنتر يا أبا الفوارس هذه طليعة عساكر العجم فاصنع بهم ما تريد قال عنتر الرأى عندى اننا نقاتلهم ولا ترى لهم تأثير ثم انه أيقظ جواده الابجر وعدل رحاله وفعل معدى كرب مثل فعاله فابصر مقدم العجم اقبالهم فانكر الى أحوالهم وقال لقومه لو كانوا طليعة العرب لكانوا من وقت رأونا عولوا على الهرب لكن يتقدم أحدكم يسألهم عن أحوالهم ويأتونى باخبارهم فطلبتهم الفرسان من كل مكان والذى قصدهم ألف فارس لما نظر معدى كرب اليهم صاح فى بنى زبيد وأراد يحمل عليهم يفرقهم فى اقطار البر والبيدا فقال له عنتر يا أخى لا تضيع هؤلاء العربان وتفعل فعال ما لنا فيها فائدة قال معدى كرب كيف ذلك يا أبا الفوارس قال عنتر متى لقيت ألف من العجم بمائة من العرب نقصت حرمتنا عند هؤلاء الطناجير ومن تابعهم من الخلق الكثير ولكن دعنا نلتقى أنا وأنت هذه الالف فارس بعشرة فرسان ونبيدهم يمين وشمال ونرمى فى قلوبهم هيبة لا تزال والا طمعوا فينا و فى قتلنا قال معدى كرب وحق ذمة العرب أقدر ألقاهم وحدى وأفرقهم بقوة ساعدى وزندى ومادام انك شرت بهذا الرأى افعل ما بدا لك واختار من قومك من أردت

فقال عنتر لا والله بل أحمل أنا وأنت ولا نريد معنا أحدا حتى يكون
أهيب لنا وأجود قال معدى كرب افعل يا أبا الفوارس ما تريد
فأنا عن رايك ما أحيد ثم حمل عنتر على الميمنة وحمل معدى كرب
على الميسرة وسار واتحت الغبار والقتام وصاحوا الاثنين صيحات
الاسد الدرغام وسارت الاعين اليهم ناظره ومن فعالهم متحيره
وأبصر شاه مرد من فعالهم ما أبصر وفى الحال نزل عن جواده وسجد
للشمس كفرا وغرورا وأنا وأنتم نوحد الملك الغفور وقال لمن معه
من عساكر العجم وحق النار ان هذا الحديث يحق أن يؤرخ
ويكتب بماء الفضة والذهب وهل رأيتم قط فارسين من رعاة الغنم
تحمل على ألف من العجم فقالوا له أصحابه يا مولانا هؤلاء جاهلية
العرب وجهلها يسوقهم الى الهلاك والعطب والساعة تبصر
روس الاثنين تحت حوافر الخيل وبعدهم نحمل على رفقائهم نهلك
الجميع ولا نخلى منهم لا رفيع ولا وضيع قال شاه مرد أى شىء
هذا الكلام وحق النار لم اترك أحدا يحمل من أصحابنا عليهم
حتى ننظر ما يفعلوا هؤلاء الاثنين بهذه الالف فارس ثم انه وقف
ينظر ما يجرى بينهم ساعة من النهار واذا بالعجم والديالم طالعين
من تحت الغبار هاربين وللنجاة طالبين وهم ينادوا كبكبات
زلزلات جرى خان عنتر قيسرات يعنى الهرب الهرب من قدام
هؤلاء العرب وفى أعقابهم صرخات عنتر ومعدى كرب كأنها
الرعد فى غلال الغمام وما زالوا العجم فى هزيمتهم حتى صار قدام شاه
مرد أكثرهم على تلك الحالة قال لهم ما حالكم وما الذى جرى لكم
قالوا يا حاجب الحجاب الذى جرى علينا ما جرى على أحد من هؤلاء
الاعراب لان هؤلاء القوم ما هم من البشر وما هم الا من الجان

الذى عمروا نبى الله سليمان واذالم تحمل فى باقية الخمسة آلاف
ما تنال منهم مراد فلما سمع شاه مرد منهم هذا الكلام صار
الضياء فى عينه ظلام وقال لهم رأيتم فارسين من العرب رعاة الغنم
تحمل على ألف فارس من العجم تكسرها مثل ما يكسر الذئب الغنم
على هذا الحساب ان كانت العرب الذى راكب عليهم خداوند
ابن كسرى يقدروا يلقوا كل من معه من العساكر والجيوش
والدساكر ثم انه بعد كلامهم صاح فى الخمسة آلاف وانطبقوا
على عنتر ومعدى كرب فالتقوهم كما تلتقى الارض العطشانة
أوائل المطر وحملت أبطال بنو عبس و بنو زبيد فى معونة عنتر
ومعدى كرب والتقت الاجسام بالسيوف وضربت الجماجم
والقحوف وارتجفت من هذا اليوم العبوس وأظهر فيها معدى
كرب العجائب وعنتر مزق الكتائب ونكس الاعلام
وأهلك فرسان الاعجام وهتك مرائر القلوب بطعن يرد النظر
مقلوب وينهب الارواح بطعن الرماح وضرب الصفاح والتقى
بشاه مرد وهو يهز فى يده العامود ويتوسل بالنار والنور فقال له
عنتر فى أست أمك على أم كل من يعبد النار معك ثم انه زعق فيه
صوت أدهله وخبله وطعنه بالرمح فى صدره طلع عشر أنابيب يلمع
من ظهره أرماه قتيلا وفى دماه جديلا فلما نظرت العجم الى قتل
أميرها ولوا هاربين وللنجاة طالبين وهم يشتموا النار كيف
جعلت للعرب قيمة ومقدار وما زالوا فى هزيمتهم الى ان وصلوا الى
عند قومهم فتلقاهم الحاجب الكبير وسألهم عن الخبر فقالوا له
قد اعترضنا عنتر ومعه ألفين فارس وقتل شاه مرد وطعن فينا طعنا
لا يرد ولولا ولينا هاربين كان قتلنا أجمعين فلما سمع الحاجب

ذلك الخبر اختبط العسكر ولولا هيبة خداوند بن كسرى كانوا تفرقوا في أقطار الصحراء ولكن ثبتوا أرواحهم وافتقدوا عددهم وسلاحهم ولم يزالوا الى ان أقبل الليل الحالك ولم يعلموا خداوند بذلك (قال الراوى) هذا ما كان لهؤلاء وأما ما كان من عنتر ومعدى كرب لما فرق الاعجام في الروابي والآكام جمعوا الخيول والاسلاب وعولوا على الرجوع والذهاب وأقبل عنتر على معدى كرب في الخطاب وقال له ما تقول في ارسالنا الى أهلنا انهم يباتوا ههنا ونلتقي أعداءنا فقال معدى كرب يا فارس الاعراب ما هذا صواب وقتالنا عند الجبال أصلح لنا على كل حال وقد خاف معدى كرب من عنتر لا يقف في ذلك المكان بمائتين فارس قدام مائتين وخمسين ألف بطل مداعس فأجابه عنتر في مقاله وبلغه سؤاله وساروا طالبين الجبال وعنتر قدام الابطال كأنه غاطس في بحر من الدماء وهو يذكر ذلك اليوم وما جرى لهم فيه من الاهوال وما قتل من الابطال وينشد ويقول صلوا على طه الرسول

قف بالمنازل ان شجتك ربوعها * فلعل عينك تستهل دموعها
دار لعبلة شط عنك مزارها * ونأت ففارق مقلتي هجوعها
وسقتك يا أرض الشربة مزنة * منهلة تروى ثراك همولها
وكسى الربيع الارض من أزهارها * حلل وأما الارض ناح ربيعها
كم ليلة عانقت فيها خريدة * يحيي بها عند الظلام ضجيعها
الشمس ان طلعت سجدت جلالة * لجلالها وجلى الظلام طلوعها
فالموت يا بنت الكرام كدوحة * وأنا ورمحي أصلها وفروعها
وغدا يمر على الاعاجم من يدى * كأسا أمر من السموم نقيعها

فاذيقها

فأذيقها طعنا تذل لوقعـــه * سادتها ويشيب منه رضيعها
قاتلتها حتى تمل وتشتكى * كرب الغبار رفيعها ووضيعها
وتركت للاسد الضوارى لحمها * وان صحبنا خيلها ودروعها
يا عبـــلة لو ان المنية صورت * أوت الى معبودها وركوعها

(قال الراوى) فلما فرغ من هذه الابيات تعجب معدى كرب من شجاعة عنتر وفصاحته وقال له لا فض الله فاك ولا كان من يشناك يا حامى بنى عبس وعدنان وتمواسائرين طالبين الجبال وكان الليل قد اظلم والسواد قد خيم وكانوا أبطوا على قومهم وفات وقت قدومهم وركب الملك زهير وأمارة بنى عبس وساروا على آثارهم حتى يقتفوا أخبارهم فما بعدوا عن الجبال حتى التقوهم مقبلين فناشد بعضهم البعض وسلموا عليهم وهنوهم بالسلامة ابتداء هذا وعنتر يحكى للملك زهير ما فعلوا فى طليعة العجم وكيف كسروهم وبددوا شملهم وقتل مقدمهم قال الملك زهير ان كسرة طليعتهم وتفريقهم فى البرارى والآكام علامة النصر والظفر وقد وجب علينا الشكر للرب الكريم رب زمزم والحطيم والثناء على هذا البطل الذى انتصرنا بسيفه على الاعداء اللئام وأومى بيده على معدى كرب ولما سمع معدى كرب كلام الملك زهير فى حقه تقدم اليه وقبل يديه وقال يا ملك ما نصرك الله الا بسيف هذا الفارس والبطل الغشمشم لان طعنته هى التى كسرت طليعة العجم لانهم لما نظروا الى حاجبهم وكيف عنتر طاعنه أرماه ولوا الادبار وركنوا للهرب والفرار وبعد ذلك دخلوا للجبال وحكوا للفرسان بما جرى على عساكر الاعجام ففرحت بنو عبس وبنو كندة وبنو زبيد وأيقنوا بالنصر والظفر وباتوا تلك الليلة فرحانين حتى أصبح الله

بالصباح وأضاء بنوره ولاح خرجوا طالبين الحرب والكفاح
لكن ما اصطفوا قدام الجبال حتى أشرفت عساكر العجم وطلع
الغبار حتى سد منافذ الاقطار وأظلمت منه سائر الجهات
ونفرت الوحوش من الغابات واهتزت الجبال من كثرة المواكب
والكتائب وأظلمت المشارق والمغارب وظهرت الرايات
والاعلام والازدهارات وكان كلما أشرف موكب ونظر الى بنى
عبس مصطفين قدام الجبال وعنتر قدامهم تعجبوا من ثبات بنى
عبس وهم فى هذا العدد قدام هذه العساكر الذى كأنها البحار
الزواخر وكان عنتر قال لابن وله من الرجال هذا يا بنى الكرام يوم
تبان فيه منازل الابطال ثم انه أفرد كل موكب بالف فارس واقام
عنتر يحرسهم كأنه الاسد الرئبال ولما وصلت عساكر العجم
ونظرت الى قلة بنى عبس طمعت فيهم وانطبقوا عليهم فلقيهم
بنو عبس كأنهم السباع الكواسر هذا وعنتر وقف خارج المعمعة
يحرس رجاله وهو يلتفت يمينا وشمالا كلما أبصر طائفة من بنى
عبس تضعضعت يحمل معها ويعينها ولا يرجع حتى يرد عنهم الخيل
ويفرقهم يمينا وشمالا ويهدّ قواها ويفرق الرجال ويعود يقف مكانه
يحرس رجاله وفرسانه كما يحرس الاسد أشباله فلما أبصر معدى
كرب الى فعال عنتر صار يفعل مثل فعله ودام القتال على ذلك
الحال حتى نصف النهار وفى ذلك الوقت أشرف خداوند
فى الموكب الاعظم ولما أشرف ونظر القتال يعمل بين عساكره
وبين بنى عبس صاح فى حاجبه زردخال وأمره برد العساكر
عن القتال وقال حتى يستقر بنا النزول ونرسل الى بنى عبس
رسول لانهم رعيتنا على كل حال وربما يكونوا ندموا على ما فعلوا

ويأتوا

183

ويأتوا قدامي طائعين ويقضوا على عبدهم عنتر المجين ويأتوا به
الى عندي ذليل حقير حتى نوقفه على فعله وبعد ذلك نعفو عنه
لانا نحن قوم سيمتنا الانصاف والعدل والاحسان عند كل انسان
ولما سمع زردخال من خداوند هذا المقال ورد العساكر عن الحرب
والقتال أبصر زردخال الارض مفروشة قتلا أكثرها من العجم
نزلت عساكر العجم فى الخيام وامتلأت الارض من عرب وعجم
وأخذوا لهم راحة حتى برد الهوى أمر خداوند الحاجب يكتب الى
بنى عبس كتابا يأمرهم فيه بالطاعة حتى أكون لهم عند أبى شفيع
وان أبوا ولزموا اللجاج نبادرهم بالقتال والصدام ونفنيهم بحد
الحسام ولا نترك منهم لا شيخ ولا غلام عندها كتب الوزير كتاب
الى الملك زهير مثل ما أمر خداوند يقول الذى أعرف به الملك زهير
هذه الطائفة الحقيرة الباغية يجب عليك انك تردها الى الطاعة
بعد العصيان فقد وصل الى العجم منها الاذيه فاعرف قدر هذه
النيه ولا تخالف الدولة الكسرويه تندم وترى بعينك الهوان
والعدم لان الملك العادل كسرى أنوشروان صاحب التاج
والايوان قد أمر ولده خداوند بهذه الاحكام وأوصاه انه لا يبقى
منكم لا شيخ ولا غلام وانما هو رقيق القلب كثير الاحسان
وقد أبصر قلتكم فوقع فى قلبه رحمتكم وقد عول أن يجعلكم
الى دولته أركان ولشدته أعوان وسلام النار عليك ودخانها
وشرارها داخل فى عينيك ثم انه طوى الكتاب وختمه وأحضر
بعض حجاب خداوند أعطاه الكتاب وأمره بالمسير الى بنى عبس
وحمله بالجنائب والاعلام وزاد له فى الاكرام وأضاف اليه
عشرين فارس من الاعجام وأعطاه ترجمان من العرب يقال له

عقاب بن ترجم وسيره بسير الملوك الكبار أصحاب الاقاليم والامصار وكانت بنى عبس نزلت فى ذلك الوقت ومابقى أحد راكب الاعنتر ومعدى كرب ولما أبصر عنتر الى الحاجب أقبل قال لمعدى كرب ياأمير هذا الحاجب مقبل الينا يريد اننا نسلهم أرواحنا حتى يأخذونا ويصلبونا على قلة الايوان ويسقونا كأس الهلاك والهوان وأنا أريد أبدأبهم قبل مايبدؤا بنا وأصلبهم كلهم على رؤس هذه الجبال وآخذ جميع مامعهم من المال فبينماهم فى الكلام الا والحاجب اليهم قد وصل فما سلم ولا تكلم بل انه سأل عن الملك زهير فقال الترجمان لعنتر ومعدى كرب انه سألكم عن الملك زهير لان معه من خداوند كتاب يأمركم فيه بالطاعة ان كان أحد فيكم له عقل ونظر وان أنتم خالفتم مايكون الا السيف لكم جواب (قال الراوى) فلما سمع عنتر من الترجمان هذا صار الضياء فى عينه ظلام وقال للترجمان نحن قرأنا كتابكم من قبل وصولكم الينا وقدومكم علينا وهوان ملككم يأمرنا أن نسلم أرواحنا اليه بلا حرب ولا قتال ولا طعن ولا نزال ثم ان عنتر صاح فى أخيه شيبوب وقال له ويلك رحل هذا الحاجب عن ظهر جواده هو ومن معاه من أصحابه ورفقاه وخذ مامعهم من المال وان أحد منهم تعاصى عليك افعل معه هذه الفعال ثم ان عنتر فتح باعه ومد ذراعه وطعن الحاجب بالرمح فى صدره طلع عشر أنابيب تلمع من ظهره ولما رأت الباقين مافعل عنتر فى الحاجب نادوا الامان وسلموا أرواحهم الى شيبوب شد الكل كتاف وقوى منهم السواعد والاطراف وأما عقاب الترجمان اندهل وتحير وانقطع ظهره وحار فى أمره وقال جزاكم الله

الخير لانكم أطعتمونا قبل ماقرأتم الكتاب فاذا كانت هذه خلعة الحاجب العظيم الشان ترى ماتكون خلعة عبدكم الترجمان فقال عنتر وحق البيت الحرام وزمزم والمقام قولى صادق والكلام فقال الترجمان بلا وحق الرب العظيم وزمزم والحطيم الله ينصرك على العرب والعجم ان عفوت عن عبدك بن ترجم وأنت أهل المروءة والكرم لان والله لى عيال وأنا صعلوك قليل المال لانوق لى ولا جمال وأنا ما سرت مع هؤلاء الاعجام الاوقات لعل يحصل لى شىء من المال أعود به الى العيال ماحسبت ان ألتقى هذه الاحوال وأصابوه فى عيالى بعدى بالويل والحرب ثم انه بكى وانتحب وأشار يعلم لعنتر وجماعته بشجاعته وقوته وبراعته يقول صلوا على طه الرسول

يافارس الخيل والابطال تصطدم ✱ وليثها وهى مثل البحر تلتطموا

ذلت لهيبتك الابطال وانخذلت ✱ لما رأوك وذلت بعدها العجم

ولو دنوا منك ومدوا رماحهم ✱ الى لقاك فما عادوا ولا سلموا

فارحم فديتك شيخا قل ناصره ✱ عند المشيب وذلت بعده الحرم

مولاى ذنبى عظيم فاعتذرت به ✱ فانظر الى فقد ضرنى العدم

فما طعان القنا والحرب من شيمى ✱ ولا القراع ولا فى صارمى سلم

اسمى عقاب ولكن ما أنا بطل ✱ والسيف فى راحتى تصطادنى الرخم

(قال الراوى) فلما سمع عنتر من عقاب هذه الابيات ضحك حتى استلقى على قفاه فقال معدى كرب والله ياأبا الفوارس ان هذا الرجل حرام صلبه لانه قر بذنبه فعندها أطلقه عنتر وقال له ارجع الى أهلك ولا تعود للعجم فتهلك اذا رأوك سالم أتهموك وربما

انهم يقتلوك قال الترجمان والله يامولاى انك لصادق وحق ذمة العرب لو علمت انكم تكسروا العجم ما كنت فارقتكم وكنت أكسب لى شىء من أموالهم أعوده الى عيالى قال معدى كرب ياشيخ هذا أمر يطول عليك شرحه لكن خذ سلب هذا الحاجب وعود الى أهلك ودع عنك الفضول ولا تمسى تعود فتصير مقتول قال الترجمان والله يامولاى انك لصادق لان العاقل من يمضى الى أهله سالم أخير من الاموال والدراهم ثم انه تقدم للحاجب وأخذ سلبه وكان فى وسطه منطقة مرصعة بالجوهر والياقوت ومزركشة بالذهب الاحمر فلما رأى ذلك الجوهر أخذه الطمع فى كثرة المال لان العرب من طبعهم الطمع تقدم الى عنتر وعاده وقبل قدميه وقال له الله ينصرك على أعداك وبلغك منهم مناك وأنا والله يامولاى مابقيت أفارقكم بل أقيم عندكم وأصبر حتى يرسل لكم الملك رسول آخر تقتله وتعطينى سلبه لانى ماأتيت الى هذه الجبال الا لاجل هذا الحال فضحك عنتر من كلامه وقال له أقم عندى وحق ذمة العرب ان أتى خداوند ابن كسرى لاقتله وأعطيك جواده وسلبه هذا وعنتر أمر شيبوب أن يصلب الرسول وأصحابه فقال معدى كرب تصلبهم وتنزل بهم الضير ولا تشاور بذلك الملك زهير فقال له المشاورة ماهى فى مثل هذه الساعة وان الجسارة كلها شجاعه لان ماأحد يقع مناعندهم و يقبلوا فيه شفاعة وهؤلاء ماأتوا الا ليقطعوا آثارنا وأى شىء لهم عندنا غير الصلب والعذاب والطعن بالحراب وضرب الرقاب والملك زهير لابد ماأطلعه بالكتاب ثم انه أمر أخوه شيبوب أن يصلب الجميع ويخلى منهم ثلاثة سالمين لاجل انهم يعاودوا

الى خداوند ويعلموه بما فعل عنتر بهم وعدل عنتر الى الملك زهير حتى
وصل اليه وأعطاه الكتاب ففضه وقراه وفهم رموزه ومعناه وسمع
ما فيه من التهديد وغليظ الجواب فصعب عليه وكبر لديه والتفت
الملك زهير الى عنتر وقال له يا ابن العم ما كان جواب هؤلاء القوم
الكلاب الا الصلب وضرب الرقاب حتى لا يعود خداوند
يبعث لنا أحدا قال عنتر يهنيك يا ملك الزمان أنا قضيت لك الاشغال
وصلبت الجميع على الجبال قال الملك زهير وحق ذمة العرب أنت
ما على رأيك رأى مهما أردته افعل مفوض الامر في جميع الاحوال
لا يعارضك أحد من الابطال عاود عنتر لقي شيبوب صلب الجميع
ما خلى غير الثلاثة الذين أمره عنتر أن يحلق ذقونهم ويقطع
آذانهم وخشومهم ويضع روس المصلوبين في أرقابهم ويردهم الى
عند ملكهم ففعل شيبوب مثل ما أمره عنتر فيهم ثم انه أمرهم أن
يرجعوا الى عند ملكهم خداوند فبعد ان طلعوا من الجبال مات
منهم واحد في الطريق والاثنين وصلوا وثيابهم من الدم مثل لون
العقيق وما زالوا سائرين حتى صاروا قدام زردخال ولما نظر الى حالهم
غاب عن الوجود وهدر وزمجر وكفر وتحير وطار من عينه الشرار
وقال الذنب الى خداوند الذى يراسل مثل هؤلاء العرب الذى أبدوا
القبيح ويطلب منهم الصلح ثم انه أخذهم ودخل بهم على خداوند
ابن كسرى وحكى له جميع ما تم وجرى فلما سمع خداوند من
من حاجبه هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلام وحلف بالنار
اذا لم تأتوا لى بجميع العربان الى بين يدى اسارى مكتفين مغلولين
حتى أشفى منهم كبدى والغليل والا جعلت كل من عندى قتيل
ثم انه بات تلك الليلة وهو لا يصدق متى يصبح الصباح حتى ينهب من

أعدائه الارواح فلما أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح نادت النقباء فى المواكب وصاحت الفرسان والكتائب وركبت صهوات الخيول والجنائب وتعدلت الميامن والمياسر وصار فوق رؤسهم سرداق من الغبار وأظلمت الاقطار وبرقت الابصار وخفضت الرايات ودقت الطبول وزمرت البوقات وتعالت الاصوات فى الجو وعدم النور والضوء وتقدمت الاعلام الكسرويه ووقفت الخيل العربية وهزت العجم حرابها وكشرت المنية أنيابها وخافت شيوخها وشبابها وثارت بنى عبس تريد القتال وتطلب المدافعة عن الحريم والعيال وقد أيقنت بالويل والوبال ولم يبعدوا عن الجبال خوفا على الحريم والعيال وحمل عنتر على عساكر العجم وصار يفتر منهم الغشمشم وأراد انه ذلك اليوم يرد العجم عن الحملة فما أمهلته العساكر بل انها صاحت بلغاتها المختلفات وتوسلوا بالنار والنور وأنا وأنتم نوحد الملك الغفور هذا وخداوند بن كسرى أمر الى زردخال انه يأمر الملك الاسود انه لايدع العرب تختلط مع العجم حتى لا تشتبه العرب بالعجم وقت الحرب والقتال ثم سار زردخال واعلم الملك الاسود أجاب بالسمع والطاعة ومع العرب من الجملة كان ركب الربيع بن زياد وحذيفة بن بدر وجماعة من أمارة العرب يتفرجون على القتال خارج المعمعة هذا والدنيا قد انقلبت والشمس من شدة الغبار قد انحجبت والارض من ركض الخيل قد تكدرت والنفوس على الخلاص قد تحسرت ذلك الوقت ودافعت العرب عن أرواحها وقد أيقنت بافتضاحها هذا وعنتر ومعدى كرب بدوا عساكر العجم ونثروا منهم القمم وأكثروا منهم الرمم وهم الاثنين كأنهم

ماردين من مردة الجان أوكأنهم فرسي رهان يحملوا حملات هائلات ويضربوا ضربات قاتلات وكذلك الابطال من بني عبس وبني كندة وبني زبيد قاتلوا قتالا يذكر قريب وبعيد (قال الاصمعي) ولقد كنت حاضر في هذه الوقعة ولها ناظر قاتلت بنو عبس لذلك الجمع الكثير وماقصرت وحمت حريمها وماتأخرت فقال الربيع للملك الاسود وحق ذمة العرب ياملك ان ثبات هذه القبيلة بعنتر ولوماه واندثر ما كان أحد منهم وقف ولاقاتل قال الملك لاسود والله انك لصادق ياربيع في مقالك أما تسمع حس مواقع ضربات عنتر كأنها الرعد القاصف هذا وخداوند جعل باله الى بني عبس وحملاتها وصعب عليه ثباتها وكان حوله مقدار عشرين ألف من العجم أمرها بالحملة فحملت وأرمت أنفسها الى الجبال وألقت أرواحها في القتال هذا وقد زاد الفزع والمخاف وقطعت الايادي من خلاف ودار عليهم ملك الموت بكأس الاسراف وعاد الوعد بينهم خلاف والقتل اسراف واصفرت الوجوه خجلا وارتفع الغبار وعلا وصار السهل جبلا وعظم الويل والبلا وكساهم من الدماء حللا ومازال السيف يعمل بين الملا ونار الحرب تشتعل حتى ولى النهار وارتحلا وأقبل الليل متسدلا وهدت الارض من ركض الخيل بعدما قل من الجميع القوى والحيل وامتلأت الارض قتلا ودارت المواكب حول خداوند بن كسرى لانه حار ذلك اليوم من ثبات بني عبس قدام العساكر التي كأنها البحار الزواخر وقال وحق النار ان دام علينا هذا الامر انكسر ناموس الدولة الكسرويه اذا لم تبدد غداة غدا أمر هذه الطائفة الدنيه والا أضرب

رقابكم كلكم بالسواء فلما سمعت الحجاب من خداوند ذلك الخطاب أوعدوه ما يتركوا من بني عبس ديار ولا من ينفخ النار بعدها نزل خداوند وعساكر العجم وهم حيارى من فعال عنتر الهمام هذا ما كان للاعجام أما ما كان من بني عبس وفارسها الادهم لما انفصلت العساكر وعادوا طالبين الجبال وعنتر قدامهم كأنه الاسد الرئبال وهو كأنه شقيقة أرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وباتوا العسكران يتفارسان تحت مشيئة الرحيم الرحمن الذي لا يشغله شان عن شان حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره ولاح ركبت العساكر واصطفت الدساكر للعرب والكفاح وظهرت أبطال بني عبس وقدامهم عنتر بن شداد والى جانبه معدي كرب كأنه أسد الغاب ولما انهم ساروا قدام الجبال ما مكنتهم العجم من الوقوف بل انها صاحت عليهم من سائر الجهات وانطبقوا على بني عبس كما تنطبق البحار الزاخرات ودقت الطبول وزمرت البوقات وعلت الضجات ورقصت الخيل بركابها وعزت الديالم حرابها وقد حار من الرجال ألبابها هذا وبنو عبس لم يتأخروا عن الجبال خوفا على الحريم والعيال وعندها اندفقت عليهم عساكر العجم وأبطال الترك والديلم كأنها البحار الزواخر وعلت الرماح البواتر وصار الدم غائر والشجاع كاسب والجبان خاسر وتقطرت المرائر هذا وعنتر كأنه أسد كاسر وهو يجول في تلك العساكر ولا تهوله الامور الكبائر وقد تدفقت عليه المواكب كأنها البحر الساكب وعلت بينهم القنا والقواضب وسال الدم على اللحاء والشوارب وكثر العجاج وحمى الشجاع وهاج ونادى ملك الموت في الارواح

187

بالهجاج هذا والصوارم لمعت والرماح شلعت والدروع تقطعت والارواح انتزعت والارض بالدماء تبقعت ومنازل الابطال ارتفعت وزادت نيران الحرب وكثر الطعن والضرب وعمل كل صارم عضب وصار الهين صعب هذا والمعمعة غلت كغليان القدور وفجرت البطون وتقصفت الظهور وتعاظمت الامور ونزل عليهم القدر المقدور وحامت عليهم العقبان والنسور وصار الجبان مقهور والشجاع منصور وقاتلت الرجال وعظمت الاهوال واشتد القتال وجالت الاقيال وقل القيل والقال وعملت بينهم بيض النصال وطاب لهم السماع في حومة القراع وتسطحت القتلا في جوانب القاع واندهل الشجاع وارتاع ودام الحرب واتصل وثار القسطل وتساقطت الرؤس من أعالي القلل ووقع الضجر والملل بكل شجاع وبطل وضرب بالقوم المثل وكان عليهم ذلك اليوم كألف شهر وأطول كما قال فيه من رتب هذا الكلام وله نقل حيث يقول شعر

نهار في الدهور الخاليات * مورخ في مقالات الرواة
جرت فيه الحروب وكل شر * على الاعجام والعرب السراة
وجيش الفرس قد جاؤا بخيل * وعسكر ملا كل الفلات
وقد راموا هلاك العرب جمعا * وسكان البراري المقفرات
فلاقتهم بني عبس ومعهم * جيوش بني زبيد الفاتكات
وكثرت بينهم خيل المنايا * وقد نادى المنادي بالممات
وقد طلع الغبار بكل فج * وغيب في الوغا شخص الكمات
وبرق البيض يلمع وهو يحكي * نجوما في الليالي المظلمات
وضرب السيف يسمع مثل رعد * يقعقع في السحاب الراسيات

وطعن الرمح أحرق كل صدر * وقلع للعيون الناظـرات
وجهمة الفوارس في مجـال * كأنهـم الاسود في الفلات
وصالت سـائر الاقران فيه * بطعن فاتك أهـل الطغات
وهامت في المجال رجال حرب * لهم في الحرب أوصاف الصفات
وقد طربوا على حس المواضي * عروس الحرب شبه الغانيات
فلما شاهـدوا منها قواما * وهي تجلى على جميع الجهات
فنثرت الرواسي لها نثارا * وقطعت الرجال بذابـلات
وغنت بينهـم بيض وسمر * وقـد قام السماع برهفات
فطابوا بالسماع بكل وجـد * وقـد رقصوا ولم يعطوا ثبات
ودارت عليهـم كؤس المنايا * بخمر من شراب المهلكات
فأسكرهـم وغيبهـم جهارا * وقاموا للتعربد والشـتات
وانتدبوا الصوارم ثم عادوا * الى بذل النفوس الغاليـات
فلما عربدوا وجبت عليهـم * حدود لاجل شرب المنكرات
فنهـم من تراه غدا طريحا * تدوس عليه خيل الصافنات
وآخر قطعت أعضاه قطعا * وآخر مل من طعن القنـات
وقد صاروا بوجه الارض صرعا * وقـد شربوا الكاسات المات
وناحت بينهـم غربان بين * كذا صاحت عليهـم نادبات
وغارت بينهـم خيـل المنايا * وأجسـاد لهـم صار وارفات
ودام الحرب بينهـم وملوا * وخيـل الموت فيهـم جائلات
وداموا في الحـروب وقد تمانوا * على هـذي المعاني والصفات
وهـذا النظـم من رجـل فقـير * غريب يرتجي للمكرمات
غـلام لاهـل النظم جمعا * وحبيب للاصول الطيبـات
حزين في الزمان ينوح دوما * على عمر مضى في الداهيات

وليس

188

وليس له من الاعمال شيأ ✱ يرنجيه غدا في يوم آت
سوى مدح النبي خير البرايا ✱ شفيع المذنبين مع العصات
فهو كنزي وذخري يوم حشري ✱ به أرجو السلامة والنجاة
من النيران والاهوال جمعا ✱ وأسكن في الجنان العاليات
أنا والحاضرين ووالديهم ✱ وجمع المؤمنين مع المؤمنات
واني قد سميت لحب شيخي ✱ محيي الدين يسمى بالثقات
وعبد القادر الفرد المسمى ✱ قرا كل العلوم الخافيات
به وبجده خير البرايا ✱ محمد من أتى بالبينات
وأنال العفو من ملك قدير ✱ المجل عن حد الصفات
بحرمة المختار تقبل ✱ سؤالي قبل ما تقضي حياتي
وان ابن الحسين يرجو ✱ زيارة أحمد قبل الممات
وفي الأخرى يكون لنا شفيعا ✱ من النيران تلك الحاميات
وندخل جنة برضاه رب ✱ كريم غافر للموبقات
أنا والمسلمين ووالديهم ✱ سألنا الله حسن الخاتمات
بجاه محمد خير البرايا ✱ تجرنا في الحياة وفي الممات
على طول الزمان يدوم دوما ✱ الى أن تقبل الاخرى وتات

(قال الاصمعي) ولم يزالوا العسكرين في قتال وطعن ونزال الى أن عول النهار على الارتحال وأقبل الليل بالانسدال ودقت طبول الانفصال افترقوا العسكرين عن بعضهم البعض بعد ما امتلأت بالقتلا وجه الارض ثم انهم باتوا يتحارسان الى أن أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح وثاروا للحرب والكفاح ولما وقعت الصفوف وتعدلت المائة والالوف وركبت الابطال ظهور الخيل الصافنات واعتدوا كما جرت لهم العادات وأخذ الفرسان

•واضعهم الا انه ما طال الوقوف بالناس حتى ظهر عنتر كأنه الموت الاحمر وبرز على ظهر جواده الابجر وهو مثل البرج المشيد او كأنه قطعة من الجلاميد تبعه الملك زهير واولاده وسائر فرسانه واجناده وابوه واعمامه ورجال بني قراد امامه وانحدرت من خلفه بنو غطفان وكل واحد منهم كأنه مارد من مردة الجان وجميع الابطال والفرسان قال الملك زهير لعنتر يا ابا الفوارس الجمع علينا كثير والعدد غزير قال عنتر اى شيء هذا الكلام يا ملك الزمان فانا اقسم بالملك الديان الرحيم الرحمن الذى خلق الانس والجان لاريتك حربا وقتالا يذكر ما بقى الزمان ولا بيدن هؤلاء الاقران وارضى الرحيم الرحمن بهلاك عباد النيران ثم ان عنتر انشد يقول

أنا عنتر العبسى أسد الحروب * ولى فى الحرب اوقات كرام
ذكرت عبيلة فى وقت حرب * فأصبح حبها جـوا عظام
حملت القناة بظهر مهرى * نهار الحرب فى يوم الصدام
كسرت لاهلها من حد سيفى * وفاض دماؤها مثل الغمام
وما رديت صدر المهر عنهم * وهمت بعبلة والحب سام
فقلت قصرى عنها وسيرى * فقد فزع الركائب بالزمام
حماة الروع قد جاءت الينا * كتائب تبغى ورد الحمام
كتائب جيش عربان وفرس * علوج حول ذى ملك همام
بكر عليهم مهرى كريم * قلائده سباسب مع أكام
وراكبه فتى من آل عبس * ابوه وامه من نسل حام
زبيبة من بنى حام بن نوح * كأن جبينها جر الظلام
تبعبع شبيه ضبية فى فلاها * وساقيها طوال وهم عظام

وخيل

وخيل تحمل الابطال شمسا * غداة الروع أمثال النعام
بأيديهم مهندة وسمر * كأن ضياها برق الغمام
فجاءوا أعرض حرب القوانى * كأن حريقه نار الضرام
قتلت لوردشان وكان قرما * منيعا فى اللقا يوم الصدام
تركت نساءه تبكى عليه * بتفجيع وهو فى الترب دام
وهذا اليوم أقتل ابن كسرى * ومعه الاسود بن الهمام
وأنا عنتر ود كرى شاع جهرا * أقد الهام بالعضب الحسام

(قال الراوى) بعدما فرغ عنتر من هذه الابيات انحط على العجم كأنه الاسد الكاسر وصاح وحمل فاهتز لعظم حملته السهل والجبل وتحيرت الابطال من عظم صرخته ورأت الفرسان ما اهالها من شجاعته (قال الراوى) لهذه السيرة العجيبة والامور المطربة الغريبة لقد سمعت على عنتر مرارا عديدة ممن أثق به من البشر واعتمد فى كلام الصدق عليه قال لى يا أصمعى ان عنتر له حملات تهد الجبال الراسيات وله صرخة اذا صرخها تجاوبه القيعان والبيد ويلين منها الحديد وتفلق الحجر الصلب الجليد وتتزلزل الارض لعظم صرخته وتولى الخيل من شدة هيبته وتحطم الرماح من الازدحام وتتكردس الابطال والشجعان وما كنت أنا أصدقهم بهذا الكلام حتى حضرت فى هذه الوقعة ورأيت بعينى تلك الحملة والصرخة من عنتر فحسبت ان الجبال انطبقت على تلك الارض والاطلال وان الرعد هدر فى خلال حملته وصرخته والغمام فعرفت ان الذى كان يصف لى عنتر ما قدر يوصف بعض صفاته حتى اندهل عقلى وحار فكرى وتحيرت فى أمرى وكنت أصف عنتر وهذه الوقعة بين يدى بعض الملوك

فكان يقول لقد كان لبني عبس عبد نجيب لو عاش لملكت به سائر الاقطار وان عنتر خلقه الله شرارة من النار ونقمة على الاشرار وذلت له رقاب العرب والعجم من حضرمنها ومن غاب وكان عنتر في ذلك الزمان حاز الكرم والمعرفة وحسن الشيم واللطف في المقال والخطوة على النساء والرجال وحسن الصناعه والقوة والبراعة وقد مدح النبي المكي في قصائده واستعذبه ولم يره ومن جملة ما قال عند الابيات يامن حضر صلوا على فخر ربيعا ومضر الذى انشق له القمر وترضوا عن أصحابه الغرر أبو بكر وعمر

أنا عبد بني عبس المسمى * رجال الحرب تعرف مقام
فيارباه أن تظهر محمد * رسول الله مصباح الظلام
وتنشرد كره في الارض جمعا * وتحمي لاجله البيت الحرام

(قال الراوى) فلاجل هذا سمعت جميع أشعار الجاهلية فلم أرتض الا كلام عنتر وقد طلب بعض الملوك رؤيته وكان ابن ثلاثين سنة لما سمع عن شجاعته وأوصافه الحسنة وأراد أن يكون في ركابه بين الملا فوفق الله ان كان من ذريته من أسلم وقاتل بين يدى نبينا عليه الصلاة والسلام وهى ابنته عنترة وعمر و وجار العلم وزيدان والغضروف والغضنفر والجوفران وقد جعل في ركاب نبينا من هو أشجع من عنتر وافرس وأثبت عند اللقاء وأحرص وجعله آية لنبيه وأعطاه من الشجاعة ماليس لغيره لامن قبله ولامن بعده وهو الامام الكرار والليث المغوار والاسد المدار الضارب بذى الفقار الذى محى المشركين والكفار الامام الانزع والبطل الصميدع ليث بني غالب فارس المشارق والمغارب أمير المؤمنين

على

190

علي بن أبي طالب (قال الاصمعي) وقد اجتمعت على عنتر مرار عديدة فما رأيته قط يسجد لصنم ولا انتهك حرم وما كان يحلف الا برب البيت الحرام وكان عنده يقين بظهور سيد المرسلين ولما رجع من سفرته من بلاد الروم من عند الملك قيصر أرسل وراء الراهب الذي في دير الصنم وقال له متى يغور الماء الذي في جزيرة الصافات ومدينة الواحات الذي في جزائر الافرنج فقال يغور ذلك الماء بعد ان يظهر فارس بني عبس الادهم وشجاعها المعلم ذلك الوقت ينقطع الماء عيان وبعده يظهر المبعوث من آل عدنان يكسر الاصنام والصلبان ويبطل عبادة النار والاوثان قال عنتر ورب البيت الحرام انا أحق من يؤمن به ويستجير مادمت في قيد الحياة واذا ظهر أغازي أعداه وبعد ذلك عاد عنتر من بلاد الافرنج طالب أرض بني عبس وعدنان وكان مدة سفرته عشرين عام ولما وصل الى الفرات وسمع بوصف النبي صلى الله عليه وسلم اراد يسير للبيت الحرام فقتله الاسد الرهيص واسقاه كأس الحمام وكان ذلك بأمر الملك العلام فلما بلغه صلى الله عليه وسلم قال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرء مانوى ولما أتيت في هذا الحديث في سيرتي الحجازية المروية التي هي أثبت القصص اعترضوني جماعة من العلماء وكان ذلك في حضرة هارون الرشيد وهو الخامس من بني العباس وكان من جملة من اعترضني في حضرته وهم جلوس حسن البصري وعبيد الخوارزمي وبشر البغدادي ومالك الضبي وعبد الرحمن السمرقندي وشعيب الاصفهاني ومالك بن يزيد الكندي وابراهيم الموصلي واسحاق ابن سعيد الدمشقي وعبد الله بن نافع الطائي وكان بحضرته

أبو النواس ويحيى البغدادى وجعفر بن يحيى البرمكى وجماعة من وراء هارون الرشيد وندمائه فعمدوا أن يبطلوا هذه السيرة تعمدا وعصبة وحسدا حيث انهم لم يقدروا أن يأتوا بترتيب ألفاظى وحسن اهتمامى وإيقاظى وناظرونى وكذبونى فأقمت الحجة عليهم وأرغمت أنوفهم وأشهرت سيفى وأغمدت أسيافهم وأشهرت هذه السيرة فى بلاد الحجاز وانتشر ذكرها فى سائر الآفاق لانى عمرت من العمر ستمائة وسبعين عام فى زمان الجاهلية أربعمائة عام والباقى فى الاسلام وأدركت هارون الرشيد وهو الخامس من بنى العباس حتى أجزت بسماع هذه السيرة بين الناس وذلك لاجل ما تقوله العوام وتخوض فى الكلام وما يعرف هذا القول يا رفاق الا أرباب العقول والآفاق الذى أطلعهم الله على سرائر مكنوناته وعرفهم بذاته وصفاته على حسن أقاويلهم واستعدادهم ونرجع الى سياق الكلام الاول بعد الصلاة على نبينا المفضل ولما أن عنتر ذلك اليوم حمل على العجم وصرخ جاوبته الجبال والاودية والقيعان وارتجعت الخيل على أعقابها وقدحت من حوافرها النيران وحمل عنتر وصاح فى الابجر طالع من تحته كأنه البرق اذا برق أو السهم اذا مرق وعلى الحقيقة ان تلك الساعة اعتمت الجهات وأقيمت الرايات والغبائر خيمت والرجال تصادمت والجماجم تساقطت والبطون تفجرت والرماح تحطمت والسيوف تثلمت والدماء قد أسكبت والارواح انسلبت والفرسان باختلاف اللغات تجاوبت وبالحراب تراشقت وأصحاب الاشناب افتقرت والانذال تأخرت والشجعان تقدمت والقحوف بالجراح انفتحت والرؤس

قطايرت

تطايرت والقتلاء تكردست وفي ذلك اليوم ضاقت الانفاس وزاد الامر عن حد القياس ولم يزالوا في حرب وقتال وطعن ونزال حتى أذن الله للنهار بالارتحال والليل بالانسدال فتفرقت العساكران وقد ملوا من الطعان والضراب هذا وخداوند بن كسرى أنوشروان قد حار من هذا الامر والشأن (قال الراوي) نزل خداوند في قلبه النار على عنتر ومن معه من العربان وجميع عساكر العجم ما لهم ذكر ولا كلام الا عنتر وشجاعته وما فعل بهم في الحرب والطعان وأما ما كان من بني عبس لما انهم عادوا وعنتر قدامهم كأنه شقيقة أرجوان مما سال عليه من آدمية الفرسان هذا والملك زهير وأولاده و بنو عبس الجميع ما عاد لهم ذكر ولا كلام الا عنتر الهمام الكل يدعوا له بالنصر والظفر وباتت العساكر بن تلك الليلة حتى أصبح الله بالصباح عندها تواثبت العجم الى ظهور الخيول واصطفوا ميمنة وميسرة وقلب وجناحين وطلعت أبطال بني عبس من الجبال وأخذت الرجال مواضعها وما طال بالناس الثبات ولا وقفوا غير ساعة من الساعات حتى برز عنتر وهو راكب على ظهر جواده الابجر وهو كأنه موج البحار الزواخر الا انه ما جال ولا طلب براز ولا نزال دون انه حمل على عساكر العجم وعمل فيهم عمل النار في الحطب وأنزل بهم البلاء والكرب وقلب الميمنة على الميسرة والميسرة على الميمنة وبعد ذلك رجع الى بين الصفين مال وجال وافتكر فيما لاقى من الاهوال وأشار للعجم بهذه الابيات وهو يقول صلوا على طه الرسول

سيفي الضامي صديقي ✽ وكذا الرمح رفيقي
صوت الابجر عندي ✽ وكذا الدرع خلاقي

وكذا الحرب دواما * هو صبوحي وغبوقي
واذا الصائح نادى * بنعيب وشهيق
جئته والخيل تسعى * مثل نيران الحريق
وأجازيه سريعا * ليس أخشى من مضيق
وكذا الصارم شقيقي * لعدوي وصديقي
عبلة انني أطعن خصمي * وهو يقظان مفيق
وأنا عنتر حقا * طعنتي تسبق ريقي
لا أبالي ان أتى الموت * ولي عزم وثيق
ليس لي في الحرب ند * أردم ورمحي في العقيق
واذا الاهل جفوني * وأبعدوا عني صديقي
أكتم الغيظ واعفوا * عن عدوي ورفيق

(قال الراوي) فلما تم عنتر كلامه وفرغ شعره ونظامه الا وبرز اليه فارس من الديلم كأنه قطعة جبل انحط على عنتر مثل القضاء المنزل وهو يذكر النور والنار فاستقبله عنتر كأنه الاسد الهدار وقال له في است أمك على أم كل من يعبد النار يا ابن الاشرار وضربه بالحسام على وريديه أطاح رأسه من بين كتفيه أرماه قتيل وفي دمه جديل ثم ان عنتر صال وجال وطلب البراز والنزال فبرز اليه ثاني من العجم أنزل به الهلاك والنقم عندها تتابعت اليه الفرسان من كل جانب ومكان ولم يزل يقتل ويأسر حتى غابت الشمس رجع من الميدان بعدما قتل منهم مائتان وخمسين وأسر سبعين وعاد وهو كأنه شقيقة أرجوان مما سال عليه من أدمية الفرسان وهو بما فعل ذلك اليوم فرحان وهو مع ذلك ينشد ويقول أفلح من يصلي على الرسول

192

اذا شئت أمطرت القنالون عندم * وجندلت فرسان الهياج بمخذمي
أنا ابن كرام الناس شرقا ومغربا * أصولي كبأسي في الوغا وتقدمي
أنا فارس لم ينتج الدهر مثلي * سواي بفعلي في الوغا وتكرمي
أنا ظاهر الاهوال في يوم بؤسها * أنا قابض الارواح مفني العزائمي
أنا الفارس المطلوب بإصابع الندا
أنا طاعن الشجعان يوم التصادمي
أنا فارس الفرسان عزمي قد سمى * وقد صار مقرونا بشمس النعائمي
أيا عبلة اني فارسا متقسورا * واغلب ذا بأس عبوس غشمشم
فأقسم بالبطحا ولركن والصفا * وأركانها والمعشرين وزمزمي
بأني أقيم الحي في حومة الوغا * وأوجزهم طعنا باسم الهندمي
أقيم بني عبس على الناس كلهم * بجودي وعزي عندهم وتقدمي
اذا نادت الابطال في الحرب من لها
أنادي أنا والموت بالموت يرتمي
وأنا الذي ألقى المنايا ضاحكا * يلتقوني هم بغير تبسمي
فلا كل من يعلوا الجواد بفارس * ولا كل معقود البطاقين صارمي
عبيلة قومي وانظري اليوم عنترا * هزبرا ويلقى كل جيش عرمرمي
خداوندا رجع لاتكون مخاطرا * بروحك مع حامي الحريم فتندمي
أنا عنتر العبسي فارس قومه * زلت لسيفي عربها والاعاجمي
(قال الراوي) فلما سمعوا بنو عبس من عنتر هذه الابيات قالوا له الجميع لا رد الله فاك ولا كان من شناك يا حامي الحريم والاهل والبنات ودافع عنا النائبات فشكرهم عنتر على مقالهم وأثنى عليهم ودعى لهم ودخلوا للعيال وهم فراحة بفعال عنتر الفارس الرئبال وباتوا يتحارسان الى ان أصبح الصباح وأضاء بنوره ولاح

ركبت الابطال واشتهرت الرجال واصطفت الصفوف وتعددت المئات والالوف وركب خداوند بن كسرى فى موكبه الخاص وعلى رأسه الاردهارات وقدلبس فى ذلك اليوم أحمر والغيظ كاد يخنقه من دون البشر وهو ينظر الى عساكر بنى عبس واذا بعنتر قفز الى بين الصفين واشتهر بين الفريقين ونادى بأعلا صوته هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزائز اليوم شيل الجنائز لايبرز لى منكم ياطناجير العجم لا كسلان ولا عاجز مالكم واقفين وفى أمركم حائرين ابرزوا فارس لفارس عشرة لفارس مائة لفارس ألف لفارس وان طلبتم قلة الانصاف احملوا على بجمعكم حتى ألتقيكم وحدى بقوة ساعدى وزندى (قال الراوى) فلما سمعت عساكر العجم وخداوند بن كسرى كلام عنتر واقعهم التحير والفكر قال خداوند وحق النار ان هذا من أعظم العار من يبرز لهذا العبد الجبار هذا وقد تقدم الى قدام خداوند رجل شيخ من مشايخ النار وقبل يده وقال له يا ملك الزمان لا تحتقر بهذا البطل الذى ضربت بشجاعته الامثال وهلك جميع الابطال الرأى عندى تحمل عليه وعلى بنى عبس بكل عساكرك عرب وعجم وترك وديلم والا أفنانا هذا الفارس الادهم فلما سمعت أرباب دولة خداوند كلام ذلك الشيخ قالوا كلهم وحق النار ياملك الاقطار ان هذا الشيخ تكلم كلام الصحيح الرأى عندنا تسمع من من كلامه فعندها أمر خداوند الى العساكر بالحملة فحملت جميع تلك العساكر حملة رجل واحد عرب وعجم وترك وديلم فالتقاهم عنتر كأنه أسد أغبر يضرب لا يبقى ولا يذر لما نظر الملك زهير الى حملة العساكر وكيف احتاطوا بعنتر أمر بنى عبس

وبنى

وبنى كندة وبنى زبيد بالجملة حملوا بجملتهم واندفقوا على عساكر العجم وانطبقوا على بعضهم البعض كموج البحر اذا التطم حتى شابت من هول ذلك اليوم المفارق والقمم وقاتل الشجاع الغشمشم وذل الجبان وانهزم وعادت الموالى خدم وجرى عليهم ما خط بالقلم وانهار ركن الحياة وانهدم واظلم عليهم النهار واعتم ودهمهم الشجاع وبرى المعاصم والقمم فابصر خداوند من بنى عبس ومن فارسها الادهم حرب ما شاهد مثله لا فى العرب ولا فى العجم وما زال الحرب يعمل والدم ينزل والرجال تقتل ونار الحرب تشعل حتى انه ولى النهار واقبل الليل بالاعتكار وانفصلت العسكرين عن بعضهم البعض وعاود عنتر قدام الابطال كأنه غطس فى بحر من الدماء ودرعه بقى ذلك اليوم مثل القنفذ من نبال العجم فافتكر هذه الوقعة وما جرى له فيها من الاهوال انشد يقول صلوا على طه الرسول

عيلة بالحـــديث لا تبالى * ولا تحزنك طارقة الليالى
ولا تخشى المنية فهى حتم * بامر مقدر ماضى الفعال
وحقك لو رأيتينى والاعادى * تجول على باذات الجلالى
وقد نقضوا كتائبهم وجالوا * بكل غضنفر وافى السبالى
وهاجوا والابحر فى لظاها * يبارى الريح فى يوم المجالى
وماجوا مثل موج البحر حولى * وسلوا عند ما سلوا النصالى
فكنت كالهزبر بلا ارتعاب * ولا خوف لدى ولا ابالى
ولو ابصرتى برق الموت يبدوا * من البيض المهندة الصقالى
وكاسات المنايا دائرات * من السمر المثقفة العوالى
وعنتر تحت ظل من عجاج * يقد بسيفه هام الرجال

وان لدعته أطراف العوالي * يقاتل باليمين وبالشمال
أنا الموت الذي أعيى البرايا * تلين لشدتي صم الجبال
أتانا الكسروي بكل علج * عريض الذقن منتوف السبال
فجلنا فيهم بمضمرات * ململمة الخواصر كالسعالي
فلاقينا صدورهم بطعن * يقلقل وقعه قلل الجبال

(قال الراوي) ولما فرغ عنتر من هذه الابيات تعجبت من نظامه الابطال والسادات أما الملك زهير فانه انقض على عنتر قبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه لانه خاف عليه ذلك اليوم ومما دق انه رآه سالم من نبال العجم وافتقد الملك زهير اولاده وجد الذي انجرح ثلاثة منهم وانصابت عين ولده ورقة بنبلة من نبال العجم قال عنتر ياقوم لولا ضربهم بالنبال كنا محقنا عددهم وقطعنا مددهم وتركناهم عبرة لمن اعتبر ثم انهم ربطوا الاسارى في الحبال وأدخلوهم للجبال وعنتر يقول وحق ذمة العرب لا اخذ بثار ورقة بن الملك زهير الا روح خداوند بن كسرى أنوشروان لانى غداة غد لابد ما اهجم عليه تحت الاعلام وآخذه أسيرا واتركه قتيلا معفر وبعدها نزلت العساكر وقد أوقدوا النار حتى بقي الليل نهار وكانت بني كندة عادت ذلك اليوم وهي مقصرة على من قتل منها كأنه وقع فيها الحاق لاجل غيبة أميرها جار وباتت تلك الليلة تلوم بعضها ابعض حتى أصبح الصباح وأمر خداوند الى صحابه أن يفتقدوا الطوائف فقالوا له يا ملك قتل منا مقدار عشرة آلاف وأسر ألفين فضاق صدره وحار أمره وقال غضبت عليكم النار واستوجبتم العار ياويلكم كل هذا جرا عليكم وأنتم أضعافهم عددا فلو كانوا مثل نصفكم أو مثل ربعكم ما كانوا تركوا منكم أحدا قالوا له أيها

194

والمقدمين أيها الملك لا تلومنا الا انا كنا فى هذه الايام الماضية يتكل بعضنا على بعض واليوم هذا نريد قتالهم مبارزة حتى يبان الشجاع من الجبان لان ياملك فى فرساننا كل واحد يلقى ألف من هؤلاء العرب غداة غد ترى عينك منا العجب ولا نخلى منهم لا راس ولا ذنب قال خداوند افعلوا ما بدا لكم ولا تخلوا العرب والملك الاسود بروكم بعين النقصان ويقولوا العجم على كثرتهم ما قدروا على بنى عبس فى الحرب والطعان ولما كان ثانى الايام اصطفت العساكر وترتبت الدساكر وكذلك بنى عبس ومعدى كرب وبنى زبيد ركبت واهتزت الجوانب قال معدى كرب لعنتر يا أبا الفوارس لو بارزونا هؤلاء القوم الاعجام كانت بانت شجاعتنا بين الخاص والعام قال عنتر يا معدى كرب ان بارزونا أو حاربونا الا بد عن هلاكهم وكسرهم وتبديدهم فبينما هم فى الكلام الا وفارس قد ظهر من عساكر الاعجام كأنه قطعة غمام وتحته جواد صلب القوائم صبور على التصادم وعلى ذلك الفارس درع مانع وهو قصير الاكمام من عمل داود عليه السلام وانه لما بعد عن الصفوف نزل عن جواده وسجد للشمس كفرا وغرور وأنا وأنتم نوحد الملك الغفور وطلب من النار انها تنصره على بنى عبس ومن معهم من عرب القفار فلما نظر معدى كرب الى ذلك الفارس برز من بين عساكر العجم وصار بين الصفين قال يا أبا الفوارس كأنه طالب البراز ها قد انقضت حاجتى وشهوتى واليوم أشفى منهم غلتى ثم ان معدى كرب انقض على ذلك الفارس وانطبق عليه فلما قاربه صاح فيه وزعق أراد العجمى أن يظهر شجاعته فلم يتركه معدى كرب

بندار ولا يلفت العنان بل طعنه فى صدره أطلع الرمح عشر انابيب
يلمع من ظهره وانقلب على ظهر جواده الى الارض فتعجبت
الاعجام من تلك الطعنة وقالوا من فينا يقدر بفعل مثل هذه الفعال
قال خداوند وحق النار هذا البدوى ماخلى صاحبنا قدامه
بندار ولا يلفت العنان هذا ومعدى كرب صال وجال وبرز اليه الثانى
فاخلاه يصول ولا يجول دون ان تركه على وجه الارض مقتول
فصارت الفرسان تتابع اليه وهو ينكسها حتى تنصف النهار وقتل
أربعين وأسر ثلاثين فتوقفت عن برازه عساكر العجم وجرى على
خداوند مالم يجر على قلب بشر وأما الربيع بن زياد لما كاد قلبه
أن ينفطر تقدم الى قدام الملك الاسود وقال له أى شىء هذا
التدبير يا ملك الزمان هذا شىء ما يلغنا من بنى عبس آمال والصواب
عندى ان نحمل كلنا عرب مع عجم ونهجم على بنى عبس داخل
الجبال ونسبى الحريم والاطفال حتى نبلغ منهم الآمال قال
الملك الاسود يا ربيع أنا أعلم ان العساكر تنكسر مادام
ان هذا الصبى لهامه بر لانه نظر ماجرى على أصحابه ومن قتل
من حجابه فهانت روحه لانه صبى وجاهل على كل حال هذا
ما كان للربيع والملك الاسود وأما ما كان من خداوند لما نظر
ماجرى على أصحابه زاد به الغيظ والغضب وعول انه يسل حسامه
ويقع فيمن قدامه ويتولى بنفسه الحرب والقتال فامكنه من
ذلك الحال وزيره زردخال فارس بلاد العجم بل انه تقدم اليه
وقبل الارض بين يديه وقال له أيها الملك السعيد بعد ما بلغ
الامر بيننا الى هذا الحال نحمل ولا تقاتل بنفسك لان
فى عساكرك كل واحد يلقى كل هؤلاء العرب ويردها بقوة

195

ساعده وزنده وأقول لهم أنا ان أردت ان آتيك بالجميع أسارى الى بين يديك وان أردت يا ملك حملنا عليهم بكل العساكر حملة واحدة وقد تركنا هذه الارض منهم خامدة قال خداوند ما كنت أريد الا من يأتيني بهذا البدوي الذي هو واقف في حومة الميدان أسيرحتى أعذبه أشد العذاب وأحرقه في بيوت النيران حتى لا يقول الملك الاسود ما كان في عساكر العجم من يلتقي هذا البدوي في الحرب والصدام قال زردخال يا ملك الزمان أنا آتيك به أيها الملك الهمام وآتيك بعده بعنتر الاسود الحجام قال خداوند وكان هذا البدوي ما هو عنتر قال زردخال لا يا ملك هذا البدوي يسمى معدي كرب في هذه الايام صادق عنتر وصار له من بعض المحبين والاخوان وقد التجأ هو وقومه الى بني عبس وعدنان وأنا من أول يوم لو كنت توليت أمر القتال ما كنت تركت لا عنتر ولا معدي كرب ولا أحد من هؤلاء العرب ثم انه بعد كلامه برز الى بين الصفين وهو راكب على جواد أدهم بغرة كالدرهم اذا صهل كاد أن يتكلم وعليه درع قصير الاكمام ينجي صاحبه من الكرب في الصدام ولما انه صار بين الصفين هدر وزمجر وصار يدمدم ويشتم العربان بلسان العجم حتى صار قدام معدي كرب لما نظر عقاب الترجمان الى الوزير زردخال صار قدام معدي كرب في حومة الميدان تقدم عقاب الى قدام عنتر وقبل يده وقال له يا مولاي أنت ما عاهدتني كلما أتى اليك رسول أو حاجب تضرب رقبته وتعطيني جواده وعدته فعندها ضحك عنتر وقال ويلك يا عقاب وأين هو الرسول أو الحاجب قال عقاب هذا يا مولاي صاحب حجاب خداوند بن كسرى وقد خرج الى قتال معدي

كرب دونك واياه أقتله واسقيه كأس فناه والنار فى أست
أمه على أم خداوند معاه فلعن الله أبو سباله ما أحسن عدته
وجواده وذمة العرب لابدلى ما أسأل معدى كرب اذا قتله وأسقاه
كأس الهلاك والعطب يعطينى جواده وعدته والسلب فقال
عنتر ياشيخ عقاب ما أطمعك من دون قبائل الاعراب أنت
ما أخذت ما يكفيك قال عقاب بلى والله يا مولاى أخذت ما يكفينى
لكن مرادى أجمع مال كثير لاجل جارية رأيتها أمس بين خيام
بنى عبس ذات حسن وجمال وقد واعتدال وهى زائدة
الاحتشام بوجه كأنه البدر التمام بعيون ترمى القلوب بسهام
وحاجبين خطوا بقلم الرحمن وفم كأنه خاتم سليمان وشفايف
كأنهم عقيق أو مرجان وصدر كأنه رخام ونهود تشبه الرمان
وبطن كأنه طيات بجان وخدود كأنها الورد فى نيسان وصرة
تسع وقية دهن بان وأفخاذ أنعم من ريش النعام وبينهم شىء
ما أقدر أصفه بلسان كأنه أرنب مقطش الآذان فلما
انى رأيتها يا أبا الفوارس بقيت ولهان حيران ليتنى ما كنت جئت
الى عندكم ولا رأيت هذه الجارية ويا ليتك صلبتنى مع الحاجب
والآن أحكيت لك قصتى وأنا أريد من احسانك اذا قتل
مولاى معدى كرب لهذا الحاجب تأخذ لى جواده وسلبه
حتى أضيفه الى ما معى من المال وأعطيه لابى الجارية عساه
يزوجنى بها وأحتضى بحسنها وجمالها قال عنتر ويلك
ياعقاب من تكون هذا الجارية وأى شىء اسمها قال عقاب يا مولاى
أنا لما سألت عن اسمها قالوا لى اسمها عبلة بنت مالك بن قراد
وأريد أتزوج بها وأقيم عندك فى هذا الارض والوهاد وقالوا لى

ابه

انه عشقها عبد اسود زنيم راعى نوقها وجمالها وابوها ما هو رايده وهذا الزواج لا يصح عند ابطال العرب ان البنت العربية تتزوج من غير ابناء جنسها لما سمع عنتر كلامه ضحك حتى استلقى على قفاه وقال له ويلك يا شيخ عقاب أخاف عليك من زوجها يسمع كلامك يقتلك ويلعن أبو سبالك قال عقاب يا مولاى من يكون زوجها بين العبيد السودان الاوغاد حتى يقتلنى وأنا نازل فى حمى الامير عنتر بن شداد فضحك عليه وعلم انه قليل العقل بين العباد قال له ابشر يا شيخ عقاب فأنا آخذ ها لك رغم فى الكلام وزردخال حمل على معدى كرب النقاه كما تتلقى الارض العطشانة أوائل المطر ووقع بينهم حرب وقتال يذهل الابطال ويحير صناديد الرجال وما زالوا فى كر وفر وأخذ ورد وهزل وجد وقرب وبعد الى آخر النهار كان قتال معدى كرب الى زردخال مدافعة لانه كان تعبان من براز الفرسان وما زالوا على ذات الحال حتى مضى النهار افترقوا عن بعضهم البعض وعاد معدى كرب طالب الجبال ولما انظر زردخال الى معدى كرب عاد من قدامه سالم خجل انه يرجع الى عند خداوند وما علم معدى كرب بأنه ينقض عليه مثل البرق اذا برق فاذا هو قد ضربه بحربة طلعت من يده كأنها صاعقة ووقعت فى درقة معدى كرب خرقتها وعبرت الى الدرع ووصلت الى جسد معدى كرب أرمته عن ظهر الجواد الى الارض والمهاد كأنه طود من الاطواد فلما انظر عنتر الى فعال زردخال وكيف غدر بمعدى كرب وأرماه فى مقام الحرب والصدام صار الضياء فى عينه ظلام ولكر الابحر وانقض على زردخال كأنه الاسد وصاح فيه صوت كأنه الرعد اذا رعد

وطعنه بالرمح فى صدره طلع عشرأنابيب تلمع من ظهره أرماه الى
الارض قتيل وفى دماه جديل وتقدم عنتر الى معدى كرب
وشال الحربة من ظهره وكان الجرح واسع مثل فم القربة وصارت
الدماء تسيل منه دافقة على ظهر جواده وأمر أخيه شيبوب يأخذه
الى الجبال أجابه الى ماطلب وأخذ شيبوب الى معدى كرب وهو
غائب عن الصواب كان الليل أقبل والنهار ولى وارتحل
بنو عبس للجبال وهم فى كرب لاجل جرح معدى كرب وبات
عنتر وهو ضيق الصدر لاجل هذا الامر وأما ما كان من خداوند
فانه زاد غيظه وغضبه وجذب سيفه وقال اتونى بكل أسارات
العرب حتى أقتلهم وأنزل بهم العطب فقال له وزيره
ياملك تأنى على نفسك قتل هؤلاء العرب ما يبرد لك غليل لانك ان
قتلتهم يقتلوا العرب الاسارى الذى عندهم لان عندهم أوفى من
خمسة آلاف أسير من العجم فبينما خداوند مع الوزير فى مثل هذا
الكلام واذا بالملك الاسود أقبل ودخل سلم وخدم ودعى للدولة
الكسروية بدوام العز والنعم وقال له أيها الملك السعيد ای شیء
هذا التدبير الذى ما يعود علينا منه الا الهلاك والتدمير أنت تعلم
ياملك الزمان ان العرب مناهم البراز لانهم يفتقروا به فى أرض
الحجاز الرأى عندى تأمر جميع العساكر عرب وعجم يحملوا
حملة واحدة والا ما تنال منهم مراد فى الحرب والجلاد وبعد ذلك
أنت أخبر وفى تدبير شأنك أبصر قال خداوند وحق النار ما أقاتل
هذه العساكر والعربان الا فارس لفارس واذا لم تأتونى بالجميع
أسارى والا عند الصباح أبرز بنفسى الى حومة الميدان فما أنال
منهم ما أريد أوانى أقتل وأبقى ممدد على وجه الارض والصعيد ثم انه

قام وقد لزم اللجاج لما سمع الملك الاسود من خداوند ذلك الكلام رجع وهو غضبان وحدث أمراء العربان بما جرى من خداوند من الامر والشان قال الربيع بن زياد كل هذا من سعد عنتر بن شداد حتى ينصره الله علينا في الحرب والجلاد وأنا أعلم ان كل هذه العسا كر تنكسر مادام هذا الصبي لهم مدبر ثم انهم باتوا تلك الليلة حتى أصبح الله بالصباح وأضاء بنوره الوضاح ركبت الابطال الخيل الجياد وتقدموا الى الحرب والجلاد وأرادوا أن يشرعوا في أمر القتال واذا بالامير عنتر سار في وسط المجال وصال وجال ولعب برمحه العسال حتى انه أذهل عقول الرجال وحمل على ميمنة العجم وغاب فيهم ساعة من النهار وعاد من تحت الغبار كأنه شعلة نار وقد أهلك منهم سبعين فارس كرار ونزل عن ظهر جواده وأوثق حزامه في حومة الميدان وحمل على الميسرة وكان فيها قبائل العرب فقاتلهم حتى تضاحى عليه النهار ورجع كأنه شعلة نار وقد أهلك من العرب مائة فارس كرار هذا وشيبوب في ركابه مثل البرق اذا برق والنجم اذا مرق هذا وقد نكس رايات قوم يقال لهم بنو غيلم وعاد وراءهم وطلب الميدان وصال وجال ولعب على أربعة أركان المجال وأشار يناشد العرب والعجم ويقول صلوا على طه الرسول

سلي يا عبلة ذا الجبلين عنا ✽ وما لاقت بنو الاعجام منا
فنينا جمعهم لما أتونا ✽ بموج موا كب انسا وجنا
وراموا أكلنا من غير جوع ✽ فأشبعناهم ضربا وطعنا
وأذقناهم طعنا بمرهفات ✽ تقد جنوبهم ظهرا وبطنا
وفككنا الملوا كب عن نساء ✽ يزدن على نساء الارض حسنا

كمثل عبلة ما فى زمانى * رأيت مثلها فى الناس أسنا
الا يا عبلة لا يلقا كى طيشا * اذا ما دام الرمح فى كفى لدنا
وسيفى دائما يفنى الاعادى * اذا جردته فى الكف أجنا
وكم قرم تركت نساءه صيحا * يرددن الصوت عليه حزنا
وجار رأى طعنتى فنادى * تأنى يا ابن شـــداد تأنا
خلقت من الحديد أشد قلبا * وقد تفنى الجبال ولست أفنا
انا الحصن المشيد لآل عبس * اذا ما شيدوا الاعداء حصنا
ولون الليل لونى غــــيرانى * فعالى من شعاع الشمس أثنى
جوادى نسبتى وأبى وأمى * حسامى والسنان اذا انتسبنا
وأنا عنتر وأحمى لاجمائى * وليث الحرب فارسها المكنى

(قال الراوى) فـاتم عنتر كلامه حتى ان الملك الاسود رمى عمامته وحمل حملة أبعدت ملوك العرب فنادى الربيع بن زياد ويلكم اقتلوا هذا العبد الاسود ولد الزنا الذى طغى وتمرد وأنزلوا فيه الهلاك والنكد هنالك حملت العساكر على عنتر من كل جانب ومكان فلما نظر عنتر الى شيبوب وقال له ارجع للملك زهير وقل له يرسل لى ألف فارس حتى أقاتل هؤلاء العربان الجمعة ففعل شيبوب مثل ما أمره أخوه عنتر وفى دون ساعة أتت عنتر الفرسان أكثر من ثلاثة آلاف بطل من بنى عبس وبنى زبيد وقاتل بهم عنتر عساكر الملك الاسود ووقع الطعن والضرب وصار الهين صعب وبقت الرؤس طائره والخيول غائره والاجساد مطروحه والفرسان مجروحه وفى أقل من ساعه رخصت كل بضاعه ودام ضرب الصارم الذكر حتى حارت الخواطر والفكر وسكر من كأس الحرب من لا كان عمره سكر وقد تشكت الاجناد

من

من ثقل الحديد الذي عليها سام قنطر وظهرت ذلك اليوم شجاعة أبي الفوارس الامير عنتر واعتكر عليهم الغبار أشد من سواد الليل وقل منهم القوى والحيل ونزل عليهم الذل والويل وكان عليهم يوم طويل ولم يجدوا الى الخلاص سبيل وجرى العرق كالماء في السراويل وعاد القوم منهم ذليل واشتد القتال وطاب النزال وكثرت الاهوال وعملت النصال هذا والنهار أعتم والشجاع دمدم والبطل تقدم والرمح انحطم والقلب انخلع والرأس انقطع وفنيت الابطال أجمع فلم ترى في ذلك اليوم الاقاتل ومقتول وثاكل ومثكول وهدر كل ليث مهول وعنتر في المعمعة كالاسد الاكول وهو يطرح الابطال عرضا وطول وكان لهم يوم مهول كما قال بعض واصفيه حيث يقول صلوا على طه الرسول

تطايرت الرؤس عن الرقاب ✱ وحل البؤس واشتد العذاب
وقطعت الصوارم كل وصل ✱ من الاطراف حقا والرقاب
وصار الدم في الميدان يجرى ✱ كما يجرى الغدير من السحاب
وعاد النقع مثل الليل لونا ✱ وبرق البيض يلمع كالشهاب
وضرب البيض مثل الرعد صوتا ✱ على الاحقاف يسمع بالضراب
تكردست الفوارس في مجال ✱ به الابطال شابهت الشباب
وعم القوم يوم فيه حرب ✱ يذوب لهوله صم الصلاب

(قال الراوى) فبينما الناس في قتال وضراب وهموم واكتراب واذاهم بفارس قد خرج من تحت الغبار وهو ينادى يا آل عبس يا آل عدنان أنا حبيب عبلة على طول الزمان فتأمله الفرسان واذا به عنتر بن شداد وهو طالع من تحت الغبار ومعه أسير يقوده

مثل البعير وخلفه شخص كاد من الفرح يطير وكان ذلك
الاسير الملك الاسود لانه أول من حمل بين يدى الجيش وهجم
على عنتر ورفع باعه بالرمح الذى فى يده وأراد أن يطعن عنتر
فسبقه عنتر وهجم عليه هجمة الاسد القسور وضربه بالدرقة
فى صدره وقد ذكر الاصمعى ان درقة عنتر كانت سبع أطواق
من جلود الحيتان ووزنها مائتين وتسعين من بالمكى وبها عشرة
حلقات كل حلقة وزنها عشرة أقات وسمك الدرقة ثلاثين
ذراع بالحديد تمام فوقعت درقة عنتر على صدر الملك لاسود كأنها
جبل طرحته من على ظهر الجواد الى الارض والمهاد وهو غائب
عن الوجود فأدار شيبوب يديه وشده أكتاف قوى منه السواعد
والاطراف وساقه قدامه وعنتر يرد عنه الخيل حتى أخرجه من
المعمعة ورجع عنتر اقتحم الحرب والقتال وبدد الابطال وطرح
الرجال وأظهر الاهوال وكان معدى كرب متألم من الجراح
الذى اصابته من زردخال الا انه ركب ذلك اليوم وصار يحرض
قومه على القتال والجلاد مع عنتر بن شداد واما خداوندفانه
صعب عليه حملة العرب بغير اذنه وقال لحجابه ويلكم لاتخلوا أحد
من العجم يقاتل مع العرب حتى نبصر أمرنا كيف يكون مع هؤلاء
الشياطين ومازال القتال عمال حتى ولى النهار واستحال وأقبل
الليل بالانسدال هذا وقد هربت أكثر العرب والتجأت الى خيام
العجم خوفا من ضربات عنتر هذا وعنتر وبنو عبس عادوا طالبين
الجبال وهم فى فرح بالنصر والظفر وعنتر قدامهم والدماء جامدة
على درعه مثل أكباد الابل وهو ينشد ويقول افلح من يصلى
على النبى الرسول

ترى علموا الحساد انى مظفر * على كل أعدائى العوالى بلا كذب
ولى صارم كالبرق يلمع نوره * اذاهزه كفى تلالا مع الشهب
ولى أسمر أفنى العدا بسنانه * وأتركهم صرعا على أغبر الترب
يريدون قتلى والحسام محكم * بكفى وجن الارض تفزع من حربى
أنا عنتر الفرسان فى ساعة اللقا
أكر على الاقران ليثا وأذيقهم ضربى

(قال الراوى) فلما رجع خداوند بن كسرى وهو مكروب ومن شدة غيظه نزل فى السرادق وهو يقول وحق النار لقد انخرق ناموس الدولة الكسرويه وذلت الفرسان الديلميه وما بقيت ألوم النعمان على مصاهرته لهؤلاء العرب لان أهل الشرق والغرب مايقدروا يفعلوا فعل عنتر بن شداد فى الحرب والجلاد فقال حاجبه أيها الملك هؤلاء القوم مايغلبوا الا بالمكاثرة والرأى عندنا انك غداة غد تأمر جميع هذا العسكر الذى معك عرب وعجم ان تحمل عليهم وتهجم الى داخل الجبال نسبى حريمهم والعيال وقد انقضت الاشغال ولما سمع خداوند هذا الكلام رآه صواب أمر النقباء انهاتدور على العساكر تعلمهم بما اتفقوا عليه وأخبروهم بالامر وباتوا يفتقدون العدد ويصلحون الحديد والزرد الى ان أصبح الصباح ركب خداوند وركبت عساكر العجم والعرب وصاحوا صيحة واحدة ارتجت منها الجبال والاودية الخوال وتقدموا بالقسى والنبال وعولوا ان ذلك اليوم يجعلوه وقعة الانفصال هذا ما كان لهؤلاء وأما ما كان من بنى عبس فانهم باتوا فرحانة تلك الليلة بما بان وظهر من أبى الفوارس عنتر ولما أصبح الصباح عولوا بنى عبس أن يركبوا خيلهم ويحملوا كلهم حملة

واحدة فتقدمهم عنتر من ذلك الجبال وقال لهم يا بني العم اليوم هذا
ما هو مثل سائر الايام الذي مضت هذا يوم يشيب من هوله الطفل
لما يجري فيه من الاهوال ومن عظم القتال ولكن اجتمعوا
كلكم واثبتوا في المضيق واياكم من التشتيت والتفريق بل اثبتوا
في ساعة الزحف واتفقوا ولا تتفرقوا ويكون قتالكم اليوم
رجاله لا تقاتلوا خياله لان العجم الى خيامكم يقصدون والى
هلاكهم يطلبون (قال الراوي) فما فرغ عنتر من هذا المقال
حتى صدمتهم عساكر العجم وجبابرة الديلم وفاضوا عليهم كما يفيض
البحر الزاخر وهجموا على بعضهم هجوم موج البحار هذا وقد
ضاق بهم الفجاج وكثر بينهم الانزعاج وعاد النهار كأنه ليل
داج واختلطت الافواج بالافواج وماجوا كموج الامواج وقد
جرى لهم يوم ما نظر أحد مثله ولا رأى شكله لانهم قاتلوا حتى
وقعت الاجساد تالفة وعادت رعود الموت بينهم راجفه وأرياح
المنايا عليهم عاصفه ولرؤس القتلاء ناسفه وكان عنتر ذلك
اليوم اختار له من قومه ألف بطل وصار يقاتلهم برجاله ويحمل عنتر
قدامهم ويلتقي عنهم سهام الاعجام هذا والعبيد واقفين خلف بني
عبس وهم قائدين الجنائب وهم يرموهم بالقنا والقواضب وكلما
رأى العجم أضعفوا من بني عبس جانب فيركب عنتر ظهر جواده
الابجر ويحمل على الاعداء ويصيح على من قدامه من العجم ويحمل
عليهم حملات الاسد الضيغم هو والالف فارس الذي معاه ولم يزالوا
يقاتلوا حتى فرقوا الاعداء في جنبات البيدا ولم يزل في كر وفر
حتى وقعت هيبته في قلوب العجم لاجل ما أبدى من الاقدام في البراز
الذي تقدم فصار اذا صاح في جوانبها تفرقت واذا حمل على كتائبها

تمزقت

تمزقت ومازال الامر على ذلك الحال حتى تنصف النهار وعظمت
الحروب وزدت الاخطار وارتفع الغبار وعمل السيف البتار
وقصرت الاعمار وذل كل جبار ووقع بالعجم الانبهار وطلبوا
الهرب والفرار وضعفت مواكب تلك العسكر وفاض الجمع وزخر
وطنب الغبار واعتكر وشكت الارض ثقل هذا العسكر
ولما نظر خداوند الى ثبات العرب قدام ذلك العسكر الجرار زاد
فى قلبه لهيب النار وترجل عن ظهر جواده وزحف نحو العرب
راجل بسيفه وترسه ولما نظرته العجم ترجل عن ظهر الجواد ان
وتال أبطال العرب هنالك تصارخت وترجلت حول ابن كسرى
تلك الامم عجم وترك وديلم وما منهم الا من أرمى روحه على الهلاك
والعدم فى ذلك الوقت ارتجت الآفاق وزاد الامر عن وصف
الحذاق ولعبت الخيل العتاق وبلوا العجم بالايطاق وداق من
حضر أجله فى ذلك الطعن المر المذاق ومازال السيف يعمل حتى
غاب نور الشمس بالاشراق وأقبل الليل بظلام الاغساق وأرخى
ظلامه على الآفاق هنالك نادت الطوائف بالافتراق بعد
ماكلت هى والخيل العتاق وعاد الجيش والشجاع مما عاين
فى ذلك اليوم مدهوش وكان قتل ذلك اليوم من العجم أضعاف
ماقتل من العرب الا ان العجم من كثرتها ما بان فيها القتل والعدم
ثم ان العرب عادوا راجعين الى الجبال ولكن قتل منهم رجال
وأى رجال وأما بنى كندة فانها حل بها الاياس لانها بلا مقدم
ولا راس والذى كان فى أجله تأخير فانه ولى وانهزم وتفرقت
فرسانهم بين الروابى والآكام وما تأخر عن الهرب والفرار
الا كل مغوار ومن خاف من الفضيحة والعار وكذلك بنى زبيد

فانه قل نشاطها لاجل جرح مقدمها معدى كرب وباتت وهى محصرة على الخلاص وأما الربيع بن زياد فانه فرح بما جرى على بنى عبس وبات وهو يبشر حذيفة بالغلبة والنصر ويقول له سيتم غدا مثل ما جرى على بنى عبس اليوم نقلع أثرهم وأثر من معاهم من القوم قال حذيفة والله يا ربيع ماهم الا فرسان جبابرة عتاة ما يغلبوا أبدا طول ماهذا العبد الزنيم فيهم سالم لانهم من يوم ما حضروا ماقتل منهم فارس وقتل من العجم أكثر من مائة فارس (قال الراوى) وكان بنو عبس قد عادوا وهم فى أسوء حال وقد تجرح أكثرهم هذا والملك زهير شاور عنتر فى الدخول على الجبل ويقاتلوا قدام الحريم والعيال قال عنتر لا وحق من أرسى شوامخ الجبال وقدر الارزاق والآجال ماندخل للجبال الا اذ غلبنا من هؤلاء الانذال وأنا يا ملك اذا بقى معى ألف فارس أقدر أحمى هذا المكان ولو اجتمع على الانس والجان والعفاريت الذى عصوا على نبى الله سليمان والتفت عنتر الى أخيه شيبوب وقال له ويلك أبا رياح شد غداة غد الى بنت عمى عبلة هودج وأطلعها خلفى الى خارج الجبال حتى التقى قدامها هؤلاء الطناجير الاعجام فلما سمع الملك زهير كلام عنتر طاب قلبه وقال له افعل يا ابن العم ماتريد ونحن عن أمرك ما نحيد ثم ان بنى عبس باتوا تلك الليلة الى ان أصبح الصباح ركبت عساكر العرب والعجم هذا وقد اهتزت البرارى والآكام وركب خداوند بن كسرى وقد علا الصياح حتى ارتجت البرارى والبطاح وركبت أيضا أبطال بنى عبس وعنتر فى أوائلهم كأنه أسد خرج من غاب وصال وجال وافتكر مالاقى من الاهوال فاشار يسمع الاعجام بهذه

الابيات والاوزان يقول صلوا على طه الرسول
أطربتني صواهل الصافنات * وصرير الرماح الذابـلات
وضجيج الفرسان في يوم حرب * لفؤادى أحلى من اللذات
هناك الفخار يا ابنة عمي * فدعيني من عذل قوم وشاة
ما فخار الفتى بكاسات خمر * دايرات في مجلس السادات
انما الفخر في الثبات لحرب * يوم جذم الصوارم المرهفات
ذاك يوم اذا فخرت بقومي * كان فعلى موافق اصفات
كل من قال جدّى فلان * وابى سيد من السادات
ذاك بين الانام شخص ذليل * وجبان لا يلتقى المعضلات
انا رمحى ابى وجدّى حسامى * وخليلى مهرى يخوض الفلاة
انني عنتر وقومي بنو عبس * ابن شداد صاحب الوقعات

(قال الراوى) وكانت عبلة ذلك اليوم خرجت وراءه وهى راكبة في الهودج تنظر فعاله وعلى قتاله تتفرج ولما فرغ عنتر من هذه الابيات نادى بصوت كأنه الرعد القاصف انظرى بعينك يا عبلة يا بنت مالك ثم انه حمل على ميمنة العجم بقلب أقوى من الحجر وجنان أجرى من تيار البحر اذا زخر فضرب فيهم ضربا يعمى البصر ويذهل العقل ويحير النظر فما تمت ساعة حتى قتل خمسة وعشرون في لمح البصر ورجع للميسرة قتل منها عشرة وعاد الى بين الصفين صال وجال ولعب في حومة الميدان أنداب حتى حير عقول ذوى الالباب من الشيوخ والشباب ثم انه نادى هل من مبارز هل من مناجز اليوم يوم الهزاهز اليوم شبل الجنائز لا يبرز لى اليوم منكم كسلان ولا عاجز فان هذا اليوم ليس مثل الايام التي مضت هذا اليوم انما تنظروا ما أريد أفعل فيه من

الاهوال وما أقتل من الرجال وأشار اليهم يقول

أسمعانى تجمجم الصافنات * ومجالى فى شاهق وكمات
وبخورى من العجاج وطيبى * عرق الدرع والسيوف المرهفات
وأنا عنتر وقومى بنو عبس * هم أسود القتال فى الواقعات
همتى همة الاسود ولكن * بعزماتى أرجف الكائنات
فوحق الذى أمات وأحيى * خالق الخلق غافر الذلات
لست أرجع عن موقف الحرب حتى
يعزلوالى الاكفان قبل الممات

(قال الاصمعى) فما تم عنتر كلامه حتى برز اليه فارس للحديد لابس وكان هذا الفارس من مقدمين الديلم وكان يسمى رستم زاد وماله نظير بين الديلم فى الحرب والجلاد ولما صار قدام عنتر ناداه ويلك اسود زنيم وعبد لئيم هذا اليوم أسكنك رمحى واقطع من الدنيا رزقك قال له عنتر يا طفير العجم واخس الديلم لابد ما أتركك اليوم عبرة لمن اعتبر وموعظة لمن تبصر وانطبق عنتر عليه وقد أراد أن يورى بنت عمه طرفا من شجاعته فما ترك ذلك الديلمى يصول ولا يجول دون ان هجم عليه كانه أسد أكول ومد له يدا كانها رقبة البعير الاسود وطبق فى أطواق درعه والزرد فأخذه على يده كانه العصفور فى يد الباشق المكسور وومسكه من رجله ولوحه كما يلوح المقلاع وأطلقه فطلع من يده كانه حجر من منجنيق ووقع بين عساكر العجم وقد انقطع قلب كل من كان فى ذلك المكان من الامم فبرز اليه ثانى فارس من العجم كانه الاسد القشعم فالتقاه عنتر بقلب أقسى من حجر ومد يده اليه ورفعه على ساعده الى ان اعلاه الى فوق رأسه وجلده فى الارض أدخل طوله

فى العرض فبرز اليه ثالث بطل كأنه قطعة فصلت من جبل ماخلاه يصول ولا يحول دون ان هجم عليه كأنه اسد خرج من غاب حتى حك الركاب فى الركاب فكبب يده ولطمه على صدره الصق صدره الى ظهره ارماه قتيل وفى دماه جديل فبرز اليه رابع فارس شجاع وقرن مناع فالتقاه كما تلتقى الارض العطشانه الماء اوائل المطر وما تركه يندار دون أن مد يده الى رأس ذلك البطل وجذبه اليه فقلعت رقبته من بين كتفيه فاندهلت عن فعال عنتر الرجال وقصرت عن الخروج اليه الابطال وأما عبلة فانها كانت تنادى اليه من الهودج تقول له يابطل لاشلت يداك ولا كان من يشناك يافارس الزمان وياقاهر الشجعان وعنتر حين يسمع كلام عبلة ما يظن قدامه فرسان بل كأنهم نسوان ومازال يقاتل بالسيف والسنان ويطرح الشجعان فى حومة الميدان الى أن أمسى المسا فوجد من قتل من فرسان العجم والديلم مائة وخمسين بطل ضيغم هذا وخداوند بن كسرى يتعجب من عنتر وشجاعته وأما عنتر عاد من حومة الميدان أخذته عبلة مل الاحضان وقالت له لله درك يا حامى الحريم وقاتل كل عدو وغريم هذا وعنتر لما سمع كلام عبلة زال عنه التعب والعنا ولا كأنه قاسى حرب ولا قتال ولا طعن ولا نزال وتيقن انه يلقى وحده كل عساكر العجم وكل من سكن البرارى والآكم فالتقاه أيضا الملك زهير وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه ثم بعدها دخلوا للجبال وباتوا بنى عبس وهم فى فرح بفعال عنتر الفارس الريبال الى أن أصبح الصباح فعل عنتر مثل مافعل أول يوم وتولى وحده القتال ولم يزل عنتر وحده حامى الميدان منذ عشرة أيام ولما كان يوم الحادى عشر كل عنتر ومل

وجرح فى أربع مواضع وجرى دمه من سائر جسده وهو لا يولى ولا ينكل قدام بنت عمه عبلة ولا يمل هذا والعجم أخذهم فيه الطمع فصاح الربيع يا ويلكم دونكم والحملة على عنتر لانه جرح وكل ومل أقتلوه وأسبوا حريم بنى عبس الذى مثل البدور الطوالع (قال الراوى) فما فرغ الربيع من كلامه الا وهو يرى غبار على وثار وسد منافذ الاقطار وطلع من تحت ذلك الغبار عساكر كأنهم البحار الزواخر وهى مقبلة أسرع من دنو الاجل والوحش من قدامهم قد جفل فلما نظرهم الربيع اندهل وتحير مما شاهد ونظر فالتفت الى حذيفة بن بدر أمير بنى فزاره وقال له ان صدقنى حزرى يا أمير فهذا الغبار غبار الملك كسرى أنوشروان وقد اتى فى كل عساكر خراسان لانه أبطا عليه خبر ولده خداوندوان كان هذا صحيح ما بقى يسلم أحد من بنى عبس ثم انه أحدق النظر الى ذلك الغبار واذا به انكشف عن عسكر جرار كأنه البحر الزخار وفى أوائل الجيش الملك النعمان والى جانبه الامير جبار ابن عامر الكندى وعروة بن الورد العبسى ثم ان ذلك الجيش تفرق فى الجبال والبرارى والآكام ونادت فرسانه عن فرد لسان يا آل نجم يا آل جذام أبشروا بالويل والارغام يا بنى الاعجام تقدجاءكم الملك النعمان ملك العربان ولما سمع الربيع بن زياد هذا الكلام انقطع ظهره وحار فى أمره وذهب ما عنده من الفرح وحل به البؤس والترح ثم انه التفت الى حذيفة وهو من الفزع حيران وقال والله يا ابن العم خلصو بنى عبس الى الملك النعمان وأتوا به الى نصرتهم وأنا أعلم بهذا الاخبار انما خلصه الا الامير جبار وسوف يعتب

علينا الملك النعمان وعلى ما فعلنا ويقول لنا لما علمتم بحبسى ودهابى أتيتم لقتال انسابى واذلم نحسن الآن التدبير وقعنا فى الهلاك والتدمير ثم ان الربيع بعد كلامه عاد الى غدره ومكره والزور والبهتان وصار الربيع ينادى بأعلى صوته فى قبائل العربان وهو يقول ويلكم كفوا عن الضرب والطعان فهذا الملك النعمان وقد تخلص من القيود والاغلال على رغم أنف أعداء الانذال فلما سمعت قبائل العرب كلام الربيع بن زياد ونظرت الى ذلك الجيش الذى أقبل مع الملك النعمان وأخبرت بعضها بعض بذلك الحال رجعت عن الحرب والطعان وجعلوا ينادوا عن فرد لسان نعمان يا منصور يارب أدم له الفرج والسرور ثم ان العرب كلها مالت والى نحو الملك النعمان ترجلت والى الارض قبلت لانها بعد أسر الملك الاسود ذلت وصارت بلا رأس ولا مقدم ورأت الهوان من العجم والترك والديلم ولولا طمعها فى نهب أموال بنى عبس كانت تفرقت فى البر والآكام (قال الراوى) هذا ما كان من العربان وأما ما كان من سبب خلاص الملك النعمان فانه كان على يد الامير جابر بن عمر الكندى وعلى يد عروة بن الورد العبسى وكان السبب فى ذلك الامر انهم لما ركبوا وساروا طالبين أرض الحيره ما زالوا سائرين على ظهر النجب والمهاره وهم يجدون المسير ليلا ونهارا حتى أشرفوا على أرض الحيره وقصدوا الى المراعى والوديان وغاروا على الرعيان وأخذوا من الخيل أجودها ووضعوا السروج على ظهورها ثم انهم تدرعوا بالزرد وتقلدوا بكل صارم مهند هذا وقد تصايحت الرعيان وألقوا الصياح فى أرض الحيره وركبت ألف

فارس الذين كانوا فى أرض الحيرة الذى كان تركهم خداوند لحفظ الملك النعمان وركبوا جميعهم وطلبوا القتال وفى أوائلهم الحاجب وهو كأنه الاسد المدار فلاقاه الامير جبار ابن عامر الكندى لما سمعه وهو يبربر بلغة العجم ويذكر النار فما فهم منه جواب ولا خطاب بل انه استقبله بطعنة بين يديه أطلع الرمح يلمع من بين كتفيه وضرب عروة فارس أرماه هذا وبنى عبس وبنى كنده صاحت بأنسابها وطعنت العجم فى صدورها وأجنابها وسطا عليهم الامير جبار بن عامر الكندى بشجاعته فنكس الفرسان بضرباته فما كانت غير ساعة من النهار حتى انهم ابلوا الثلاث الالف فارس بالهلاك والدمار وفرقوهم فى البرارى والقفار وقتل أكثرهم وهرب من سلم ثم ان الامير جبار دخل للحيرة بمن معاه من الابطال وخلص الملك النعمان من القيود والاغلال وبشره بالسلامة وحكى له بما جرى له مع عنتر وكيف سار له من المحبين ولما سمع الملك النعمان ذلك المقال شكر الامير جبار وفرح بذلك الفعال وقال ما أعرف الساعة أن الذى خلصنى من القيود والاصفاد الا الامير عنتر بن شداد هذا وقد تخلصت الالف فارس المحبوسة معه من أهله وأقاربه ومن يومه كتب الكتب وأرسلها مع النجابة الى كل محبيه وملقاه وفى ذلك اليوم أقام يجهز حاله وهو فرحان بخلاصه من اعتقاله فلما كان ثانى الايام عند طلوع النهار أقبلت الفرسان كأنها البحر الزخار ولم تلبث فى الحيرة الا خمسة أيام حتى سار عنده سبعة عشر ألف مقاتل ومن خوفه على بنى عبس من العجم رحل من يومه يقطع البرارى والقفار هذا وفرسان العرب تسمع بخلاصه وتتلاحق به

204

من سائر الارض واء قطار ولم يزل يجد السير فى الليل والنهار
حتى اشرفوا على جبال أجا وسلما الا انه ما وصل الى ذلك المكان
الا وقد صار معه خمسة وأربعون ألف فارس ما بين مدرع ولابس
وجرى من القصة ما جرى هذا ما كان من السبب فى خلاص الملك
النعمان ولما اقبل نادى الربيع بذلك النداء فأقبلت العربان كلها على
الملك النعمان وأقبل الربيع بن زياد الى قدامه وقبل الارض واعتذر
اليه وكذلك فعل حذيفة بن بدر وبنى فزارة أما خداوند بن كسرى
فانه خاف من مجىء الملك النعمان فعاد من الجبال وعادت معاه
عساكر العجم وقد خافوا عليه من العرب وداروا من حواليه
لانه قد بقى معاه من المائة وخمسون ألف خمسون ألف والباقى
كلهم شربوا شراب الهلاك والعطب وصاروا معفرين فى التراب
(قال الراوى) هذا وبنى عبس كانوا مقطعين قدام الجبال ولما انه
اقبل الملك النعمان ونظروا الى خوف العجم ورجوعهم عنهم
طمعوا فى نهب أموالهم وتصايحوا عليهم من كل جانب ومكان
وهموا بالحملة مثل السلاهب فنهاهم الملك النعمان عن ذلك الامر
والشان وأمرهم بالوقوف وتقدم هو بنفسه الى خداوند لان
الملك النعمان كان حسن السياسة والتدبير وبعواقب الامور
خبير ثم انه تقدم طالب خداوند ومعه الامير جار وعروة بن
الورد وجماعة من أمارة العرب حتى صار قدام خداوند ترجل عن
ظهر الجواد وسلم وخدم ودعى للدولة الكسروية بدوام العز والنعم
وقال لاتخف أيها الملك المحتشم ولا تفزع من قدومى عليك أيها
الملك بهذا الجيش العرمرم فما أنا الا عبد الدولة الكسروية وخادم
المملكة الفارسية وأنا يا ملك ما عرفت لى ذنب انقبض عليه

الامصاهرتى الى هذه الطائفة العبسيه وهاأنت قد أبصرت فعالها وذقت حربها وقتالها وأنا أقسم يا ملك وحق ذمة العرب أنا ما طلبت قرب هذه القبيلة الا من عظم ما رأيت من حربها وأهوالها الان يا ملك ما يقتل منها فارس حتى يقتل الف فارس وما رأيت يا ملك أن نفنى من أجل قبيلة واحدة كل قبائل العربان واسألنى فأنا أخبرك بالذى أحسنته فى سياستى وتدبيرى ولكن سمع أبوك فى كلام الاعداء لاجل شئ لم يحط به علما وانه لما تسبب لى الخلاص ما جئت الا من خوفى عليك من مجمعة العربان لانهم مايعرفون قدر الملوك ولا يفرقون بين الغنى والصعلوك وما لهم الا التشتت من أرض الى أرض والتفرق عن بعضهم البعض والآن يا ملك كان الذى كان ونظر العين أحسن وأوفى من سماع الآذان وها أنت قد نظرت اليهم بعينك وقد كفى وهذا الامر عليك وعلى أبيك ما يخفى وأنا ما اعلم منكم الا الاحسان والوفا فان رضيتم رنى لدولتكم كنت لكم سامع وطائع وان كرهتمونى فالبر بين يدى واسع على اننى ما عدت أفارقك حتى أفرق عنك هذه العشائر والقبائل وأسير الى عند أبيك بالخير الكامل (قال الراوى) فلما سمع خداوند من الملك النعمان هذا الكلام تفكر فى بعضه البعض وأطرق من شدة حياه وجهه فى الارض لانه كان ولد نفيس من الاصايل وهو قريب المرجوع مليح الخصايل وكذلك كانت الاكاسرة لانهم كانوا ملوك ذلك الزمان وكان آخر ملوكهم الملك بردين بن شهريال وهو الذى قتله الامام عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه وأخذ بنته قوة واقتدار وزوجها للحسين بن الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ومنها الائمة الاطهار

205

والسادات الاخيار أهل الكرم والفخار ونرجع الى ماروينا من الاخبار هذا وخداوند ترجل للملك النعمان وقبله بين عينيه وشكره وأثنى عليه وقال يا أبا نعمان قد عذرتك في هذا الامر والشان ومابقي عليك عتب ولا ملام (قال الراوى) وبعد ذلك انصلح الامر والشان وتبدل خوف خداوند بأمان وقال للملك النعمان وحق النار والنور ما أسير الا وركابي مع ركابك مقرون واذا وصلت الى عندي ترى ما أفعل معاك ومع اصهارك لاننا ماعرفنا قدرك حتى حققنا أمرك ولما نظرت الى قتال عنتر وضرباته التي كأنها الموت الاحمر التي لاتبقي ولاتذر عذرتك في هذا الامر المدبر ولكن أريد منك أن نأخذ عنتر معنا حتى أغمره من نعمتي وأجعله عونا على شدتي ولما سمع الملك النعمان من خداوند هذا الكلام فرح بهذا الامر وقال له وحق ذمة العرب يا ملك ما عنتر الا فريد العصر ونتيجة الدهر والساعة تراه هو وكل بني عبس بين يديك ويسعوا الى خدمتك ويقبلوا رجليك ويعتذروا بما فعلوا اليك ثم ان الملك النعمان أمر الى عروة بن الورد أن يسير الى عند الملك زهير وعنتر ويحكى لهم كلما جرى وتدبر ويأمرهم بالحضور الى قدام خداوند بن كسرى فأجابه عروة الى ما طلب وسار من وقته وساعته طالب بني عبس حتى وصل فالتقاهم راكبين الخيل ومصطفين قدام الجبال ولما وصل سلم عليهم وأعلمهم بما صار له من العز والشان عند خداوند بن كسرى أنوشروان لان بني عبس كانوا واقفين ينظروا على أي شيء ينفصل الحال ولما أتى عروة بن الورد أمرهم بالمسير الى عند خداوند بن كسرى صاحب الايوان وسمع الملك زهير ذاك المقال زال عنه الهم والخبال

وقال الحمد لله الملك المتعال الذي سبب لنا الخلاص من الهلاك والوبال ونجانا من هذه العساكر التي كأنها البحار الزواخر وبعدها ما بقي الا المسير الى خدمة هذا الملك الكبير لعل أن يزول عنا هذا الامر العسير ويصلح هذا الفساد ثم يزول عنا الشر والعناد ويعود الملك النعمان الى أحسن ما كان ونعود نحن للمنازل والاوطان وتهدأ قلوب الرجال منا والنسوان لانا جعلنا أنفسنا هدفا للمصائب وعادينا الاعاجم والاعارب ثم ان الملك زهير بعد كلامه التفت الى عنتر وقال له أي شيء ترى عندك يا أبا الفوارس من الرأي قال عنتر وحق ذمة العرب وحرمة شهر رجب ما كان عندي أصوب من قتل خداوند بن كسرى وهلاك أبطاله ولكن ما يمكنني ان أضيق صدر مولاي الملك النعمان بل اني أجيب بالسمع والطاعة ولما سمع الملك زهير كلام عنتر شكره وأثنى عليه وانتخب مقدار مائة فارس من أمارة بني عبس وسار مع عروة بن الورد الى عند خداوند بن كسرى والملك النعمان وعروة يحكي الى عنتر والملك زهير كيف كان خلاص الملك النعمان وما فعل الامير جابر بن عامر الكندي هذا وعنتر سائر معهم كأنه سائر الى شهادة زور لان نفسه كانت تأبى الذل ولا تطلب الا أعلى المنازل هذا وهو سائر قدام الملك زهير ورمحه معارض على عنق جواده وهو ينظر أبطال العجم بعينين كأنهما الجمر الاحمر لانه كان يبغض أبطال العجم ولا كان يشتهي أن يرى منهم أحدا فما زالوا سائرين حتى ساروا قدام خداوند بن كسرى فترجل الملك زهير ومن معه من الرجال وسلموا على الملك النعمان فأمرهم أن يتقدموا الى قدام خداوند ابن كسرى ويفعلوا مثل ما أمرهم وتقدموا وسلموا وللارض

206

قبلوا ولثموا فتبسم خداوند من فعالهم وتعجب من مقالهم وقال لهم يا وجوه العرب الاجواد العتب فى هذا الوقت يجدد الفتنة والاحقاد وأنا الساعة ما أحضرتكم الا حتى أهبكم دم رجالى واستوهب دم رجالكم واجعلكم الى دولتى أركان وأعوان لان أبى جعلنى ولى عهده وصاحب حله وعقده وأوصى لى بالملك من بعده وأريد أن أتخذكم لى أنصار وحبائب وأدفع بكم الآفات والمصائب وأبذل لكم كلما أملك من الفضة والذهب حتى تطيعنى جميع قبائل العرب وأهل المنازل والرتب هذا والملك زهير قال له وحق ذمة العرب أيها الملك الجليل نحن عبيد دولتك جديد وقديم ولكن الانسان اذا ابلى بشىء وعلم انه هالك يحامى عن نفسه ولو سلك أعظم المسالك وبعده تقدم عنتر الى قدام خداوند وأراد أن يقبل يديه فوثب خداوند له على قدميه وقبله بين عينيه لان هيبة عنتر كانت وقعت فى قلوب جميع العجم وفى قلب خداوند أيضا من شدة ما رأى من حربه ومن قتاله لما كان ذلك اليوم تبسم فى وجه عنتر هذا وعنتر صار يدعى لخداوند ولابيه وللدولة الكسرويه وأشار يمدح خداوند بهذه الابيات ويقول صلوا على طه الرسول

كفاك الله نائبة الزمان * وعشت من الحوادث فى أمان
ولا زالت نجومك زاهرات * بسعد ثابت وعلو شان
ولا زالت سيوفك قاطعات * رقاب عداك فى الحرب العوان
ودمت محكما فى العز دوما * مدى الايام مادام الزمان

(قال الراوى) فلما سمع خداوند من عنتر هذه الابيات شكره خداوند وأثنى عليه وأعطاه سيفا من سيوف الاكاسره يساوى

خراج العراق اذا كانت عامره وقدم اليه عشر جنائب من جنائبه الخاص بعددها ولاماتها وسروجها من الذهب الاحمر وبعده قدم لملك زهير ولكل امارة بني عبس الجنائب والخلع السنيه والعمائم الهيه وعندها صفت منهم القلوب من الكروب لان حطام الدنيا محبوب ونعيمها مطلوب وبعد ذلك أقبل خداوند على الملك النعمان وقال له يا شاه الزمان يعني يا ملك العربان مرادي منك تأخذ عنتر معنا الى البلاد حتى اني أسمع حديثه وأشبع من كلامه فقال الملك النعمان السمع والطاعه وأ كون انا المسعود في هذه البضاعه (قال الراوي) وان الملك النعمان ما صدق سمع من خداوند هذا المقال في حق عنتر وأخذه معه لان الملك النعمان كان خائف من غدر العجم فأتاه الامر مثل ما أراد بأخذ عنتر بن شداد لانه اذا كان معه الامير عنتر ما يبالي بكل من سكن البر الاقفر هنالك أقبل النعمان على عنتر وقال له يا أبا الفوارس خداوند أمرانك تسير معنا الى أرض الحيرة فقال عنتر السمع والطاعه يا مولاي أنا أسير معك والى أين ما سرت أتبعك وما أقبل الليل بالانسدال حتى أنصلح الامر والحال وصنعوا الولائم والدعوات وكثرت بينهم الافراح والمسرات وأطلق بنو عبس جميع الاسارى الذين كانوا عندهم في الاسر والهوان ومن جملتهم الاسود أخو الملك النعمان فأتى الى عند أخيه ودخل عليه واعتذر من فعله اليه وقبل يديه فعفى عنه الملك النعمان و بعد ذلك أصلح بين بني عبس وبني فزارة وكذلك أصلح بين بني قراد وبني زياد وعنتر بن شداد صلحا لا يضر ولا ينفع والتفت الملك النعمان الى عنتر وقال له يا أبا الفوارس أنا أعلم اني

207

نغصت عليك عيشتك فى هذه الايام لاجل زواج ابنة عمك عبلة و بعد هذا ما بقى الانجاز شغلك وتعجيل امرك قال عنتر لا وحق ذمة العرب الكرام انى ما ادخل بعبلة حتى تدخل على بنت مولاى الملك زهير المتجردة ويزول همك وغمك ويطيب لك الزمان و يصير كسرى انوشروان عليك راضى غير غضبان واذا لم يتم لك هذا الامر والشان زلزلت على رأسه الايوان واجعلك انت الحاكم مكانه على العجم والعربان وتبقى ملك العصر والزمان وحاكم الوقت والاوان فلما سمع الملك النعمان كلام عنتر دعى له وله شكر وعلم انه على ما يقول يقدر ثم انهم اقاموا بعد ذلك الكلام فى الولائم والدعوات ثلاثة ايام متواليات وفى اليوم الرابع اخذوا اهبتهم للسفر قال الملك النعمان للملك زهير ارحل بمالك وانجز امر بنتك حتى يأتى رسولى اليك وكذلك قال الملك الاسود لحذيفة بن بدر لانه كان الآخر خطاب اخت حذيفة وبعد ذلك تقدم عنتر الى عند عبلة حتى يودعها فبكا بين يديها بكاء شديد ما عليه من مزيد واشار يودعها بهذه الابيات يقول افلح من يصلى على طه الرسول

وحق الركن والبيت الحرام ۞ ومن لبى بزمزم والمقام
وحق فتور عينيك اللواتى ۞ بها ابرى واشفى من سقام
يمينا الانسيت هواك حتى ۞ يذيب العشق لحمى مع عظامى
فقرى واقنعى بالقول منى ۞ ولا يدخلك شك من كلامى
فوجهك بغيتى وهواك دينى ۞ وذكرك مؤنس لى فى الظلام
شربت هواك مع لبنى صغيرا ۞ ويوم منيتى انوى فطامى

(قال الاصمعى) لما سمعت عبلة من عنتر هذه الابيات بكت بكاء

شديد ما عليه من مزيد وقالت له والله يا ابن العم يعز على فراقك ولم أزل طول غيابك اشتاقك ولكن يا ابن العم كل مقدر لا بد عن انفاده وأشارت له تقول أفلح من يصلى على الرسول

سر فى أمان الله يا لون الدجا * وأجل من ركب الجواد وأسرجا
فالقلب بعد فراق عنتر مؤلم * والنار تشعل فى الفؤاد وتوهجا
أنت المؤمل للحوادث كلها * أنت المفرج من كل ضيق مخرجا
أنت المنا أنت الغنا أنت الوغا * أنت الرجاء لنا والمرتجا
أنت الذى فى ذا الزمان مؤيد * ما مثل عنتر قط من سلك الدجا
ان غبت عن عينى فشخصك حاضر * فى وسط قلبى ليس منه مخرجا

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلام عبلة فرح بصفو قلبها وحسن مودتها وكثرة محبتها فتقدم اليها وضمها الى صدرها وقال لها يا بنت العم ويا مزيلة الهم والغم وحق ذمة العرب ان فراقك عندى أصعب من فراق الارواح وبعد ذلك استدعى بأبيه شداد وعمه زخمة الجواد ومالك أبى عبلة وابنه عمرو ووصاهم بعبلة وقال لأخيه شيبوب وأنت يا ابن السوداء لا تغفل عنها وتعاهدها ليلا ونهار ولا تغفل عنها فى الطريق ولا فى الاحياء أقطع لاعصابك وأعدمك أحبابك قال شيبوب افعل ما بدالك يا ابن الملعونة أنا والله أحفظها أحسن منك وبعد ذلك أقبل على الملك زهير وأولاده وودعهم ووصاهم على بنت عمه عبلة فقال شاس والله يعز علينا فراقك يا أبو الفوارس فلا أبعد الله عنا شخصك ولا مزارك ثم ان شاس بكى على فراق عنتر وتنهد وتحسر وأشار يودعه بهذه الابيات يقول صلوا على الرسول

208

لقد حرت لما سرت عن أرضنا شرقا

وكاد فؤادى أن يذوب اليك الفرقا

فيا راحلا عنا الارض غريبة * فلا تبعدن عنا فتلك ماتلقا

فأنت لعمرى كنز عبس وعزها

فلازلت فى سعد مدى الدهر لاتشق

عليك سلامى يا ابن شداد دائما * سلام جديد كلما غنت الورقا

ونذر على ان ظفرت بقربكم * عتقت عبيدى الثمانين من الرقا

(قال الراوى) فلما سمع عنتر كلام شاس اندهل وتحير وما أراد ان شاس يكلمه فى مثل هذا الكلام قال عنتر يا ترى ما الدهر مانع بنا فى هذه المره كأنى مابقيت أرى الى شاس بعد هذه الخطره لكن يا ترى من الفقيد منا وأشار عنتر الى شاس بهذه الابيات يقول صلوا على من سارت اليه الحمول

عبيدك يا مولاى لاتبتغى عتقا * ولا كان دهر أنت فى صرفه تشقا

سأمضى مع النعمان أوفى بذمتى * وأردعنه من أعاديه ما يلقا

وأترك أنا ابن نذار معتدما * ومن رام يعزله محقته محقا

وان صار صلح عدت مؤيدا * وفيا باعاهدته كلما أبقا

فيا شاس قد أرميت فى القلب جمرة

فياليتنى لاسرت عن أرضكم شرقا

فسيروا يابنى عبس وراه سيدى * زهيرولا تخشوا معاندا ولا خلقا

وأسألوا مولاى الذى أنا عبده * يسهل أمرى مع عبيلة كى ألقى

(قال الراوى) وبعد ذلك سارت العساكر تتلوا بعضها البعض كل منهم طالب أرضه وبلاده ورحلت بنو عبس طالبة أرضها وبنى فزارة طالبين أوطانهم ورحل خداوند والملك النعمان وعنتر

طالبين أرض الحيرة وعنتر راكب الى جانب الملك النعمان وهو كأنه الاسد الغضبان وقد أخرج يده من جلباب درعه وتذكر ماله من العوقات والامور الهائلات وفراق ابنة عمه عبلة وأشار يقول صلوا على الرسول

أترى تعود الدار تجمع شملنا * بكم ويختلس المحب الاجزع
أرى عبيلة بالعيان وان تكن * دينا على لعلكم أن تقنع
وهل للعليل وان تعظم داؤه * منكى شفاء أودواء ينفع
من بعد عبلة صار دمعى عبرة * تسقى منازلكم وأرض بلقع
من أعين تروى التراب مدامعى * اذا ما رأت أجفانها والبرقع
ماذا الذى نالته لماغرها * منه لاخفاء البدور الطلع
متباسقات فى العجاج لانها * طافت تسابقها الرياح الاربع
تقرو بنا بالقرب دار لم تزل * من دون أهليها القفار البلقع
وأتيت أحبابا حفظت على الوفاء لهم
عهودا وهم لعهدى ضيع
ان أعوذ الورد الركائب بعدما * بأتوا فيها دمعى لهن المشرع
ياعبيلة كم يوم حرب شهدته * وحولى من الاعداء كل سميدع
لعمرى اذا سبح الحديد عليهم * يمزقها عنتر بضرب قاطع
ولما التقينا فى الغداة عشية * ودارت بنا الفرسان من كل موضع
حملت عليهم حملة عنترية * فولوا على الادبار ما عادوا يرجع
تركت ملوك الفرس فى كل قفرة * تقدهموا فيها السباع الروع
أنا عنتر العبسى حامى عشيرتى * وجمع ملوك الارض منى تفزع

(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه تعجب الملك النعمان وقال له لارد الله فاك ولا كان من يشناك يافارس الزمان وحامى بنى

عبس وعدنان هذا وهم سائرين يقطعون الاراضي والقيعان بصيد الوحوش والغزلان وفي كل وقت يسمعون من عنتر بدائع الاشعار حتى وصلوا الى أرض الحيرة وتلك الديار فكان لدخولهم الى الاوطان يوم عظيم الشان ماجرى مثله في ذلك الزمان فنزل الملك النعمان في محل عزه وقد فرحت به المحبين والاخوان وعمل لخداوند وليمة عظيمة فرحا بخلاصه وعودته الى الملك على رغم أعدائه اللئام ومازالت الولائم متصلة سبعة أيام حتى شبع فيها الخاص والعام هذا وعنتر جالس الى جانب خداوند بن كسرى انوشروان وهو ينادمه على الخمر والمدام وفي اليوم الثامن حط الملك النعمان في رقبته منديل وأقبل على خداوند بن كسرى أنوشروان ونادى بأعلى صوته اشهدوا على يامن حضر في هذا المكان من أمارة وفرسان اني أنا عبد الدولة الكسرويه وخادم الى المملكة الفارسيه ان رضوني أن أكون لدولتهم ناصر رضيت وكنت لهم سامع وان أرادوا نفيي فالبر قدامي واسع وان أرادوا قتلي بالله عليكم ياسادة ياكرام لا احد منكم يعارضني ولا يحامي لي فاني قد سلمت أمري اليه يفعل بي ما أراد فلما سمع خداوند من الملك النعمان هذا الكلام حن قلبه عليه ووثب خداوند على قدميه وقبل الملك النعمان بين عينيه وقال يا اسود لا جزاك الله خير مثل مافعلت بأخوك هذه الفعال بين الرجال ثم ان خداوند التفت الى النعمان وقال له طب نفسا وقر عينا يانعمان وحق النار ما أكون لك الا محامي عند أبي وتتمتع على طول الزمان ثم ان خداوند خلع على الملك النعمان وأجلسه مكانه وبعد ذلك التفت خداوند الى عنتر وقال له يا أبا الفوارس مرادي منك

تنشدلنا شيء من أشعارك حتى نلتذ ونطرب ونملأ كؤس المدام ونشرب فقال عنتر السمع والطاعة يامولاى وكان عنتر مراده هذا الكلام حتى يسمع الملك الاسود بما فعل بأخيه الملك النعمان من الامر والشان فأشار اليهم بهذه الابيات ينشد ويقول

بين العذيب وبين ذاك المحملى * طال التدانى على رسوم المنزل
واذا تحمل أهلها وترحلت * عنها بدور كالصباح المنجلى
لعبت بها الاهواء بعد نسيمها * والكاس بعد حول ممتلى
فوقفت فى عرصاتها متحيرا * أبكى شجونا بدمع مهملى
وأثارت الاجفان منى والاسى * حتى لقد نصحت شجون مسائلى
من أجل واضحة الجبين عزيزة * تسبى العقول بفارض متهلل
ولقد رأيت الموت ثم لقيته * متسربلا والموت غير مسربلى
فقحمت فى وسط العجاج مصمما * مالى مجير غير حد المنصلى
ضحكت عبيلة من فتى متذللا * أسد شجاع ماجد متفضل
كم ضيغم جندلته بمهندى * وأقول لاشلت يمين الصيقلى
ناديت عبسا فاستجابت بالقنا * وبكل أبيض ماضيا لم يقلل
و بكل مداد الكعوب مثقف * فى يد كل سميدع لم يجهل
يدعون عنتر والرماح سواجر * والخيل تعثر فى رؤس القتلى
بأن المنية لو تمثل شخصها * لى فى العجاج طعنتها فى الاولى
فاحذر مصاحبة اللئام وقربهم * ان الكريم عن اللئيم بمعزل
واحذر ديار السوء لاتنزل بها * واذا كبابك منزل فتحولى
أشرف المنازل منزل تسمو به * اما تضام به واما تقتلى
واذا أردت منازل فى محلة * فاسأل عن الجيران قبل المنزل
وألق ضيوفك بالكرامة والدعا * وأبسط لسانك عندهم بتذللى

واعلم

210

واعلم بأن الضيف يخبر أهله * بمبيت ليلتـــه وان لم يسأل
والجار احفظه وارعى حقه * وألق صديقك بالفعال الاجمل
وألق الضيوف ترحبا وتحية * وابسط لسانك للكرام وسهل
اسمع أيا ملك الزمان قصيدتى * وأبلغ سلامى للمليك العادل
وانصحه حتى يجود بفضله * للعرب والنعمان ذاك الباذل
قولها احتفظ من عنتر ليثيرها * حربا وضربا دائمـــا الا يبطل
ما كل من طلب العلاء ينالها * ولا يلقاها الا بسعد أول
واذا اعطيت ولاية كن عادلا * واعلم بأنك عن قريب تعزل
واذا همـــمت بفعل سوء فانثنى * واذا هممت بفعل خير فافعل
ياعبلة كم من حلة باكرتها * وتركت فارسها قتيل مجندل
أدعى بعنترة اذا انتشب القنى * وترمقنى الاسود فتذهل
أشفيت نفسى من أعادى مهجتى * وقهرت كل قرم ومكمل
وبلغت كل فضيلة عجز الورى * عنها بكل مهند وبذابل
انى أنا الليث الهمام وسطوتى * تعلوا على كل الملوك بذابل
(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من كلامه فى هذا القصيد وما فيه من التهديد والملام والتعنيف فى طيب الكلام قالت أمارة العرب كلها الا رد الله فاك ولا كان من يشناك وطول الله عمرك وأبقاك وأما الملك الاسود فانه من شدة ما دخل على قلبه من الغيظ والحنق كادت مرارته أن تنشق من كلام عنتر فقام وطلع من بين الحاضرين وأما خداوند فانه قال لعنتر يافارس الزمان ويا قاهر الشجعان وحياتك ما تكون للملك النعمان ولجميع العربان من أجلك الا المساعده على نوائب الزمان وأطيب قلب الملك كسرى أنوشروان صاحب التاج والايوان فعندها شكره الملك النعمان

وباس الارض بين يديه وخدم ودعى لابيه بدوام العز والنعم وازالة البؤس والنقم ولما انقضت الولائم وكان اليوم الثامن أمر خداوند العساكر بالرحيل الى أرض المدائن وعندها دقت الكوسات وزمرت البوقات ونشرت الرايات والازدهارات وركب خداوند وركب الى وراءه الملك النعمان وعنتر بن شداد وساروا معه مقدار يوم كامل وودعوه وعادوا الى أرض الحيرة واستقام عنتر مدة عشرة أيام عند الملك النعمان وهم منتظرين من كسرى أنوشروان الخلع والاحسان وفي يوم الواحد وعشرين أقبلت الهدايا والتحف من كسرى أنوشروان مع وزيره الموبذان (قال الراوى) وكان السبب في ذلك ان خداوند لما رجع الى عند الملك كسرى أنوشروان وجد أبيه على مقالى النار وهو من كثرة الانتظار وأبطأ عليه سماع الاخبار فما صدق حتى نظر الى ولده خداوند عاد سالم فسأله عما جرى فقال خداوند اعلم يا أبي اننا كنا ظلمنا الملك النعمان وسمعنا فيه كلام أهل البغي والعدوان اعلم يا أبي ما يصلح لدولتنا محامي غير الملك النعمان لانه مشفق وصاحب رأى صائب والرأى عندي يا أبي انك ترسل له الخلع والمواهب وتجعله عندك في أعلا المراتب وكذلك عنتر بن شداد الذي ما يوجد مثله في سائر العباد ثم انه أحكى له بما قاسى من عنتر في الحرب والقتال وأخذى عنه من قتل من عساكر العجم والترك والديلم وقال له في آخر كلامه يا أبتاه ارسل للملك النعمان والى عنتر الاموال وداريهم بالخلع القوال ومازال خداوند على أبيه في مثل هذا الكلام حتى انخدع كسرى ولان واصطلح الامر والشان ورضى بعد ما كان غضبان وأمر ان يحضر واله عشر جنائب بعددها ولامتها من

2611

الذهب مرصعة بالدر والجوهر وعشرة آلاف دينار ذهب كسر
وخمسمائة ثوب من الديباج وعشرين عقدا من خالص الجوهر ومائة
نفحة مسك أذفر وخمسين وزنة من العنبر وشيء من الخلع
الحسان وقال هذا قسم عنتر بن شداد قاهر الفرسان أرسله
للملك النعمان وأنفذ له بخاتم الامان ومنديل الزمام وأمر
الموبذان بأخذ الجميع ويسير الى أرض الحيرة الى الملك النعمان
فأخذ الموبذان الجميع وسار الليل والنهار حتى أشرف على أرض
الحيرة وتلك الديار فسمع الملك النعمان بقدومه فركب الى لقائه
بجميع عساكره وهو فرحان بما وصل اليه مع الموبذان
حتى انهم التقوا بالموبذان وسلم عليه النعمان وعنتر وجميع
الفرسان وقال الموبذان للنعمان ان الملك العادل كسرى
أنوشروان يقرئك السلام وقد أرسل لك هذه الاموال وبعدها
اقبل عنتر وقبله بين عينيه وقال والله يا أبا الفوارس لقد نلت مالم
يناله راجل ولا فارس والملك كسرى أنوشروان أرسل لك هذه
الاموال والجنائب والخلع الحسان وهي قليلة في مقابلة فعلك
يا فارس الزمان فعند ذلك شكره عنتر واثنى عليه وعلى كسرى
أنوشروان وقبل يد الموبذان وقال والله يا مولاي ما أنا الاعبد
الدولة الكسروية ثم بعد ذلك رجعوا الى أرض الحيرة وعملوا الولائم
والدعوات ثلاثة أيام متواليات وشبع فيها الخاص والعام وأمر
الملك النعمان بأن تزين الحيرة سبعة أيام وأعطى وأوهب وفرق
الفضة والذهب وأعطى عنتر معدى كرب الزبيدى وعروة
ابن الورد أموالا لا تعد ولا تحصى وبعدها عاد الموبذان طالب
المدائن فطلع الملك النعمان وعنتر وجميع أمراء العرب الى وداعه

يوما كاملا وسار المويذان طالب المدائن ولما وصل الملك النعمان بهم الى الحيرة صنع لهم وليمة عظيمة ثلاثة أيام وفى اليوم الرابع طلب عنتر الاذن من الملك النعمان فى المسير الى الديار والاوطان فقال الملك النعمان والله يا أبا الفوارس ان فراقك وفراق الروح عندى سواء لكن ما أقدر أمسكك لاجل ما فى قلبك من الشوق والكمد لاجل عبلة الذى علم به كل أحد ثم ان الملك النعمان أذن له فى المسير والانصراف بعدما أعطاه من الهدايا والتحف ما يكل عن وصفه اللسان وركب النعمان ووزراءه الى وداع عنتر يوما كاملا عن أرض الحيرة وعاد الملك النعمان الى دياره والاوطان وعنتر سائر طالب أرض الشربه وديار الاحبه وهو فرحان بما وصل له من المال والهدايا الغوال ولما بعد عن أرض الحيرة وصار فى البرارى والقفار جاءت عبلة فى باله وافتكر من أجلها ما جرى له فتأوه من فؤاده مدبول وأشار بهذه الابيات يقول

ذنبى عند من أهوى غير مغتفرى * لما توضح خط الشيب فى شعرى
لقـــد رشقت فؤادى من لواحظها
بكل سهم شديد الغور فى الحورى
العجب لها من سهام غير طائشة * من الجفون بلا قوس ولا وترى
كم ما طالت وقد أغفان ما جلبت * بد التفرق من وجد ومن سهرى
وكم حفظت ذمام القوم وهوله * يصطاد فى الغابات الذل والخفرى
من لى طبيب والهوى داء يخـــامرنى
طول الزمان وهى ماض من العـــمرى
مهفهفات بغار الغصن حين ترى * لقدها بين مياد ومختصرى
أيام غصن شباب فى شبو بته * ألهو بما فيه من زهر ومن قمرى

يا منزلا أدمعى وقف عليه اذا * طل السحاب على الاطلال بالمطر
أرض الشربة كم قضيت من وطر * فيهن بالقيد والخلان بالوطر
بربع ورماح السمر تكنفنى * أبطاله فى ظلال البيض والسمر
أين الزمان الذى قد كنت أجده * على التدانى بلا غنى ولا حصر
لم يخطر البين فى بالى فأحذره * ولا أهاب لما فيه من الخطر
لهوى بعمرى عبيلة فى الديار وما
أبات منه ومن وجدى على غرر
ياوجها أرى شمسا اذا طلعت * منه بوادنتنى عن القمر
فى كل يوم أرى من نشرها سحرا
يبدو ضياه كنشر الزهر فى السحر
وكل غصن غدا حفظه نظرا * ماخص عاشقها منها سوى السهر
ماهبت الريح من نجد معطرة * لولا الولوع بريا بردها العطر
وماجرت أدمعى والشمل مجتمع * الا لما علم الاحباب من حذر
خوفا عليها ولولا ذاك ماوقفت * ركائبى بين ورد القوم والصدر
كلا ولا كنت بعد القرب مقتنعا * منها على ابتعاد الدار بالخبر
هم الاحبة ان خانوا وان نقضوا
ودى فما حلت عن عهدى ولا ذكر
فكم أضاعوا محبا فى الغرام بلا * ذنب وكم ظل فيه من دم هدر
يشكو وذووا الهجر فى سر وفى علن * شكوى تؤثر فى صلد من الحجر
(قال الراوى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات تعجب عروة ورجاله من فصاحة عنتر ومقاله فقال عروة بن الورد لافض فاك ولا كان من يشناك وبلغك الله مناك ياحامية عبس وعدنان وفزارة وغطفان ومرة وذبيان لقد فقت على أبطال هذا الزمان

بالشجاعة والفصاحة والكرم وحسن الشيم فشكره عنتر وأثنى عليه ثم انهم جدّوا المسير الليل والنهار وكل ليلة عنتر يحرسهم من خوفه عليهم من طماعة العرب ولم يزالوا سائرين على ذلك الحال حتى انهم وصلوا الى أرض معطشة موحشة مدهشة فساروا فيها ثلاثة أيام حتى قطعوها بعدما كانوا أشرفوا على الهلاك وسوء الارتباك من شدة العطش وعظم الدهش واليوم الثالث بان لهم جبل عال وكان هذا الجبل يبان من مسيرة ثلاثة أيام وكان يسمى جبل أبان فقال لهم الدليل جدّوا في المسير لعلنا نصل الى هذا الجبل فأجابوه وجدّوا في المسير طول ذلك النهار حتى وصلوا اليه وقت المساء ونزلوا على غدير ماء في لحف ذلك الجبل فأسقوا خيلهم وشربوا وأكلوا شيئاً من الزاد وأراد عنتر بن شداد تلك الليلة يحرسهم فما مكنه عروة بن الورد من ذلك الحال وتقدم الى قدام عنتر وقال له وحق ذمة العرب لم أمكنك من هذا الامر لان لك ليالي كثيرة تحرسنا فنم أنت الليلة وأنا ورجالي نحرس فأجابه عنتر الى ما طلب فأخذ عروة من رجاله خمسة أبطال وداروا تلك الليلة حول المال والنوق والجمال وكانوا أطلقوا خيلهم ترعى في ذلك البر والمرعى فما زال عروة ورجاله حول المال دائرين حتى انتصف الليل وصار وقت السحر فأتوا الى تل عال أشرفوا منه على المال والنوق والجمال وجلسوا في ذلك المكان وأخذوا في الحديث والكلام فهب عليهم الهوى فناموا كلهم معاً كأنهم قتلى ما فيهم من فاق حتى طلع الصباح بالاشراق فأفاقوا وقد اندهلوا فافتقدوا خيلهم فما نظروا منها قليلاً ولا كثيراً فامتزج عروة ابن الورد بالغيظ والغضب وقال والله لقد افتضحنا في سائر قبائل

العرب فبينما هم يلوم بعضهم البعض واذا بعنتر أقبل عليهم وسألهم عن الخبر فأحكوا له عن ضيعان الخيل فلما سمع عنتر هذا الكلام صار الضياء في عينيه ظلاما وقال لعروة لأى شىء هذه الفعال يا أبا الابيض كيف تنام أنت ورجالك حتى بلغت الاعداء منا المراد في هذه الارض والمهاد فقال عروة وقد استحى من عنتر والله يا أبا الفوارس لقد درنا في هذا البر الاقفر حتى صار وقت السحر وقلنا ان هذه الارض ما يأتي اليها أحد وما حسبنا هذا الحساب الانكد ثم ان عروة أطرق رأسه الى الارض من شدة حيائه من عنتر فقال عنتر والله ان فراق روحى عندى أهون من فراق جوادى الابجر ولكن ما أكون عنتر ولا من ظهر شداد اذا لم ألحق الذى فعل بنا هذا الفعال وأجعله مثلا يضرب به بين النساء والرجال ثم ان عنتر أمر رجال عروة بن الورد أن يتفرقوا في تلك البرارى والتلال يمينا وشمال لعلهم يقفون للخيل على خبر أو على جلية أثر فأجابوه الى ما أمر وتفرقت رجال عروة مثل ما أمرهم عنتر وغابوا ساعتين من النهار حتى حمى الحر وهوجر البر فعادوا الكل الى قدام عنتر وما فيهم أحد وقع للخيل على خبر فأحكوا لعنتر انهم ما رأوا للخيل خبر فقال عنتر ولا رأيتم لهم أثر قالوا بلى رأينا أثر حوافر الخيل معاودة ناحية أرض العراق قال عنتر نعم خيلنا ما راحت الى أرض الحيرة لان الذى فعلوا معنا هذه الفعال ما هم الا تابعون أثرنا من أرض العراق الى هذه الاراضى والآكام ثم ان عنتر التفت الى أخيه جرير وقال له ويلك يا ابن الام سر وأتنى بشىء أركبه ولو انك تسرق لى جوادا من بعض احياء العرب لان شيبوبا ما كان حاضرا مع أخيه عنتر لان عنتر كان

أرسله مع بني عبس لاجل حفظ عبلة والا مكان جرى عليهم شيء من هذه النوائب والكروب لو كان حاضرا اخوه شيبوب فأراد جرير ان يسير الى ما أمره أخوه عنتر واذا هو ينظر الى الابجر وهو مقبل كأنه الطير الطائر والنمر النافر أقلب الارض بالصهيل كأنه ناقة ضل عنها الفصيل فلما نظر عنتر جواده الابجر فرح واستبشر وقال جوادي اليوم ألحق على ظهره الاعادي ثم ان عنتر ركب على جواده وقد بردت النار من فؤاده والتفت الى عروة ورجاله وقال له اتبعني يا أبا الابيض أنت ورجالك اركبوا على هذه النوق والجمال حتى أسير انا بين هذه الروابي والتلال ثم ان عنتر ساق جواده على الاثر في ذلك البر الاقفر حتى تنصف عليه النهار وحمي الحر وهو جرالبر فأراد عنتر ان ينزل عن ظهر جواده الابجر ويدعه يستريح من التعب من كثرة ما قاسى من النصب واذا هو يرى راجلا مقبلا بين تلك الجبال والاودية والتلال وهو يركض كأنه غزال وأياديه مكتوفات الى ورائه وفي رقبته حبل طويل يسحبه في البر والفلاة ومن خلف ذلك الراجل عشرين فارسا يطردونه وقد تقطعت خيلهم في الطرد فلما نظر عنتر الى ذلك الحال تأمل في ذلك الراجل الذي حلت به الكروب واذا به أخوه شيبوب فلما ان عنتر عرف أخاه شيبوبا وثب من الارض الى ظهر جواده وكان شيبوب عرف أخاه عنتر فصاح بأعلى صوته ويلك يا ابن السوداء خلصني من هذه النوائب والكروب فأنا أخوك شيبوب هذا وعنتر ركض على ظهر جواده الابجر وتلقى أخاه شيبوبا فقطع الكتاف من يديه وزال الحبل من رقبته

وقال

214

وقال له ويلك أبا رياح وأى شيء الذى جرى لك حتى صار هذا الحال حالك هل أحد سباكم من العرب قال شيبوب ما أحكى لك ماجرى حتى تقتل هؤلاء الفرسان الذين هم يطردونى فى هذا البر والفلاة من أول هذا النهار فلما سمع عنتر كلام أخيه فالتقى العشرين فارساً كما تلتقى الأرض العطشانة أوائل المطر وطعن الاول فى صدره أطلع الرمح يلمع من فقارة ظهره فرماه والثانى أعدمه الحياة والثالث ألحقه برفقاه والرابع ترك رأسه بحذاه والخامس تركه من الحياة آيس والسادس جعل رأسه ناكس والسابع تركه فى التراب واقع وما كانت غير ساعة من النهار حتى قتل من العشرين ستة عشر بطلا والاربعة هربوا على خيلهم قدام عنتر وهم ينادون الامن الله أبا فصيلتك وقبحه ربتك ما أشد ضرباتك وما أنفذ طعناتك وما أصعب حملاتك هذا وعنتر ما تبعهم بل تعلق قلبه بأخيه شيبوب ونزل عن ظهر جواده الابجر فى تلك البرارى والبطاح وقال له ويلك يا أبا رياح احك لى الآن ما جرى لك حتى وقعت مع هؤلاء العسكر اليسير وجرى عليك هذا الامر العسير قال شيبوب ما أقول حتى تحكى أنت ما الذى أتى بك من أرض العراق الى هذه الارض وأنت وحدك بلا رفاق فقال عنتر بلى يا أخى معى عروة بن الورد ورجاله ولكن يا شيبوب انسرقت خيلنا منا وأصبحنا فى هذا الارض رجاله وانشد أعنتر يحكى لاخيه شيبوب جميع ما جرى له عند الملك النعمان وما أعطاه من المال وكيف عادوا طالبين الارض والاطلال وكيف تولى عروة بن الورد الحرس فى جبل أبان وأصبحنا ما رأينا من خيلنا قليلا ولا كثير والتقيت جوادى فركبته

وركضت على أثر الخيل فوقعت فيك في هذا المكان وخلصتك من الاسر والهوان فلما سمع شيبوب كلام أخيه عنتر تعجب من هذا الامر الذى جرى غاية العجب وقال والله يا ابن الام ان سرقت خيلكم كانت السبب لسلامتى وسلامة الحارث بن الملك زهير لان الذى سرقوا خيلكم يا أخى كانوا أربعين سلالا من سلالين العرب والمقدم عليهم محنة العرب الذى لا يطاق فى الحرب والتلاق يقال له أويس بن السعلا وأنا والله يا أخى أعرف الخلق به من دون الملا (قال الاصمعى) وقبل ما أذكر لكم أسر شيبوب والحارث ووقوعهم مع بنى زهران وقدومهم الى ذلك المكان نذكر سبب سرقة خيل عنتر ومن معه من الفرسان وكان السبب فى ذلك ان عنتر لما طلع من عند الملك النعمان طالب أرض بنى عبس وعدنان ومعه تلك الاموال الذى لا تعد ولا تحصى نظر اليه ذلك السلال أويس بن السعلا وكان هذا أويس بن السعلا جبارا لا يصطلى له بنار آفة من الآفات وبلية من البليات يقاتل فارسا وراجلا واذا ركض على قدميه يسبق الخيل الصواهل وانه لما نظر الى تلك الاموال السائرة مع عنتر أخذه الطمع وكانت رجاله أربعين سلالا الكل يقاربونه فى العياره والمكر والدها والشطاره فأقبل عليهم وقال لهم دعونا نخاطر مع عنتر ونتبعه من ورا الى ورا فى هذه الصحرا لان الطريق قدامه بعيده وهى صعبة شديده لا بد ليلة من الليالى يغفل أو ينام فنأخذ منه بعض هذه الاموال فأجابه رجاله الى ما أمرهم انهم تبعوا عنتر ومن معه من الرجال ولم يزالوا تابعين منه الآثار ويقطعون البرارى والقفار وكل ليلة يرون عنتر دائرا على حرسهم

فتمنعهم

فتمنعهم هيبة عنتر من الهجوم عليهم ومازالوا تابعين لعنتر حتى وصل
الى ذلك الجبل وتولى عروة تلك الليلة الحرس وكان أويس بن
السعلاء فى ذلك الليلة قال للسلالين الذين معه يا بنى ام واحد نكم
يسير ويكشف لنا الاخبار اذ رأيتم لنا فرصة اغتنمناها والا دعونا
نرجع لان أكثر من هذا الاجتهاد لا يتاتى من سائر السلالين
فأشرف على عنتر ومن معه فوجدهم لاجل القضا والقدر الكل
نائمين ووجد خيلهم قد تباعدت عنهم فى الصحراء وقد توسعت فى البر
لاجل الماء والمرعى فعاد ذلك السلال وأعلم أويس بن السعلاء
ومن معه من السلالين بما راى فقال أويس الراى الصواب اننا نقنع
من هؤلاء القوم بخيلهم لا غير والان أخذنا بعض هذه الجمال بما
عليها من الاموال والاحمال يلحقنا عنتر ومن معه من الرجال
وينزلوا بنا المهالك والنكال فنكون خاطرنا معهم برؤسنا وضيعنا
نفوسنا فأجابوه السلالين الى ما أرادوا وأقبلوا على خيام عنتر بن
شداد ورأوا الخيل وهى ترعى وقد بعدت عن الخيام فى البر وهى
تسعى فانقضوا عليها وركبوا بعضها وجدوا فى المسير تحت الليل
والظلام ومازالوا يطلقون الاعنة حتى جاء وقت السحر من خوفهم
لا يتبعهم عنتر فلما كان وقت السحر وأنا أسمع هدير الابجر وهو
يركض فى عرض البر الاقفر وعرفت أنه جواد أبى الفوارس عنتر
وقد اندهشت بنى زهران وأردت كشف الخبر فوقفت وجذبت
نفسى ممن كان قائد ازمامه ولطمته برجلى فى بطنه كاد أن يشرب
كاس المنيه وصرت أركض فى ذلك البر والفلاه واتقدت على ظهر
الابجر لاجل ما تقدمهم الحياه فركضت خلفى هؤلاء السلالين على
أظهر الخيل الذى كانت معهم فالحقوانى سوى الغبار فعادوا عنى

وهم خائفين على أنفسهم من الهلاك والدمار الى أن تنصف عليهم النهار فأدركتهم فرسان بنى زهران فلما نظروا الى تلك الاربعين سلال عرفوا انهم سلالين فصاحوا عليهم وحملوا فيهم وكانوا بنى زهران الذى معهم شيبوب والحارث اسارى وهم خمسمائة فارس والسلالين أربعين فما كانت غير ساعة حتى قتلوا منهم ثلاثين وهربت العشرة مع أويس بن السعلاء فى ذلك الوقت الذى جرى فيه على السلالين ما جرى وهرب شيبوب من يد العبد الذى كان ماسكه لان العبد الذى كان قائد الى شيبوب التهى بالفرجة على السلالين القادمين وكان ماسك شيبوب بحبل من رقبته فنتر شيبوب نفسه من ذلك العبد وطلب الهرب فأعلم العبد خيل بنى زهران بهروب شيبوب فطلعت الخيل فى طلبه يطاردوه حتى التقى بأخيه عنتر وكان عنتر قد ملك جواده الابجر فحمل على تلك الخيل وهى تطرد شيبوب فأنزل بهم الهم والكروب وقتل ستة عشر فارس من بنى زهران وخلص شيبوب كما ذكرنا وقال له ويلك يا أبا رباح احكى لى الآن ما جرى لك أنت والحارث بن الملك زهير فى بنى زهران وأى شىء الذى صيرك أسير أنت وإياه اشرح لى قصتك واكشف لى عن حالتك حتى أجد فى خلاص الحارث فقال شيبوب لا يا أخى ما يحتاج انك تسير اليهم لانهم لا بد ما يقطعون خلفى الدكادك ويصلون الى هذا المكان فتفعل فيهم ما تشتهى وتريد بل الصواب انك تنفذ الى عروة بن الورد ورجاله حتى يصلوا ويركبوا من هذه الخيل الشاردة الذى حصلت لنا وتستعينوا بهم على الاعداء لان الاربعة الذى هربوا من العشرين لا بد ما يصلون الى بنى زهران ويعلموهم بما فعلت فى أبطالهم والفرسان فلما سمع عنتر كلام أخيه شيبوب رآه صواب

216

هذا وشيبوب ابتدأ يحكي الى أخيه عنتر عن سبب وقوعه ووقوع الحارث في أسر بني زهران وماجرى لهم من الشدائد والاهوال (قال الاصمعي) وكان السبب في ذلك ان بني عبس لما رجعوا من قتال خداوند بن كسرى أنوشروان من جبال أجا وسلما الى أرضهم وهي أرض الشربة والعلم السعدي وكانت هيبة بني عبس وقعت في قلوب سائر العربان في ذلك الزمان من آل عدنان وقحطان وجزيمة وشيبان لاجل انهم عادوا الى خداوند بن كسرى أنوشروان والملك النعمان ومن معه من العربان وماقدروا عليهم في الحرب والطعان فوقعت هيبتهم في قلوب العربان وجميع من سلك البراري والقيعان (قال الراوي) فاتفق من الامور والاحكام ان الحارث بن الملك زهير ركب يوم من بعض الايام وطلب الصيد والقنص ومعه جماعة من بني عبس فأبعدتهم عن أرض الشربة لانتهاز الفرص وصار يشق في تلك الاراضي في طلب الصيد شرقاً وغرباً حتى وصلوا الى وادي من أودية بني عبس يقال له وادي النقا وكان ذلك الوادي معشب من دون كل الوديان لان فيه مناهل كثيرة وغدران وكان هذا الوادي منزل لبني عبس من قديم الزمان ولكن ضاق عليهم فانتقلوا الى أرض الشربة والعلم السعدي ولما وصل الحارث ومن معه من الابطال شقوا في نواحيه وكان عهد الحارث بهذا الوادي ان مافيه أحد من السكان فرأى ذلك اليوم فيه خدام وخيام ومضارب وقنى وقواضب وخيول وجنائب وجمال تسرح ومهارة تمرح فأنكر الحارث ذلك غاية الانكار فسأل بعض الرعيان عن ذلك المال فقالوا له يامولاي نحن من بني زهران قال الحارث ومن

أنزلكم في هذا المكان فقال العبد يامولاي ماانزلنا في هذا المكان الا بأمر صاحبه الملك زهير بن جريمة ملك بني عبس وعدنان وفزارة وغطفان ومرة وذبيان لانا طلبنا منه الامان والزمام فأجارنا وأعطانا الامان والزمام فبينما الحارث بن الملك زهير يتحدث مع ذلك العبد وهو يحاوبه واذا بغزالة قد لاحت من قدامه فهز جواده وطلبها ففاتته فعاد عنها طالبا رفقته واذا بفحل غزال أورق قد طلع من قدامه فلحقه الحارث وبقي يكد في الجواد خلفه حتى لحقه فوصل الغزال الغدير واذا بجماعة من النسوان والبنات وهم حول الغدير يلعبون واذا بفحل الغزال وصل اليهم ودخل تحت أذيال واحدة منهم كالمستجير وكانت تلك البنت بنت أميرهم وهم العرب الذي سأل الحارث العبد عنهم وقال له نحن من بني زهران وكان أميرهم يسمى بكر بن المقداد الذي فاق بجواده على كل أحد وكان اسم البنت لبني (قال الراوي) وكان سبب رحيلهم من أرضهم ونزولهم في أرض بني عبس وعدنان وذلك ان هذا الامير بكر بن المقداد كانت له هذه البنت الذي نحن في حديثها وهي لبنى وكانت بديعة في الحسن والجمال والكمال وكان كثر على أبيها الخطاب والطلاب فأنعم أبوها لاحد منهم بزواجها وكان لها ابن عم يسمى جرير بن قادم وكان للابطال مصادم شجاع في ميدان الحرب صبور على البلاء والكرب الا انه كان قبيح الخلقه بشيع الصوره وكان خطبها من أبيها فلم ترض به لبنى لانها كانت تبغضه من قبحه فقالت لابيها متى أنعمت علي بن عمي بزواجي أقتل روحي لان نفسي ماتقبله من قبح صورته فلما سمع أبوها مقالها ردّ ابن عمها خائبا مما حوله

217

طالب وجرى بينهم كلام وخصام ولاجل هذا رحلوا من أرضهم وقطعوا البرارى والقيعان حتى انهم وصلوا الى أرض بنى عبس وعدنان واستجاروا بالملك زهير فأجارهم وأعطاهم الامان والزمام وأنزلهم فى هذا المكان وكان هذا سبب نزولهم فى تلك الارض والقيعان ونرجع الى الكلام الاول بعد الصلاة على نبينا المفضل ولما أتى الحارث خلف الغزال ورآه دخل تحت أذيال لبنى كالمستجير فنظر الحارث الى لبنى ورأى الغزال تحت أذيالها فتعجب من قدها واعتدالها وقال لها الحارث ياغزالة الوادى هاتى لنا صيدنا ولما نظرها الحارث نظرة أعقبته النظرة ألف وخمسمائة حسرة فقالت له لبنى يا ابن السادات الكرام صيدك استجار فى الحريم فاتركه لنا فلما رآها الحارث وهى تكلمه تحير وصار باهتا وقتلته بلين قوامها وحسن ابتسامها وكان هو أيضا جميل الصورة زائدا عليها فنظرته وهو واقف ينظر اليها فارتجت أعضاها وزاد عشقها وبلاها وأعقبتها النظره ألف وخمسمائة حسره وبقيت لبنى تتحدث مع البنات وتتبسم فى وجه الحارث ويلوح البرق من بين ثناياها وهى باهتة فيه من شدة ماحل بها وكثر شوقها ووجدها وقل صبرها وحارت فى أمرها فعندها تأوهت من فؤادها وأشارت لبنى الى الحارث بن الملك زهير تناشده بهذه الابيات

ليت ان العين رمداء عن فتى * مر بى يبغى من الصيد الظبا
وانثنى فاصطاد قلبى حسنه * ومضى فازداد قلبى لهبا
جاء يصطاد غزالا فى الفلا * فاصطاد الظبى من وسط الخبا
ظبية لم تدرى ما البؤس ولا * رعت الشيح باكناف الربا
فدع الصيد فقد نلت المنى * وبلغت السؤل ثم الاربا

كنت أصطاد بعيناى الظبا * ما لقلبى صاده من لى سبا

(قال الاصمعى) فلما سمع الحارث بن لبنى هذه الابيات أشتعلت فى قلبه النار وزادت زفراته ومابقى يعرف من شدة العشق والهوى ان كان هو فى أرض أو فى سماء ومن شدة ماجرى عليه أشار الى ابنى يناشدها بهذه الابيات يقول

انظر الى شمس القصور وبدرها * والى جمالتها وبهجة زهرها
ان تلق عينك أبيضا فى أسود * جمع الجمال فوجهها مع شعرها
وبحمرة الوجنات يخبر حسنها * عن طرفها ان لاتحيط بخبرها
وتمايلت فقضيت من أردافها * عجبا ولكن قد بكيت لخصرها

(قال الاصمعى) ثم ان الحارث بن الملك زهير رجع الى ورائه وحب لبنى قد تمكن فى أعضائه فتكاسل فى مشيه وقلت همته وصار سائرا حتى انه وصل الى رفقته فلما نظرت أصحابه الى حالته أنكروا أمره وقصته وقالوا له مابالك ياحارث قد كنت الساعة فى الصيد فرحان كالاسد الغضبان ونراك فى هذا الوقت قد عدت وأنت فاتر كسلان فقال لهم والله يابنى العم قد اختبط جسدى من كثرة الشوق فى هذه الارض والبيدا وأنا الساعة أريد أرجع الى الاحياء ثم انه بعد ذلك صار طالب الحى والديار وهو طايش العقل ذاهل اللب مما أخذه من الوجد والحب فلما وصل الى قرب خيام بنى عبس صار يتلفت الى ناحية خيام بنى زهران وينهل كاسات الغرام وينشدو يقول

سلامى على الوادى ومن حل دونه * فقد حملونى فوق ما أنا حامله
مررت به أبغى من الصيد ظبية * فعدت وقد صارت فؤادى حبائله
وخليت قلبى عند سكان أرضه * وجسمى على نار الهوى ومراجله

فان

218

فان يك جسمى مضى نحو اهله * فان فؤادى عندكم وبلابله

(قال الاصمعى) ثم ان الحارث لم يزل سائرا حتى وصل للخيام ودخل الى مكانه وبات تلك الليلة وقد زادت لوعته وكثرت حسرته فوصل خبره الى امه واخوته فأتوا اليه وسألوه عن حالته فقالت له امه تماضر وقد تألمت لوجيعته ولدى ما الذى اصابك حتى صرت فى هذا الحال دون اصحابك فقال لها الحارث يا اماه اعضائى بها وهن وقد تغير منى البدن وانا مكروب ولا يعلم بحالتى سوى علام الغيوب فمضت امه من عنده واخوته وما بقى عنده احد فأرسل الحارث خلف دايته وكانت تحبه محبة عظيمة دون كل اخوته وكان الحارث يأمن اليها فى كل اموره ومصلحته فأتت اليه وسلمت عليه وقالت ولدى مالى هكذا اراك جعلنى الله من السوء فداك فأعلمها الحارث بأمره وأمرها ان تكتم خبره ولا تبح بسره وقال لها اعلمى يا خالة ان اباحة السر رديئة اولها هتيكة احبابه والثانية شماتة اعدائه وحساده وبعد هذا كله انى اخاف من ابى لانه ان علم بما حل بى يقول لى لم تعرضت الى جيرانى ويمنعنى عن ذلك وينهانى ثم انه بعد ذلك كشف لها عن حالته واطلعها على قصته فلما سمعت الداية مقالته اوعدته انها تساعده على بلوته وتزيل عنه غصته فقال لها الحارث اريد منك يا خالة انك تمضى اليها فى زى زائرة وتبصرى ان كان فى قلبها مثل ما فى قلبى لانها قد املكت عقلى ولبى وعرفى ابيها ومن يملك رأيها انى رأيتها تتنهد وتتحسر بعد مسيرى عنها واريدك تعلميها بما عندى من الهوى وان كان حالها مثل حالى اوعديها انها تخرج الى الغدير ويكون ذلك فى وقت تعينه لك

حتى أسير اليها وأقصدها وأجتمع أنا وإياها لان قلبي يحبها ويهواها فلما سمعت الداية كلام الحارث أجابته بالسمع والطاعه وقالت ها أنا سائرة اليها من هذه الساعه وما أجيء من عندها حتى أدبر الرأى على اجتماعك بها (قال الراوى) وكانت هذه الداية في القيادة لها رأى عظيم ثم انها سارت طالبة وادى النقا ولم يأخذها من ذلك تعب ولا شقا فلما وصلت الى الوادى ونظرت الى خيام بنى زهران دخلت عند النسوان وأظهرت انها زائرة الى ذلك المكان ولم تزل تعمل الحيل حتى انها اختلت بالجارية لبنى وحدثتها وبخبر الحارث بن الملك أعلمتها فلما سمعت لبنى بذكر الحارث تنهدت وتحسرت وقالت لها وحق من يقول للشيء كن فيكون انى البارحة ما غمضت لى من أجله عيون وزادني الشوق اليه وبقيت حائرة فى من يوصل خبرى اليه لانى قد قل صبرى وحرت فى أمرى والآن قد انفرج الهم عنى بحضورك عندى ولا بقيت أعرف اجتماعى به الا منك فلما سمعت الداية مقالها علمت بأن حب الحارث قد غير أحوالها فقالت لها ما بقى فى الامر الا انك تعالى ليلة عند الغدير حتى آتيك به وتجتمعى معه فلما سمعت لبنى هذا الكلام قالت لها السمع والطاعة ليلة غد أكون على الغدير ولا أخاف من كبير ولا صغير هذا والداية لما سمعت كلام لبنى ودعتها وعادت طالبة الحارث الى ان وصلت اليه فابصرته على مقالى النار وهو قاعد لها فى الانتظار فتقدمت اليه وأخبرته بجميع ما صار لها من التشوق والغرام فلما سمع الحارث من الداية هذا الكلام أيقن بالوصال وأقام ذلك اليوم للمساء ولما كان آخر النهار أخذ الداية معه وطلب وادى

213

النقا لعله أن يفوز باللقا وأشار بهذه الابيات ينشد ويقول

سرنا نريد الصيد في البر والربا * فصبنا الطلا والعين والابل في مرح

ما ردنا الظبا في ساحة البر بالضحى

وقد طاب منا القلب والخاطر انشرح

وقد عن لى فحل عتيق من الظبا * فبكرته في البر طردا وقد سرح

الى ان أتى ذات الجنادل لاعبا * بذعر أتى نحو البنات وقد رمح

والتى بنفس لا تزال عـــزيزة * الى نحو لبنى والفؤاد قد انشرح

ووافيته في حضن لبنا وقد غرت * بحب جوادا والعسير قد انصلح

فعاينت منها قامة شبه بانة * تجلى كبدر التم والحسن قد وضح

وانف كطرف السيف والثغر باسم

ورمانا في الاحشاء والقلب المجرح

بعنق كعنق الريم والصدر مرمر

ونهدين كالرمان في الصدر قد طرح

وخصر رقيق ثم ساق مدملج * وردف ثقيل لمهجة الصب قد قرح

فياحب لبنا قد جرحت حشاشتي

وقد حرت في أمري وصبري قد برح

وباليتني ما جئت نحو غديرهم * وكان فؤادي عن منازلهم جمح

(قال الراوي) ثم ان الحارث بعد هذه الابيات لم يزل سائرا حتى انه وصل للغدير وكمن هو والداية تحت شجر الاراك حتى أمسى المساء هذا ما كان للحارث بن الملك زهير هو والداية أما ما كان من لبنا فانها صبرت الى وقت المساء واخذت جاريتها معها وطلبت الغدير كأنها تشم الهوى ولما وصلت للغدير وجدت العجوز والحارث من أجلها على مقالي النار فلما نظرت لبنا اليه ألقت

روحها عليه فضمها الى صدره وجعل يقبلها فى فمها وهى تقبله ومازالا على ذلك الحال حتى بردت من قلوبهم نيران الوجد والاشواق وبعد ذلك أخذوا فى الحديث والشكوى وتشاكوا من ألم الهوى والفرقة وابعلة ماالمهادوى ثم ان لبنى حكت للحارث قصة ابن عمها جرير بن قادم وماجرى لها من الاخبار وسبب رحيلهم من أرضهم والديار ثم انها بعد ذلك الكلام قالت له وحق ذمة العرب الكرام لقدسلوت بحبك الديار والاوطان ومابقى لى عنك صبر ولاسلوان قال الحارث وأنا كذلك يابدر التمام (قال الراوى) فافترقوا من ذلك المقام حتى تعاهدوا وجددوا الاقسام بأن لا يملك أحد نفسه الى غير صاحبه من الانام وصارلهم ذلك المكان معهدفى كل وقت يجتمعون فيه وفى عيشة هنيئة مدة زمانية كل هذا وماجرى بينهم فاحشة أبدا بل انما هى محبة أدب ومزاح لامحبة نكاح الى ان كان يوم من بعض الايام ركب جواده الحارث بن الملك زهير وسارطالب وادى النقا ليزيل مابه من الهموم والشقا ولما وصل للوادى ولم يجد للقوم خبر ولاجلية أثر قلق لذلك وتحير واسود فى عينه ذلك البر الاقفر ووقف حائرا على ظهر جواده وقد أشعلت النار فى فؤاده وبكى بكاء شديدا ماعليه من مزيد وأشار يسأل الربع والدار عماجرى على أهلها وماعليهم صار بهذه الابيات

مالى أرى دارا تنكرت عن أهلها * وتغيرت جنباتها والوادى
ياويلها من بعد فقد أحبتى * فلمن أسائل ربعها وأنادى
والبين و التفريق أقلق مهجتى * ورمى سهام البعد وسط فؤادى
لما وقفت على المنازل بعدهم * أدعوهم واولهم أكون منادى

وكنت أنوح بعبرة مصغرة * من أجل سادات مضوا وسادى
ماصابهم الاعيون حواسد * نالوا مناهم منهم واعادى
ياويح دهرى فيهم والمارموا * بالنبل عن قوس أصاب فؤادى
قد أصبحت أوطانهم قفرى ولا * فيها أنيس غيرذاك النادى

(قال الاصمعى) ثم ان الحارث عاد الى حى بنى عبس وماوجد له راحة دون ان أرسل خلف دابته وأعلمها بماهو فيه من بليته فلما سمعت الدابة كلامه قالت له ياولدى لاشك ان القوم رحلوا الى أرضهم وديارهم اسمع منى واترك عنك هذه الاحوال والاحل بك الهلاك والوبال فربما انه يفضى بك الى العدم وتندم حيث لاينفعك الندم فلما سمع الحارث كلام دابته بكى بكاء شديد وقال لها يادابة وحق ذمة العرب أنا ما اقدر اصبر على فراق لبنا ولاساعة واحدة وأشار اليها ينشد ويقول

انى ليقلقنى شوق وتذكار * لما حدى بهم الحادى وقد سار
وخلفونى وحيدا بعد بعدهم * وهتكت لبعاد القوم أستار
ساروا وفى القلب منهم لوعة وأسى
وقد أضرمت فى الحشى من حبها نار
فعدت بعدهم أنوح عليهم * ودمع عينى على الخدين مدرار
كم قلت من فرط الصبابة والاسى * يادار أين أحبتى بالله يادار
هذه منازلهم تشكى البعاد لفقدهم * وانما حكمت بالبعد أقدار
كانوا بأطيب عيش فى منازلهم * واليوم مامنهم فى الدار ديار
يادار انى حزين القلب بعدهم
قد أضرمت فى الحشى من بعدهم نار
وفارقونى وقد ضاقت لغيبتهم * على يا سادتى مدن وأقطار

يافجعة البين كم فتت من كبد * يوم الفراق وكم هتكت أستار
أفجعت يابين قلبي بالفراق فلا * بلغت يابين ماتهوى وتختار
ياوحشتي منهم وبافجعتي لهم * وكم قضينا الوبلات وأوطار
كانوا العيني شموسا أستضي ء بهم * وفي الظلام هم والله أقمار
غيبهم الدهر عن عيني فواحزني * ياليتهم أيقظوني عندماساروا
ياقلب صبرا على بلوى الغرام عسى
يأتي اليك من الاحباب أخبار
وان يكن رحلوا عن خاطري فلقد
أمسوا وهم في سواد القلب حضار

(قال الاصمعي) والسبب في رحيل لبنى وأبيها وقومها بني زهران من ذات المكان له كلام عجيب وأمر مطرب وغريب وهو انه أتاهم رسول من عند مالكهم وكان ملكا عظيما صاحب حرمة وكلمه يقال له الاشعث بن ضرمه وهو صاحب أرض البيضا ووادي الغضا لانه ما كان علم برحيل أبو البنى الابعد ما قطع الاراضي نصبر مدة أيام حتى علم انه نازل في أرض بني عبس وعدنان والماعلم انه مقيم في ذات المكان أنفذ اليه رسولا يقول له أنا من الاول ما علمت بسبب رحيلكم وتحويلكم والا ما كنت تركتكم تتغربوا عن أهلكم ولاتبعدوا عن أرضكم وبعد ذلك لما علمت بأن المعتدي عليكم ابن عمكم جرير بن قادم فغضبت عليه من أجلكم وأوقعت فيه الخسارة وضيقت عليه وحبسته في مغاره وما بقيت أطلقه الاان كان أنتم تجوا اليه وتطلقوه بأيديكم وأريد منكم انكم تعودوا الى الاوطان قبل ما يتصل نسبكم في بني عبس وعدنان فلما وصلت هذه الرسالة الى أبي لبنى

221

بردت ناره وقل شره وفرح بالعودة الى دياره لانه كان
بلغه ماجرى لابنته مع الحارث بن الملك زهير فرحل من وقته
وساعته فيمن معه من قومه وعشيرته (قال الراوى) فلما تحقق
الحارث الامر وصح عنده رحيل القوم حلت به الكروب وكاد
من الفراق أن يذوب وقال فى باله لو كان عنتر حاضر كان يساعدنى
ويسعى فى قضاء حاجتى لكن مابقى فى الامر الا انى أرسل خلف
أخيه شيبوب وأعلمه بما حل بي من الهموم والكروب لانه لمثل
هذه الاشياء دروب ثم ان الحارث من وقته وساعته أرسل خلف
شيبوب أخو عنتر فلم يكن غير ساعة حتى انه حضر وحكى له
جميع ماجرى له مع لبنى وكثرة أشواقه اليها فلما سمع شيبوب
كلام الحارث قال له وما الذى تريد يامولاى من الفعال اعلمنى
بما عندك من المقال حتى انى أساعدك بروحى ونفسى وأنوب
فى هذه المرة عن أخى عنتر العبسى فلما سمع الحارث مقاله أيقن
باصلاح حاله وقال له أريدك ياشيبوب أن تسير معى الى ديار
المحبوب فلعل ان أنال المطلوب وتتفرج عن قلبى هذه الهموم
والكروب فلما سمع شيبوب من الحارث بن الملك زهير
ذلك المقال قال له يامولاى يجب عليك أن تخفى أحوالك وتدبر
أمرك ولا تطلع أحدا على سرك لأن لا يحدث شىء يضرنى
ويضرك قال الحارث لقد قلت الصواب لان أبى لو علم بهذه الامور
والاسباب كان يقبض علينا ويعيقنا عن المسير والذهاب ثم انهم
صبروا حتى أظلم الليل بالظلام وأخذوا أهبتهم للمسير وقطع
البرارى والآكام ولبس الحارث بن الملك زهير عدته واعتقل
برمحه وتقلد بصمصامته وكذلك فعل شيبوب مثل فعلته تنكب

بقوسه وكنانته ثم انهم طلعوا من الخيام عندما اعتكر الليل
بالظلام وجعلوا يقطعون البرارى والكثبان وهم طالبين ديار بنى
زهران هذا ما كان من أمر هؤلاء أما ما كان من الملك زهير فانه لما
أصبح الصباح افتقد ولده الحارث فما وجد له خبر فزاد همه وغمه
لغيبة ولده وبقى فى كروب وكذلك جرى على زبيدة أم شيبوب
وغدت حائرة فى أمرها وأما الداية ما لقيت لها أوفق من السكات
لانها خافت تقول الملك زهير يقول لها لاى شىء ما أعلمتينى
بمسيره فيقتلها فسكتت حتى تبصر كيف ينفصل الحال هذا ما كان
لهؤلاء وأما ما كان من الحارث وشيبوب فانهم لم يزالوا سائرين
يقطعون البر والقيعان حتى انهم قربوا من أرض بنى زهران
فاقبل شيبوب على الحارث وقال له يا مولاى اكمن أنت فى هذا
المكان حتى أسير أنا وآتيك بالاخبار وأبصر ما جرى وصار ثم ان
شيبوب أخذ اسم الجارية من الحارث وصفاتها حتى انه يسأل عنها
وعن أبياتها وسار طالب حلل بنى زهران وهو كأنه من بعض
فقراء العرب حتى يكشف الامر والسبب هذا وقد لف
عمامة على رأسه وأفلج رجله اليمنى وعور عينه الشمال وكنع
يديه واعوج وافلج حتى بقى عبرة لمن يراه ولم يزل سائر حتى وصل
للمراعى واختلط مع الرعيان فاحسنوا اليه وأكرموا مثواه وقالوا
له أنت من أى العرب ومن أين وارد فقال لهم شيبوب أنا من بنى
عطارد ثم انه لم يزل شيبوب عندهم حتى اعتكر الليل بالظلام
وهو يحدث معهم بزخارف الكذب والمحال الى ان وصل الخيام
ولما انه صار فى خيام بنى زهران سار يدور بين البيوت ويسأل عن
مضارب بكر بن المعتمد بعض الاموات فدلوه عليها فسار حتى وصل

اليهما ووقف على باب الخيام في صفة سائل وطلب قوت النفس فخرجت اليه جارية لبنى ومعها القمة خبز وقالت خذ يا فقير وادعي الى صاحبة هذا البيت أن يجمع الله شملها بالاحباب فلعل دعاك مستجاب فلما سمع شيبوب مقالها أخذ الخبز من يدها واخبر من فيها وقال لها يا بنت الاحرار وأنتم غرب أم من أهل هذه الديار فقالت لا والله ما نحن غروب بل نحن من هذه الارض والديار ونحن من بني زهران لكن سبق لها الف في بني عبس وعدنان وهي من شدة شوقها اليه لا تلتذ بشراب ولا طعام فلما سمع شيبوب مقالها وبانت له أحوالها قال لها شيبوب والله ان حديثك عجب ويجب أن يؤرخ ويكتب بماء الفضة والذهب وان دعاءك قد استجاب وقد جمع الله شمل ستك بالاحباب لاني أنا عبد الحارث بن الملك زهير وقد أتى معي وهو على نفسه أحذر من الطير لانه قد خاطر بنفسه الى هذه الارض والديار مما حل به من الافتكار ثم ان شيبوب أخبرها بقصته وما جرى له من المقاساه ووجده ولوعته فلما سمعت الجارية من شيبوب ذلك المقال بكت رحمة لسنها الباسم انها دخلت على مولاتها البنا وأعلمتها بقدوم الحارث بن الملك زهير وما سمعت من شيبوب من المقال عنه وانه أتى من أجلها تلك الارض والاطلال فلما سمعت لبنى من جاريتها ذلك الكلام وثبت لبنى على الاقدام وخرجت الى شيبوب وقد زادبها العشق والغرام وسلمت عليه وحيته وقالت له وحق ذمة العرب ما أتى سيدك الاوقت الحاجة اليه لانني في هذين اليومين أيقنت بحضور المنية لان الخيثعوش بن الاشعث كان يريد أن يدخل علي وقد زوجني أبي به وأنا والله

ما أحبه ولا أطلبه ولا أريد الا مولاك الحارث واطلب قربه (قال الاصمعي) وكان سبب زواج لبنى للخيتعوش أمر من الامور وذلك ان أبا لبنى لما انه عاود من أرض بني عبس الى أرضه رأى الى ابن أخيه جرير بن قادم محبوس عند الملك الاشعث في مغارة فقال له الملك الاشعث خذ ابن أخيك فقد جعلت أمره اليك ان أردت قتله أقتله وان أردت اعتاقه اعتقه قال أبو لبنى لا يا ملك اطلقه ودعه يمضي عن الان فقتله ما يهون علي لانه ابن أخي فعند ذلك أطلقه الملك الاشعث بعدما أيقن بالهلاك وسوء الارتباك ولما جرت هذه الامور خطب الاشعث لبنى الى الخيتعوش وقال لابيها اذا زوجت بنتك الى ولدي وسار اسمه عليها انقطع طمع ابن عمها منها ولا يعود يقدر يذكرها بشفة ولا لسان فلما سمع أبو لبنى هذا المقال فرح بذلك الحال وأجاب من غير مطال وزوجه من غير خلاف وقبض المهر من غير مخاف وما بقي الا الزفاف في تلك الايام وأتى شيبوب والحارث الى تلك الديار وجرى ما جرى من الاخبار الان لبنى لما علمت ان الحارث أتى بسببها فرحت وطاب قلبها ثم انها عاودت الى خباها بعدما أمرت الى شيبوب انه يستناها أقامت حتى اعتكر الليل بالظلام وهجع كل من في الخيام ونام وبعد ذلك خرجت الى شيبوب وقد حن قلبها الى لقاء المحبوب ومعها ناقة تمشي خلفها وقد حملت عليها كل شيء لها في ذلك المضرب ثم قالت لشيبوب خذ هذه الناقة وسر بنا الى عند مولاك واحترس من أحد يراك وعندها سار شيبوب ولبنى من ورائه وهي ترجف من شدة تخوفها وفزعها وشيبوب قد فرح بقضاء حاجة الحارث ولم يزل سائرا وهو من الفرح مشروح

حتى وصل الى عند الحارث وقال له قم يا مولاى قد بلغت السؤال والمنى فهذا الحبيب منك قد دنى فلما نظرت لبنى للحارث رجف قلبها من شدة عشقها ومحبتها ومن عظم وجدها وأشارت تترحب بالحارث فى هذين البيتين وهى تنشد وتقول

لو علمنا مجيئكم لفرشنا * مهج القلب وسواد العيون
وفرشنا خدودنا ومشينا * ليكون المسير فوق الجفون

(قال الاصمعى) فلما فرغت لبنى من هذا الكلام وقعت على الحارث بن الملك زهير فى صدره وجعلت تقبله فى عارضه ونحره ولما رآها الحارث كادت أن تفارقه روحه ثم انه جعل يقبلها ويبكى وهى تقبله واليه تشتكى فقال شيبوب ويلكم ما هذا وقت بوس ولا عتاب قوموا اطلبوا الهرب والذهاب من قبل ما يأتينا سبب من الاسباب قالت لبنى صدقت يا شيبوب فى كلامك وأقبلت على الحارث وقالت له يا منية القلب والفؤاد وانت لاجلى قد تغربت فى الاراضى والمهاد فوحق ذمة العرب لو كنت أنا عرفت طريق دياركم ما كنت أحوجتك الى تعب ولا عنى بل كنت أنا سرت الى عندكم خادمة لكم ثم انها ركبت ظهر الناقة وأخذ بزمام ناقتها شيبوب وركب الحارث ظهر جواده وقد بلغ من أخذها مراده وساروا يقطعون البرارى والقفار تحت الليل وظلام الاعتكار هذا ما كان لهؤلاء وأما ما كان من اهل لبنى لما افتقدوها عند الصباح وما وجدوها فصعب على بنى زهران وصاح الاشعث بن عباد فى فرسان بنى زهران فركبت الابطال وتحضرت الفرسان وتفرقوا فى جميع البرارى والقيعان وأما بعلها الخيتعوش كاد أن يهلك من هذه الامور وركب

في خمسمائة فارس للحديد لوابس ثم انه سأل لابي لبنى عن ذلك
الحال فقال والله يا مولاي ما اصاب بنتي سبب من هذه الاسباب
في بني زهران الان يكون في أرض بني عبس لانني سمعت عند
عودتي بأن الحارث بن الملك زهير قد تولع في ابنتي وانها قد أحبته
وهو الذي أحوجني اني أعود بها سريع من جيرته فلما سمع
الخنعوش من أبي لبنا هذا الكلام صار الضياء في عينه ظلام
وقل منه الاحتيال وقال وحق ذمة العرب لالحقنها ولو وصلت
الى بني عبس وأقتل الحارث وبني عبس أجمع وما أترك منهم من
من ينطق ولا يسمع ثم انه فرق الخيل الذي معه في جميع الاقطار
وسار هو فيمن تبقى على الآثار هذا ما كان لهؤلاء من هذا الامر
الحادث وأما ما كان من لبنى وشيبوب والحارث فانهم ساروا تحت
أستار الظلام حتى بدى الصبح بالابتسام وأصبحوا في مرج
يقال له مرج الظبي وجبل يقال له جبل السنام وكان هذا الجبل
شامخ في الارض والاقطار وهو ملم راسخ الاحجار لا يقدر أحد
يسلكه الامن فرد طريق لانه كان عظيم الاخطار ولاجل ذلك
كان طريقه انقطع من السفار ولما وصل شيبوب والحارث
اليه ومعهم لبنى وعولوا على النزول في بعض نواحيه فبينما هم كذلك
وقد أيقنوا ببلوغ المأمول واذا قد ظهر عليهم من ذروة ذلك الجبل
عشرة عبيد كأنهم فحول الجمال وفي أيديهم الجحف والنصول
العوال وفي أوائلهم عبد كأنه غول وهو عظيم العرض والطول
وهو يهدر ويهدر وقد دوت منه البراري والفلاة والعبيد تتبارى
من وراه قال الراوي وكان هؤلاء العبيد قد اتخذوا ذلك المكان
لهم سكنا وجاوهم فيه دائما يسفكون الدماء ويقطعون الطريق على

تجار العرب وكان اذا احد واطاهم بتولة وافى ذلك ابل وما كان له
غير طريق وكل من تبعهم جاوه من البلاء مالا يطيق وكان لهم
فى ذلك امكان كهف عظيم المرام واسع لا يرام وكان القاعد فيه
ينظر الشىء من مسيرة ثلاثة أيام وكان المقدم على ذلك العشرة عبيد
عبد يسمى حابس بن عابس وكان بطل من الابطال الانجيب
لا يحاربه محارب ولا ينجوا من قدامه هارب وكان فى صبيحة ذلك
اليوم الذى أقبل فيه الحارث وشيبوب ولبنى لما أشرفوا عليهم من
ذلك البر فنزلوا اليهم وقد ظنوا فى نفوسهم بأن الفارس يهرب
ويقتلون الراجل ويسبون الجارية و يبلغون منها المراد والامل ولم
يعلموا ان الراجل نار محرقة وصاعقة مبرقة فلما نظر اليهم شيبوب
وقد نظروهم من ذروة الجبل أقبل شيبوب على الحارث وقال له
تمهل يا مولاى بالنزول ولا تعجل حتى أبصر ما يكونوا هؤلاء العبيد
اللئام لانى أريد أقتلهم وأسقيهم كأس الحمام لانى أعلم انهم من
سراق العرب الذين لا دين لهم ولا مذهب ثم ان شيبوب تقدم
اليهم حتى يكشف خبرهم واذا بالمقدم عليهم يصيح ويلكم ضعوا
الصنيعة وانجوا بأنفسكم لانها لكم أوفى غنيمة وان خالفتم هذا
المقال أهلكناكم فى الحال (قال الراوى) فما تم العبد
كلامه وشعاره حتى انتزع شيبوب نبلة من كنانته ومكنها من
كبد القوس ورمى بها ذلك العبد أصابته فى صدره وطلعت تلمع
من ظهره فصاح ووقع قتيلا وفى دماه جديلا ولما نظرت العبيد
الى مقدمهم قتيل زعقوا على شيبوب وطلبوه مثل العقبان وهم
يصيحوا أشل الله أناملك يا شيطان قتلت فارس ما بقى يفتح مثله
الزمان فلما نظر الحارث الى العبيد قد طلبوا شيبوب وسعوا نحوه

كأنهم الريح الهبوب ساق الحارث جواده الى معونته واذا بسهم وقع فى صدر جواده أرماه ووقع الحارث من أعلاه ولما صار الحارث راجل سحب سيفه وترسه وهجم على العبيد بنفسه فقال له شيبوب على مهلك أيها الملك الهمام ولا تهن نفسك مع هؤلاء العبيد اللئام دعنى أعجل لهم الهلاك والارغام ثم ان شيبوب سعى نحوهم كأنه غزال وصار يرميهم بالنبال وكلما اضا بقوه يطلع من بينهم كأنه ريح الشمال ولم يزل يسعى خلفهم على قدميه وهو يرميهم بالنبال ويقتلهم واحداً بعد واحد فى الجبال حتى قتل منهم ستة رجال و بقيت أربعة فعند ذلك رجعت الاربعه على أنفسها بالملام وقالوا وحق ذمة العرب الكرام هذا الرجل ماهو انسان انما هو شيطان من الجن السا كنين فى هذا المكان لان مقدمنا كان يقول لنا بأنه يرى الجن عيان فى هذا الوادى اذا ذهب النهار وأقبل الليل الهادى وكنا ما نصدقه حتى بانت لنا حقايقه ودهينا من هذا الشيطان الذى أصابنا منه هذا الامر والشان فقال واحد منهم ويلكم ان كنتم سمعتم من مقدمنا هذا الكلام لاى شىء ما أعلمتونا قبل ما فعلت الجان بنا هذه الفعال لكن دعونا الساعة من هذا المقال واطلبوا بنا القرار عسى أن تنجوا من الهلاك والوبال ثم انهم ولوا هاربين والى الفرار طالبين فنظروا الى شيبوب يسبقهم الى المضيق وهو ينادى بأرعاد غير ابعاد الى أين تفروا وتطلبوا الهرب وأجلكم قد اقترب ثم انه ضرب الاول منهم بنبلة فى صدره مرقت تلمع من ظهره ثم انه غدا على قدميه لحق الثانى وقد عول على الرجوع والهرب من بين يديه وضربه بالخنجر أخرا امعاه وأعدمه الحياه.

واما

واما الاثنين الآخرين فانهم طلبوا البر الاقفر وهم ينادو العن الله ابو قصتك وقحبة ربتك يا ابن الانذال ما اقواك على رمي النبال وما اقوى عصبك وما اشد ركبك فما زلنا نقلم في هذا المكان كل من جاز علينا من العربان حتى سخر الله لنا من فعل بنا هذه الفعال وتركنا مفرقين في البراري والقيعان واما شيبوب فانه عاد الى ناحية الحارث بن الملك زهير من خوفه عليه فقام الحارث تلقاه وتبسم في وجهه وحياه وقال له لله درك يا شيبوب على ما فعلت اليوم بهؤلاء العبيد الاثام ولكن من تشبه باخيه فما ظلم فقال شيبوب والا كنت يا مولاي اخلي الملك يقاتل اخس العبيد فشكره الحارث على ما فعل وقال له يا ابا رباح كيف العمل لاني بقيت راجل في هذه الارض والبيدا والطريق قدامنا بعيد ولا نامن من خيل تلحقنا وتاخذنا وتهلكنا (قال الراوي) فما تم الحارث كلامه الا والغبار علا وثار وسد منافذ الاقطار وانكشف الغبار وبان عن بريق زرد ولمعان خود وفرسان ما اكثرهم عدد وقد اقبلوا بصياحهم ذلك البر والقيعان وكانوا هؤلاء القوم من بني زهران والمقدم عليهم الخيثعوش زوج لبني وفي قلبه النار وهم مقبلين مطلقين العنان وابو لبنى الى جانب الخيثعوش وفي قلبه النار على بنته وعلى ما جرى لها من تلك الامور ولما نظرت لبنى الى الخيثعوش والخيل علمت انها قد اتت وراها ونظرت في اوائلها فرات الى بعلها وابيها عند ذلك تقطعت امعاها واحشاها وفاضت الدموع من عيناها وايقنت بهلاكها وفناها هذا وقد تالم قلب الحارث لاجلها وخاف عليها من اعدائها ثم انه التفت الى شيبوب وهو وقد آيس

من لبنى وقال له والله يا ابن العم هذا هو الهلاك بعينه لانا والله ما نقع فى يد هؤلاء القوم اللئام الا ويسقونا كأس الهلاك والحمام فقال له شيبوب يا مولاى الآن ما بقى لنا ملجأ نلتجىء اليه الا الشقيف الذى كانت فيه العبيد لاننا اذا صرنا فى أعلاه أمن كل واحد منا من بلاه وأعداه لانى أفرغ كنانة النبل قدامى وأحميك من أهل الارض فى طولها والعرض ولا أدع أحدا منهم يصل اليك بسوء ونطاول القوم بهذه الاحكام ونطلب النصر من رب زمزم والمقام وان رأينا الشقيف ما ينجينا من هذا الامر وقدرنا على الهرب هربنا قال الحارث افعل ما بدا لك ودبر حالنا وحالك ولكن انا خائف على لبنى أن تذهب من أيدينا ويحصل لنا شىء يفنينا فقال شيبوب وكيف تضيع منا لبنى يا ملك الزمان وحق ذمة العرب انى لابذل بين يديك المجهود قال الحارث يا ابن العم كيف تقدر لبنى تطلع لهذا الجبل وما بقت تستطيع أن تتحرك من شدة الخوف والفزع فقال شيبوب ابشر يا مولاى ببلوغ الارب وانظر من خادمك شيبوب اليوم العجب ثم انه دنى من لبنى وحملها على أكتافه وسعى بها على أقدامه حتى أوصلها الى ذيل الجبل وتسلق عليه كأنه شيطان أو قرد مذعور من الجان حتى انه وصل الى الشقيف أسرع من ذوى الآجال وأما الحارث بن الملك زهير فانه سعى خلف شيبوب وصار يجهد روحه حتى انه يلحق بلبنى وشيبوب فما قدر على ذلك الحال وأما أبو لبنى والخيتعوش فانهم لما نظروا الى شيبوب وهو كأنه من بعض الطيور تحيروا من تلك الامور وصاروا اليه ناظرين حتى انه وصلها الى الشقيف هذا وهم على ظهور الخيل وقد أطلقوا الاعنة ولحقوا الحارث وهو فى ذيل الجبل لانه كان مثقل من

اللبس الذى عليه والحديد والزرد هذا والحارث أخذ يدافع عن
نفسه ويدافع بسيفه وترسه فأخذوه أسيرا وشدوه كتاف
وقووا منه السواعد والاطراف (قال الراوى) وكان شيبوب
وصل لبنا وهم انه يرجع ويحمل الحارث على أكتافه ونجيه
من تلافه فوجد الحارث وقع أسيرا مع بنى زهران فحزن عليه
حزنا كبيرا وفاض الدمع من جفون لبنى كما يفيض الغدير وخافت
عليه من القتل والتدبير هذا والخيل تتواصل على مهل ونزلت
فى الوادى من تحت ذيل الجبل ثم ان جماعة منهم تسابقوا وطلبوا
الصعود الى الشقيف فتلقاهم شيبوب كأنه البلاء المصبوب
وصار يقصد منهم الضلوع والصدور ويرميهم فى النحور ومااتى
عليهم الليل بالظلام وولى النهار بالابتسام حتى أنزل بهم
الهلاك من رمى النبال وعند هانزل أبولبنى والخيثعوش وقلبه
متعوب وهم قد حاروا الجميع من فعال شيبوب وأقبل الخيثعوش
على ابى لبنى وقال له أرى من الرأى الصواب أن نترك هذا الشيطان
الذى رأيناه ماالا ماتأنه من الجان لكن مابقى فى الامر الاشى
واحد وهو اننا عند الصباح نخرج الا سير العبسى للصلب ونقول
لهذا الشيطان اذالم تسلمنا بنتنا حتى اننا نمضى عنكم والاصلبنا
ابن ملككم ولم نزل محاصرين لك حتى نقدر عليك ونأخذ
روحك من بين جنبيك فقال أبولبنى لما سمع هذا الكلام افعل
مابدالك ما أحد منا يخالف مقالك فعندها شدوا الحارث الى
جانب مضرب الخيثعوش وكانوا على ذيل الجبل عبيدين وأمروهم
ان يرصدوا الى شيبوب وأقاموا ينتظرون الصباح لتنجلى عنهم هذه
الهموم والامور القباح وأما الحارث بن الملك زهير فانه بات

تلك الليلة يقاسى الهموم والاتراح وكان فراقه من لبنى أشد عليه من أسره والجراح وأما شيبوب فانه لما أظلم الظلام وخيم على الاقطار والاكام أتى عند لبنى ودخل الى ذلك الشقيف ودموعه على خدوده نازله فوجد فيه ماء وزادا يكفيهم سنة كامله فاكل شيبوب منه كفايته وقدم الى لبنى فما ذاقته من حزنها على الحارث وماجرى عليه وعلى نفسها فطيب شيبوب قلبها وأوعدها انه ينزل ويسعى فى خلاص الحارث ويفديه بنفسه ثم انه أقام فى تلك الارض والبقعة حتى مضى من الليل هجعة فلما علم ان القوم استولى عليهم سلطان المنام سل خنجره فى يده ونزل يزحف تارة على بطنه وتارة على ظهره وتارة يحبى على يديه وتارة على رجليه وهو خائف من أحد تقع عينه عليه ولم يزل على تلك الامور الصعبه حتى انه أتى الى ذيل العقبه فوجد العبدين راقدين كأنهم موتى من كثرة التعب الذى حل بهم والنصب فدنى شيبوب منهم وذبح الاثنين ثم انه سار بعد ذلك الى ما هو عازم عليه وهو يمشى على يديه ورجليه حتى وصل الخيام ثم انه عبر بين الخيام وعينه تدور على الحارث عسى أن يسمع له كلام واذا به يأن أنينا شديدا ويكثر من البكاء والتعديد وينشد هذه الابيات

يا لقومى قيود أسرى ووثاقى * ما بقى لى من أسرها اطلاق
أدركونى قبل الصباح والا * نهبت مهجتى السيوف الرقاق
يا بنى العم ما تهنيت يوما * بوصال حتى دهانى الفراق
ورمانى الفراق منه بسهم * فاتل ما لراميه تراق
فاطلبوا الثار يا بنى العم بعدى * كلما جالت الخيول العتاق

واخبروا

واخبروا عنتر بن شدادانی * مت شوقا وهاأنا فی حبل الوثاق
فهو کهف اللقا بسیف منیع * أمیر لکل من علا ظهر العتاق
ویح لبنی ماذا تلاقی بعدی * ومن عداها اذ شجاها الفراق
وکنا رجونا ان نعیش جمیعا * فی أمان وتطفی نار الاحتراق

(قال الاصمعی) فلما سمع شیبوب من الحارث هذه الابیات تألم قلبه علیه ثم انه تقدم فوجده مشدودا والقید فی رجلیه فدنا منه شیبوب وقطع فی الحال الوثاق من یدیه وفك القید من رجلیه هذا والحارث قد حار وأخذه الانبهار وبقی کأنه فی منام لانه کان أیقن بشرب کأس الحمام وقال له شیبوب اتبعنی وافعل مثل فعلی ثم ان شیبوب سار یمشی علی یدیه ورجلیه والحارث من خلفه وهو ینظر الیه حتی وصل شیبوب للموکلین علیه ذبح منهم عشرة عبید ذبح الاغنام وکان یأتی الی جنب العبد وهو نائم ویمد یده یذبحه من الورید للورید وبعد ما یذبحه یشق بطنه حتی انه لا یشعر فیفیق الذی بجنبه وبعد ذلك طلع الحارث من بینهم ولم یزل یتخطی النیام وهم سائرون باهتمام علی عجل حتی وصلوا الی ذیل الجبل وهم شیبوب أن یطلع وعجز الحارث فقال شیبوب مالك یا مولای فقال الحارث یا شیبوب الاسر قد أوهن عظمی وأقل قوای فدنا شیبوب من الحارث واحتمله علی أکتافه وسعی به من غیر مهل حتی صار فی أعلا الجبل ولما نظرت لبنی الی شیبوب أقبل والحارث معه فرحت لبنی بخلاصه من أعدائه ثم ان شیبوب حطه عن أکتافه وأطعمه شیأ من الزاد حتی قوی منه رمق القلب والفؤاد وأقاموا حتی أصبح الصباح ولما انتبه الخیتعوش من مرقده وطلب الحارث فما وجده ورأی القید مقطوع والعبید الموکلین به قد

حل بهم الذل مذبوحين في أشنع حال وعلى وجه الارض ملقيين
التفت من شدة ما دهاه الى الابطال الذى معه وقال لهم ويلكم
يا أنذال قد خلصه ذلك الشيطان من أيديكم وبالامس قتل
شجعانكم وبلبل أحوالكم فكيف تحفظونى اذا كان
هذا العمل فعلكم ثم انه هم أن يقتل باقى الموكلين وينزل بهم
الفناء فمنعه من ذلك أبو لبنى وقال له هؤلاء يا أمير ما لهم ذنب فى هذا
العمل الذنب على الذى وكانا هم بذيل الجبل ومع ذلك ما عمل كل
هذه العمائل الا الذى أمس حمل لبنى على أكتافه ولا نقدر عليه
ما لم نصعد اليه ونأخذ روحه من بين جنبيه ونجعل له الهلاك
والهوان ونخلص لبنى ولا نصير معيرة عند العربان فلما سمع
الخيتعوش من أبى لبنى ذلك الكلام والخطاب قال هذا هو
الصواب وفى ساعة الحال صاح فى من معه من الرجال وأمرهم
بالطلوع للجبل فتسارعوا الى ما طلبه وطلعوا ولهم صياح وزجل
ولما نظر شيبوب الى تلك النوبة الصعبة فرغ كنانة النبل قدامه
وقعد لهم على رأس العقبة يرميهم بالسهام وهى تنفذ فى الدروع
منهم والاجسام وأما الحارث فانه جعل يرمى عليهم الصخور
والاحجار من علو ذلك المكان فتهرس الركب منهم والسيقان
وما كانت غير ساعة حتى قتل من بنى زهران مقدار خمسين
فارس من الشجعان وعادوا الباقين بالخيبه وقلة الهيبه فقال
الخيتعوش يا آل زهران يا ذلنا والهوان كل هذا يجرى علينا من
فرد انسان ونحن فى خمسمائة فارس من الشجعان وذمة العرب
الكرام انا أهون على ان ألتقى ألف فارس من الفرسان
ولا أقاسى ما قاسيت اليوم من هذا الشيطان ثم انه بعد ذلك

التفت الى من معه من الرجال وقال لهم يا بنى العم قد فتح لى باب اقول انه صواب وبه نأخذهم بغير ضراب وهو انه الليلة لا بد أن ينزل الى العسكر ويأخذ له سهام ليبلغ بها المرام والمأمول له أنه متطرق علينا بالنزول وأريد منكم أن ترصدوه واذا رأيتموه تقبضوه واياكم أن ينفلت من أيديكم لانه لو سابق الريح لسبقه وما فينا من له جواد يلحقه ثم انه أوصاهم باليقظة والاحتراز وصار الى مضربه هذا ما كان لهؤلاء وأما ما كان من شيبوب فانه ضاق صدره لاجل فراغ نبله فما صدق ان الليل أقبل بظلامه حتى نهض على أقدامه وسل خنجره بيده وهو أمضى من الاجل حتى صار فى أسفل الجبل فتوالت العبيد عليه فهجم عليهم وقد أراد الخلاص من بينهم وجعل يضرب فيهم بخنجره يمينا وشمال هذا وصياحهم قد أذهل العقل والبال فاستيقظت الرجال ووصلوا اليه ومسكوه قبضا باليد بعد ما قتل منهم أربعة وشدوه كتافا وقووا منه السواعد والاطراف وقدموه الى قدام الحيتعوش فلما نظر الى شيبوب فرح فرحا شديدا ما عليه من مزيد وقال له وقعت يا شيطان وحق ذمة العرب لاذيقك من العذاب ألوان ثم انه بعد ذلك أمر الرجال بالطلوع للجبل فطلعوا الجميع وأبو لبنى فى الاول ولما رأى الحارث الى ما جرى زاد همه وغمه وسل سيفه والتقى بنى زهران وقد أيقن لنفسه بالهلاك والهوان ولما رأت لبنا ذلك أمرت الحارث أن يفعل بها شيئا قبل الهلاك والوبال فقال لها الحارث وحق ذمة العرب الكرام انى لا أقربك الا فى الحلال ثم انه انحدر الى بنى زهران وقاتل حتى قتل منهم نحو عشرين فارسا وبعدها تكاثروا عليه وأخذوه قبضا باليد وشدوه كتافا وقووا منه

السواعد والاطراف ثم ان أبالبنى تقدم الى ابنته وهى ترجف من شدة الخوف والفزع فشدها من ذوائب شعرها وجرها للعقبة وأراد أن يذبحها فما مكنه من ذلك الخيتعوش وقال له دعها أماهى زوجتى وقبضت مهرها منى وأنا لما أجىء للديار أجلب الحارث الذى تحبه وبذلك ينقطع طمعها منه ثم انهم أقاموا فى ذلك المكان حتى ظهر الصباح وشدوا الحارث على ظهر جواد بالعرض وركبوا لبنى على ناقتها وربطوا شيبوب بحبل من رقبته بعد ما شدوه كتافا وسلموه الى عبد من عبيد بنى زهران وقالوا له سوق هذا الشيطان فما هو ممن يتعب من السير واياك أن تغفل عنه فيهرب فى هذه البرارى والقفار فلا تلحق خيلنا له غبار ثم انهم هموا بالمسير عندما طلعت الشمس فاشرف عليهم فى ذلك الوقت أويس ابن السعلاء بخيول بنى عبس هو والسلالون سائرون فى ذلك البر الاقفر بلا هدو ولا مستقر ولما نظر بنو زهران اليهم طمعوا فيهم وقال الخيتعوش يا بنى العم دونكم وهؤلاء السلالين اقتلوهم وخذوا منهم هذه الخيل لانهم سرقوها من أبعد مكان فلما سمع بنو زهران كلام الخيتعوش حملوا على السلالين من كل جانب ومكان فلم تكن غير ساعة حتى قتل منهم ثلاثين ونجا أويس ابن السعلاء والعشرة لانهم كان تحتهم خيل تسبق البرق اذا برق وغاصوا بها فى البر والقفار وطلبوا أهلهم والديار وفى وقت القتال والحروب اشتغل العبد الذى كان يقود شيبوب فجذب شيبوب نفسه من يده وهرب وغاب فى البر والفلاه فصاح العبد فى الفرسان عمادهاه وساقت الخيل فى طلبه يطردوه فى ذلك البر الاقفر حتى حمى عليهم الحر وهو جر البر وحلت بهم الكروب وتقطعت

خيلهم من خلف شيبوب وحس هو أيضا بالتعب والتدمير لان كانتا يديه مكتوفتان الى ورائه والا كان طار قدامهم فى البر والفلاة الا انه عند أياسه من نفسه وهو فى ذلك البر الاقفر تلاقى مع أخيه عنتر فخلصه من الكتاف وحمل على بنى زهران وقتل منهم ستة عشر فارسا وانهزم الاربعة وعاد عنتر الى عند أخيه شيبوب وسأله عن سبب أسره وأسر الحارث بن الملك زهير فحكى له ما قدمنا من الكلام هذا ما كان من السبب فى أسر الحارث وشيبوب ووقوعهم فى يد بنى زهران وقدومهم الى ذلك المكان ثم ان عنتر صار منتظرا قدوم عروة ورجاله وما فرغ شيبوب من كلامه مع أخيه عنتر حتى وصل جيش بنى زهران وكانوا مقدار مائة فارس همام وكان سبب مجىء بنى زهران الاربع فوارس الذى هربوا من قدام عنتر فانهم مازالوا فى هزيمتهم حتى انهم وصلوا بين يدى الخيتعوش وأبى لبنى وحكوا لهم بما جرى عليهم من عنتر بن شداد وكيف أجار ذلك الرجل الذى كنا نطرده وقتل منا ستة عشر فارس وما سلم الا نحن الاربعة فلما سمع الخيتعوش منهم هذا الكلام صار الضياء فى عينيه ظلام وقال ويلكم أنا ما أصدق ان فارسا واحدا يعمل كل هذه العمايل لكن أنا اليوم أريكم فيه العجب ثم انه انتخب مائة فارس وسار طالبا قتل عنتر البطل المغوار بعدما أوصى أبا لبنى على الحارث وعلى لبنى وسار مجدا فى السير حتى أشرف على عنتر كما ذكرنا ونظر الى قومه مقتولين كما وصفنا فزاد به اللهب وصاح فى عنتر صيحة الغضب لاسيما لما نظر الى شيبوب سالما بجانبه وأشار الى عنتر يقول

يا صاحب الفرس الجواد الادهمي
والسيف والرمح الاصم اللهذمي
ان كنت أنت قتلت من فرساننا * الدهر يغدر بالهزبر الضيغمي
واذا سقى عبد الكأس حلاوة * غلطا أتاه بغيرها كالعلقمي
واذا حضرت الحرب يوم مجالها * أرديت منها كل نسر قشعمي
ورجعت والابطال ترجف خيفة
وترى جميع الارض كادت تهدمي
فاختر لنفسك حيلة تعروا بها * فالعذر يمحي قبح ذنب المجرمي
ودع الذي قد كان أصل بلائها * حتى تعود بفرحة و بمغنمي
(قال الراوي) وكان عنتر ماركب جواده الابجر ولما سمع جميع ما أنشد الخيتعوش فقال لشيبوب اليك يا أبا رياح احفظ أنت هذه الخيل حتى أريك ما افعل في هؤلاء الانذال ووثب في الحال عنتر من الارض الى ظهر الجواد وانطبق على الخيتعوش وأجابه على شعره بهذه الابيات
أخبرك اني قد تركت رجالكم * بالسيف رزقا للنسور الحوّمي
وسنان رمحي قد شكى كرب الظما * واذا التقينا اليوم يروى بالدمي
أجهدتم واقدري وقد قرت به * فرسان فارس في بلاد الاعجمي
وفوارس الهيجاء في يوم اللقا * تعنوا لذكر شجاعتي وتكرمي
واذا سلكت البرانس وحدتي * في الليل سيف كالقضاء المبرمي
وجوادي هذا وحمرة وجهه * وسواده مثل الغراب الاسحمي
لا الرمح في يوم البراز ذخيرتي * وسنان رمحي لامع كالارقمي
فلكم وقعة لي قد تركت رجالها * رزق السباع وكل نسر قشعمي

وقبيلة صبحتها ونساءها * بين البيوت حسرا فى مأتمى

(قال الاصمعى) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات انطبق على الخيتعوش فالتقاه واصطدما الاثنان والتحما وماجا والتطما وتباعدا وتقاربا ومازال الامر بينهم على ذلك الحال ساعتين من النهار حتى وقع التعب فى أيادى الخيتعوش فعلم عنتر من حاله أنه كل ومل وبعد عزه ذل فنزل عليه نزول القضاء والقدر وضايقه ولاصقه وسد عليه طرقه وطريقه وضربه بالصامى على صدره قسمه الى جديلة ظهره وأرماه قطعتين كأنه انقسم ميزان وكانت المائة فارس من بنى زهران تبعوا شيبوب لانه هرب من قدامهم وجعل يلوح لهم بيده فتعبت خيلهم من الركض خلفه وكان قصد شيبوب انه يبعد الفرسان عن أخيه حتى لا يعينوا الخيتعوش عليه فصار يأخذ قدامهم تارة يمينا وتارة شمالا وتارة خلفه وتارة أمامه حتى انه ضيعهم فى تلك البرارى والآكام واختفى منهم فى مكان لا يهتدى اليه ابليس ولا أولاده وصارت الخيل تدور عليه فى ذلك البر والقيعان وهو قاعد ينظر اليهم من ذلك المكان وأما عنتر فانه بعدما قتل الخيتعوش حمل على تلك الخيل الذى تطرد الى شيبوب وصاح فى الابجر من تحته كأنه ريح الهبوب أو الماء اذا اندفق من ضيق الانبوب وفى دون ساعة لحق الخيل كأنه أسد قسور وزعق عليهم بصوت كأنه الرعد اذا هدر وطعن أول فارس أرماه واذا بشيبوب ظهر من جانب الابجر وضرب الثانى بنبلة أعدمه الحياه وقتل عنتر الثالث وقتل شيبوب الرابع فلما نظرت بنو زهران الى عنتر وشيبوب حلت بهم الكروب وكانوا علموا بقتل الخيتعوش فهجوا من قدام عنتر فى البر والفلا بعدما قتل

منهم أكثر من أربعين وما زالوا فى هزيمتهم حتى وصلوا الى أبى
لبنا فسألهم عن الخبر فحكوا له جميع ما جرى وتدبر وكيف قتل
الخيثعوش على يد عنتر فقال أبو لبنا ويلكم كم كانت الابطال
الذى فعلوا معكم هذه الفعال قالوا وحق رأسك يا أميرنا ما كان
غير فارس واحد لكنه اسود راكب على جواد اسود وله قلب
أقوى من الحجر الجلمد قال أبو لبنا أنا ما أصدق ان فارسا واحدا يقتل
الخيثعوش ويفعل كل هذه الامور ولكن سيروا معى حتى
أريكم العجب فما تم أبو لبنا كلامه حتى تقدم اليه فارس من بنى
زهران يسمى جفال وقال له يا أمير الرأى عندى انك تترك بنتك لبنا
وهذا الاسير فى هذا المكان وتوكل عليهم جماعة من العبيد
السودان حتى نسير كلنا الى هذا البطل الجبار ونأخذ منه بالثار
ونكشف العار فلما سمع أبو لبنا من ذلك الفارس هذا الكلام
رآه صوابا فترك الحارث ولبنا فى ذلك المكان ووكل عليهم خمس
عبيد وسار أبو لبنى فى كل أبطال بنى زهران هذا ما كان لهؤلاء
من الامر والشان وأما ما كان من عنتر قاهر الفرسان فانه
بعد ما قتل الخيثعوش وكسر بنى زهران أمر أخاه شيبوب أن
يجمع الخيل الشاردة والعدد المبددة فاجابه الى ما أمر واذا
بعروة ورجاله مقبلين الى عنتر راكبين النوق والجمال فوق
الفرائع والاعدال فالتقوا عنتر واقفا على جواده الابجر وهو
كأنه الاسد الغضنفر ونظروا الى تلك الارض ملآنة قتلاء
ومخضبة بالدماء فتعجبوا من ذلك الامر والسبب غاية العجب
وسأل عروة لعنتر عما جرى فحكى له عنتر على بنى زهران وما فعل
بهم من تلك الفعال وأمرهم أن يركبوا فتقدم شيبوب قدام أخيه

عنتر وقال له يا ابن الام أنا عولت أن أركب جوادي وأسير الى بنى زهران فدوموا أنتم سائرين على أثرى عسى أن أجد لى فرصة او حيلة أعملها لكم على الحارث ولبنا لانى أخاف يا أخى من بنى زهران اذا علموا بقتل الخيثعوش ان يقتلوا عوضه الحارث وتعظم الامور قال عنتر افعل ما بدا لك فوثب شيبوب الى مكان المعمعة بعد أن ركب جواده ولبس عدة حربه وجلاده وتزيا بزى بنى زهران المكسورين وسار حتى اختلط بهم واخوه عنتر ورجال عروة بن الورد من ورائه سائرين على الاثر فما كان غير ساعة حتى التقوا مع بنى زهران وصاح عنتر فى عروة بن الورد ورجاله وحمل فارتج لعظم حملته السهل والجبل ولما نظر بنو زهران الى ذلك الامر والشان أقبلوا على أبى لبنا وقالوا له اعلم أيها الامير أن كل بنى عبس أتوا مع عنتر لان المنهزمين ذكروا لنا عن عنتر انه وحده وها نحن نبصر عنتر ومعه أبطال كثيرة ثم انهم قاتلوا ساعة ونظروا الى عنتر وضرباته التى لا تبقى ولا تذر وقد قتل منهم فى ساعة الحال مقدار مائة فارس رجال نادى أبو لبنا الهرب يا بنى عمى الهرب يا بنى زهران فما زالوا هاربين حتى وصلوا المكان الذى تركوا فيه الحارث ولبنا فما وجدوا منهم ديار ولا نافخ نار ولقوا الخمس عبيد مقتولين ولبنا والحارث هاربين قال أبو لبنا لمن معه لا شك يا بنى العم ان بنتى لبنا تخلصت لا بعبسى أخذها وسار الى أرضه ثم انه فات ابنته خوفا من عنتر أن يسقيه كأس منيته وتم فى هزيمته هو وأبطال عشيرة بنى زهران وبعد ساعة وصل عنتر وأبطال بنى عبس وعدنان الى ذلك المكان فقال عنتر لعروة بن الورد يا أبا الابيض شرعلينا ودارى لنا هذا المرض لاننا ان تبعنا بنى زهران

أخاف على أخي شيبوب وان اقمنا حتى نكشف أخبار شيبوب أخاف على ابن الملك زهير قال عروة بن الورد الرأى عندى يا أبا الفوارس اننا ننزل فى هذا المكان حتى نريح الخيل فان أتى أخوك شيبوب كان والا أبقينا له هنا من رجالنا أحدا وتبعنا نحن بنى زهران فأجابه عنتر الى ما طلب ونزلوا فى ذلك البر والسبسب وتفرقت رجال عروة تجمع الخيل والسلب واذا بجماعة تنادى على عنتر من رأس الجبل الينا الينا يا أبا الفوارس فقد وجدنا الحارث بن الملك زهير فى مغار فى هذا المكان فلما سمع عنتر هذا الكلام أخذ عروة ورجاله وطلع الى ذلك الجبل ولما وصل الى ذلك المغار لقى الحارث مجروحا فى عاتقه جرحا أشرف منه على الهلاك لكنه مشدود الجرح فتقدم عنتر اليه وسأله من فعل بك هذه الفعال فلما سمع الحارث حس عنتر فرح واستبشر وردت اليه الروح وفتح عينيه وابتدأ يحكى لعنتر عن سبب جرحه (قال الاصمعى) وكان السبب فى ذلك الامر الذى جرى على الحارث وهو ان أبو لبنا لما توكل عليه وعلى ابنته لبنا الخمس عبيد وسار طالبا قتال عنتر فن بعد مسيرهم من ذلك البر الاقفر وصل ذلك البر جرير بن قادم بن عم لبنا وقد ذكرنا انه كان يحب لبنا محبة عظيمة ولما أخذها الحارث وشيبوب وطلعت خيل بنى زهران خلفهم كان ابن عم لبنا جرير ركب جواده واعتد بعدة حربه وجلاده وتبع منهم الاثر لعله يدرك من لبنا فرصة فما زال سائرا يقتفى منهم الاثر حتى انه وصل الى ذلك البر الاقفر فلتى العبيد الخمسة ولبنا والحارث فى ذلك المكان وما عندهم أحد من الفرسان فهجم جرير بن قادم على الخمس عبيد قتلهم ورماهم على وجه الصعيد وضرب الحارث بن الملك زهير بالسيف

على عاتقه هدل كتفه وأراد أن يثنى عليه فرمت لبنا روحها عليه وقالت له يا ابن العم بحياتى عليك لا تضربه ثانيا يكفيه هذا الجرح خذنى وسر بى الى اين اردت فلما سمع جرير كلامها أردفها خلفه على ظهر الجواد وسار يعتسف فى البرارى والمهاد وبعد مسيره عن الحارث بقليل وصل شيبوب ونظر الحارث على ذلك الحال بان من الم الجراح فتقدم اليه وسأله من فعل بك هذه الفعال فحكى له عن جرير بن عم لبنا وانه يا شيبوب بعد ما بعد من هذا المكان كنت أسمع حس لبنا بيده فى ادنى هذه البر والقيعان فلما سمع كلام الحارث دفعه فى ذلك الغار بعد ما شد جرحه وطلب جريرا ولبنا فما زال يركض خلفهم الى ان دخل وقت السحر وكان جرير آمن على نفسه فى ذلك الوقت من الهلاك والضرر ولا يعلم بما نزل به من القضاء والقدر الذى ما للعبد منه مهرب ولا مفر وكان شيبوب نظره وتقرب اليه بحيث لا يراه وانتزع السهم من كنانته ومكنه من كبد القوس وضرب به جريرا فوقع فى خصيتى جواده فشب به الجواد ورماه هو ولبنا من أعلاه فى ذلك البر والفلاه فما تركه شيبوب يقوم الا وهو راكب على صدره وضربه بالخنجر فى صدره أطلعه يلمع من بين كتفيه فصار قتيلا وفى دماه جديلا وقال للبنا لا تخافى أنا شيبوب أخو عنتر ففرحت لبنا وسألته عن الحارث فحكى لها انه طيب وانه شد جرحه ودفعه الى غار ففرحت لبنا ثم ان شيبوب أخذها وعاد طالبا أخاه عنتر وكان عنتر نظر للحارث بن الملك زهير وهو قاعد فى انتظار أخيه وشيبوب واذا بشيبوب أقبل ولبنا معه فلما رآه عنتر فرح واستبشر وتقدم اليه وسلم عليه وسأله عما فعل فحكى له شيبوب بكل ما جرى وتدبر ففرح عنتر

وحكى لشيبوب عن كسرة بني زهران والتفت بعد ذلك عنتر الى لبنا وقال ويلك يالبنا تقدمي اليه وكلميه حتى انها تأتي اليه عوافيه لان مرض العاشق النسيب لا يبرأ الا برائحة الحبيب وهو الدواء والطبيب فعند ذلك تقدمت لبنا الى الحارث وكان من وجعه مطروحا فلما انه رآها رجعت اليه الروح ثم انه وثب اليها وضمها الى صدره وردت روحه اليه ونسي كلما جرى عليه ثم ان عنتر أقام بهم في ذلك المكان ثلاثة أيام حتى استراح الحارث وردت اليه عوافيه وفي اليوم الرابع ساروا طالبين أرض الشربة والعلم السعدي وعنتر كلما نظر الى محب اجتمع مع حبيبه يرفع رأسه الى السماء ويقول اللهم اني أسألك أن تكون الى دعائي مجيبا وتجمع بيني وبين من يحبه قلبي عن قريب ثم ان عنتر افتكر عبلة وبعده عنها وما قاسى من أجلها فاشار بهذه الابيات ينشد ويقول

امسك لنا أم عنبر فاح أم غما * أم الريح هبت في الربا ولها شدا
ابرق نراه في الربا أم ثناها * تحاكي لبدر التم في النصف اذ بدا
أم صبا تهتز طيبا على الربا * كغصن أصابه وابل أم ندا
ونرجس بستان اللحاظ ووردة * كذا انها حسنه لم يشبها الها خدا
أهيم بها شوقا وأما عواذلي * بروا فيض دمعي ماله ابدا حدا
أيا عبل قلبي في هواك معذب * وقد تبدلت بعد القرب لي بعدا
أيا عبل اني في الوغا لهب اللظى * اذا خمدت أضرمت نيرانها وقدا
أيا عبل نجمي في السرادق لائح * وربي في الهيجاء أعطانيا السعدا
أيا عبل لا تخشي على من العدا * فان قضاء الله ليس له ردا

(قال الاصمعي) فلما فرغ عنتر من هذه الابيات طربت لها

الفرسان وساروا بعدها طالبين الديار يقطعون البرارى والقفار الليل والنهار حتى بقى بينهم وبين أرض الشربة والعلم السعدى يوم واحد أو دون اليوم وعندها أمر عنتر أخاه شيبوب أن يسبق للديار ويبشر الملك زهير بسلامة ولده الحارث فاجابه شيبوب الى ما طلب وأعطى ساقيه للريح وطلب البر الفسيح فما غاب أكثر من نهار واذا به قد رجع كأنه الطير اذا طار أو النمر اذا غار حتى صار بين يدى عنتر البطل المغوار فقال له ويلك يا أبا رياح أى شىء عاقك عن المسير فقال شيبوب بلى يا ابن الام وصلت الى الديار ولكن لقيت كل أبطال بنى عبس متفرقين فى البرارى والقيعان فسألت بعض العبيد عن حقيقة الحال وما لبنى عبس متفرقين بين الروابى والتلال وهم على أظهر الخيل العوال فاعلمنى بعض الابطال بان الملك زهير أتاه البشير يعلمه بقدوم أخيه أسيد من مكة فطلع الى لقاه ومعه أولاده واخوته ورفقاه فصادفتهم الاعداء فى الطريق فأسروا الجميع وعدموا التوفيق وقد ذكروا ان البعض قتل والبعض أسر وقد ركبت الفرسان فى ادراك المطالب ولم يعلموا السالم من العاطب وسمعت ان الذى فعل بهم هذه الفعال فارس واحد منتخب ومعه جماعة من صعاليك العرب فقال عنتر وما علمت فى أى أرض أسروا قال بلى سمعت ان الخيل طالبة أرض الاراك ووادى البان فقال عنتر هذا والله أعجب مما كنا فيه وذمة العرب ما قدم أرضنا وفعل هذه الفعال الا رجل لا يهاب الرجال ولا يبالى بالابطال ثم ان عنتر بعث الحارث وابنا مع عشرين فارس من أصحاب عروة بن الورد الى الحى وعزم هو وباقى الابطال

طالبا ارض الاراك ووادى البان وشيبوب بين
أيديهم مثل الدرحان (قال الراوى)
وكان الملك زهير لما فقد ولده الحارث
قد حار فى أمره وأرسل العبيد الى
سائر الحلل لتأتى له بالاخبار
وأقام هو فى الانتظار (قال
الراوى) لهذا الكلام
فبينما هو ذات يوم من
بعض الايام جالس
بين أصحابه
الكرام واذا
بغبار قد
أقبل

تم الجزء السادس من قصة فارس الطراد مشيد بيت عز بنى
عبس عنتر ابن شداد فى أوائل شهر جمادى الثانى سنة ثلاثة
وثمانين ومائتين بعد الالف من هجرة من خلقه الله على أحسن
وصف صلى الله عليه وعلى آله والذين انتظموا فى سلك منواله

56